صفة الصفوة

للإمام العالم

جمال الدين أبي الفرج

ابن الجوزي

٥١٠ - ٥٩٧ هجرية

طبعة مصححة ومنقحة ومزيدة
بفهارس للأحاديث وللأعلام المترجم لهم

حققه وعلق عليه

محمود فاخوري

خرج أحاديثه

د. محمد رواس قلعه جي

الجزء الرابع

دار المعرفة
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

دار المعرفة للطباعة والنشر

هاتف: ٨٣٤٣٠١-٨٣٤٣٣٢ - ص.ب: ٧٨٧٦ - برقياً: معرفكار - بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

اعتمدت فى تحقيق الجزءِ الرابع من «صفة الصفوة» على النسخ التالية :

١ - نسخة (ق)[١] : وتشمل :

(أ) ما تبقَّى من الجزءِ الثالث : ومقداره (٣٧) ورقة (١٤٥ - ١٨٢)[٢] منها أَربع عشرة ورقة (١٦٨ - ١٨٢) كتبها ناسخ متأَخر ، فحرف واختصر ، وذلك قُبيل نهاية الترجمة (٦٢٨) حتى آخر هذا الجزءِ ، ويتفق ذلك مع آخر الترجمة (٦٧٧) التى سقط منها السطران الأَخيران مع الترجمة (٦٧٨) أيضاً .

(ب) الجزءِ الرابع : ويبدأ بذكر المصطفين من أَهل بسطام (الترجمة ٦٧٩) . وعنوانه « صفة الصفوة » ويقع فى (١٧١) ورقة . كتبه إبراهيم بن يحيى العسقلانى الحنبلى سنة (٦٧٧)هـ . وينفرد هذا الجزء عن الأَجزاءِ الثلاثة السابقة بخط النسخ الجيد ، ودقة الشكل والإِعجَام فى المواضع التى تحتاج إلى ذلك . وسقطت منه ورقة بين الورقتين (١١٩ ، ١٢٠) وتبين لى بعد ذلك أَنها وضعت خطأً فى غير موضعها قُبيل نهاية الكتاب وأُعطيت رقم (١٦٨) .

(١) سبق التعريف بها فى آخر الجزء الأول ، وفى مقدمة الجزأين الثانى والثالث .

(٢) يراجع ما ذكرناه فى وصف هذا الجزء فى مقدمة الجزء الثالث من طبعتنا هذه .

٢ ـ طبعة حيدر آباد : (ط.) :

طبع جزؤها الرابع سنة ١٣٥٧هـ. وقد صححه جماعة من علماء دائرة المعارف العثمانية ، واعتمدوا على النسختين التاليتين :

(ا) النسخة الإسلامبولية (قط.) .

(ب) النسخة المحفوظة بالمتحف البريطانى بلندن[1] (ب) : وهى ناقصة من أولها حتى أثناء الترجمة (٦٣٠) . وتختص بإثبات الأسانيد ولكنها دون نسخة (ق) فى ذلك .

وقد تابعت نسخة (قط.) فى أسانيدها ، وزدت عليها من (ق) ما رأيته ضروريًا لاستقامة النص ، واستفدت مما ذكره أصحاب هذه الطبعة من فروق بين نسختى (قط. ، ب) ورمزت بحرف (ط.) إلى ما اتفقت فيه هاتان النسختان ، وأطلقت كلمة «النسخ» على ما اتفقت فيه النسخ الثلاث (ق ،قط. ، ب) .

كما أننى وضعت بين قوسين [ ] مازدته من طبعة حيدر آباد وخلت منه نسخة (ق) ، وأشرت إلى كثير من مواضع التحريف والوهم التى صادفتها فى تلك الطبعة ليصححها من يقتنيها .

ولله الحمد أولاً وأخيرًا ، فهو الموفق إلى الصواب ، وهو ولينا وبه نستعين .

محمود فاخورى

حلب ـ ٩ جمادى الآخرة ١٣٩١ ـ ١ آب ١٩٧١ .

---

(١) نقلنا عنهم فى مقدمة الجزء الثانى أنها محفوظة بدار حكومة الهند . وقد صوبوا هنا ما ذكروه آنفاً .

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن (١) الطبقة السابعة
من أهل البصرة

٥٦٦ — عبد الرحمن بن مهدى :

يكنى أبا سعيد العنبرى(٢)

ويقال : هو مولى للأَرد . ولد فى سنة خمسٍ وثلاثين ومائة(٣)

على بن الْمدِينى قال : كان عبد الرحمن بْن مَهْدِى يختِم فى كل ليلتين وكان وِرْدُه فى كل ليلةٍ نصفَ القرآن .

هارون بن سفيان قال : سمعت عُبَيْدَ الله بنَ عُمرَ الْقَوَارِيرِى يقول أَمْلَى على عبدُ الرحمن ابنُ مَهْدِى عشرين أَلفَ حديثٍ حِفْظاً .

عبد الرحمن بن عمر قال : سمعت عبد الرحمن بن مَهْدى يقول : كان يقال إذا لَقِىَ الرجل مَنْ فَوْقَه فى العلم : كان يوم غنيمة ، وإذا لَقِىَ مَن هو مثلُه دَارَسَهُ وتعلَّم منه ، وإذا لقِىَ مَن هو دونه تواضع له وعلَّمه . ولايكون إِمَامًا فى العلم من يُحدِّث بكلِّ ماسمع ولا يكون إمامًا فى العلم مَن يُحدِّث عن كل أَحَدٍ ، ولا يكون إمامًا فى العام من يحدث بالشَّاذِّ(٤) من العلم والحِفْظ الإِتقان .

قال : وسمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول : لَوْلا أَنى أَكْرهُ أَنْ يُعصىَ اللهُ تَمنَّيتُ أَنْ لايَبْقَى فى هذا المِصْر أَحدٌ إِلَّا وَقَعَ فىَّ واغْتَابنى ،

---

(١) سقط من نسخة (ب) من هنا إلى أثناء ترجمة شعوانة رقم ٦٣٠ .

(٢) ق : العبدى ، تصحيف . والتصويب من قط وتقريب التهذيب (١/٤٩٩) .

(٣) هذا السطر ساقط من المطبوع .

(٤) قط : «إماماً من يحدّث بالشاذ» .

فأى[١] شيء أهنأُ من جسنةٍ يجدها الرجل فى صحيفته يومَ القيامة لم يَعملها ولم يعلمَ بها .

وسمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول ، وأراد أن يبيع أرضًا له فقال : الدَّلَّال : أعطيت بالجريب خمسين ومائتى دينار ولكن نظر إلى أرضٍ خرابٍ ونخلٍ بادية العُروق ، فلو كانت مسمَّدة رجوت أن أبيع الجريب[٢] بفضل خمسين دينارًا وهذا كثير أربعة آلاف[٣] دينار أذهب أنا وغلامك حتى نُسمِّدها ونبيعها . فغضب وقال : أربعةُ آلاف دينار ؟ أعوذ بالله من الشَّيطان الرحيم (لَايَسْتَوِى الْخَبِيثُ والطَّيِّبُ ولَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخبيثِ فَاتَّقوا اللهَ يا أُولى الأَلْباب[٤]) لا ولا كذا . أظنه قال : ولا مائة ألف .

قال عبد الرحمن بن عمر : وحدثنى - يحيي بن عبد الرحمن بن مهدى أن أباه كان يُحْيِى الليل كلَّه -

قال عبد الرحمن بن عُمَر : وسمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول : والله لاتجد فقْدَ شيءٍ تركتَه ابْتَغاء وجهِ الله ، كنتُ أنا وأخى شَريكين فأصبْنا مالاً كثيرًا فدخل قلبى من ذلك شيءٌ فتركتُه لله وخرجتُ منه فما خرجتُ من الدّنيا حتى ردّ الله علىّ ذلك المالَ عَامّتَه إلىّ وإلى وَلَدِى[٥] ، زوّج أخى ثلاثَ بناتٍ من بَنِىَّ وزوجتُ ابنتى من ابْنِهِ ، ومات أخى فَوَرِثَهُ أَبى ، ومات أَبِى فورِثْتُهُ أنا ، فرجع ذلك كلّه إلىّ وإلى وَلَدِى فى الدنيا .

---

(١) قط : وأى .

(٢) ق : ألف .

(٣) قط : « أذهب وغلامك » . والجريب : من الأرض والطعام : مقدار معلوم من مقاييس المساحة أو الكيل .

(٤) المائدة : ١٠٠ .   (٥) قط : والذى .

أسند عبد الرحمن عن الأئمة كمالك بن أَنَس والثَّوْرى وشُعْبة والحمَّادَيْن ، وقد أدْرك جماعة من التَّابعين منهم : جَرِيرُ بن حَازِم ، والمُثَنَّى بن سعيد ، وصالح بن دِرْهم . وتُوفى بالبَصْرة فى جُمادَى الآخِرَة سنة ثمانٍ وتسعين ومائة ، وهو ابنُ ثلاثٍ وستين سنة .

٥٦٧ — عفان بن مسلم (ابو عثمان الصفار) :

جمع بين العلم والتُّقى .

صالح بن أحمد بن عبد الله العِجْلى قال : ثنا أبى قال[١] : (عفان بن مسلم بصرىّ ثقةَ ثبت ، صاحب سنّة ، جُعل له عشرةُ آلاف دينار على أن يقِفَ عن تَعْديل رَجُلٍ ولايقول : عَدْل ولاغَيْر عَدْل . فأَبَى وقال : لا أُبْطِلُ حقًّا من الحقوق .

حَنْبل بن إسحاق قال : سمعت عَفَّان يقول : دَعَانى إسحاقُ بن ابراهيم فقرأ علىَّ الكتَابَ الذى كتَبَ به المأمُون وإذا فيه : امتحنْ عفَّانَ وَادْعُه إلى أن يقول : القرآنُ كَذَا وكَذَا . فإن قال ذلك فَأَقِرَّه على أمْره وإن لم يُجِبْك فَاقْطَع عنه الذى يُجرَى عليه[٢] وكان يُجرَى عليه خمسمائة درهم كل شهر .

قال عفان : فقال لى : ماتقول ؟ فقرأت (قل هو الله أحد[٣]) حتى خَتَمْتها وقلت : مخلوقٌ هذا ؟ فقال : إن أمير المؤمنين يقول إنْ لم تُجبْه يُقطعْ عنك مايُجرَى عليك فقلت يقول الله تعالى : (وفى السَّماء رِزْقُكم وما تُوعدون[٤]) فسكت عنى ، فانْصَرفْتُ .

---

(١) ق : قال : ثنا . والمثبت من قط .
(٢) هو ما يدعى بالتعويض أو الراتب .
(٣) الإخلاص : ١ .
(٤) الذاريات : ٢٢ .

أسند عفان عن جَمَاعةٍ من الأَئمة كشُعْبة والحمَّادَيْن . وتُوُفِّى ببغداد فى سنة عشرين ومائتين ، وقيل تسع عشرة ، وله خمس وثمانون سنة .

٥٦٨ — زهير بن نعيم البانى :

يكنى أَبا عبد الرحمن

أَحمد بن عِصام قال : قال زُهير بن نُعيم : إن هذا الأَمرَ لايتم إلَّا بشيئين : الصَّبرِ واليقينِ ، فَإِنْ كان يقينٌ ولم يكُنْ معه صبرٌ لم يتمَّ ،وإنْ كَانَ صبْرٌ ولم يكن معه يقينٌ لم يتم ، وقد ضَرب لهما أَبو الدرداءِ مثلاً فقال : مَثَلُ اليقين والصَّبر مثَلُ فَدَّادَيْن[١] يحفران الأَرض فإذا جلَس واحد جَلَس الآخرُ .

قال أَحمد بن عصام : وسمعت خَالى عبدَ العزيز بنَ يوسُف يقول : أَرَدْتُ الخروجَ من البصرة فبدأت بيحيى بن سعيد فودَّعتُه ثم ودَّعت عبد الرحمن بن مهدى ، ثم ودعت زُهيرًا فقلت : هل من حاجةٍ ؟ فقال : نعم إلا أَنها مهمَّة . قال : ففرحتُ . فقال : اتق الله ، فوالله لأَن يتَّقِيَهُ عبدٌ أَحبُّ إلىَّ من أَن تَتَحوَّل [لى] هذه السَّوارى[٢] كلُّها ذهبًا .

عبد الرحمن بن عمر قال : انتَهَى إلينا يومًا رجلٌ من هؤلاءِ الخبَثَاء القَدريَّة فقال له : يا أَبا عبد الرحمن بلغنى أَنك رجل زِنْدِيق . فقال له زهير : أَمَّا زِنديق فلا ، ولكنى رجل سُوءٍ .

عبد الله بن عبد الغفار الكَرْمَانى قال : سمعتُ زُهير بن نُعَيم

---

(١) الفداد : واحد الفدادين وهم الرعيان والجمالون والبقارون وسواهم ممن تعلو أصواتهم فى حروثهم ومواشيهم .

(٢) مفردها سارية وهى العمود أو الأسطوانة فى المسجد وغيره من الأبنية .

البانىّ يقول : تَوَدِدْت أَنَّ جَسَدى قُرِض بالمقاريض وأن هذا الخلق أطاع الله .

عبد الله بن عبد الغفار الكَرْمانى قال : دخلت على زُهير بن نُعيم البانى وقد سقط من سطح ، وقد تهشّم وجهُه ، وهو مكفوف فقلت : يا أبا عبد الرحمن كيف خبرك[1] قال : هُو ذا ترانى كيف أنا وهى الدنيا فَلْيجْهد جهْدها .

محمد بن يونس بن موسى قال : سمعت زُهير بن نُعيم البانى . وقال له رجل يا أبا عبد الرحمن تُوصِى بشىء ؟ قال : نعم احذر أَنْ يأخذَك الله وأنت على غَفْلة .

٥٦٩ — أبو عبد الله الحربى[2] الزاهد :

ابراهيم بن شبيب بن شَيْبة قال : كنا نَتَجَالس فى الجمعة فأتى رجل عليه ثَوْب واحد مُلْتَحِف به فجلس إلينا فألقَى مَسْأَلة فما زِلنا نتكلم فى الفقه حتى انصرَفْنا . ثم جاءنا فى الجمعة المقبلة فأَحْبَبْناه وسأَلناه عن مَنْزِله فقال : أنزل « الحَرْبيَّة » فسأَلناه عن كُنيته فقال : أبو عبد الله . فرغِبنا فى مجالسته ورأينا مجلِسنا مَجْلِس فقه .

فمكثنا بذلك زمانًا ثم انْقطعَ عنا فقال بعضُنا لبعضٍ : ما حالنا ؟ قد كان مجلِسُنا عامِرًا بأَبِى عبد الله وقد صار مُوحِشًا فوعد بعضُنا بعضًا إذا أَصْبَحْنا أَن نأتى الحربيَّة فنسأَل عنه . فأَتينا الحربيَّة وكنا عَدَدًا فجعلنا نستَحْيِى أَن نسأَلَ عن أَبى عبد الله فنظرنا إلى صِبْيانٍ قد انصرفوا من الكُتَّاب فقلنا : أَبو عبد الله . فقالوا : لعلكم تَعْنون

(١) قط : تجدك .

(٢) قط : عبد الله . والتصويب من ق . و ق : « الحريبى » بدل « الحربى » تحريف وهو نسبة إلى (الحربية) ، بفتح فسكون فكسر فتشديد : محلة كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حرب قرب مقبرة بشر الحافى وأحمد بن حنبل وغيرهما (ياقوت) .

الصيّاد ؟ قلنا نعم . قالوا : هذا وقتُه الآنَ يجيءُ . فقعدنا ننتظره فإذا هو قد أَقبل مُؤْتَزِرًا بِخِرْقةٍ وعلى كتفه خِرْقة ومعه أَطْيارٌ مذبَّحة وأَطيارٌ أَحياءُ. فلما رآنا تبَسَّم إلينا وقال : ماجَاءَ بكم ؟ فقلنا : فَقَدْنَاك وقد كنتَ غمرتَ مجلسنا فما غيّبك عنا ؟ قال : إذًا أَصْدُقكم :

كان لنا جَار كنت أَسْتعير منه كلَّ يوم ذاك الثوبَ الذى كنتُ آتيكم فيه وكان غريبًا فخرج إلى وطَنه فلم يكن لى ثوب آتيكم فيه هل لكم أَن تَدْخلوا المنزلَ فتأْكلوا مما رَزَق الله عز وجل ؟ فقال بعضنا لبعض : ادخلوا منزله فجاءَ إلى الباب فسلَّم ثم صَبر قليلاً ثم دَخَل فأَذِن لنا فدخلنا فإذا هو قد أَتى بِقِطَع من البَوارى فَبَسَطَها لنا فقعدنا فدخَلَ إلى المرأَة فسلَّم إليها الأَطيار المذبَّحة وأَخذ الأَطيارَ الأَحياء ثم قال : أَنا آتيكم إن شاءَ الله عن قريب فأَتَى السوقَ فباعها واشترى خُبزًا فجاءَ وقد صَنَعَتِ المرأَةُ ذلك الطيرَ وهيَّأَته فقدم إلينا خُبزًا ولحمَ طير فأَكلنا فجعل يقوم فيأَتينا بالملح والماءِ فلمّا قام قال بعضنا لبعض : رأَيتم مثلَ هذا ؟ أَلَا تُغيّرون أَمرَه وأَنتم سادة أَهل البصرة ؟ فقال أَحدهم : علىَّ خمسمائة . وقال الآخر : علىَّ ثلثمائة . وقال هذا وقال هذا ، وضَمِن بعضهم أَن يأْخذَ له من غَيْره . فبلغ الذى جمعوا فى الحِسَاب خمسةَ آلاف دِرْهم فقالوا : قوموا بنا نذهب فنأْتِيَه بهذا ونسأَله أَن يُغَيِّر بعض ما هو فيه .

فقمنا فانصرفنا على حالنا رُكبانًا فمررنا[1] بالمِربَد فإذا محمد بن سليمان أَمير البصرة قاعد فى مَنظَرةٍ[2] له فقال : ياغلام ائتنى بابراهيم بن شَبيب بن شَيْبة من بين القوم . فجئتُ فدخلت عليه فسأَلنى عن

(١) من أسواق العرب المشهورة فى البصرة .

(٢) المنظرة (بفتح الميم والظاء) : ما ارتفع من الأرض أو البناء مشرفاً على ما تحته .

قِصّتنا ومن أين أقْبلنا فَصَدَقْتُه الحديثَ . فقال : أنا أَسْبِقُكم[١] إلى بِره . ياغلام ائتنى بِبَدْرة دراهم فجاءَ بها فقال : ائتنى بغلامٍ فرّاش فجاءَ فقال : احمل هذه البَدْرة مع هذا الرجل حتى تَدْفعها إلى من أمرناه .

ففرحت ثم قمت مسرعًا فلما أتيت الباب سلّمت فأجابنى أبو عبدالله ثم خرج إلىّ فلما رأى الفرّاش والبَدْرة على عُنقه كأنى سَفَيْتُ[٢] فى وجهه الرّماد وأقبل علىّ بغَيْر الوجْه الأَول فقال : مالى ولك ياهذا ؟ أتريد أن تَفْتِنَنى ؟ فقلت : يا عبد الله اقعد حتى أخبرك أنه من انقصة كذا وكذا ، وهو الذى تعلم أحَد الجبّارين ، يعنى محمد بن سليمان ، ولو كان أمَرَنى أن أضَعَها حيثُ أرَى لرجعتُ إليه فأخبرتُه أنّى قد وضعتها . فاللهَ الله[٣] فى نفسك . فَازْداد علىّ غَيْظاً وقامَ فدخل منزله وأصْفَقَ البابَ فى وجهى ، فجعلت أقدّم وأُؤَخّر ما أدرى ما أقول للأمير . ثم لم أجد بدًّا من الصّدق فجئتُ فأخبرته الخبر فقال : حَرورىٌّ[٤] واللهِ ، ياغلامُ علىَّ بالسيف . فجاءَ بالسيف فقال له : خذ بيد هذا الغلام حتى يذهبَ بك إلى هذا الرجل فإذا أخرجه إليك فاضْرب عُنقه وائتنى برأسه .

قال ابراهيم : فقلت أصلح الله الأمير ، اللهَ اللهَ ، فواللهِ لقد رأينا رجلاً ماهو من الخوارج ولكنى أذهب فآتيك به وما أريد بذلك إلا افتداءً منه . قال فَضَمّننيه[٥] فمضيت حتى أتيت الباب

(١) قط : أكفيكم ، تحريف .
(٢) سفت الريح التراب أو الرماد تسفيه : ذرته وحملته إلى مكان آخر .
(٣) قط : والله الله .
(٤) واحد الحرورية وهم فرقة من الخوارج .
(٥) كذا فى قط . ق : مضنه .

فسلَّمت فإذا المرأة تحنّ وتبكى ، ثم فَتَحَتْ الباب وتوارتْ فأَذِنتْ لى فدخلت فقالت : ماشأنكم وشأن أَبى عبد الله؟ فقلت : ماحالُه؟ قالت : دخَل فمال إلى الرُّكى فنزع منها ماءً فتوضأ ثم سمعته يقول : اللهم اقْبِضْنى إليك ولا تفتِنِّى . ثم تمدد وهو يقول ذلك .

فلحقته وقد قضى فهو ذاك ميت . فقلت : ياهذه ان لنا قصة عظيمة فلاتُحدِّثوا فيه شيئًا . فجئت محمد بن سليمان وأَخبرته الخبر فقال : أَنا اركبُ فأُصلّى على هذا .

قال : وشاع خبره بالبصرة فشهده الأَمير وعامَّة أَهل البصرة . رحمة الله عليه .

(١) مفردها ركوة : إناء من جلد .

ومن تاخر عن هذه الطبقات

٥٧٠ — ابو الحسن البصرى :

أَصله من مكة وسكن البصرة وإنما يعرف بالمكّى .

أَنبأَنا محمد بن أَبى القاسم على بن المحسن التّنوخِى عن أَبيه قال : كان أَبوالحسن المكى يَسُف الخوص وكان لايملك إلا دارًا فلما ضعف عن سف الخوص(١) باعها على شرط أَن يكريه المشترى إياها وأَودع الثمن عند المشترى ، وكان يأْخذ منه فى كل شهر خمسة دَراهم لنفقته ويُعْطى المشترى أُجرةَ الدار . فمات قبل أَن ينفَد الثمن ، وكانت له جُبَّة صوفٍ بيضاءُ أَقامت معه عشرين سنة شتاءً وصيفًا مالبس غيرها ، وكانت فى نِهاية الحسن والنقاء والنَّظافة والصحة . وكان موته حوالى سنة خمسين وثلمائة وكانت جنازته [عظيمة]

ذكر المصطفين من عباد البصرة المجاهيل الأسماء

٥٧١ — عابد :

عن الحسن قال : احترقَتْ أَخْصاص(٢) بالبصرة وبقى فى وَسَطها خُصّ لم يحترق وأَمير البصرة يومئذ أَبوموسى الأَشعرى . فخُبِّر بذلكْ فَبَعَثَ إلى صاحب الخصّ فأُتِىَ به فإِذا شيخٌ فقال : ياشيخ مابال خُصّك لم يَحْترق ؟ قال : إنى أَقسمت على ربِّى أَنْ لايحرقَه فقال أَبو موسى : أَما إنِّى سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «يكون فى أُمّتى رجال طُلْسٌ رؤُوسهم دنَسٌ ثيابهم لو أَقْسَموا على الله لأَبرهم(٣) » .

---

(١) الخوص : ورق النخل . وسف الخوص : نسجه .

(٢) قط : خصاص : وكلاهما جمع خص وهو البيت من قصب أو شجر .

(٣) الحديث لم أجده بهذا اللفظ وأخرج نحوه مسلم (٨/١٥٤) وأحمد فى المسند والحاكم فى المستدرك والبزار والطبرانى فى الأوسط .

٥٧٢ — عابد آخر :

قال ابراهيم بن عبد الله المدينى : قيل للحسن : هٰهنا رجل لم نَرَه قَط جالسًا إلى أحد إنما هو أبدًا خَلْف سَارِية وحدَه . فقال الحسن : إذا رأيتموه فأخبرونى به . قال فمرَّ به ذات يوم ومعهم الحسن فأشاروا له إليه فقالوا : ذلك الرجل الذى أَخْبَرْناك . فقال : امضوا حتى آتيَه . فلما جاءه قال : ياعبد الله أراك قد حُبِّبتْ إليك العُزْلة فما يمنعك من مخالطة الناس ؟ قال : ما أَشغَلَنِي عن الناس . قال : فيأْتى هذا الرجل الذى يقال له الحسن فتجلس إليه . قال : ما أشغلنى عن الحسن وعن الناس . قال له الحسن : فما الذى شغلك – يرحمك الله – عن الناس وعن الحسن ؟ قال : إنى أُمْسى وأُصْبِح بين ذَنْب ونعمة ، فرأيت أنْ أَشْغل نفسى عن الناس بالاستغفار للذّنب والشكر لله على النعمة . فقال له الحسن : أنت ياعبدالله أفقه عِنْدى من الحسن ، الزمْ ماأنت عليه .

٥٧٣ — عابد آخر :

عَطِية بن سليمان قال : صليتُ الجمعة ثم انصرفت فجلستُ إلى يُونُس بن عُبَيْد حتى صلينا العصر فقال : هل لكم فى جنازة فلان؟ فمشينا إلى ناحية بنى سعد فصلينا على جنازة ثم قال : هل لكم فى فلان العابد نعوده[١] فأتينا رجلاً قد وقعت فى فيه الخبيثة [٢] حتى أبدت عن أَضْراسه فكان إذا أراد أنْ يتكلَّم دعا بقَعْب[٣] من ماء وبقطنة فَيبُل لسانه حتى يبتلّ ثم يتكلم بكلماتٍ يُحسن فيهن .

فلما دخلنا عليه دعا بالقَدَح ليفعل ماكان يفعل ، فبينا هو يَبُلّ

---

(١) نعوده : ساقطة من المطبوع .

(٢) كذا . ولعله نوع من أمراض الفم أو اللثة .

(٣) القعب : القدح الضخم الغليظ .

لسانه سقطت حَدَقَتَاه فى القدح فأَخذهما فمرّ بهما بيده ثم قال : إنى لأَجِدُ فيهما دَسَمًا وما كنتُ أَظُنُّه بقى فيهما . ثم استقبل القبلة فقال : الحمد لله الذى أعطانيهما وأَمْتَعَنِى بهما شَبَابِى وصِحَّتِى حتى إذا أَفنيتُ أيامى وحَضَرَ أَجلى أخذهما منى ليُبْدِلَنى بهما إن شاءَ اللهُ خيرًا منهما .
فقال له يونس قد كنا تهيأْنا لنعزيك فنحن الآن نُهنِّئك فقال خيرًا ودعا . ثم خرجنا من عنده .

٥٧٤ — عابد آخر :

محمد بن عبد الرحمن عن الرجل الذى حدّثه أنهم كانوا بالبصرة فى شِدةٍ قُحط الناس فيها وغلا سعرهم وَاحْتَبَسَ عنهم المطر فخرجوا يَسْتَسْقون ، وخرجَت اليهودُ والنصارى . فاعتزلت اليهود معهم التوراة ، واعتزلت النصارى معهم الإنجيل ، واعتزل المسلمون ، كلهم يدعون وانصرفوا يومهم ذلك .

قال : فبينا أنا بعد ذلك أمشى فى طريق المِربَد نظرت فإذا بين يدىّ فتى عليه أطْمار(١) ، تقبله النفس فهو يمشى وأنا خلفه حتى خرج إلى الجَبَّان فدخل بعضَ تلك المساجد التى بالقُرب من المقَابِر ودخلتُ خلفه تَحُول بينى وبينَه أَركان المسجد فصلَّى ركعتين ثم رفع يديه يدعو ، وقال فى دعائه ، يارب ! استغاث بك عبادك فلم تَسْقهم ، يارب الآن شَمِتتْ بنا اليهود والنصارى ، أَقْسَمْتُ عليك يارب إلاسقَيْتَنَا الساعةَ ولم تَرُدَّنى .

قال : فما برح يدعو حتى جاءَت السحابة ومُطِرْنا فخرج وخرجت فى أثرِهِ لأَعرف موضعه فجاءَ إلى دار فيها أَخْصاص وأكواخ فيها سكَّان فدخل بيتًا منها فعرفتُ موضعه . فانصرفتُ عنه وهَيَّأْتُ

---

(١) ثياب بالية ، مفردها : طمر .

دَرَاهِمُ فى صرة ثم جئت فاستأذنت عليه فدخلت فإذا ليس فى البيت إلا قطعةُ حَصِيرٍ ومطْهرةٌ فيها ماء ، وإذا هو قاعد يعمل الخُوص فسلمت فرحَّب بى وبشَّ فتحدثت ساعةً ثم أخرجتُ الصُّرة وقلت : رحمك الله انتفعْ بهذه فتبسَّم وقال : جزَاك الله خيرًا أنا فى غنىً عنها . فألححْت عليه فجعل يدعو ويأبَىَ أنْ يأخذَها . فلما أكثرت عليه تنكَّرَ لى وقالَ : حَسْبك الآن ليس بى إليها حاجةٌ . قال : فأقبلت عليه وقلت : رحمك الله إن لى عليك حقًّا قال : وماهو رحمك الله ؟ قلت كنت أسمع دعاءك حين خرجتَ إلى الجَبَّان . قال : فاصفَّر وجهه حتى أنكرتُه وساءه ماقلتُ له . ثم خرجت من عنده .

فلما كان بعد ذلك بأيَّام أتيته فلما دخلت الدار جعل سكَّان الدار يصيحون بِقَيِّم الدار هُوذَا هُوَ قد جاء . فجاء إلى فتعلَّق بى وقال : ياعدوّ نَفْسِه ماصنعتَ بذاك الفتى الذى جئتَه اليوم الأَوَّل ؟ أى شىء اسمعتَه؟ قلت لاتعجل حتى أخبرك بالحديث . فقال : انك لما خرجت من عنده قام فى الحال فأخذ حَصِيره ومطْهرتَه وودَّعَنا وخرج ولم يعُدْ إلينا إلى الساعة لاندرى أين توَجَّه؟

٥٧٥ — عابد آخر :

عن مالك بن دينار قال احتبس علينا المطر بالبصرة فخرجنا يومًا بعد يوم نَسْتَسْقى فلم نر أثرًا لإجابةٍ . فخرجتُ أنا وعطاءُ السُلَيْمى وثابت البُنَانى ومحمد بن واسع وحبيب الفارسى وصالح المرّىّ وآخرين حتى[1] صرنا إلى المصلى بالبصرة فاستسقينا فلم نر أثرًا لإجابة . وانصرف الناس وبقيت أنا وثابت فى المصلَّى فلما أظلم الليل إذا بأَسْود دَقِيقِ الساقين عظيم البطن عليه مِئزران من صوف ،

(١) قط : فى آخرين صرنا .

فجاء إلى ماء فتمسَّح ثم صلَّى ركعتين خفيفتين ثم رفع طَرْفه إلى السماء فقال : سيدى إلى كم تردّ عبادك فيما لاينقصك أنَفَد ما عندك؟ أقسمت عليك بحبّك لى إلَّا ماسقيتنا غَيْثَك الساعةَ الساعة .

فما أتمَّ الكلام حتى تغيَّمت السماء وأخذتْنا كَأَفْوَاه القُرَب فما خرجنا حتى خُضْنا الماء . فتعجّبنا من الأَسود فتعرضت له فقلت : أما تستَحْيِي مما قلت ؟ قال : وماذاتُ ؟ قلتُ قولُك : بحبِّك لى ، وما يُدريك أنه يُحبك ؟ قال تنح عن همَّتى يامن اشتغل عنه بنفسه أَينَ كنتُ أَناحين خَصَّنى بتوحيده ومعرفتِه ؟ أتُراه بَدَأنى بذلك إلا لمحبَّتِه لى؟ ثم بادر يسعى . فقلت : ارْفُق بنا . قال : أنا مملوك علىَّ فرض من طاعةِ مالكى الصغير . فدخل دار نَحَّاس فلما أَصبحنا أتيت النحاس فقلت له : عندك غلام تَبيعنيه للخدمة ؟ قال نعم عندى مائة غلام فجعل يخرج إلىّ واحدًا بعد واحد وأنا أقول غير هذا . إلى أن قال مابقى عندى أحد فلما خرجنا إذا الأَسودُ قائمٌ فى حجرة خَرِبة فقلت : بِعْنى هذا . قال : هذا غلامٌ مَشُوم(١) لاهمّة له إلا بالبكاء فقلت : ولذلك أُريده فدعاه وقال لى : خُذه بما شئت بعد أن تُبرئنى من عيوبه . فاشتريته بعشرين ديناراً . فلما خرجنا قال : يامولاى لماذا اشتريتنى ؟ قلت : لنخدُمَك نحن . قال : ولم ذاك ؟ قلت : أليسَ أنتَ صاحبنا البارحة فى المصلَّى ؟ قال : وقد اطَّلعت على ذلك فجعل يمشى حتى دخل مسجدًا فصلى ركعتين ثم قال : إلٰهى وسيدى سرٌّ كان بينى وبينَك أظهرتَه للمخلوقين ، أقسمتُ عليك إلا قبضتَ رُوحِى الساعةَ . فإذا هو ميت فبقبره نستَسقى ونطلب الحوائج إلى يومنا هذا .

---

(١) المشوم والمشؤوم : مايجر الشؤم . ج : مشائيم .

٥٧٦ ــ عابد آخر :

حُصَين بن قاسم الوَزّان قال : كنا عند عبد الواحد وهو يعظ. فناداه رجل من ناحية المسجد كُفَّ يا أبا عُبَيْدة فقد كشفتَ قناعَ قلبي فلم يلتفت عبد الواحد ومرّ فى الموعظة . فلم يزل الرجل يقول : كُفَّ يا أبا عبيدة فقد كشفتَ قناعَ قلبي وعبد الواحد يعظ ولا يقطع مَوْعِظَته حتى والله حَشْرجَ الرجل حشرجةَ الموت ، ثم خرجت نفسه .

قال : فأنا والله شهدتُ جنازتَه يومئذ فما رأيت بالبصرة يومًا أكثر باكيًا من يومئذ .

٥٧٧ ــ عابد آخر :

عن يزيد الرّقَاشِي قال : دخلت على عابدٍ بالبصرة وإذا أهل بيته حَوله فإذا هو مَجْهود قد أجهده الاجتهاد . قال : فبكى أبوه فنظر إليه ثم قال : أيها الشيخ ، ما الذى يُبْكيك ؟ قال : يا بُنَىَّ أبكى فَقْدَك وما أرى من جَهْدك . قال فبكتْ أمه . فقال : أيتها الوالدة الشّفيقة الرّفيقة ما الذى يُبكيكِ ؟ قالت : يا بُنىّ أبكِى فِراقَك وما أتعجَّل من الوحشة بعدك .

قال : فبكى أهله وصبيانُه ، فنظر إليهم ثم قال : يامعشر اليتامَى بعد قايل ، ما الذى يُبكيكم ؟ قالوا : يا أبانا نبكى فِرَاقك وما نتعجَّل من اليُتم بعدَك . قال : فقال : أَقْعِدونى أَقْعِدونى ألا أرى كلّكم يَبكى لدنْياى أما فيكم من يبكى لآخرتى ؟ أما فيكم من يَبكى لما يلقاه فى التراب وَجْهى ؟ أما فيكم من يبكى لمساءلة منكرٍ ونكيرٍ وإياى ؟ أما فيكم من يبكى لوقوفى بين يَدَىْ [الله] ربى ؟ قال : ثم صرخ صرخةً فمات .

٥٧٨ ــ عابد آخر :

عبد الواحد بن زيد قال : خرجت إلى ناحية الحربية فإذا إنسان أسودُ مجذومٌ قد تقطَّعت كل جارحةٍ له بالجُذام وعمِى وأُقْعِد وإذا

صِبْيَانٌ يرمونه بالحجارة حتى دَمَّوْا وجهه . فرأيته يحرّك شفتَيه فدنوتُ منه لأَسمع مايقول فإذا هو يقول : ياسيدى إنك لتعلم أنك لوقرضتَ لحمى بالمقاريض ونشرتَ عظامى بالمناشير ماازددتُ لك إلا حبًّا فاصنع بي ما شئت .

٥٧٩ — عابد آخر :

فُضيل أَبو حاتم قال : لما كان حريق عرماز[١] ، كان رجل فى خصٍّ له يسف خُوصًا ، والنار قد أَحدقَت به فلم يضرّه . فقيل له فى ذلك فقال : إنى عزمتُ على ربّ النار أن لايحرِقَنى بالنار . قيل له فاعزم عليه أَن يطفئها . قال : ففعل . فلم تلبث النار أَن طَفِئت .

٥٨٠ — عباد سبعة :

عن صالح المرى قال : قدم علينا ابن السماك مرة فقال لى : أَرنى بعضَ عجائب عُبَّادكم فذهبت به إلى رجل فى بعض الأَحياءِ فى خُصٍّ له فاستأْذنَّا عليه فدخلنا ، فإذا رجل يعمَل خوصاً له فقرأت « إذالأَغْلال فى أَعنَاقِهم والسَّلاسل يُسْحَبُون فى الحميم ، ثم فىالنار يُسْجَرُون[٢] » فشهَقَ الرجل فإذا هو قد يبس مغشيًّا عليه .

فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا إلى آخر فاستأْذنَّا[٣] عليه فقال ادخلوا إنْ لم تشغَلونَا عن ربِّنا . فدخلنا فإذا رجلٌ جالس فى مُصَلًّى له فقرأْتُ « ذٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامى وَخَافَ وَعِيد »[٤] فشهق شهقةً بَدرَ[٥] الدمُ من مِنْخَرَيْه ثم جعل يتَشَحَّط فى دمه[٦] حتى يَبِس .

---

(١) لم يذكر فى معجمى ياقوت والبكرى . وإنما ذكر ياقوت (عرمان) : من أعمال حوران أو دمشق . (٢) غافر : ٧١ .

(٣) ق : « وذهبت إلى آخر فاستأذنت عليه » . وأثبت ما فى قط .

(٤) إبراهيم : ١٤ .

(٥) كذا فى النسخ . يقال : بدر إلى الشيء : أسرع ولعلها (ندر) بالنون . يقال ندر الشيء : أى سقط من جوف شيء فظهر .

(٦) تشحط بالدم : تضرج به .

فخرجنا من عنده وتركناه على حاله ، حتى أدرْتُه على ستّة أنفس ، كلٌّ نخرج من عنده وهو على هذه الحالة .

ثم أتيت به السابع فاستأذنتُ فإذا امرأةٌ له من وراء الخُصّ تقول : ادخلوا . فدخلنا فإذا شيخٌ فانٍ جالس فى مُصلّاه فسلمنا فلم يعْقِل سلامنا . فقلت بصوت عال : إنَّ للخلق غدًا مقامًا . فقال الشيخ بين يدىْ مَن ويحك ؟ ثم بقى مَبْهُوتًا فاتحاً فاه شاخِصًا بصره يَصيح بصوْت له ضعيفٍ حتى انقطع . فقالت امرأته : اخْرُجوا عنه فإنكم ليس تَنْتَفِعُون به الساعةَ .

فلما كان بعد ذلك سألتُ عن القوم فإذا ثلاثة قد أفاقوا وثلاثة قد لحقوا بالله عزوجل ، وأما الشيخ فإنه مكث ثلاثةَ أيامٍ على حالته مبهوتًا مُتحيرًا لايؤدِّى فَرْضًا فلما كان بعد ثالثةٍ عَقَلَ .

٥٨١ — عابدان :

ابن سِمَاك قال : دخلت البصرة فقلت لرجل كنت أعرفه دُلَّنى على عُبّادكم . فأدخلنى على رجل عليه لباس الشَّعر ، طويل الصَّمت لايرفع رأسه إلى أحدٍ . قال فجعلت أَسْتَنْطِقُه الكلامَ فلايكلّمنى . فخرجت من عنده فقال لى صاحبى : ههنا ابن عجوز هل الك فيه ؟ فيه ؟ قال : فدخلنا عليه فقالت العجوز لاتذكرُوا لابنى شيئًا من ذِكْر جنةٍ ولا نار فتقْتلوه علىّ فإنه ليس لى غيرُه .

قال : فدخلنا على شابّ عليه من اللِّباس نحوٌ مما على صاحبه منكَّس الرأس طويل الصَّمْت فرفع رأسه فنظر إلينا ثم قال : أَما إنَّ للناس موقفًا لابدا أَنْ يَقِفُوه قال : فقلت بين يدى من رحمك الله ؟ قال : فشهقَ شهقة فمات .

قال ابن السماك فجاءت العجوز فقالت : قتلتُم وَلَدى . قال : فكنت فيمن صلَّى عليه .

٥٨٢ — عابد آخر :

أبو عبد الله الخرزى قال قلت لمحمد بن السَّماك : أخبرنى عن أعجب شيء رأيتَه من الخائفين . قال : اشتقْت إلى عُبَّاد البصْرة فأتيت الرَّبيع بن صُبيح فنزلت عليه ثم قلت له : هل تعرف ههنا أحدًا من الخائفين ؟ قال : نعم ههنا زاهد يقال إنه من الخائفين قلت له فبَكِّر بنا إذا صلَّينا . قال فبكرْنا إلى بعض زَوايا البصرة فدقَّ بابًا فخرجتْ عجوزٌ فسلَّم عليها ثم قال : ما فعل ابنُك ؟ قالت إن ابنى قد نَسِيَ الدنيا . قال : أتأْذنين لنا أن ندخلَ عليه ؟ قالت : بشرط أن لاتذكروا له القيامة . قال : فأذنتْ لنا فدخلنا فإذا شاب عليه مِدْرَعة شَعر ، فى عنقه طَوْق وسِلْسَلة مشدودة بِسارية البيت ، فإذا قبرٌ محفورٌ وإذا هو جالس على شَفير قبره ينظر فى لحده فقال الربيع : يا هذا أخوك محمد بن السَّماك المذكِّر أتاك زائرًا . فالتفت إليه فقال : ما أنت قائل ؟ فتلجلج لسانى وهبْتُ فجهدت الجهد أن أنطلق فما قَدرْتُ . فخرجنا يومئذ ثم عدت فى اليوم الثانى فإذا هو على حالته التى رأيناه أمس فالتفتَ إلىَّ فقال : ما أنت قائل ؟ فتلجلج لسانى . ثم قلت إن للعباد مقامًا . قال : ويحك عند مَن ؟ قلت : عند مالِك الملوك . فشهق شهقة فإذا هو ميت فى قبره .

ومن عقلاء المجانين بالبصرة

٥٨٣ — رجل لم يعرف اسمه(١) :

أبو أحمد بن روح قال حدثنى بعض أصحابنا قال : رأيت مجنونًا بالبصرة قد نظر إلى جنازة فأنشأ يقول :

وَصَفَ الطبيبُ فهُم بما　　　وَصَف الطبيبُ يُعالجونَهُ

---

(١) العنوان زيادة من عندنا ، وليس فى النسخ .

يَرْجُــــونَ صِحَّةَ جِسْمِهِ هَيْهَاتَ مِمَّا يَرْتَجُونَهْ

قال : ثم غلبه البكاء ومَضَى

ذكر المصطفيات من عابدات البصرة

٥٨٤ — معاذة بنت عبد الله العدوية :

وتكنى أم الصهباء محمد بن فضيل قال : حدثنا أبي قال : كانت معاذة العدوية إذا جاء النهار قالت : هذا يومى الذى أموت فيه ، فما تنام حتى تُمسى وإذا جاء الليل قالت : هذه ليلتى التى أموت فيها فلاتنام حتى تصبح وإذا جاء البرد لبست الثياب الرِّقاق حتى يَمْنَعها البردُ من النوم .

الحكم بن سِنَان الباهلى قال : حدّثتنى امرأةٌ كانت تَخْدُم مُعاذة العدّوية قالت : كانت تُحيي الليل صلاةً فإذا غلبها النوم قامت فجالَتْ فى الدّار وهى تقول : يانفسُ ، النومُ أمامَك لو قدمتِ لطالتْ رقْدتُك فى القبر على حَسْرة أوْسُرور . قالت : فهى كذلك حتى تصبح .

قال عبد الرحمن بن عمر والباهلى : وحدثتنا دَلال ابنةُ أبي المُدِل قالت : حدثتنى آسِية بنت عمرو العدوية قالت : كانت معاذة العدوية تصلِّى فى كل يوم وليلة ستمائة ركعة وتقرأُ جُزءها من الليل تقوم به . وكانت تقول عجِبت لعينٍ تنام وقد عرفتْ طول الرقّاد فى ظُلَمِ القبور.

الحسن بن على بن مسلم الباهلى قال : سمعت أبا السّوار العَدوى يقول : بنو عدى أشد أهل هذه البلدة اجتهادًا ، هذا أبو الصهباء لاينام لَيْلَه ولايُفْطر نهارَه ، وهذه امرأته مُعَاذة ابنة عبد الله لم ترفع رأسها إلى السماء أربعين عامًا .

عن زهير السلولى ، عن رجل من بنى عدى ، عن امرأة منهم أَرضعتْها معاذة ابنة عبد الله قالت : قالت لى مُعاذة : يابنية كُونى من لقاءِ الله عزوجل على حذَرٍ ورجاءٍ ، وإنى رأَيتُ الرَّاجى له محقوقًا بحسن الزلفى لديه يومَ يَلْقاه ، ورأَيت الخائف له مؤملاً للأَمان يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم بكت حتى غلبها البكاء .

حماد بن سلمة قال : أَنبأَ ثابت البُنَانى أَن صِلة بن أُشَيَمْ كان فى مغزًى له ومعه ابن له ، فقال أَىْ بُنى تقدمْ فقاتِلْ حتى أَحْتَسِبُكَ . فحمل فقاتل حتى قُتل ثم تَقَدَّم فقُتل فاجتمعت النساءِ عند امرأَته مُعاذة العدوية فقالت : مرحبًا ، إن كنتن جئتن لتهنئْنَنِى ، فمرحبًا بكن وإن كنتُن جئتُن بغير ذلك فارْجِعْن .

سلَمة بن حسَّان العدَوى قال : أَنبأَ الحسن أَن معاذة لم توسد فِراشًا بعد أَبى الصهباءَ حتى ماتت .

عمران بن خالد قال : حدثتنى أُم الأَسود بنت زيد العدوية وكانت معاذة قد أَرضعتها قالت : قالت لى مَعاذة لما قتل أَبو الصهباءَ وقُتل ولدها واللهِ يابنيَّة ما محبتى للبقاءِ فى الدنيا لِلذِيذِ عيشٍ ولا لرَوْح نسيم ، ولكنْ واللهِ أَحب البقاءَ لأَتقرب إلى ربى عز وجل بالوسائل لعله يجمع بينى وبين أَبى الصهباءِ وولده فى الجنة .

رَوْح بن سلمة الوراق قال : سمعتُ عُفَيرة العابدة تقول : بلغنى أَن معاذة العدوية لما احْتضرها الموت[١] بكت ثم ضحكت . فقيل لها مِمَّ بكيتِ ثم ضحكتِ ؟ فممَّ البكاءُ ومِمَّ الضحك ؟ قالت أَما البكاءُ الذى رأَيتم فإنى ذكرتُ مُفارقة الصِّيام والصَّلاة والذِّكر فكان البكاءُ

(١) ق : احتضرت الموت . وأثبتنا ما فى قط .

لذلك ، وأما الذى رأيتم من تبسمى وضحكى فإنى نظرت إلى أبى الصهباء قد أقبل فى صَحْن الدار وعليه حُلَّتان خَضراوَان وهو فى نَفَر واللهما رأيت لهم فى الدنيا شَبَهًا فضحكتُ إليه ولا أُراني أدرك بعد ذلك فرضًا .

قال فماتت قبل أن يدخل وقتُ الصلاة .

أدركت مُعَاذة عائشةَ وروَتْ عنها . وروى عن مُعَاذة الحسنُ البصرى وأبو قلابة ، ويزيد الرِّشك .

٥٨٥ — حفصة بنت سيرين :

عن عاصم الأحول قال : كنا ندخل على حفصة بنت سيرين وقد جعلت الجلباب هكذا وتنقَّبتْ به فنقول لها : رحمك الله قال الله «والقَواعدُ من النِّساء اللَّاتى لايَرجُون نِكاحًا فليس عليهن جُناحٌ أن يَضَعْنَ ثيابهنَّ غَيْرَ متبرجاتٍ بِزينَةٍ(١)» وهو الجلباب . قال فتقول لنا : أىُّ شىء بعد ذلك ؟ فنقول : «وأن يستعْفِفْن خيرٌ لهن(١)» فتقول هو إثباتُ الجلباب .

هشام بن حسان قال : كانت حفصة تقول لنا : يا معشر الشباب خُذوا من أنفسكم وأنتم شباب فإنى ما رأيْت العمل إلا فى الشباب .

قال : قرأتْ القرآن وهى ابنة اثنتىْ عَشْرة سنةً وماتت وهى ابنة تسعين .

عن هشام أن حَفْصة كانت تدخل فى مَسْجدها فتصلِّى فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح ثم لا تزال فيه حتى يرتفع النهارُ وتركع ثم تخرج فيكون عند ذلك وضوءها ونَوْمها ، حتى إذا حضرت الصلاةُ عادت إلى مسجدها إلى مثلها .

---

(١) النور : ٦٠ .

عن مهدى بن ميمون قال : مكثتْ حفصة فى مصلَّاها ثلاثين سنةً لاتخرج إلا لحاجة أولِقَائِلَةٍ .

عن هشام أن ابن سيرين كان إذا أُشْكل عليه شيء من القراءة قال اذهبوا فسلوا حفصة كيفَ تقرأ .

هشام بن حسان . قال كان الهُذَيْل بن حَفْصة يَجْمع الحطب فى الصيف فَيَقْشُرُه ويأخذ القصب .فيفْلِقه قالت حفصة وكنت أجد قرَّةً فكان إذا جاء الشتاءُ جاء بالكانون فيضعه خلفِى وأنا فى مُصَلَّاى ثم يقعد فيوقد بذلك الحطب المقشر وذاك القصب المفلَّق وَقُودًا لايؤذى دُخَانه ويُدفئنى . نمكث بذلك ماشاء الله . قالت : وعند مَن يكفيه لو أَراد ذلك .

قالت : وربما أَردت أَنصرف إليه فأَقول يابنى ارجع إلى أَهلك ثم أَذكر ما يريد فأدعه .

قالت حفصة : فلما مات رزق الله عليه من الصبر ماشاء أن يَرْزُقَ غير أَنَّى كنت أَجد غُصَّةً لاتذهب . قالت فبينا أنا ذات ليلة أقرأ سورة النحل إذ أتيت على هذه الآية «ولاتَشتَروابعهْد الله ثَمَناً قليلاً إنَّ مَا عِنْدَ الله هُوَ خَيْرٌ لَكُم إنْ كُنْتُمْ تَعلَمون ، ماعِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ باقٍ ولنَجْزين الذينَ صَبَروا أَجرَهم بأَحْسَنِ ماكانوا يعمَلون[1]» قالت : فأَعدتُها فأَذهبَ الله ماكنت أَجد .

قال هشام : وكانت له لِقْحة[2] . قالت حفصة : كان يبعث إلى بحَلْبةٍ بالغداة فأَقول : يابنىّ إنك لتعلم أنى لاأشربه ، أنا صائمة .

---

(١) النحل : ٩٥ — ٩٦ .

(٢) اللقحة (بكسر فسكون) : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن .

فيقول : ياأُم الهذيل إن أَطيب اللَّبن مابات فى ضروع الإبل ، اسْقِيه مَن شئتِ .

عن هشام بن حسان قال : اشترت حَفْصة جارية أَظنها سِنْديّة فقِيل لها : كيف رأَيتِ مولاتَك ؟ فذكر إبراهيم كلامًا بالفارسية تَفْسيرُه أنها امرأَة صالحة إلا أَنها أذنبت ذنبًا عظيمًا فهى الليل كلَّه تبكى وتصلِّى .

عبد الكريم بن معاوية قال : ذُكر لى عن حفصة أَنها كانت تقرأ نصف القرآن فى كل ليلةٍ وكانت تصوم الدهر وتفطر العيدين وأَيام التشريق .

عن هشام بن حسان قال : قد رأَيتُ الحسنَ وابنَ سيرين وما رأَيت أَحدًا أُرَى أنه أَعقلُ من حفصة .

عن هشام عن حفصة قال : كان لها كفنٌ مُعَدٌّ فإذا حَجت وأَحرمتْ لَبِسَتْه وكانت إذا كانت العَشْر الأَواخر من رَمَضان قامتْ من الليل فلبسته .

عن هشام قال : حدثتنى أُم سليم بنت سِيرين قالت : ربما نُوِّر لحفصة بنت سيرين بيتُها .

عن هشام قال : كانت حفصة بنت سيرين تُسْرجُ سِراجها من الليل ثم تقوم فى مصلاها فربما طفِىءَ السراجُ فيُضىءُ لها البيت حتّى تصبح .

٥٨٦ — كريمة بنت سيرين ، اخت حفصة :

عن مهدى بن ميمون قال : مَكَثَتْ كريمةُ بنتُ سيرين أُخت حفصة بنت سيرين خمسَ عشرة سنة ماتخرج من مُصَلَّاها إلا لِقَضَاء حاجَةٍ .

٥٨٧ ــ منيبة البصرية وابنتها :

أَبو عَيَّاشٍ القطَّان قال : كانت امرأَة بالبصرة متعبِّدَة يقال لها مُنِيبة ، وكانت لها ابنة أَشد عبادةً منها . فكان الحسن ربَّما رآها وتعجَّب من عبادتها على حداثتها .

فبينا الحسن ذات يوم جالس إذْ أَتاه آتٍ فقال : أَما علمتَ أَن الجارية قد نزل بها الموت فوثب الحسن فدخل عليها فلما نظرت الجاريةُ إليه بكتْ . فقال لها يا حبيبتى مايبكيك ؟ قالت له ، يا أَبا سعيد الترابُ يُحثَى على شبابى ولم أَشْبَعْ من طاعة ربِّى يا أَبا سعيد انظر إلى والدتى وهى تقول لوالدى : احفر لابنتى قبرًا وَاسعًا وكفنها بكفنٍ حسن ، والله لو كنتُ أُجهَّز إلىٰ مكة لطال بكائى ، كيف وأَنا أُجهَّز إلى ظُلْمَة القبور وَوحْشَتِها وبيت الظُّلْمة والدودِ . ؟

٥٨٨ ــ رابعة العدوية :

عبد الله بن عيسى قال : دخلتُ على رَابعة العدوية بيتَها فرأَيتُ على وجهها النورَ وكانت كثيرة البكاءِ فقرأَ رجلٌ عندها آية من القرآن فيها ذِكر النار فصَاحت ثم سقطتْ .

ودخلتُ عليها وهى جالسة على قطعة بُورى خَلَق فتكلَّم رجل عندها بشيءٍ فجعلتُ اسمع وقْع دموعها على البُورى مثل الْوَكْف ، ثم اضطربت وصاحت فقمنا وخرجنا .

مسْمَع بن عاصم ورِيَاح القَيْسِى قالا : شهدنا رابعة وقد أَتاها رجل بأَربعين دينارًا فقال لها : تَسْتعينين بها على بعض حوائجِكِ . فبكت ثم رفعت رأْسها إلى السماءِ فقالت : هو يعلم أَنى أَستَحْيِى منه أَن أَسأَله الدنيا وهو يملكها ، فكيف أُريد أَن آخذها ممن لايملكها ؟

محمد بن عَمرو قال : دخلت على رابعة وكانت عجوزًا كبيرة بنت ثمانين سنة كأنها الشَن(١) تكاد تسقط. ورأيت فى بيتها كَراخَةُ بوارى(٢) ومِشْجب(٣) قَصب فارسى طوله من الأَرض قدْر ذراعيْن ، وستر البيت جِلد(٤) وربما كان بُوريًا ، وحُبٌّ(٥) وكوز ولِبْد هو فراشها وهو مصلّاها . وكان لها مِشْجب من قصب عليه أكفانها وكانت إذا ذَكرت الموت انتفضت وأَصابتها رِعْدةٌ وإذا مرت بقوم عَرفوا فيها العبادة .

وقال لها رجل : ادْعِى . فَالتصقت بالحائط. وقالت : مَن أنا يرحمك الله ؟ أطع ربك وادعُه فإنه يُجيب المضطرين(٦) .

سجف بن منظور قال : دخلتُ على رابعة وهى ساجدة فلما أَحسّت بمكانى رفعت رأسها فإذا موضعُ سجودِها كهيئة الماء المُسْتَنْقَع من دموعها . فسلَّمت فأَقبلت(٧) على فقالت : يابنى أَلك حاجة ؟ فقلت جئت لأُسلم عليك قال فبكتْ وقالت سَتْرَكَ اللهمَّ سَتْرَك ودعت بدعوات ثم قامت إلى الصلاة وانصرفتُ .

العباس بن الوليد قال : قالت رابعة : أَستغفر الله مِنْ قلَّةِ صدقى فى قولى : أَسْتَغْفر الله .

أَزْهر بن مرْوان قال : دخل على رابعة رِياح القيسيٌّ ، وصالح ابن عبد الجليل ، وكلاب ، فتذاكرو الدنيا فأَقبلوا يذمّونها فقالت

---

(١) القربة البالية الصغيرة . ق : النسر ، وأثبت ما فى قط.
(٢) أى قطعة من الحصير شقت مستطيلة .
(٣) ما تعلق عليه الثياب ، ويكون من خشب ونحوه .
(٤) ط : جله ، تحريف .
(٥) الحب (بضم الحاء) : الجرة الكبيرة أو الخابية .
(٦) قط : المضطر .
(٧) ط : قوأقبلت .

رابعة: إنّى لأَرى الدنيا بترابيعها[١] فى قلوبكم . قالوا : ومن أين توهَّمتِ علينا ؟ قالت : إنَّكم نظرتم إلى أقرب الأَشياءِ من قلوبكم فتكلَّمتم فيه .

أَبو جعفر المدينى ، عن شيخ من قريش قال : قيل لرابعة : هل عملت عملاً ترين أنه يُقبل منك ؟ قالت : إن كان فمخافتي[٢] أن يرد على .

جعفر بن سليمان قال : أَخذ بيدى سُفيان الثَّورى وقال مُرَّ بنا إلى المؤدبة التى لاأَجد من أَسْتَريح إليه إذا فارقتُها . فلما دخلنا عليها رفع سُفيان يده وقال : اللهم إنى أَسأَلك السلامةَ فبكت رابعة . فقال لها : مايبكيك ؟ قالت : أَنت عرَّضْتَنِي للبكاءِ . فقال : وكيف ؟ قالت : أَما علمت أَن السلامة من الدنيا تَرْكُ ما فيها فكيف وأَنت متلطِّخ بها .؟

وقال الثورىُّ بين يدى رابعة : واحُزْناه . فقالت : لاتكذب . قل : وَاقِلَّة حُزْناه ، لو كنتَ مَحْزونًا ما هَنَّأك العيشُ .

جعفر بن سليمان قال : سمعتُ رابعة تقول لسفيان : إنما أَنت أَيام معدودة ، فإِذا ذهب يومٌ ذهب بعضُك ، ويُوشك إذا ذهب البعض أَن يذهبَ الكلّ وأَنت تعلم ، فاعمل .

عبيس بن مرحوم العطار قال : حدثتنى عبْدة بنت أَبى شوال ، وكانت من خيار إماءِ الله ، وكانت تخدم رابعة . قالت : كانت رابعة تصلِّى الليل كله فإِذا طلع الفجر هجعت فى مُصلَّاها هَجْعةً خفيفةً حتى يُسْفِرَ الفجر ، فكنت أَسمعها تقول ، إذا وَثَبَتْ من مَرْقِدِها ذلك وهى

---

(١) بجهاتها الأربع وكل ما فيها .

(٢) قط : مخافتى ، خطأ .

فزعة : يانفس كم تنامين؟ وإلى كم تقومين؟ يوشك أن تنامى نومةً لاتقومين منها إلا لِصَرْخَةِ يوم النُّشور .

قالت : فكان هذا دَأْبَها دهْرَها حتى ماتت . فلما حَضَرتْها الوفاة دَعَتْنى فقالت : ياعبدة لاتُؤذِنى(١) بموتى أحدًا وكَفِّنينى فى جُبَّتى هذه ، جبَّة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون .

قالت : فكفنَّاها فى تلك الجبَّة وخِمارٍ صوف كانت تلبسه .

قالت عبدة : رأَيتها بعد ذلك بسنة أَو نحوها فى منامى عليها حلة إستبرقٍ خضراءُ وخمارٌ من سُنْدس أخضر لم أَرشيئًا قط أَحسن منه . فقلت : يارابعة ما فعلتْ الجبَّة التى كفنَّاك فيها والخمارُ الصوف؟ قالت : إنه والله نُزع عنى وأُبدِلتُ به هذا الذى تَرَيْنه علىّ . وطُويت أَكْفانى وخُتم عليها ورُفعتْ فى عِلِّيين ليكمل لى بها ثوابها يوم القيامة :

قالت : فقلت لها : لهذا كنت تعملين أيام الدنيا ؟ فقالت : وما هذا من كرامة الله عزوجل لأَوليائه . قالت : فقلت . فما فعلت عَبْدة بنت أَبى كلاب ؟ فقالت هيهات هيهات ، سبقتْنا والله إلى الدرجات العُلَى . قالت قلت وبم وقد كنت عند الناس ؟ أَىْ أَكثر منها . قالت : إنها لم تكن تبالى على أَى حالةٍ(٢) أَصبحت من الدنيا وأَمست . قالت : فقلت : فما فعل أَبو مالك؟ تعنى ضَيْغمًا . قالت : يزورالله متى شاء . قالت : قلت : فما فعل بِشر بن منصور ؟ قالت : بخ بَخ أُعطِىَ والله فوق ماكان يأْمُل .

قالت : قلت فمُرينى بأَمرٍ أَتقرب به إلى الله عزوجل . قالت عليكِ بكثرة ذكره ، أَوشك أَن تغتبطى بذلك فى قبرك .

---

(١) أى لا تخبرى ولا تعلمى .

(٢) قط : حال .

قلت[١] : اقتصرت ههنا على هذا القدْر من أخبار رابعة لأنى قد أفردت لها كتاباً [جمعتُ] فيه كلامها وأخبارها .

٥٨٩ — عجردة العمية :

رجاء بن مسلم العَبدى قال : كنا نكون عند عَجرَدة العَمِية فى الدار . قال : فكانت تُحيي الليل صلاةً . وربما قال : تقوم من أول الليل إلى السحر فإذا كان السحر نادت بصوت لها محزونٍ : إليك قطع العابدون دُجى الليالى بتبكير الدلج إلى ظُلَم الأَسحار يستَبقون إلى رحمتك وفضْلِ مغفرتك ، فبكَ إلٓهى لابغيرك أَسأَلك أن تجعلنى فى أول زُمرة السّابقين إليك ، وأن ترفعنى إليك فى درجة المقربين ، وأن تُلحقنى بعبادك الصالحين ، فانت أكرم الكرماء ، وأَرحم الرحماء ، وأَعظم العظماء ، ياكريم . ثم تَخِر ساجدة فلاتزال تبكى وتدعو فى سجودها حتى يطلع الفجر فكان ذلك دأَبَها ثلاثين سنة .

عبد الرحمن بن عمروالباهلى قال : حدثتْنى دَلال بنت أَبى المدِلّ قالت : حدثتنى أُمى آمنة بنت يَعْلَى بن سُهَيْل قالت : كانت عَجْردة العُمية تَغْشانا فتظل عندنا اليوم واليومين . قالت : فكانت إذا جاء الليل لَبِست ثيابها وتَقَنَّعت ثم قامت إلى المحراب فلاتزال تصلِّى إلى السحر ثم تجلس فتدعو حتى يطلع الفجر .

قالت : فقلت لها ، أَوقال لها بعضُ أَهل الدار : لونمتِ من الليل شيئًا . فبكتْ وقالت : ذِكْرُ الموت لايدعنى أنام .

جعفر بن سليمان قال : حدثنى بعض نسائى ، أُمى أَو غيرها من أَهلى ، قالت : رأَيت عجردة العَمية فى يوم عيدٍ عليها جُبَّة صوف ،

---

(١) كذا فى قط . وفى ق بدله : «قال الشيخ صاحب هذا الكتاب رحمه الله» .

وقناع صوف ، وكساء صوف . قالت : فنظرتُ فإذا هى جِلْد وعظم. قالت : وسمعتهم يذكرون عنها أنها لم تُفطر ستين عامًا .

٥٩٠ — حبيبة العدوية(١) :

عن عبد الله المكّى أبى محمد قال : كانت حَبِيبَة العَدوية إذا صلّت الْعَتَمَةَ قامت على سطح فشدّت عليها دِرْعها وخمارها . فقالت : إلهى غارت النجوم ، ونامت العيون وَغَلّقت الملوكُ أبوابها ، وبابك مفتوح ، وخلا كل حبيبٍ بحبيبه ، وهذا مَقامى بين يديك .

فإذا كان السحر قالت : اللهم وهذا الليل قد أدبر ، وهذا النهار قد أسفر ، فليت شعرى هل قبلتَ منى ليلتى فَأُهَنَّى أم رَدَدْتَها علىَّ فأُعَزَّى ، فوعزّتك لهذا دَأْبى ودأْبك أبدًا ما أبقيتنى ، وعِزّتك لو انتهرْتَنى ما بَرِحتُ من بابك ولاوقع فى قلبى غير جُودك وكَرمك .

٥٩١ — ام الأسود بنت زيد العدوية :

أبو عبد الرحمن السلمى قال : كانت معاذة العدوية أرضعت أُم الأَسود . وقالت أُم الأَسود : قالت لِى معاذة العدوية : لاتفسدى رضاعى بأكل الحرام ، فإنى جهدتُ جهدِى حين أرضعتُك حتى أكلتِ الحلال فاجتهدى أن لاتأكلى إلّا حلالاً لعلك أن توفّقى لخدمة سيدك والرضا بقضائه .

فكانت أُم الأَسود تقول : ما أكلت شبهةً إلا فاتَتْنى فَريضةٌ أووِرْدٌ من أوْرَادي .

٥٩٢ — مريم البصرية :

كانت تخدم رابعة العدوية ، وكانت إذا سمعت علوم المحبة طاشت فحضرت بعض المذكّرين فتكلم فى المحبة . فماتت فى المجلس .

---

(١) بفتح الحاء والعين والدال .

عبد العزيز بن عمير قال : قامت مريم البصرية المتعبدة من أول الليل فقالت : «اللهُ لطيفٌ بعباده[(١)]» . ثم لم تجزه حتى أصبحت .

وقالت مريم : ما اهتَمَمْتُ[(٢)] بالرزق ولاتعبت فى طلبه منذ سمعت الله عز وجل يقول « وفى السَّماءِ رِزْقُكم وما تُوعَدون[(٣)] » .

٥٩٣ — عفيرة[(٤)] العابدة :

رَوْح بن سلَمة الورّاق قال : لعُفَيرة العابدة : بلغنى أنَّك لاتنامين بالليل . فبكت ، ثم قلت : ربّما اشتهيت أن أنام فلا أقدر عليه ، وكيف ينام أو كيف يقدر على النوم ، من لاينام عنه حافِظاه ليلاً ولانهارًا ؟ قال : فأَبكتْنى واللهِ ، وقلت فى نفسى : أُرَانى فى شيء وأَرَاك فى شيء .

يحيي بن بسطام قال ؛ دخلت مع نفر من أصحابنا على عُفيرة ، وكانت قد تعبدت وبكت حتى عَمِيَت . فقال بعض أصحابنا ارجل إلى جنبه : ما أشدَّ العمَى على من كان بصيرًا . فسمعت عفيرة فقالت له : ياعبد الله عَمى القلبِ ، واللهِ ، عن الله أشدُّ من عَمى العينِ عن الدنيا ، والله وَدِدتُ أنَّ الله وهَب لى كُنْهَ محبَّته وأنه لم تبق منى جَارِحة إلا أخذها .

عبد الوهاب بن صالح قال : سمعت محمد بن عبيد يقول : دخلنا على امرأة بالبصرة يقال لها عُفيرة ، فقيل لها : ياعُفيرة ادْعِى الله لنا . فقالت : لوخرِسَ الخاطئون ماتكلَّمت عجوزُكم ، ولكن المحسن أَمر المسيء بالدعاء ، جعل الله قِراكم من بيتى الجنَّة ، وجعل الموتَ منِّى ومنكم على بَال .

---

(١) الشورى : ١٩ . (٢) قط : ماهمت ، تحريف .

(٣) الذاريات ٢٢ . وأصاب الآية تحريف فى ق . (٤) بضم العين . ق : غفيرة .

مالك بن ضَيْغم قال : سمعتُ عُفيرة تقول عصيتك بكل جارحة منى على حدتَها ، واللهِ لئن أعنْتَ لأُطيعنَّك ما استطعتُ بكل جَارحة عَصيْتُك بها .

قال محمد بن الحسين : وحدثنى سعيد العَمى قال : قلت لعُفيرة : أمَا تَسْأَمِين من طول البكاء ؟ قال : فبكتْ ثم قالت : يابنى كيف يسْأَمُ ذُودَاءٍ من شىء يرجو أنَّ له فيه من دائه شفاءً ؟ قال ثم بكت . فقمت فخرجت وتركتها .

بلغنى عن يحيي بن راشد أنه قال : كنا عند عُفيرة العابدة فقدم ابن أخٍ لها كانت طالت غيبته فبُشِّرَت به . فبكَت فقيل لها ما هذا البكاء ؟ اليوم يوم فرح وسرور ، فازدادت بكاءً ثم قالت : والله ما أجد للسرور فى قلبى مسكنًا مع ذكر الآخرة ، ولقد أذكُرنى قدومه يومَ القدوم على الله ، فمن بين مسرور ومثبورٍ(١) . ثمْ غُشِيَ عليها .

٥٩٤ — عبيدة(٢) بنت ابى كلاب :

شُعيب بن محرز قال : حدثتنى سَلامة العابدة قالت : بكت عُبيدة بنت أبى كلاب أربعين سنة حتى ذهَب بصرها .

عْن يحيي بن بسطام الأصغر قال : حدثنى سلَمة الأفقم ، وكان ينزل الطُّفاوة(٣) ، قال : قلت لعُبَيدة بنت أبى كلاب ماتشتهين ؟ قالت : الموت . قلت : ولِمَ ؟ قالت : لأنى واللهِ فى كل يوم أصبح أخشى أن أَجْنِيَ على نفسى جناية يكون فيها عَطَبِى أيَّام الآخرة .

عبد العزيز بن سلمان قال : اختلفت عبيدة وأبى إلى مالك بن دينار عشرين سنة . قال أبى : فما سمعتها تسأل مالكاً عن شىء قط.

---

(١) هالك أو خاسر . (٢) بضم العين .

(٣) قبيلة عربية عدنانية ، ينتهى نسبها إلى قيس بن عيلان .

إلا مرَّة ، قالت : يا أبا يحيي متى يبلغ المتَّقى الدرجة العليا التى ليس فوقها درجة ؟ قال مالك : بَخ بَخ ياعُبيدة إذا بلغ المتَّقى تلك الدرجة العليا التى ليس فوقها درجة لم يكن شيء أحب إليه من القدوم على الله. قال : فصرختْ عبيدة صرخةً سقطت مغشيًا عليها .

داود بن المحبَّر قال : سمعت البراءَ الغنَوى يقول يومَ ماتت عبيدة بنت أَبى كلاب : ماخلَّفت بالبصرة أفضلَ منها .

عبد الله بن رشيد السعدى ، وكان قد صحب عبد الواحد بن زيد ، قال : رأيت الشيوخ والشباب والرجال والنساء من المتعبدين فما رأيت امرَأةً ولا رجلاً أفضل ولا أَحسن عقلاً من عُبيدة بنت أَبى كلاب

عبيس بن مرحوم قال : حدثتنى عبدة بنت أَبى شوال قالت : رأيت رابعة فى المنام فقلت : ما فعلتْ عبيدة بنت أَبى كلاب ؟ فقالت : هيهات سبقتْنا واللهِ إلى الدرجات العُلى . قلت : وبِمَ وقد كنتِ عند الناس؟ أى أكثر منها . قالت : إنها لم تكن تُبالى على ما أَصبحتْ من الدنيا أَو أَمستْ .

٥٩٥ — عمرة ، امرأة حبيب العجمى

الحسين بن عبد الرحمن قال : حدثنى بعض أَصحابنا قال : قالت امرأة حَبيب أَبى محمد ، وانتبهت ليلةً وهو نائم ، فأَنبهتْه فى السحرة وقالت له : قم يارجل فقد ذهب الليل وجاءَ النَّهار وبين يديك طريقٌ بعيد وزاد قليل ، وقوافل الصالحين قد سارت قُدامنا ونحن قد بَقينا .

مسلم بن ابراهيم قال : سمعت سهيلا أخا حَزْم قال : كانت لحبيب أَبى محمد امرأة يقال لها عَمْرة ، فاشتكت عينَها فقيل لها : كيف تجدينك ؟ قالت : وَجَعُ قلبى أَشدُّ من وجع عَينِى .

٥٩٦ — بردة(١) الصريمية

كانت إذا قيل لها : كيف أصبحت ؟ تقول : أصبحنا أضيافًا مُنتجِعين بأَرضٍ غُربةٍ ننتظر إجابة الداعِى .

أَشرس أبوشيبان ، وكان عابدًا من البكّائين ، عن ثابت البنانِى أَن امرأَة من الصدر الأَول كان يقال لها بردة ، وكانت تُكثر البكاء حتى فَسد بصرها . فقيل لها : اتّقى الله ، أَما تخافين على بَصرك أَن يذهبَ ؟ قالت : دعونى فإِن أَكن من أَهل النار فأَبعدنى الله وأَبعَد بصرى ، وإِن أَكن من أَهل الجنّة فسيُبدِلنى الله عينَيْن خيرًا من عينى .

عن موسى بن سعيد ، أَو غيره ، قال . قيل للحسن : يا أَبا سعيد إِن ههنا امرأَة يقال لها بَردة قد فَسَدت عيناها من البكاء . فدخل عليها فقال لها : يا بَردة إِن لبدنكِ عليكِ حقًّا ، وإِن لبصرك عليك حقًّا . قالت : يا أَبا سعيد إِن أَكن من أَهل الجنة فسيُبدلنى الله بصَرًا خيرًا من بصرى ، وإِن أَكن من أَهل النار فأَبعد اللهُ بصَرى .

عن عطاء بن المبارك قال : كانت بالبصرة امرأَة جليلة متعبدة يقال لها بردة ، وكانت تقوم الليل ، فإِذا سَكَنَتْ الحركات وهَدأَت العيون نادت بصوت لها حزين : هدأَت العيون وغارت النجوم وخلا كل حبيب بحبيبه ، وقد خلوت بكَ يامحبوبى أَفتَراك تعذّبنى وحبُّك فى قلبى ؟ لاتفعل ياحبيباه .

قال القرشى : وقال محمد بن الحسين حدثنى شاذ بن فياض قال حدثنى رجل أَدرك الحسن قال كانت امرأَةٌ فى زمن الحسن إذا سمعت القرآنَ صرخت ، فربّما تكلمت بما لاتريد . فقيل لها فى ذلك ، فقالت ربما سمعتُ القرآن فأَرى مُلك بنى مروان قد حُوِى لى . وكانت تبكى حتى يرحمها من رآها .

---

(١) ضبطت فى ق بفتح الباء .

وذكر محمد بن الحسين أن الحميدى حدثه قال : ذكر سفيان يومًا بردة فقال : رحمها الله ماكان ههنا من أولئك النساء المجاورات أشد اجتهادًا منها بكت حتى ذهب بصرها .

قال سفيان : كانت إذا سمعت صوت الصواعق صرخت ولم تزل تصيح حتى يغشى عليها .

٥٩٧ — أم طلق

محمد بن سنان الباهلى قال : سمعت شعبة بن دخان يذكر أنَّ أمَّ طَلْق كانت تصلِّى فى كل يوم وليلة أربعمائة ركعة ، وتقرأُ من القرآن ماشاءَ الله .

شَيبة بن الأَرْقم قال : سمعت عاصمًا الجَحدرىّ يقول : كانت أم طلق تقول : ما ملكَت نفسى ماتَشْتَهِى منذ جعل الله لى عليها سلطانًا .

عن سفيان بن عيينة قال : قالت أم طلق لطلق[1] : ما أحسن صوتَكَ بالقرآن فليته لايكون عليك وَبَالًا يوم القيامة . فبكى حتى غُشى عليه .

عن سلمة الأبهم قال : سمعت عاصمًا الجحْدرى يقول : كانت أم طلق تقول : النفس مَلِك إن اتَّبعتها ومَملوك إن أتْعَبْتَها[2] .

٥٩٨ — امة الجليل بنت عمرو العدوية

أبو بكر بن عبيد قال : قرأت فى كتاب محمد بن الحسين بخطه : حدثنى حليم بن جعفر قال : حدثنى مسمع بن عاصم قال : اختلف العابدون عندنا فى الولاية ، فقال بعضهم إذا استحقَّها عبْدٌ لم يهم بشىء

(١) لطلق : ساقطة من ط .

(٢) قط : « ملك إن منعتها ومملوك إن اتبعتها » . ولعل الصواب أيضاً : « ملك إن اتبعتها ومملوك إن منعتها » .

إلّا ناله ، فى دينٍ كان أو دنيا . وقال الآخر : الولىُّ لايَعصى ، غير أنه لايدرك الشّىء الذى يريده من الدنيا بهمَّته ولايدركه إلّابطلبه ، كأنهم يقولون يدعو فيجاب . وقال آخرون : المستحِق للولاية لايُعرَّض لانتقاص حقه من الآخرة .

فتكلَّموا فى ذلك بِكلام كثير فأجمعوا على أن يأتوا امرأةً من بنى عدِىٍّ يقال لها أمة الجليل بنت عَمرو العدويَّة ، وكانت منقطعة جدًا من طول الاجتهاد . فأتَوْها . قال مسمع : وأنا يومئذ مع أصحابنا فاستأْذنوا عليها فأَذِنَت ، فعرضوا عليها اختلافهم وماقالوا . فقالت : ساعات الولىِّ ساعاتُ شُغل عن الدنيا ليس للولىِّ فى الدنيا حاجة . ثم أقبلت على كلاب فقالت : بنفسى أنتَ ياكلاب من حدثكَ أوأخبركَ أنَّ ولِيَّهُ له هَمٌّ غَيْرُه فلا تُصدِّقه .

قال مسمع : فما كنت أسمع إلا الصارخ من نَواحى البيت .

٥٩٩ — ام حيان السلمية(١) :

عن أَبى خلدة قال : مارأيت رجلا قط ولاامرأة أقوى ولاأصبر على طول القيام من أُم حيَّان السَّلمية ، إن كانت لتقوم فى مسجد الحى كأنها نخلة تَصْفقُها الرياح يمينًا وشمالاً .

مكى البصرى قال : حدَّثتْنِى سوادةُ السلمية قالت : كانت أُم حيان تقرأُ القرآن فى كل يوم وليلة ، وكانت لاتتكلم إلا بعد العصر فإنها تأْمر بالحاجة والشىء تريده .

٦٠٠ — ام ابراهيم العابدة :

عبد المؤمن بن عبد الله القيسى قال : ضرَبَتْ أُم ابراهيم العابدة دابَّةٌ فكسَرت رِجلها ، فأتاها قوم يعزونها . فقالت : لولا مصائب الدنيا وردْنا الآخرة مَفاليس.

---

(١) بضم السين وفتح اللام .

أبوموسى الشَّواء قال : كنت مع أُم ابراهيم العابدة . فلما صرنا عند الجِمار رأت الناس قد أقبلوا على الشراء والبيع ، فرفعت رأسها إلى السماء وقالت : حبيبي أقبلوا على الدنيا وتركوك . قال : ثم صاحت واجتمع الناس فغطَّيْتَها بثوبي . ثم قلت للناس : أصابها شيءٌ وأوهمتُهم أنَّ بها علةً . قال : ثم أقمت عليهاحتى أفاقت فرفعت رأسها فقلت لها : يا أُم ابراهيم أى شيءٍ هذه الشهرة ؟ فقالت : يابطَّال إذا كان هو يقسم الثناء فلمن يتصنَّع ؟ .

٦٠١ — بحرية العابدة :

رباح بن أَبي الجراح قال : رأيت بحَرِيَّةَ العابدةَ تبكى وتقول تركتك وأنا رُطَبة ، وأتيتك وأنا حَشَفة فاقْبَل الحشَفة على ماكان منها وكان بها مِسْحة من جمال ، وكان الجوع قد أضر بها ومكثت أربعين يومًا لم تأْكل فيها شيئًا إلَّا شيئًا من حِمِّص وكانت مجتهدة وكان لها مجلس تذكر فيه ، وكانت إذا تكلمت اضطربت واقْشَعَرت .

أَحمد بن أَبي الحوارى قال : حدثتنِي عجوز من أَهل البصرة قالت سمعت بحرية تقول : إذا ترك القلب الشهوات أَلف العِلمَ واتَّبعه واحتمل كل مايَرِد عليه .

٦٠٢ — ام الحريش :

رياح بن الجراح قال : رأيت أُم الحريش ، وكانت من عباد الناس ، وابتُليت بزوجٍ من الجند ، فكانت لاتأْكل من طعامه ، تُعد لنفسها شيئًا تأْكله ، وكان ربما لم يقبل منها حتى تأْكل معه ، فكانت تقعد تُريه أنها تأْكل فتضع أَصابعها خارج القَصْعة .

٦٠٣ — حسنة(١) العابدة :

عن محمد بن قدامة قال : بلغنا أَن امرأَة كان يقال لها حَسنَة

(١) بفتح الحاء والسين .

تركت نعيم الدنيا فأقبلت على العبادة فكانت تصوم النهار وتحيي الليل وليس فى بيتها شيءٌ، كلماعَطِشت خرجت إلى النهر فشربت بكفيها .

وكانت جميلة فقالت لها امرأة : تزوجى فقالت : هات رجلا زاهدًا لايكلفنى من أمر الدنيا شيئًا .وما أظنك تقدرين عليه ، فوالله مافى نفسى أن أعبد الدنيا ولاأتنعم مع رجال الدنيا ، فإن وجدتِ رجلاً يبكى ويُبكينى ، ويصوم ويأمرنى ، ويتصدق ويحضُّنى عليه ، فبِها ونِعمَتْ ، وإلَّا فعلى الرجال السلام .

٦٠٤ ــ زجلة العابدة مولاة معاوية :

أحمد بن سهل الأزدى قال : دخل على زجلة العابدة نفر من القرّاءِ فكلموها فى الرفق بنفسها فقالت : مالي وللرفق بها ؟ فإنما هى أيامٌ مُبَادرة ، فمن فاته اليوم شيءٌ لم يدركه غدًا . واللهِ ياإخوتاه لأُصلِّينَّ ؟ ما أَقلَّتنى جوارحى(١) ، ولأَصومَنَّ له أيامَ حياتى ، ولأَبْكيَنَّ له ماحملتِ الماءَ عَيناى . ثم قالت : أيّكم يأْمر عبده بأَمر فيحب أن يُقصِّر فيه ؟

عباد بن عباد ، أَبو عتبة الخَوّاص ،قال : دخلنا على زَجْلة العابدة ، وكانت قد صامت حتى اسودّت ، وبكت حتى عَمِشت ، وصلَّت حتى أُقْعِدت ، وكانت صلاتها قاعدة . فسلَّمنا عليها ثم ذكَّرناها شيئًا من العفو ، أَردنا أَن نهوّنَ عليها الأَمر هناك . فشهقت ثم قالت : عِلْمى بنفسى قرَّح فؤادى ، وَكَلم قلبى(٢) . واللهِ اودِدت أَن الله لم يخلقْنى ولم أَكُ شيئًا مذكورًا . ثم أَقبلت على صلاتها وتركناها فخرجنا من عندها .

---

(١) أى ما دامت أعضائى قادرة على الحمل والتحمل .

(٢) جرحه .

كليب بن عيسى بن أبي حجير قال : كانت زجلة لاترفع بصرها إلى السماء ، وكانت تخرج إلى الساحل فتغسل ثياب المرابطين[١] .

قال كليب : وسمعت سعيد بن عبد العزيز يقول : ما بالشام ولابالعراق أفضل من زجلة .

٦٠٥ ، ٦٠٦ — غضنة وعالية[٢] :

أبو الوليد العبدى قال : ربما رأيت غُضْنة وعَالية تقوم إحداهما من الليل فتقرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والاعراف فى ركعة .

٦٠٧ — مطيعة العابدة :

محمد بن الحسين قال : حدثنى صاحب لى من البصريين قال : بكت مطيعة أربعين عامًا ، فعُوتبت على كثرة البكاء فقالت : لاأزال أبكى حتى أعلم على أى الحالين أنا عند الله ؟

محمد بن الحسين قال : دخلنا على مطيعة العابدة فى الجَبّان بالبصرة فجعلنا نُذاكرها شيئًا فى الخير فلا نَسْتَبِين كثيرًا من كلامها ، من كثرة بكائها . فلما رأينا ذلك خرجنا من عندها وتركناها .

قال محمد : وسألت مطيعة قلت : منذُ كم أنتِ ههنا فى الجبّان؟ فبكت ثم قالت : يابنى منذ أربع وخمسين سنة .

٦٠٨ — كردويه[٣] بنت عمرو البصرية :

أبوعبد الرحمن محمد بن الحسين قال : كانت كَرْدُويَهْ تخدم شعوانة . فقيل لها : ما الذى أصابك من بركاتِ خدمةِ شعوانة ؟ قالت : ما أحببت الدنيا منذ خدَمتُها ، ولا اهتممت لرزقى ، ولاعَظُم

---

(١) أى المجاهدين على الثغور فى سبيل الله .

(٢) غضنة : بضم الغين وسكون الضاد . وفى ق : «عصنة وغالية» وأثبت ما فى قط .

(٣) بفتح فسكون ودال مضمومة وفتح الياء .

فى عينى أحد من أرباب الدنيا لِطَمعٍ لى فيه ، وما استصغَرتُ أحدًا من المسلمين قط .

٦٠٩ — راهبة :

عثمان بن سودة الطفاوى ، وكانت أمه من العابدات ، يقال لها راهبة ، قال : لما احتُضِرتْ رفعت رأسها إلى السماءِ فقالت : يا ذُخرى وذَخِيرتِى ، ويا من عليه اعتمادى فى حياتِى وبعد موتِى ، لاتَخْذُلنى عند الموت ، ولاتُوحِشنى فى قبرى .

قال : فماتت . فكنت آتيها فى كل جُمعة فأَدعوالها وأستغفر لها ولأَهل القبور . قال : فرأَيتها ذات ليلة فى منامِى فقلت : يا أُماه كيف أَنت ؟ قالت : أَىْ بُنى إنَّ للموت لَكُربةً شديدةً وأَنا بحمد الله فى برزخٍ محمود نفترش فيه الرَّيْحان ونتوسد فيه السُّندسى والإستَبرق إلى يوم النشور فقلت : أَلكِ حاجة ؟ قالت : نعم . قالت : لا تدع ما أَنت عليه من زيارتنا والدعاءِ لنا فإِنِّى لأُبشَّر بمجيئك يوم الجمعة إذا أَقبلتَ من عند أَهلك ، يقال لى : ياراهبة هذا ابنك قد أَقبل من أَهله زائرًا لك فأُسَر بذلك ويُسَر بذلك منْ حوْلى مِنَ الأَموات .

٦١٠ — سلمى :

خلف بن الوليد الجوهرى قال : قالت سلمى ، امرأة بصرية : إلٰهى عِلمى بشدة عقوبتك ونكالك قطَع عنِّى لذاذة الدنيا ونعيمها ، ومعرفتى بسعة رحمتك ونَّعْت علىَّ خُلقى فيما بينى وبين عبادك .

٦١١ — مسكينة الطفاوية(١) :

إسحاق بن ابراهيم قال : أَخبرنا عمّار الراهب ، وكان واللهِ من العاملين لله فى دار الدنيا ، قال : رأَيت مسكينة الطُفاوية فى منامى

---

(١) بضم الطاء ، نسبة إلى قبيلة طفاوة .

وكانت من المواظبات على حلَق الذِكْر ، فقلت : مرحبًا يامسكينة مرحبًا . فقالت : هيهات ياعمَّار ذهبت المسكنة وجاء الغِنى الاكبر. قلت : هِيه . قالت : ماتسأَل عمن أبِيحَ الجنةَ بحذافيرها يظَل منها حيث يشاءُ . قال : قلت . وبم ذاك يرحمك الله ؟ قالت : بمجالس الذكر والصبر على الحق . قال عمار : وكانت تحضر معنا مجلس عيسى بن زَاذَان بالأُبلَّة (١) ، تنْحَدِر من البصرة حتّى تأْتِيَه قاصدة . قال عمار : قلت يامسكينة ما فَعل عيسى ؟ فضجَّت ثم قالت : كُسِيَ حلَّة البهاء ، وطافت بأَباريقَ حوله الخُدّام ، ثم حُلِّيَ وقيل : ياقارىء ارقَ فلعمرى لقد برأَك الصيام ، وَكانَ عيسٰى قدْ صامَ حَتَّى انْحَىٰ وانْقَطَعَ صوته .

٦١٢ ــ غنضكة :

عن يوسف بن بهلول قال : كانت امرأَة بالبصرة يقال لها غَنْضَكة العابدة تصلِّى عامَّة الليل ، ثم تقول : أَعوذ بالله من ملائكةٍ غِلاظٍ شداد لايَعصُون الله ما أَمرَهم ويفعلون مايؤمرون ، فإذا قضت صلاتَها قالت : هذا الجهد منى وعليك التّكلان .

ذكر المصطفيات من عابدات البصرة المعروفات بغيرهن

٦١٣ ــ امراة ابى عمران الجونى :

عويد بن أَبى عمران الجونى قال كانت أُمى تقوم من الليل تصلى حتّى تَعْصِب ساقيها بالخرق فيقول لها أَبوعمران الجونى دون هذا ياهذه فتقول هذا عند طول القيام فى الموقف قليل فيسكت عنها .

٦١٤ ــ امراة رياح القيسى :

أَبو يوسف البزاز قال : تزوج رياح القيسى امرأَة فبنى بها .

---

(١) الأبلة (بضمتين وتشديد): تقع على شاطىء دجلة ، قرب البصرة .

فلما أصبح قامت إلى عجينها . فقال : لونظرتِ إلى امرأةٍ تكفيكِ هذا . فقالت : إنما تزوّجت رياحًا القيسى ولم أرنى تزوّجت جبارًا عنيدًا . فلما كان الليل نام ليختبرها . فقامت ربع الليل ثم نادَته : قم يارياح . فقال : أقوم . فقامت الربع الآخر ثم نادته فقالت ، قم يارياح . فقال : أقوم . فلم يقم . فقامت الرّبع الآخر ثم نادته فقالت : قم يارياح فقال أقوم . فقالت : مضى الليل وعَسْكَرَ المحسنون وأنت نائم ، ليت شعرى من غَرّنى بك يارياح . قال : وقامت الربع الباقى .

عبد الله بن الحارث قال : زوّج شُميط بن العجلان رياحًا القيسى امرأة . فبينا هو قاعد معها إذ نظرت إلى السماءِ فشهقت شهقة فخرّت مغشيًا عليها .

وقال رياح ، اغتممتُ مرّة فى شىءٍ من أَمر الدنيا . فقالت ، أَراك تغتمّ[١] لأَمر الدنيا غرّنى منكم شُميط . ثم أَخذت هُدبةً من مِقْنَعتها[٢] فقالت : الدنيا أَهون علىّ من هذه .

عن سيّار قال : حدثنى رياح قال ذُكرت لى امرأة فتزوّجتها . فكانت إذا صلّت العِشاءَ الآخرة تطيّبت وتدخّنت[٣] ولبست ثيابها ثم تـأْتينى فتقول : أَلك حاجة ؟ فإن قلت : نعم ، كانت معى ، وإن قلت : لا ، قامت فنزعت ثيابها ثم صفّت بين قدميها حتى تصبح . قال رياح : ففحّتنى[٤] والله .

---

(١) ق : « نعير » وأثبت ما فى قط .

(٢) المقنعة : ما تغطى به المرأة رأسها وهو أصغر من القناع . والهدبة : الخيط الصغير وما يشبهه .

(٣) من الدخنة وهى البخور .

(٤) كذا فى ط ، ولا معنى لها . وفى ق : ففتحتينى .(؟) .

٦١٥ ـــ ابنة أم حسان الأسدية :

عن سفيان الثورى قال : دخلت علىّ بنت حسان الأسدية وفى جبهتها مثل رُكبة العَنْز من أثر السجود . فقلت لها : يابْنَة (١) أم حسان ألا تأتين عبد الله بن شهاب بن عبد الله ؟ فلورفعت إليه رقعة فلعله(٢) أن يعطيك من زكاة ماله ما تُغيّرين به بعض الحَاجة التى أراها بك . فدعت بمعجَر فاعتجرت به وقالت : ياسفيان(٣) قد كان لك فى قلبى رجحانٌ كثير فقد أذهبَ الله برجحانك من قلبى ، ياسفيان ، تأمرنى أن أسأل الدنيا مَن لايملكها . ؟

قال سفيان : وكان إذا جنّ عليها الليل دخلَت محرابًا لها وأغلقت عليها ثم نادت : إلٰهى خلا كلّ حبيبٍ بحبيبه ، وأنا خالية بك يامحبوب ، فما كان من سُخْن يسخّن مَن عصاك إلّا جهنم ، ولاعذاب إلا النار .

قال سفيان ، فدخلت عليها بعد ثلاثٍ فإذا الجوع قد أثّر فى وجهها . فقلت لها : يابنت أم حسان إنك لن تُؤتَىْ أكثر مما أُوتى موسى والخَضِر عليهما السلام ، إذْ أتيا أهل قريةٍ استطعما أهلَها .

فقالت : ياسفيان قل الحمدلله . فقلت : الحمد لله . فقالت : اعترفت له بالشكر ؟ قلت : نعم . قالت : وجب عليك من معرفة الشكر شكر وبمعرفة الشكرين شكر لاينقضى أبدًا .

قال سفيان : فَقَصُر ، والله ، عِلمى وفَهّ لسانى(٤) فولّيت أُريد الخروج . فقالت : ياسفيان كفى بالمرء جهلاً أن يُعجب بعلمه ،

---

(١) قط : «ما تغيرين به حالك ، فقالت : يا سفيان» .
(٢) فه : عى ووهن .
(٣) قط : يا بنت .
(٤) قط : لعله .

وكفى بالمرء علمًا أن يخشى الله . اعْلَم أنه لن تُنقّى القلوب من الردى حتى تكون الهموم كلُّها فى الله همًّا واحدًا .

قال سفيان فقصُرَت إلىّ واللهِ نفسى .

٦١٦ — مملوكة لابراهيم النخعى :

أبو الأحوص ، عن مغيرة أو غيره ، قال : كانت مولاة لابراهيم تعمد إلى اليوم الشديد الحرّ فتصومه . فقيل لها : انك تَعْمَدِين إلى أشدّ الأيام حَرًّا فَتصُومينه ؟ فقالت : إن السعر إذا رَخُص اشتراه كلّ أحد.

٦١٧ — جارية عبيد الله بن الحسن العنبرى قاضى البصرة :

عبيد الله بن الحسن القاضى العنبرى قال : كانت عندى جارية أعجمية وضيئة ، وكنت بها معجباً . فكانت ذات ليلة نائمة إلى جنبى فانتبهتُ فلم أجدها . فالتمستها فإذا هى ساجدة تقول : بحبّك لى اغفرلى . فقلت : ياجارية لاتقولى بحبّك لى ، قولى : بحبّى لك اغفرلى . فقالت : يابطال ، حُبّه لى أخرجَنى من الشِّرْك إلى الإسلام ، فأيقظ عينى وأنام عينك . فقلت : اذهبى فأنت حُرّةٌ لوجه الله . قالت : يامولاى أسأْتَ إلىّ ، كان لى أجران فصار لى أجرٌ واحد .

٦١٨ — جارية خالد الوراق :

بلغنا عن خالدٍ الورّاق أنه قال : كانت لى جاريةٌ شديدة الاجتهاد فدخلت عليها يومًا فأخبرتُها برفق الله وقبوله يَسيْر العمل . فبكت ثم قالتْ ياخالد إنِّى لأُؤمل مِنَ اللهِ تعالىٰ آمالا لوحملَتْها الجبال لأشفقَتْ من حملها كما ضعفت عن حمل الأمانة وإنى لأعلم أن فى كرم الله مستغاثًا لكل مذنب ، ولكن كيف لى بحسرة السِّباق ؟ قال : قلت : وماحَسرة السباق ؟ قالت : غَدَاة الحشر إذا بُعثر ما فى القبور ورَكِب الأبْرار نَجائِب الأعمال فاستبَقوا إلى الصّراط ، وعِزَّةِ سيّدى لايَسبق

مقصِّر مجتهدًا أَبدًا ، واوحَبا المجدّ حَبْوًا . أم كيف لى بموت الحزن والكمد إذا رأيت القوم يتراكضون وقد رُفعت أعلام المحسنين وجاز الصراطَ المشتاقون ووصل إلى الله المحبّون وخُلِّفتُ مع المسيئين المذنبين ؟ ثم بكت وقالت : ياخالد انظر لايقطعك قاطع عن سرعة المبادرة بالأَعمال فإنه ليس بين الدارين دار يُدرِك فيها الخُدّام مافاتَهم من الخدمة ، فويل لمن قصَّر عن خدمة سيّده ومعه الآمال ، فهلا كانت الأَعمال توقظه إذا نام البطَّالون . ؟

٦١٩ — الماوردية :

ذكر أَبو الحسن محمد بن هلال بن المحسِّن فى تاريخه[1] قال : كانت عجوز صالحة زاهدة بالبصرة تعرف بالماورديّة قاربت ثمانين سنة ، بقيت خمسين سنة لم تُفطر ولم تنم بالليل ، ولم تأْكل خبزًا ولا رُطَبًا ولاتَمرًا وإنما تطحن لها باقِلَّا وتخبز لها خبزًا تقتات به ، وتأْكل التين اليابس دون الرُّطَب ، وتنال من الزيت والعنب واللحم الشىء اليسير ، وكانت تكتب وتقرأ وتعِظ النِّسوان وكانت كثيرة الخير والبركة .

وتوفّيت يوم الجمعة لخمسٍ بَقين من ذى الحجَّة سنة ست وستين وأَربعمائة وتبع جنازتَها أكثرُ الناس . ودُفنت خارج البلدِ عند قبور الصالحين .

---

(١) أبو الحسن هذا هو المعروف بلقب غرس النعمة ، مؤرخ أديب مترسل ، من أهل بغداد . كان محترماً عند الخلفاء والملوك . توفى سنة (٤٨٠ هـ) . ومن كتبه : « عيون التواريخ » ويطلق عليه أيضاً اسم التاريخ الكبير .

ذكر المصطفيات من عابدات البصرة المجهـــولات

٦٢٠ ــ عابدة :

عن يعلى بن حكيم قال : قال سعيد بن جبير : ما رأَيت أَرعى لحرمة هذا البيت ولا أَحرص عليه من أَهل البصرة ، ولقد رأَيت جاريةً منهم ذات ليلة تعلَّقت بأَستار الكعبة فجعلت تَدْعو وتبكى وتَتَضَرَّع حتى ماتت .

٦٢١ ــ عابدة اخرى :

عَوْن بن أَبى عَمارة البصرى قال : قال أَبو محرز الطَّفاوىّ : شكوت إلى جارية لنا ضِيق المكسب علىّ وأَنا شابّ فقالت لى : يابنىّ استعِن بعزّ القناعة عن ذلّ المطالب ، فكثيرًا ، والله ما رأَيت القليل عاد سليمًا .

قال أَبو محرز : مازلت بعدُ أَعرف بركة كلامها فى قنوعِى .

٦٢٢ ــ عابدة اخرى :

عن عبد الواحد قال : أَتينا امرأَة متعبّدة فى ناحية البصرة لنسلِّم عليها فقيل لنا لا تَصِلُون إليها . قلنا : ولَم ذاك ؟ قالوا : قد غلَّقت عليها الباب منذ ثلاثٍ تبكى . قلنا : ولِمَ ذاك ؟ قالوا : قَتلت نملةً .

٦٢٣ ــ عابدة اخرى :

عن سعيد بن عُطَارد قال : ذُكِرَتْ لى امرأَة بالبصرة متعبِّدة فأَتيتها فوجدتها تُصلِّى فانصرفتُ . فقالت : ما اسمك ؟ فقلت : سعيد . قالت : ياسعيد ! كلّ شيءٍ شغَلك عن الله فهو عليك مَشُوم . ثم أَقبلت على صلاتها وتَرَكَتْنِى .

٦٢٤ ــ عابدة اخرى :

علىّ بن الحسن قال : كانت امرأَة بالبصرة تقول لقلبها . فقدتُكَ من قلبٍ ، ما أَنساك ! أَصبحتَ لعظمة الله ناسيًا إلهى كيف لى بالقرب منك غدًا وقاسِي القلب منك بعيد؟

٦٢٥ — عابدة اخرى :

عن صالح بن عبد الكريم قال : رأيت امرأة سوداءَ بالبصرة ، والناسُ مجتمعون عليها ، ثم قامت فدخلتْ دارًا فدخلوا معها وَأَحْدَقُوا بها . فَدَنَوْتُ منها فقلت : ياهذه أَمَا تخافين العُجْب[١] ؟ فرفعت رأسها فنظرت إلىّ ثم قالت : كيف يُعجَب بعمله مَن لايدرى لعلّه قد رُدّ عليه ؟ .

٦٢٦ — عابدة اخرى :

الحسين بن جعفر قال : سمعت أَبى قال : صليت العيد فى الجَبَّان ثم انفردت فإذا أَنا بعجوزٍ رافعة يديها وهى تقول : انصرف الناسُ ولم أُشعِر قلبى اليأْسَ ، ياصاحب الصدقة ها أَناذِه منصرفة ، فليت شعرى ما زوّدتنى ؟ رب ارحم ضَعْفِى وكِبَر سنِّى ، خرجت أَرجوك فلا تُخَيِّبْ حُسن ظنِّى بك . وهى تبكى فما انتفعت بنفسى يومِى

٦٢٧ — عابدة اخرى :

حمَّاد بن سلمة قال : خرجت فى ليلة ظلماءَ ذاتِ بَرد وريح ومطَر ومعى شَوِىٌّ[٢] ، قلت : أَقسِمْه فى جيرانى . قال : فإِذا أَنا بامرأَة قد خرجت وهى تقول : يارفيق ارفُق بنا .

قال : قلتُ مالَكِ رحمك الله ؟ قالت : ياحمَّاد إنه دخل هذا المطر على يتامى تحت فُرُشهم فقلت : يارفيق ارفُقْ بنا ، فدَخلتُ فوجدتُه أَيْبَس مما كان . فقلت : هَاكِ رحمكِ الله هذا الشيءَ فَأَنْفِقيهِ على نفسك وعلى أَيتامك . فقالت : إليكَ عنِّى ياحمَّاد فإِنى إنما أَسأَل أَجْوَد الأَجْوَدِين .

---

(١) الزهو والتكبر والخيلاء .
(٢) الشوى : ما شوى من اللحم .

عفان بن مسلم قال : قال لى حمَّاد بن سلمة : ألحّ المطر عليْنا سنةً من السنن ، وَفى جِوارى امرأة من المتعبّدات ، لها بنات أيتام ، فوكَفَ السّقف(١) عليهم فسمعتها تقول : يارفيق ارفُق بى . فَسكن المطر ، فاخذتُ صُرّة فيها عشرة دنانير وقرعتُ بابها . فقالت : اجْعَلْهُ حَمَّادَ بنَ سلمة(٢) . فقلت : أنا حمَّاد ، سمعتك وقد تـأذّيتِ بالمطرِ فقلتِ يارفيق ارفُق بنا ، فما بلغ من رفقه بك؟ فقالت : سَكَّنَ المطرَ وأدْفَأَ الصّبيان وجَفّفَ(٣) البيتَ .

(قال) فأخرجتُ الدنانير وقلت(٤) انتفعِى بهذه . فإذا صبيَّة عليها مِدْرعة(٥) من صوف تستبين خُروقُها ، (٦) قد خرجت علىّ وقالت ألا تسكت ياحماد تعترض بيننا وبين ربنا ومولانا ؟ ثم قالت : يا أُماه قد علمنا أنا لما شكونا مولانا أنه سيبعث إليْنَا بالدنيا ليطردنا من بابه ألْصَقَتْ خدَّها بالتراب ثم قالت . أمّا أنا وعزَّتِكَ لازَايَلْتُ بابك وإن طردتَنِى .

ثم قالت . ياحمَّاد رُدَّ عافاك الله دنانيرَك إلى الموضع الذى أخرجتَها منه فإنَّا رفعنا حوائجنا إلى مَن يقبل الودائع ولايبخَس المعامِلين .

عن عبيد الله بن محمد القرشى قال . كانت امرأة من عبَّاد أَهل البصرة ، وكان لها أَولاد فأَصابها مطر فى بعض الليل فوكَفَ عليها

---

(١) أى قطر ، وسقط منه ماء المطر .
(٢) جملة دعائية ، أى فليكن القادم حماد بن سلمة .
(٣) قط : وأجفف .
(٤) قط : فقلت .
(٥) قميص .
(٦) قط : وقد .

البيت ، فجعلت تنقل أولادها من موضع إلى موضع ، فلا يزداد الوَكْف إلَّا شدّة . فلما أذلَقها ذلك[١] قالت . يارفيق ارفُق بى .

قال . فما أصابها من ذلك المطر قَطْرة واحدة .

ومن المصطفيات من عاقلات المجانين بالبصرة

٦٢٨ — جارية[٢] :

عن عبد الواحد قال . قال عُتبة الغلام . خرجت من البصرة فإذا أنا بخباء أعراب قد زَرعوا ، وإذا أنا بخيمة ، وفى الخيمة جارية مجنونة عليها جُبَّة صوفٍ عليها مكتوب . لا تُباع ولاتُشْترى . فدنوتُ فسلَّمت عليها فلم تردَّ علىّ السلام . ثم ولَّيتُ . فسمعتُها تقول .

زَهِدَ الزَّاهِدُون والعابدُونا ... إِذْ لمَوْلاهُمُ أَجَاعُوا البُطونا

أَسْهَرُوا الأَعْيُنَ القَرِيحَةَ فيه ... فَمَضَى ليلُهم وهُمْ سَاهِرونا

حَيَّرَتْهمْ محبَّةُ اللهِ حتَّى ... عَلِمَ الناسُ أَن فيهمْ جُنونا

هُم أَلِبّا[٣] ذُوو عُقولٍ وَلَكِن ... قَدْ شَجَاهُمْ جَمِيعُ مَا يَعرِفُونا

قال : فدنوت إليها فقلت : لمن الزّرع ؟ فقالت : لنا إنْ سَلم .

فتركتُها وأَتيت بعض الأخبية فأَرْخَت السماءُ كأَفْوَاه القِرَب . فقلت : وَاللهِ لآتينَّها فأَنظر قصَّتها فى هذا المطر . فإذا أَنا بالزَّرع قد غَرِق وإذا هى قائمة وهى تقول : والذى أَسْكَنَ قلبى من طرف صفاءِ مودّة[٤] محبته إن قلبى لَيوقِن منك بالرضا . ثم التفتتْ إلىّ فقالت : ياهذا إنه زَرعه فأَنبتَه وأَقامه فسَنْبلَه وركَّبه فشقَّقه[٥]

---

(١) أى ضايقها واشتد حصاره لها وملاحقته إياها .

(٢) العنوان زيادة ليست فى النسخ .

(٣) أصله ألباء وهو جمع لبيب ، أى عقلاء .

(٤) قط : مودته .

(٥) قط : فشقه .

وأرسل عليه غيثًا متغطمطًا(١)فسقاه، واطَّلع(٢) عليه فحفظه فلما دَنَا حَصادُه أهلكه . ثم رفعت رأْسها نحو السماء فقالت(٣) : العِباد عِبادُك، وأرزاقهم عليك، فاصنع ماشئت . فقلت لها : كيف صَبرُكِ؟ فقالت : اسكت ياعتبة :

إنَّ إلٰهى لغنىٌّ حميـــدُ ... فى كلّ يومٍ منه رِزْقٌ جَديدُ

الحمــد لله الذى لم يَزلْ ... يَفعلُ بى أَكثرَ ممــا أُريدُ

قال(٤) عتبة فوالله ماذكرت كلامها إلا هيجتنى — انتهى ذكر أَهل البصرة .

ذكر المصطفين من أهل الأبلة

٦٢٩ — عابد(٥) :

أَبو اسحاق الهَروىّ قال : كنت مع ابن الخروطى بالبصرة فأَخذ بيدى وقال : قم حتى نخرج إلى الأُبلَّة . فلما قربنا ونحن نمشى على شاطىءِ الأُبلَّة فى الليل والقمر طالع ، إذْ مررنا بقصرٍ لجندىّ فيه جَارية تضرب بالعود ، فَوَقفنا فى فِناءِ القصر نستمع وفى جانب القصر الآخر فى ظل القمر فقير بخرقتيْن واقف ، فقالت الجارية .

كلَّ يــومٍ تَتَلوّنْ ... غيرُ هــذا بكَ أَجمَلْ

فصاح الفقير وقال أَعيديه فهذا حالى مع الله تعالى . فنظر صاحب الجارية إلى الفقير فقال لها اتركى العود وأَقبِلى عليه فإنه صوفى فأَخذت تقول ، والفقير يقول : هذا حالى مع الله تعالى ، والجارية

(١) تغطمط البحر : اضطرب وعلت أمواجه . أى غيثاً عظيماً .
(٢) قط : قد اطلع .
(٣) من هنا إلى آخر الجزء الثالث من نسخة (ق) بخط ناسخ آخر ، وفيه تحريف كثير واختصار ونقص .
(٤) ط : فقال .
(٥) هذه الترجمة ساقطة من ق .

تردّد إلى أن زَعق الفقير زعقةً خرّ مغشيًا عليه فحرّكناه فإذا هو ميّت فقلنا : مات الفقير .

فلما سمع صاحب القصر بموته نزل فأدخله القصر فاغْتَممنا وقلنا : هذا يكفّنه من غَيْرِ وجهِهِ . فصعد الجندىّ وكسر كلّ ماكان بين يديه فقلنا : ما بعد هذا إلّا خير ومضينا إلى الأُبلَّة وبتْنا وعرّفنا الناسَ .

فلما أَصبحنا رجعنا إلى القصر وإذا الناسُ مُقْبلون من كل وجه إلى الجنازة كأَنما نُودىَ فى البصرةِ حتى خرج القضاةُ والعُدول وغيرُهم ، وإذا الجندى يمشى خلف الجنازة حافيًا حاسرًا حتى دُفن .

فلما همّ الناس بالانصراف قال الجندى للقاضى والشهود : اشهدوا أَنَّ كلَّ جارية لِى حُرَّةٌ لوجه الله تعالى وكلَّ ضِياعى وعَقارى حبْسٌ فى سبيل الله وفى صندوقٍ لى أَربعة آلاف دينار وهى فى سبيل الله .

ثم نزع الثوب الذى كان عليه فرمى به وبقىَ بِسَراويِله . فقال القاضى : عندى مئزران من وجههما تقبلهما فقال : شأْنك . فحملهما إلَيْهِ فاتزر بواحدٍ واتّشح بالآخر ، وهام على وجهه فكان بكاءُ الناس عليه أَكثر من بكائهم على الميت .

ذكر المصطفيات من عابدات الأبلة

٦٣٠ ـــ شعوانة :

معاذ بن الفضل ، أَبو عَون ، قال : بكت شَعْوانة حتى خِفنا عليها العَمى ، فقلنا لها فى ذلك ، فقالت : أَعمَى والله فى الدنيا من البكاءِ أَحبّ إلىّ من أَن أَعمَى فى الآخرة من النار .

مالك بن ضيغم قال : كان رجلٌ من أَهل الأُبلَّة يأْتى أَبى كثيرًا فيذكر له شَعْوانة وكثرة بكائها فقال له أُبى يومًا : صِف لى بكاءها .

فقال : يا أبا مالك أَصِفُ لك . هىَ والله تبكى الليلَ والنهار لا تكاد تَفْتُرُ قَالَ : لَيْسَ عَنْ هذا أَسْأَلُكَ ، كَيْفَ تَبْتَدِىءُ بالبُكاء ؟ قال : نعم يا أبا مالك تسمع الشيء من الذِّكر فترى الدموع تنحدِر من جفونها كالقَطْر . قال : فمجارى الدموع من المآق الذى على الأنف أكثر أم مؤخر العين مما يلى الصُّدْغ ؟ قال يا أبا مالك إنَّ دموعها أكثر من أَنْ يُعرَف هذا من هذا [1] ، ما هىَ إلا أن تسمع [الذكر] فتجىء عيناها بأربعٍ نُسجومًا [2] متبادرة جدًا .

فبكى أَبي وقاك : ما أرى الخوف إلا قد أحرق قَلبها كلَّه . ثم قال : كان يقال إن كثرة الدموع وقلّتها على قدر احتراق القلب ، حتى إذا احترق القلب كله لم يشَأْ الحزين أن يبكىَ إلا بكى ، والقليلُ من التَّذكرة يُحزنه .

قال مالك بن ضيغم : وقال لى أَبي يومًا انطلق مع «منبوذ» حتى تأْتى هذه المرأَةَ الصالحةَ فتنظر إليها ، يعنى شَعْوانة ، فانطلقت أنا وأبو هَمَّام إلى الأُبُلَّة ثم غدونا عليها فدخلنا فسلَّم عليها منبوذ وقال : هذا ابن أخيك ضيغم . فرحَّبت بى وتحفَّت وقالت مرحبًا بابن [3] مَن لم نَره ونحن نحبّه ، أما والله يابنىّ إنى لمشتاقة إلى أبيك وما يمنعنى من إتيانه إلَّا أنى أخاف أن أَشْغَلَه عن خِدْمة سيده ، وخدمةُ سيّده أولى به من مُحادثة شعوانة .

قال : ثم قالت : ومَن شعوانة ؟ وما شعوانة ؟ أَمَة سوداء عاصية .

قال : ثم أخذت فى البكاء فلم تزل تبكى حتى خرجنا وتركناها .

---

(١) ق : «منها» بدل «من هذا» . (٢) ق : «فتجىء عيونها بأدمع سجوماً» وأثبت ما فى قط . (٣) هنا نهاية الخرم من نسخة (ب) ، وقد بدأ ذلك من أولها . وبعد هذا الموضع نرمز بـ (ط) إلى نسختى (ب ، قط) .

يحْيى بن بسطام قال : كنت أشهد مجلس شعوانة كثيرًا فكنت أرى ماتصنع بنفسها ، فقلت لصاحب لى يقال له عمران بن مسلم : لو أتيناها إذا خلَت . قال : فانطلقنا[١] أنا وهو إلى الأُبلَّة فاستأْذنَّا عليها فأَذِنت لنا فإذا منزلٌ رثّ الهيئة أَثَرُ الجَدْب عليه بَيِّنٌ . فقال لها صاحبي : لورفَقتِ بنفسك فقَصرتِ عن هذا البكاءِ شيئًا كان أقوى لكِ على ما تُريدين . قال : فبكت ثم قالت : والله لَودِدت أنى أبكى حتى تنفَد دموعى ، ثم أَبكى الدماءَ حتى لاتَبقَى فى جسدِى جارحة فيها قطرةٌ من دم ، وأَنىّ لى البكاء ؟ قال : فلم تزل تردّد ذلك حتى انقلبت حَدقتاها ، ثم مالت ساقطةً مغشيًّا عليها . فقمنا فخرجنا وتركناها على تلك الحال .

رَوْح بن سلمة قال : قال لى مُضَر : مارأَيت أَحدًا أقوى على كثرة البكاءِ من شعوانة ، ولاسمعت صوتًا قطّ أَحرق لقلوب الخائفين من صوتها إذا هى نَشَجَت ثم نادت : ياموتَى وبَنِى الموتى وإخوةَ الموتى.

قال محمد : وقلت لأَبي عُمر الضرير : أَتيت شعوانة ؟ قال : قد شهدتُ مجلسها مرارًا ماكنت أَفهم ماتقول من كثرة بكائها . قلت : فهل تحفظ من كلامها شيئًا ؟ قال : ماحفظت من كلامها شيئًا أذكره الساعة إلَّا شيئًا واحدًا . قلت وماهو ؟ قال : سمعتها تقول : من استطاع منكم أَن يبكى فَلْيبكِ وإلَّا فليَرحمِ الباكى فإنَّ الباكى إنما يبكى لمعرفته بما أَتى إلى نفسه .

عن الحارث بن المغيرة قال : كانت شعوانة تَنُوحُ بهذين البيتين :

يُؤَمِّلُ دُنْيـــا لتبقَى لــه   فَوَافَى المنيَّةَ قبلَ الأَمَلْ

(١) ب : فانطلقت .

حَثِيثًا يُروِّى أُصُولَ الفَسِيلِ[١] فعاشَ الفَسيلُ وماتَ الرجُلْ

الحسن بن يحيى قال : كانت شعوانة تردِّدُ هذا البيت فَتبكى وتُبْكى النُّسّاك معها ، تقول :

لقد أَمِنَ المغـــرورُ دارَ مُقامِه ويُوشك يومًا أَن يَخافَ كما أَمِنْ

عن فُضَيْل بن عِياض قال : قدِمَت شعوانةُ فأَتيتُها فشكوتُ إليها وسأَلتها أَن تدعو بدعاءٍ ، فقالت : يا فُضَيْل أَما[٢] بينك وَبين الله ما إن دعوتَهُ[٣] استجاب لك ؟ قال : فشهق الفضيل[٤] وخرّ مغشيًا عليه .

عن محمد بن عبد العزيز بن سلمان قال : كانت شعوانة قد كَمِدَت حتى انقطعت عن الصلاة والعبادة فأَتاها آتٍ فى منامها فقال :

أَذرِى جُفونَكِ إمَّا كُنتِ شَاجِيةً إنَّ النياحةَ قد تَشفى الحَزِينينا

جِدّى وقُومى وصُومى الدهرَ دائبةً فإنما الدَّوب[٥] من فِعلِ المُطيعينا

فأَصْبَحَتْ فأَخذتِ فى الترنمّ والبكاءِ وراجَعتِ العمل .

ابراهيم بن عبد الملك قال : قدمت شعوانة وزوجها مكة فجعلا يطوفان فإذ أَكَلَّ أَو أَعيا جلس وجلسَت خَلْفه فيقول هو فى جلوسه : أَنا العطشان من حُبّك لاأَروى . وتقول هى بالفارسية : أَنْبتَ لكل داءٍ دواء فى الجبال ، ودواءُ المحبِّين فى الجبال لم ينبت . رضى الله عنها .

---

(١) الفسيل : مفرده الفسيلة وهى كل عود يقطع من شجرته فيغرس ، كالنخل وغيره .
(٢) ط : ما .
(٣) ط : دعوت الله .
(٤) ط : فشهق الفضيل شهقة خر مغشياً عليه .
(٥) أصلها : الدؤوب (بضم الدال) وهو الجد والتعب .

٦٣١ — خشة الأبلية(١) :

يعقوب بن محمد قال : قالت خُشَّة الأُبلِّية : إن الذنوب أقلّ في جُودك من أن لا تغفِرها ، فمِن ثَمَّ خلا قلبي من الذنوب لمحبّتك . رضى الله عنها .

ومن عقلاء المجانين بالأبلة (٢)

٦٣٢ — ريحانة(٣) :

أَبو القاسم بن سعيد قال : سمعت صالحًا المرّىّ يقول : رأيت ريحانة المجنونة فسلمت عليها فقالت لى : ياصالح اسمع :

بِوَجْهِكَ لاتُعـذِّبْنى فإِنِّى أُؤَمّل أَنْ أَفُوزَ بِخَيرِ دارِ
وأَنت مجاوِرُ الأَبرارِ فيها ولَوْلا أَنتَ ماطابَ المزارُ(٤)

عن الربيع قال : بتُّ أنا ومحمد بن المنكدر وثابت البنانى عند ريحانة المجنونة بالأُبلَّة فقامت أول الليل وهى تقول :

قامَ المحبّ إلى المؤمَّل قَومَـةً كادَ الفوادُ من السّرورِ يطيرُ

فلما كان جوف الليل سمعتها تقول أيضًا :

لاتَأْنَسنّ بمن تُوحِشُكَ نظرتُه فتُمْنَعَنَّ من التّذكار فى الظُلَمِ
واجهَدْ وكِدَّ وكُن فى الليل ذا شَجن يَسْقيك كأْسَ وِدَادِ العزّ والكرمِ

قال : ثم نادت : واحَرباه وَاسَلباه . فقلت : مم ذا ؟ فقالت :

ذهَب الظَّلامُ بأُنْسِه وبأُلْفِـه ليت الظَّلام بأُنسِه يتجدَّدُ

انتهى ذكر أهل الأُبلة رضى الله عنهم .

---

(١) ق : خشة . ط : خشة الأبلية رضى الله عنها . فزدنا نسبتها (الأبلية من ط) .
(٢) ق : بها .
(٣) ط : رضى الله عنها .
(٤) فى الشعر إقواء ، وهو اختلاف حركة الروى بكسر وضم .

ذكر المصطفين من عباد عبادان رضى الله عنهم (١)

أَبوبكر المروزى قال : سمعت عبد الصمد يقول : قال لى بشربن الحارث : عَبّادان (٢) مَيدانُ العِباد .

قال المروزى : وقال لى أَبو عبد الله أَحمد بن حنبل : مازال العُبَّاد يـأْتؤنها وقد رأَيت بها هُدّابًا العابد .

محمد بن نعيم بن الهيصم قال : سمعت بشر بن الحارث قال : من أَراد الزهد والعمل فليأْت عَبّادان ، وَدِدْتُ أَنى فى زاوية من زَوَايا عَبَّادان فى عافية ، حرسها الله تعالى .

٦٣٣ — سعيد بن عطارد رضى الله عنه :

اسحاق بن عباد قال : سمع سعيد بن عطارد ضجة فى مسجد أَبى عاصم بالليل ، فقام فقال : تَذهب بهذا الدرهم السوقَ تُلْقِيه فى هذه الجياد لعل الله عزوجل يتجاوَز به .

عبد الصمد قال : كان سعيد بن عطارد بكّاءً . رضى الله عنه.

٦٣٤ — عابد من بنى سعد :

أَبو عاصم العَبَّادانى قال : كان رجل من بنى سعد يَقْدَم علينا فى أَول ما اتُّخِذَت عَبَّادان فكانت إذ ذاك وَبِيئة (٣) قال : فكان يصلِّى اللَّيْلَ والنهار لايكاد يَفْتُر ، فإذا كان السَّحر احتبَى واستقبل البحر فجعل يبكى وينوح على نفسه .

---

(١) من هنا إلى نهاية ترجمة سعيد بن عطارد ، ساقط من ق . والمثبت عن ط .

(٢) بفتح العين وتشديد الباء : مدينة على الخليج العربى ، وهى اليوم مركز تكرير النفط الإيرانى ومرفأ تصديره .

(٣) الوبِئ والوبىء والموبوء : الذى كثر فيه الوباء .

قال : فإذا أَحسَّ بإنسان أَمسك . قال : فخرجت ذات ليلة إلى الساحل فإذا أَنا بصوته وإذا هو يبكى ويقول فى بكائه :

أَلا ياعَينُ وَيحكِ أَسْعِدينِى بِطُول الدَّمع فى ظُلَم اللَّيالِى
لعلَّكِ فى القيامة أَن تَفوزِى بخَيْر الدَّهر فى تلك العَلالِى

قال فلما أَحسَّ أَمسك فرجعت وتركتُه

٦٣٥ — عابد آخر :

سَلْم بن زُرعة بن[١] حماد أَبو المرضى ، شيخ بعبّادان له عبادة وفضل ، قال : مَلُحَ الماءُ عندنا منذ نَيِّفٍ وستِّين سنة وكان ههنا رجل من أَهل الساحل له فضل قال : ولم يكن فى الصهاريج شىءٌ وحضَرت المغربُ فهبطتُ لأَتوضَّأَ للصلاة من النهر ، وذلك فى رمضان وحرّ شديد فإذا أَنا به وهو يقول : سيدى أَرضيتَ عملى حتى أَتمنى عليك أَم رضِيتَ طاعتى حتى أَسأَلك ؟ سيِّدى غُسالة الحمَّام لمن عَصاك كثير ، سيِّدى لولا أَنى أَخاف غَضَبك لم أَذق الماءَ ولقد أَجْهَدَنى العطش .

قال : ثم أَخذ بكفيه فشرب شربًا صالحًا فتعجَّبت من صَبْره على مُلوحته فأَخذتُ من الموضع الذى أَخذ فإذا هو بمنزلة السكَّر فشربت حتى رَويت .

قال أَبو المرضى : فقال لى هذا الشيخ يومًا : رأَيتُ فيما يرى النائم كأَن رجلاً يقول لى : قد فرغنا من بناءِ دارك لورأَيتها قرّت عيناك وقد أُمِرنا بنَجْدها[٢] والفراغ منها إلى سبعة أَيام واسمها السّرور ، فأَبشر بخير فلما كان اليوم السابع وهو يوم الجمعة بكرَ للوضوء فنزل فى فى النهر وقد مدّ[٣] فزلق فغرق فأَخرجناه بعد الصلاة فدفنَّاه .

---

(١) ب : عن .
(٢) أى تزيينها . وفعله (نجد) بتخفيف الجيم المفتوحة .
(٣) أى زاد ماؤه وارتفع .

قال أَبو المرضى فرأَيته بعد ثالثةٍ فى النوم وهو يجيءُ إلى القَنْطَرة وهو يكبِّر وعليه حُلَلٌ خُضْر فقال لى : يا أَبا المرضى أَنزَلَنِى الكريم دار السّرور فما أَعدَّ لى فيها ؟ فقلت : صف لى فقال : هيهات يعجز الواصفون عن أَن تنطق أَلسنتُهم بما فيها ، فاكتسِبْ مثل الذى اكتسبتُ وَلَيْتَ أَنَّ عيالى[1] يعلمون أَنْ قد هُيِّىءَ لهم[2] منازل[3] معى ، فيها كلّ مااشتهت أَنفسهم ، نعم وإخوانى وأَنت معهم إن شاءَ الله . ثم انتبهتُ .

٦٣٦ ـــ عابد آخر :

العطار قال سمعت بشر بن الحارث يقول رأَيت رجلاً على ساحل عَبَّادَان قد قطع الجذام يديه ورجليه وقد ذهب بصره فجعلت أَنظر إليه وأَقول فى نفسى : مجذومٌ مكفوفٌ قال فصاحَ وقال : من ذا المتكلف الذى يدخل بينى وبين مولاى قال بشر فَأَدَّبَنِى قوله .

٦٣٧ ـــ عابد آخر :

على بن سعيد العطار قال مررت بَعبَّادان بمكفوفٍ مجذوم وإذا الزّنبور يقع عليه فيقطِّع لحمه فقلت الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به وفتَح من عينى ما أَغلق من عينك.

قال . بينما أَنا أُردّد الحمد إذ صرخ ، فبينا هو يتخبّط. نظرتُ إليه فإذا هو مُقْعَد فقلت مكفوف يُصرع مُقعد ، مجذوم . قال : فما استتممت حتى صاح : يامتكلّف مادخولك فيما بينى وبين ربِّى؟ دعه يفعل بى ماشاءَ . ثم قال : وعزّتك وجلالك لوقطَّعتَنى إرْبًا إرْبًا أَوصببتَ علىَّ البلاءَ صبًّا ما ازْدَدْتُ لك إلّا حُبًّا رضى الله عنه .

---

(١) ق : أهل . وأثبت ما فى ط .

(٢) ق : لى .

(٣) ب : مبارك .

٦٣٨ — عابد آخر :

عابد بَعبَّادان قال مكثت ستة أَيام لم أَطعم شيئًا . قال : قلت أُجرّب نفسى على الصبر . فلما كانت الليلة السابعة دخل فى قلبى من ذلك سرور ، ورأَيت أَنى قد صبرت وعملت شيئًا فإِذا بقائل يقول : لم تبلغ كُنْهَ الصابرين ، إنما الصابرون المستقلّون لأَعمالهم[١] الخائفون عليها من فَسادها ، الوَجِلون من ردّها عليهم ، فأُولئك هم الصابرون .

٦٣٩ — عابد آخر :

أَحمد بن محمد البزّاز قال : كنت بعبّادان وكانت ليلة عاشوراءَ ، فدخلت إلى دار السَّبِيل فرأَيت فقيرًا جالسًا يأْكل خبز الشعير وملحًا جَرِيشاً[٢] فاحترق قلبى عليه وكان معى أَلف دينار للتفرقة بعبّادان فسأَلت عنه فَقيل[٣] ؛ هو أَفضل مَن ههنا فى الزهد ومنازلة الفقر فقلت فى نفسى : أَعطيه الدنانير التى معى فإِنّى لاأَعرف المستحقِّين .

فلما أَصبحنا قصدتُه وسلَّمت عليه وجلست إليه وباسَطنى وباسطتُه فقلت له : رأَيت الشيخ البارحة يأْكل خبز الشعير وملحاً جَرِيشًا وأَعلم أَنه كان صائماً فحملت إليه شيئًا ليتحكم فيه . وقدّمت إليه الكيس وقلت له هو أَلف دينار فشدّد النظر وقال : خذه فإِن هذا جزاء مَن أَفشى سرّه إلى الناس .

٦٤٠ — عابد آخر :

أَبو الخير الأَسود المعروف بالعسقلانى قال : كان بعبّادان رجل زنجى مُفلفَل الشعر يأْوى الخَربات[٤] ، فحملت معى شيئًا وطلبته

---

(١) يجدونها قليلة بالقياس إلى ما يجب عليهم نحو ربهم .

(٢) الجريش والمجروش : ما طحنته غير ناعم . ق : جريشياً ، تحريف .

(٣) ط : فقالوا .

(٤) مفردها : خربة (بكسر فسكون) و (خربة) بفتح فكسر . ق : الخرابات . وأثبت مافى ط .

فلما رفع بصره تبسّم وأشار بيده إلى الأَرض ، فرأيت حوالىّ حيث أرى دراهم ودنانير تلمعان . ثم قال لي : هات مامعك فناولته وهربت وهالنى أمره .

٦٤١ — عابد آخر :

عبد الله بن محمد قال : كتب إلىّ إسحاق بن موسى الأَنصارى يذكر أن عبّاد بن كليب حدثهم قال : كنت بعبّادان فرأيت شابًا من قريش عليه جبة صوف فسمعته يقول : إنَّ لله عِبادًا يستروِحون إلى الغُموم فقلت : يرحمك الله تلبس الصوف؟ فقال : إنما أنا عبد فإذا أُعتِقت لبست فذكرت ذلك لشريك فقال : ما أكره الصّوف لمثل هذا ، ماخَرج هذا الكلام إلا من كَنز .

٦٤٢ — عابد آخر :

بحر أبو يحيي العابد قال : رأيت عابدًا بعبّادان يبكى عامة الليل والنهار فقلت له : يا أخى كم تبكى فازداد بكاءً ثم قال لى : فما أَصنعُ إذا لم أَبك ؟ فما أَصنع إذا لم أَبك؟ وغُشِى عليه .

ومن عابدات عبادان

٦٤٣ — عابدة :

صالح بن عبد الله قال . خرجنا إلى عبّادان منذ نحوٍ من ستّين سنة ، فلما صِرْنا،عند الجبل فى بعض تلك السِّكك ومعنا قارىء لنا فقرأ فإذا امرأة على سطحٍ فصرخت ثم سقطت من السطح فحُمِلت فأُدخِلت دارًا ثم مابرحنا حتى ماتت .

قال : ونُودِى فى أَهل البصرة فما رأيت يومًا أَحسن ولاأَكثر جمعًا من ذلك اليوم إنْتَهىٰ ذِكْرُ أَهْل عَبّادان .

٦٤٤ — ذكر مجنون بمهرجان قذق(١) :

أبو همام ، إسرائيل بن محمد القاضي قال : كان بمهرجان قَذق رجل يقال له سابق وكان معتوهًا ذاهب العقل قد توحَّش فكان مأْواه الخَرِبات والغِياض والمقابر قال : وكنت أحب أن أُكلّمه وأسمع جوابه . فقيل لى يومًا : هو فى المقابر . فقمت حافيًا فدخلت المقابر فإذا أنا به منكّس رأْسه فى قبر ، فلم يعْلم حتى سلَّمت فرفع رأْسه فقال : وعليكم السلام .

قال : وهِبْته فانقطعت ولم أتكلَّم ، فرأى ذلك فىّ فقال : ياإسرائيل خفِ الله خَوْفًا لايَشْغلك عن الرّجاء فإنك إن ألزمت قلبك الرجاء شغَلْته عن الخوف ، وفِرّ إلى الله ولاتفرّ منه فإنَّه مُدركك ولن تعجزه ، ولاتُطع المَخْلوقَ فى معصية الخالق واعلم أن لله تعالى يومًا تشخص فيه القلوب والأَبصار ، مُهطِعين مُقْنِعى رُؤُوسهم لايرتدّ إليهم طَرفهم وأفئدتهم هواء(٢).

قال : ثم قام فتخطَّى حائطًا ومَضى(٣) فى الخرابات(٤) فقلت للذى يحفر القبور : إذا جاءَ فَأْتِنى فأَعْلِمْنى .

فمكث شهرًا أو أكثر ، قال : وأتانى الرجل فقال : قد دخل الساعةَ المقابرَ فقمت إليه فى غير نَعل ولارداءٍ ، فلما بَصُرَبى وَلىّ وأَسرعتُ فقلت : ياسابق لاأعود إليك بعد اليوم . فوقف فقلت : علِّمنى كلمات أدعوبهنّ فقال : إنَّ آخذَ(٥) الكلام للقلوب ماجاءَ من

---

(١) لم يذكر هذا الموضع ياقوت ولا صاحب معجم ما استعجم .

(٢) اقتباس من الآيتين ٤٢ ، ٤٣ من سورة إبراهيم . (٣) ط : فمضى .

(٤) كذا فى النسخ . وهى عامية ، والصواب : الخربات ، بكسر الراء وفتح الخاء ، والخرائب .

(٥) كذا فى ق . وهى كذلك فى المطبوعة ، إلا أن أصحابها صوبوها فى صفحة الاستدراك إلى « أخذ » بفتح الخاء وتشديد الدال .

القلوب وإنَّ أَفضلَ الأَعمال ما أُكرِهَت عليه النفوسُ . ثم قال : قل اللهم اجعل نظَرى عِبرة ، وسكوتى فِكْرة ، وكلامى ذِكْرًا ثم ولّى مسرعًا .

ذكر من اصطفى من أهل تستر (١)

٦٤٥ — سهل بن عبد الله بن يونس التسترى يكنى أبا محمد رضى الله عنه:

العباس بن أَحمد قال : سمعت سهل بن عبد الله يقول : آلة الفقير ثلاثة أَشياء : حِفْظ سرّه ، وأَداء فرضه ، وصيانة فَقره .

أَبوبكر الجَوزى قال : سمعت سهل بن عبدالله يقول : ليس كلّ مَن عملَ بطاعة الله صار (٢) حبيب الله ، ولكن من اجتنب مانَهى الله عنه صار حبيب الله ولايجتنب الآثامَ إلَّا صديق مقرَّب وأَما أَعمال البرّ فيعملها البرّ والفاجر .

أَخبرنا محمد . قال : أَنا حمد قال : أَنا أَحمد بن عبد الله قال : سمعت أَبا الحسن بن مقسم يقول : سمعت أَبا بكر محمد بن المنذر يقول : قال سهل بن عبد الله : من دَقّ الصراطُ عليه فى الدنيا عَرُض عليه فى الآخرة ، ومن عَرُض عليه الصّراط فى الدنيا دقَّ له فى الآخرة.

أَبو عبد الله محمد بن أَحمد بن سلمة قال : سمعت سَهْل بن عبد الله يقول : استَجلِبْ حَلاوةَ الزُّهد بِقِصَر الأَمل ، واقْطَع أَسباب الطَّمع بصِحَّة اليأْس ، وتعرّض لرقَّة القلب بمجالسة أَهل الذِّكر ، واستفتِح بابَ الحزن بطول الفِكر ، وتزيَّنْ لله بالصدق فى كل الأَحوال ، وإيَّاك والتَّسويف فإنه يُغرق الهلكى ، وإيَّاك والغَفلة فإنَّ فيها سواد القلب ، واستجلِبْ زيادة النِعَم بعظيم الشُّكر .

---

(١) ق : « المصطفين من أهل تستر » . وأثبت ما فى ط . وتستر : (بضم التاء الأولى وسكون السين وفتح التاء الثانية) : مدينة فى إيران (عربستان) .

(٢) ب : يصير .

أبو حفص بن شاهين قال : قرأت على جعفر بن محمد الثقفى ، سمعت سهل بن عبد الله يقول : أول الحجاب الدعوى فإذا أخذوا فى الدعوى حرموا .

أبوبكر أحمد بن محمد السائح قال : سمعت القاسم بن محمد صاحب سهل يقول سمعت سهل بن عبد الله يقول : ليس بين العبد وبين الله حجاب أغلظ من الدعوى ، ولاطريق أقرب إليه من الافتقار.

على بن سالم : سمعت سهل بن عبد الله ، وقيل له أىّ شىء أشدّ على النفس ؟ فقال : الإخلاص ، لأنه لها فيه نصيب .

محمد بن الحسن بن الصباح قال : سمعت سهل بن عبد الله يقول : أمسِ قد مات ، واليومُ فى النَزْع ، وغدٌ[١] لم يولد .

أبو العباس الخوّاص ، جارنا بالدّور ، قال ، كنت عند سهل ابن عبد الله وكنت أُحِبُّ شيئًا من أمره الذى كان يُسرّه ، وقد كنت سألت جماعة من أصحابه : من أين يَقتات ؟ فلم يقف أحد منهم على شىء فيخبرَنى به ، فجئت ليلةً إلى مسجده وهو قائم يصلّى فوقفت طويلاً وهو لايرجع حتى جاءت شاة فَزَحَمَتْ باب المسجد وأنا أرَاها ، فلما سمع سهل حركة الباب رَكَع وسجد وسلَّم وخرج إلى باب المسجد ففتحه وقدّم الشاة إليه ومسح يده عليها ، وقد كان أخرج معه قَدَحًا أخذه من طاقٍ فى المسجد فَحلَب وشَرِب ثم مسح يده عليها وكلّمها بالفارسية فذهبت فى الصحراء ، ودخل هو إلى المسجد وقام فى محرابه .

محمد[٢] بن الحسن بن الصباح قال : قال سهل بن عبد الله التُسْتَرى : مَن أراد أن ينظر إلى مجالس الأنبياء فلينظر إلى مجالس

(١) كذا فى ق . وفى ط : وغداً . (٢) من هنا إلى نهاية الترجمة ساقط من ق .

العلماء ويجيء الرجل فيقول : يافلان أيّ شيء تقول في رجل حلَف على امرأته بكذا وكذا ؟ فيقول طُلِّقت امرأته ، ويَجيء آخر فيقول بما[١] تقول فى رجل حلَف على امرأته بكذا وكذا فيقول : ليس يحنث بهذا القَول . وليس هذا إلّا لنبيّ أولعالِم فاعرفوا لهم ذلك .

أسْند سهل عن خاله محمد بن سوّار ، ولقى ذا النون ، وتوفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين ، وقيل ثلاث وسبعين – رضى الله عنه .

ومن المصطفين من أهل شيراز[٢]

٦٤٦ — ابو اسحق ابراهيم بن على بن يوسف الشيرازى :

ولد فى سنة ثلاث وتسعين وثلاث مائة ، وتفقَّه على جماعة منهم أَبو الطيّب الطَّبرى ، ودخل بغداد فى سنة خمس عشرة وأربعمائة ، وسمع الحديث من البرْقانى وأَبى علىّ بن شَاذان ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامه ، فقال له : ياشيخ فكان يفرحُ ويقول سمَّاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شيخًا .

وقال : كنت أَعِيد كل درس مائة مرة وإذا كان فى المسئلة بيتٌ يُسْتَشْهد به حَفِظت القصيدةَ كلَّها لأَجله ، وكان عاملاً بالعلم وصابرًا على خُشُونة العيش .

وقال يومًا لبعض أَصحابه : وَكَّلْتُك فى أَن تشترىَ لى دِبسًا بهذا القُرْص على وجه الآخر[٣] . فمضى واشترى وجاء به وشكّ بأَىِّ القُرْصَيْن اشترى؟ فما أَكل الشيخ ، وقال : لاأَدرى هل اشتريتَ بالقرص الذى وكَّلتُك فيه أَم بالآخر ؟

---

(١) كذا ، والأصوب : بم .

(٢) بلد عظيم مشهور فى بلاد فارس .

(٣) أى القرص الأعلى ، وتحته قرص آخر .

وكان يومًا يمشِي ومعه بعض أصحابه فَعَرَضَ فى الطَّريق كلبٌ فزجَره الصاحب ، فنهاه أبو إسحاق وقال : لِمَ طردتَه عن الطريق؟ أما علمت أن الطريق بينى وبينَه مُشْترك.

وقال أبو الوفاء ابن عقيل : شاهدت شيخنا أبا إسحاق لايُخْرِج شيئًا إلى فقير إلَّا أَحْضَر النيَّة ، ولايتكلم فى المسأَلة إلا قدّم الاستعانة بالله وإخلاص القَصد فى نُصْرة الحق دون التحسّن للخلق ، ولاصَنَّف مسأَلة إلَّا بعد أن صلى ركعات ، فلاجَرم شاع اسمه وانتشرت تصانيفه شرقًا وغربًا - هذه بركات الإخلاص . .

وتُوفى أَبو إسحاق فى سنة ست وسبعين[1] ورًئى فى المنام وعليه ثياب بيض وعلى رأسه تاج فقيل له : ما هذا البياض ؟ فقال : شَرَف الطاعة . قيل : والتاج ؟ قال عِزّ العلم . رضى الله عنه .

ومن المصطفين من أهل كرمان [2]

٦٤٧ - شاه بن شجاع الكرمانى :

يُكْنَيٰ أَبا الفَوارِس كانَ مِنْ أَبْناءِ المُلوكِ فَتَزَهَّد رضى الله عنه .

أَبو عبد الرحمن السلمى قال : سمعت جدّى أَباعمرو بن نَجِيد يقول : كان شاه بن شجاع حادّ الفِراسة . وقيل : مَاأَخطأَت فِراسته.

وكان يقول : من غضَّ بصره عن المَحارم وأَمسك نفسه عن الشهوات ، وعَمرباطنه بدوام المراقبة ، وظاهِرَه باتِّباع السُّنة ، وعَوّد نفسه أَكل الحلال لم تُخطِ [له] فِراسة .

---

(١) أى ٤٧٦ هـ .

(٢) كرمان (بفتح الكاف وقد تكسر) : بلد مشهور فى بلاد فارس .

ابن الحشا قال : قال شاه الكَرْمانى : مَنْ صَحِبكَ ووافقك على ما يحبّ ، وخالَفَك فيما يكره ، فإنما يَصحب هواه ، ومن صَحِبَ هواه فهو يطلب راحة الدنيا .

أَبوعليّ الأَنصارى قال : سمعت شاه بن شجاع الكرمانى يقول : لأَهل الفضلِ فضلٌ مالم يَروه ، فإذا رَأَوْه فلافضلَ لهم ، ولأَهل الولاية ولاية مالم يَروها ، فإذا رأَوها فلاولايةَ لهم .

صحب شاه بن شجاع أَباتراب النخشبى وأَباعبيد البسرى وغيرهما ، وَلانعلمه أَسند حديثًا .

وَحكى السُّلَمىّ عن عبد الله بن محمد الرازى قال : أَظنه مات بعد سبعين وَمائتين رضى الله عنه .

ومن المصطفين من أهل أرجان

٦٤٨ — عابدة(١) :

عَبد ربِّه الخواص قال : قالت كان بأَرَّجَان امرأَة فارسية تقول :(٢) يامولاى تدبّرتُ حكمتَك فى(٣) خلقك فإذا العدل منك يَقصمهم ، ثم رجعت بعدُ إلى معرفتى بسعة رحمتك . فعلمت أَنَّ عَفْوَك يسعهم ، مولاىَ أَخرت الخاطئين فلم تعجّل عليهم بالعقوبة فلقد أَطمعهم حُسن إنظارك(٤) لهم فى حُسن عفوك عن جرائم الخاطئين ، وما يمنعهم من ذلك وَقد تقدّم إلى الأُمم إحسانك قبل ذلك ؟ .

قال وكانت تنوح على نحو هذا الكلام وَتبكى رضى الله عنها .

---

(١) ط : رضى الله عنها .
(٢) ط : « قالت امرأة بأرجان فارسية » .
(٣) ط : بين .
(٤) الإنظار : الإمهال والتأخير .

ومن المصطفين من أهل سجستان

٦٤٩ ــ ابو داود السجستاني :

وَاسْمُهُ سُلَيْمان بْنُ الأَشْعَثِ بنُ إِسْحَاق كان من أكبر أئمة المحدّثين وعلمائهم بالنقل وَعِلَلِهِ ، ولم يسبقه أحد إلى مثل تصنيفه كتاب السنن ، وعرَضَه على أحمد بن حنبل فاستحسنه .

وقال ابراهيم الحربي : أُلِينَ الحديثُ لأَبي داود كما أُلِينَ الحديد لداود ، وجَمع مع علمه الورعَ والتَّقْوى .

أبوبكر بن راشد قال سمعت أبا داود يقول : كتبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خَمْسَ مائة ألف حديث وانْتَخَبْتَ منها ما ضمَّنته هذا الكتاب ، يعني كتاب السنن ، جمعت فيه أربعة ألف وثمان مائة حديث ، ذكرتُ الصحيح ومايُشبهه ومايُقاربه ، ويكفي الإنسانَ لدينه من ذلك أربعةُ أحاديث : أَحدُها : قوله صلى الله عليه وسلم (الأَعمال بالنيات)(١) والثاني : قوله صلى الله عليه وسلم : (من حُسن إسلام المرءِ تركُه مالايعنيه)(٢) والثالث : قوله صلى الله عليه وسلم (لايكونُ المؤمن مؤمنًا حتى يَرضى لأَخيه مايَرضاه لنفسه)(٣) والرابع : قوله صلى الله عليه وسلم (الحلال بَيِّن والحرام بيِّن ، وبين ذلك أُمور مشْتبهات)(٤) الحديث .

---

(١) الحديث صحيح بلفظ : « إنما الأعمال بالنيات . . . » أخرجه البخاري في سبعة مواضع ، ومسلم ، والترمذي ، وابن ماجة ، وأحمد ، والدارقطني والبيهقي . أما رواية (الأعمال بالنيات) فقد أخرجها ابن الجارود في المنتقى من طريق يحيى بن سعيد .

(٢) الحديث صحيح أخرجه الترمذي برقم ٢٣١٧ وابن ماجة ، وأحمد ، والطبراني في الأوسط .

(٣) الحديث صحيح بلفظ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه » . أخرجه البخاري في الباب السابع من كتاب الإيمان ، والترمذي برقم ٢٥١٧ والنسائي وابن ماجة والإمام أحمد .

(٤) الحديث صحيح ، أخرجه البخاري في الباب (٣٩) من كتاب الإيمان ، ومسلم والترمذي في البيوع ، والنسائي وأبو داود وابن ماجة .

عبيد الله بن أحمد بن يعقوب المقرِى قال : أخبرنى محمد بن بكر بن عبد الرزاق فى كتابه قال : كان لأَبى داود السجستانى كُمٌّ واسع وكُمٌّ ضيِّق ، فقيل له : يرحمك الله ما هذا ؟ قال : الواسع للكتب والآخر لا يُحتاج إليه .

عن ابراهيم عن علقمة قال : كان عبد الله يشبَّه بالنبى صلى الله عليه وسلم فى هَدْيه ودلَّه ، وكان علقمة يشبَّه بعبد الله .

وقال جرير بن عبد الحميد : كان ابراهيم يشبّه بعلقمة وكان منصور يشبَّه بابراهيم .

وقال يرر جرير : كان سفيان يشبَّه بمنصور .

وقال عمر بن أَحمد : قال أَبوعلى القُوهِسْتَانى : كان وكيع يشبَّه بسفيان . وكان أَحمد بن حنبل يشبَّه بوكيع ، وكان أَبوداود يشبَّه بأَحمد بن حنبل – رضى اللهُ عنهم .

أَبو بكر بن أَبى داود قال : سمعت أَبى يقول : الشهوة الخفيَّة حُبّ الرّياسة .

كتب [١] أَبو داود عن العراقيِّين والخراسانيِّين والشاميِّين والبصريِّين والجزَريِّين [٢] وغيرهم ، وسمع من مسلم بن ابراهيم وسليمان بن حرب وَخَلْقٌ لايُحْصَوْن ، وكتب عنه أَحمد بن حنبل حديثاً واحدًا وأَصله من سجستان ثم سكن البصرة وقدم بغداد مرارًا

وتُوفى بالبصرة سنة خمس وسبعين ومائتين .

---

(١) من هنا إلى نهاية ترجمة أبي عبد الله الديبلى ساقط من ق .

(٢) نسبة إلى الجزيرة .

ومن المصطفين من اهل ديبل (١)

٦٥٠ — ابو عبد الله الديبلى :

محمد بن منصور الطوسى قال سمعت أبا عبد الله الدَّيْبُلِىّ يقول : كلَّمنى بعض إخوانى مرةً أن أَشْترى لعيالى دارًا فاشتريت لهم دارًا وكان الله تعالى قد وهب لى طَىَّ الأَرض ، فقُصَّ جناحى ، فبعث إلىّ بعض إخوانى : إلْقِنَا الليلة فى موضع كذا وكذا على مَسَافةٍ من الأَرض ، فبعثتُ إليهم قد قُصَّ جناحى فادعوا لى فبعَثوا إلىّ صِلةً من الموضع الذى انقصَّ فرجعتُ فحرقْت الصَّكّ فردّالله علىّ ماكان ذهب منى .

ذكر المصطفين من عباد البحرين (٢)

٦٥١ — خليفة العبدى(٣) :

هلال بن دارم قال : كان خليفة العبدى جارًا انا بالبحرين فكان يقوم إذا هدأَت العيون فيقول : اللهم إلَيْكَ قمت أبتغى ما عندك من الخيرات . ثم يعمد إلى محرابه فلايزال يصلِّى حتى يطلع الفجر.

قال : وحدّثتنى عجوز كانت تكون معه فى الدار قالت : كنت أسمعه يدعو فى السُّجود يقول : هَب لى إنَابَة إخْباتٍ(٤) وإخْباتَ مُنيبٍ وزيِّنِّى فى خَلقك بطاعتك ، وحبِّبنى لديك بحسن خِدْمتك ، وأكرمنى إذا وفد إليك المتَّقون فأَنت خير مسئول وخير معبود وخيرُ مشكور وخير محمود .

(١) ديبل (بفتح الدال وضم الباء) : مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند .
(٢) ق : ومن المصطفين من العبيديين . والمثبت عن ط .
(٣) ط : رضى الله عنه .
(٤) التخشع أمام الله سبحانه والخضوع له والتواضع .

وقالت : كنت أسمعه إذا دعا فى السحر يقول : قام البَطَّالون وقُمت معهم ، قمنا إليك ونحن متعرّضون لجودكَ ، فكم مِنْ ذِى جُرْمٍ عظيم قد صفحتَ له عن جرمه ، وكم مِنْ ذى كَرْبٍ عظيم قد فرّجْتَ له عن كربه ، وكم من ذى ضُرٍّ كثيرٍ قد كشفتَ له عن ضُرّه ، فَبِعزَّتك ما دعانا إلى مسألتك بعد ما انطوينا عليه من معصيتك إلا الذى عرّفتَنَا من جودك وكرمك ، فأنت المؤمَّل لكل خير ، والمرجوّ عند كل نائبة .

بكر بن مصادر قال : قال خليفة العبدى ، وكان ممن ينظر بنور الله وينطق بحكمته : أصبح الخلق على خطر من الله عظيم ، وهم عن ذاك مُعرضون فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

قال : وكان خليفة قد أخلقه الدّؤوب والكَلَال .

يحيى بن بَسْطَام قال: قال ضيغم صلى خليفة العبدى حتّى انشقت قدماه .

٦٥٢ ـــ عابد آخر :

ابراهيم بن عيسى اليشْكرى قال : دخلت على رجل بالبحرين قد اعتزل الناس وَتَفرّغ لنفسه فذاكرته شيئًا من أمر الآخرة وذكر الموت ، قال : فجعل والله يشهق حتّى خرجت نفسه وأنا انظر إليه قال فدخلَ الناس عليه فقالوا : ياعبيد الله ما أردت إلى هذا ؟ لعلك أن تكون ذاكرته بشيءٍ من أمر الموت . قال : قلت أجل والله لقد كان ذلك . قال : فبكى رجل من جيرانه وقال : رحمك الله لقد خفت أن يقتلك ذكر الموت حتّى والله لقد قتلك . قال : ثم جهّزناه ودفنّاه رضى الله عنه .

٦٥٣ ـــ عابد آخر :

قال مِسمَع[1] : سمعت عابدًا من أهل البحرين يقول فى جوف الليل ، ونحن على بعض السواحل : قُرّةَ عينى ، وسرورَ قلبى ، ما الذى أسقطنى

(١) هو مسمع بن عاصم ، قال الذهبي في ميزان الاعتدال : قال العقيلي : لا يتابع على حديثه

من عَينك يا مانح العصم[١] قال : ثم صرخ وبكى ثم نادى طُوبى : لقلوب ملأَتْها خشيتُك واستولت عليها محبَّتك فمحبتك مانعة لها من كل لذة غير مناجاتك ، والاجْتهادِ فى خدمتك ، وخشيتُك قاطعة لها عن كل معصية خَوْفًا لحلول سُخْطك . ثم بكى وقال : يا إخوتاه ابكوا على خوف فَوتِ الآخرة حيث لارَجعة ولا حيلة .

ذكر المصطفيات من عابدات البحرين

٦٥٤ ــ منيفة بنت ابى طارق :

مسمع بن عاصم المسمعى قال : كانت بالبحرين امرأة عابدة يقال لها مُنيفة ، فكانت إذا هجم الليل عليها قالت : بخ بخ يانفس قد جاء سرور المؤمن . فتتحزَّم وتلبس وتقوم إلى محرابها فكأنها الجذْع القائم حتى تصبح ، فإذا أَصبحت وأَمكنتْ الصلاة فإنما هى فى صلاة حتى يُنادَى بالعصر ، فإذا صلَّت العصر هَجَعَتْ إلى غُروب الشمس هذا دَأْبَها . فقيل لها : لوجعلتِ هذه النومة فى الليل كان أَهدأ لبدَنك فقالت لاوالله لاأنام فى ظلمة الليل مادمت فى الدّنيا .

قال أَبوسفيان[٢] فحدثنى رجل من أَهلها قال : فمكثَت كذلك أَربعين سنة ثم ماتت .

قال أَبوسفيان[٢] فحدثنى رجل من البحرين يقال له عامر بن مُليك قال : رأَيت مُنيفة بعد موتها فى منامى فقلت : يامُنيفة ماحالُ الناسِ هناك؟ فاقبلت علىّ وقالت : عن أىّ حالهم تسْأَل؟ الدارُ واحدة لأَهل الطاعة يتعالَوْن فيها بالأَعمال ، ولاتَسْأَل عن حالِ أَهل النار . قال : فبكيت والله من قوْلها لاتسأَل عن حال أَهل النار . ثم ولَّيت فأَتبعَتنى

---

(١) ط : ياصالح العضم .   (٢) ب : أبوسيار ، وسيأتى هكذا باتفاق النسختين (عن حاشية ط) . والعبارة لسيت فى، ق .

صوتًا : ياعامر عليك بالجدوالاجتهاد لعلّك أن تَجْرِىَ فى مَسَاعى السَّابقين غدًا . قال عامر : فمرضت واللهِ من هذه الرؤيا شهرًا .

قال أبوسيَّار : وحدثنى عامر بن مليك البحرانى عن أمه قالت : بتُّ ذات ليلة عند منيفة ابنةِ أبي طارق فما زادت على هذه الآية من أول الليل إلى آخره تردِّدها وتَبكى [١] وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وأَنتُم تُتلى عَلَيْكُمْ آياتُ الله وفيكم رَسوله ؟ ومَن يَعْتَصِمْ بالله فَقَدْ هُدِىَ إلى صراط مستقيم) [٢] .

٦٥٥ ــ ماجدة القرشية :

المنهال بن يحيى البصرى قال : حدثنى إياس بن حمزة ، رجل من أهلِ البحرين ، قال : قالت امرأة من قريش يقال لها ماجِدة ، كانت تسكن البحرين : طَوى أَملى طلوعُ الشمس وغروبُها ، فما من حركة تُسمع ولا من قَدم تُوضع إلا ظننْتُ أَن الموت فى أَثرها .

وكانت تقول : سكان دارٍ أُوذِنوا بالنقلة [٣] وهم حيارى يركضون فى المُهْلة كأَنَّ المراد غيرُهم ، أَو التَّأْذِين ليس لهم والمعنَّى بالأَمر سواهم ، آه من عقولٍ ما أَنقصها ، ومن جهالةٍ ما أَتمَّها بؤسًا لأَهل المعاصى ماذا غُرّوا به من الإمهال والاستدراج .

وكانت تقول : بسطوا آمالهم فأَضاعوا أَعمالهم ، ولونصبوا الآجال وطَوَوا الآمال خفَّت عليهم الأَعمال .

وكانت تقول : لم ينل المطيعون مانالوا من حُلول الجنان ورضا الرحمن إلَّا بتعب الأَبدان لله والقيام لله بحقه فى المنشط والمكره .

وكانت تقول : كفى المؤمنين طولُ اهتمامهم بالمَعاد شغلاً .

---

(١) ب : وتبكى وتقول . (٢) آل عمران ١٠١ .

(٣) أعلموا بالارتحال . وهو مثل لسكان الدنيا .

وكانت تقول : لورأت أعين الزاهدين ثواب ما أعدّ الله لأهل الإعراض عن الدنيا لَذَابَتْ أنفسُهم شَوْقًا إلى الموت لينالوا من ذلك ما أمّلوه من تفضّله تعالى ، رضى الله عنه .

ذكر المصطفيات من عابدات البحرين المجهولات الأسماء

٦٥٦ — عابدة :

عن عبد الواحد بن زيد قال : رأيت امرأة بالبحرين تَنْشِجُ على الآخرة نَشِيجًا ، كلّما نَشَجت نشجةً قلتُ : نفسُها خارجة معها .

قال : فحرصت على أن أجارِيَهَا شيئًا من الخير فلم أقدر على ذلك فكان أولَ ما حفظتُ عنها وآخرَهُ أن قالَت : تَشَاغَلْ أيها المرءُ بنفسك ، فوالله ما هممتُ قطّ بموعظة أعظ بها غَيْرى إلا حال تقصيرى فيما بينى وبين ذلك ، ولئن كان المرءُ لايعِظ أحدًا حتى يتّعظ لقد أمكن[١] إبليسَ من نفسه يقوده حيث يشاء ، والله ما أنا بحامدة لنفسى فى ذلك ولودّ إبليس أنه قدر على ذلك من جميع الخلق كما قدَر عليه منىّ ، فلم يكن أحد يَحُضّ على طاعة الله ولكن مُرْ أيّها المرء بالبِرّ وإنْ لم تَسْتطعه ، واحذَر أن تنهَى عن الشرّ وتأتيَه .

ومن المصطفين من أهل اليمامة

٦٥٧ — يحيى بن أبي كثير مولى لطيئ :

كان من أهل البصرة فتحوّل إلى اليمامة ويكنى أبانصر . كذا قال البخارى .

البخارى قال : قال موسى : سمعت وهيبًا يقول : سمعت أيوب يقول : ما بقِيَ على وجه الأرض مثل يحيي بن أبى كثير .

مسدّد قال : سمعت عبد الله بن يحيي بن أبى كثير قال : سمعت أبى يقول : لايأتى العلم براحة الجسد .

---

(١) جواب القسم فى (لئن) وهو متقدم على الشرط ، فكان الجواب للسابق .

مسدّد : ثنا عبد الله بن يحيي بن كثير قال سمعت أبي يقول : ميراث العلم خير من الذهب ، والنفس الصالحة خير من اللؤلؤ .

حميد الكندى قال : سمعت يحيي بن أبي كثير يقول : تَعَلُّم الفِقْهِ صَلاةٌ ، وقِرَاءَةُ القرآن ودراستُه صلاةٌ[1] .

الأوزاعى قال : حدثنى يحيي بن أبي كثير قال : العالم مَن يخْشَى الله عزوجل .

يحيي بن عبد الله قال : أنبأ يحيي بن أبي كثير قال : يقول الناس : فلان الناسك ، وإنما الناسك الورِع .

عن أبي عمرو ، عن يحيي بن أبي كثير قال : ماصلَح منطق رجل إلا عرفت ذلك فى سائر عمله .

الوليد قال : سمعت الأوزاعى يقول : قال يحيي بن أبي كَثير إنَّ ذِكرك حَسناتك ونسيانك سيّئاتك غِرّةٌ .

عن الأوزاعى عن يحيي أنه قال له رجل : إنِّى أُحبك قالَ : قد عرفتُ ذلك من نفسي .

عامر بن يساف قال : كان يحيي بن أبي كثير حسن اللباس حسن الهيئة ، ومات ولم يترك إلَّا ثلاثين درهمًا كفّنوه بها .

أسند يحيي عن أنس وابن أبي أوفى وغيرهما من الصحابة ، وتوفى سنة تسع وعشرين ومائة .

قال أبونعيم ، الفضل بن دُكين : وقال ابن المدينى : سنَة ثنتين وثلاثين ومائة .

---

(١) ط : ودراسة القرآن صلاة .

٦٥٨ — عابدة من البحرين او اليمامة :

عن ابن يسار يعنى مسلمًا قال : قدمت البحرين أو اليمامة فى تجارة فإذا أنا بالناس مُقبلين ومُدبرين نحو منزل ، فقصدت إليه فإذا أنا بامرأة جالسة فى مصلىً لها ، عليها ثياب غليظة وإذا هى كئيبة محْزونة قَليلة الكلام ، وإذا كلٌّ ما رأيتُ ولُدها وخَوَلها[١] وعَبيدُها والناس إليهم بالبياعات والتّجارات . فقضيت حاجتى ثم أتيتها فودّعتها فقالت : حاجتُنا إليك أن تأْتينا إن عُدت إلينا لحاجة فتنزل بنا حاجتك .

قال : فانصرفتُ فلبثت حينًا ثم إنّى توجهت إلى بلدها فى حاجة فلما قدِمتها لم أرَدُونَ منزلها شيئًا مما كنتُ رأيت ، فأتيت منزلها فلم أر أحدًا . فأتيت الباب فاسْتَفتَحْتُ فإذا أنا بضحك امرأةٍ وكلامها ففُتحَ لى فدخلت فإذا بها جالسة فى بيت وإذا عليها ثياب حسنة رقيقة وإذا الضحك الذى سمعت ضحِكُها وكلامُها ، وإذا امرأة معها فى بيتها فقط ، فاستنكرت وقلت : لقد رأيتك على حالَيْن فيهما عَجَبٌ : حالك فى قدْمتِى الأُولى وحالُك هذه . قالت لاتعجُب فإن الذى رأيت من حالى الأُولى أَنّى كنتُ فيمارأيتَ من الخير والسعة ، وكنت لاأُصاب بمصيبة فى ولَد ولافى خَوَلٍ ولامالٍ ولاأُوجّه فى تجارة إلا سلِمَتْ ، ولايُبتاعُ لى شئٌ إلا أربح فيه فتخوّفت أن لايكون لى عند الله عزَّ وجل خير ، فكنت مُكْتَئِبةً لذلك ، وقلت : لوكان لى عند الله خيرٌ ابتَلانى . فَتوَالتْ علىّ المصائب فى وَلَدِى الذى رأيتَ ، وخوَلى ومالى ، فما بقى لى منه شئٌ ، ورجوت أن يكون

---

(١) ولدها : خبر المبتدأ (كل) و(ما) اسم موصول . والخول : العبيد والإماء و[illegible]

الله عزوجل قد أَرادنى خيرًا فابتلانى ، وذكرنى ففرحت لذلك ، وطابت نَفْسى .

قال : فانصرفت فلقيت عبد الله بن عمر فأَخبرته خبرها فقال : أَرى واللهِ هذه مافاتها أيوب النبى صلى‌الله عليه وسلم إلَّا بقليل ، لَكنى قد تخرق مطرفى هذا ، أو كلمة نحوها[١] ، فأَمرت به أن يصلح فلم يُعمل كما[٢] كنتُ أَريد فأَحزننى ذلك . انتهى ذكر أَهل البحرين

ذكر المصطفين من أهل الدينور

٦٥٩ ـــ ممشاد[٣] الدينورى رضى الله عنه :

أَبوبكر الرّازى قال : قال ممشاد : طريقُ الحق بعيدٌ والصبر مع الحق شديد .

وقال : ما أَقبح الغفلة عن طاعة مَن لايغفل عن بِرّك ، وعن ذكر مَن لايغفل عن ذكرك .

وقال : صحبة أَهل الصلاح تُورث فى القلب الصلاح ، وصحبة أَهل الفساد تورث فيه الفساد .

صحب ممشاد يحيى الجلاء[٤] ونُظَرَاءه من المشايخِ ، وتُوفى فى سنة تسعٍ وتسعين ومائتين رضى الله عنه .

٦٦٠ ـــ ابو الحسن على بن محمد بن سهل الصائغ الدينورى :

ممشاد قال : خرجت ذات يوم إلى الصحراء فبينما أَنا مارّ إذا أَنا بِنَسر قد فَتح جناحه فتعجّبت منه فاطلعت فإِذا بأَبى الحسن الصائغ الدِّينَوَرىّ قائم يصلِّى والنسر يُظلّه .

---

(١) قوله : « أو كلمة نحوها » شك منه واحتراس .

(٢) ط : على ما .

(٣) ممشاد : بالدال فى النسخ . وكذا فى الحلية والطبقات الكبرى للشعرانى . وفى طبقات الصوفية للسلمى بالذال .

(٤) تقدم برقم ٣٩٠ .

أبو عثمان المغربى قال : لم أر فيمن رأيت من المشايخ أكثر هيبة من أبي الحسن الصائغ .

أسند أبو الحسن الحديث وتوفى بمصر سنة ثلاثين وثلاث مائة .

٦٦١ — ابو جعفر الدينورى(١) رضى الله عنه

أبو بكر الكتّانى قال : رأيت كأن القيامة قد قامت ، فأول مَن خرج من عند الله عز وجل أبوجعفر الدّينورى وكتائبُه بيمينه وهو يضحك ، ثمَّ خرج ابراهيم الخوّاص بَعده وكتابه بيمينه وهو يدرس القرآن .

ومن المصطفين من أهل همذان

٦٦٢ — يوسف بن أيوب الهمذانى رضى الله عنه

قدِم بغداد بعد الستّين والأربعمائة ، وتفقّه على أبي إسحاق الشّيرازى حتى برَع فى الفقه والنظر ، ثم اشتغل بالتعبّد فاجتمع فى رِباطه بمروخَلْقٌ زائد على الحدّ من المنقطعين إلى الله تعالى .

وكان يقول : دخلت جبل زرّ(٢) لزيارة عبد الله الخونى فوجدت ذلك الجبل كثير المياه والشجر معمورًا بالأولياء ، على رأس كل عينٍ واحدٌ من الرجال مشتغل بالمجاهدة ، فطفْتُ عليهم ولا أعلم فى ذلك الجبل حجرًا لم تُصبه دَمْعتى .

ثم عاد يوسف ودخل بغداد فى سنة ست وخمسمائة ووعظ بها ووقع له القبول التام ، فقام إليه رجل متفقّه يقال له ابن السّقّاء ، فآذاه فى مسْألةٍ فقال له : اجلس فإنّى أجد مِنْ كلامك رائحة الكفر ولعلّك تموت على غير دين الإسلام .

---

(١) هذه الترجمة ساقطة من ق . والدينورى (بكسر الدال وفتح النون والواو) نسبة إلى (الدينور) وهى مدينة مشهورة فى بلاد فارس .

(٢) لم يذكره صاحبا معجم البلدان ومعجم ما استعجم .

فاتّفق بعد مدة أن ابن السقاء خرج إلى بلاد الروم وتنصّر . وقام يومئذ إلى يوسف شابّان فقيهان فقالا له : إن كنت تتكلّم على مذهب الأشعرى وإلا فَلا تتكلّم . فقال : اجلسا لامتّعكما الله بشبابكما . فماتا ولم يبلغا الشيخوخة .

ومن المصطفين من أهل قزوين

٦٦٣ — والان بن عيسى ، أبو مريم القزوينى رضى الله عنه

السرىّ بن يحيى بعبّادان ، عن وَالّان بن عيسى أبى مريم ، رجلٍ مِنْ أَهْلِ قَزْوِينَ كانَ مِنَ الصَّالحينَ قالَ : غَرَّنِى القَمَرُ(١) لَيْلَةً فَخَرَجْتُ إلى المسجد فصلّيت ماقضى الله لى ، وسبّحت ودعوت . فغلبتنى عيناىَ ، فرأيت جماعة أعلم أنهم ليسوا من الآدميين بأيديهم أطباق عليها أرغفة ببياض الثلج ، فوق كل رغيف دُرٌّ أمثالُ الرمّان ، فقالوا كُلْ . قلت أريد الصّوم . قالوا : يأمرك صاحب هذا البيت أن تأكل. فأكلت وجعلت آخذ ذلك الدرّ لأحتمله فقيل لى : دعه نغرِسْه لك شجرًا يُنبت لك خيرًا من هذا . فقلت : أين ؟ فقيل . فى دارٍ لا لاتخرب ، وثمر لايتغير ، ومُلكٍ لاينقطع ، وثياب لاتبلى ، فيها رضىً وغنىً(٢) وقُرْة العين أزواج وَضِيئات(٣) مرْضِيّات راضيات ، لايغَرن ولايُغَرن ، فعليك بالانكماش(٤) فيما أنت فيه ، فإنّما هى غفْوة حتى ترتحل فتنزل الدار .

فمامكث إلا جُمعتين حتى تُوفىّ .

---

(١) أى خدعه ، حتى ظن أن الفجر قد اقترب أوظهر . وفى ط : اغترنى . ثم صوبت فى صفحة الاستدراك إلى « اغترب » ! !

(٢) ط : رضى وقرة . (٣) مفردها وضيئة وهى النظيفةالحسنة . وفى ط:رضيات .

(٤) الانكماش : الإسراع .

قال السرى بن يحيى . فرأيته فى الليلة التى تُوفىّ فيها وهو يقول لى : لاتَعجب(١) من شىءٍ غُرس لى يوم حدّثتُك(٢) وقد حَمل . قلت : حَمل بماذا ؟ قال . لاتسأَل بمالا يَقدِر على صفته أَحد ، لمْ يُر مثلُ الكريم إذا حلّ به مطيع . رضى الله عنه .

ذكر المصطفين من أهل أصبهان

٦٦٤ — محمد بن يوسف بن معدان :

أَبوعبد الله الأَصبهانى رضى الله عنه . كان ابن المبارك يسميه عَرُوس الزهّاد يحيى بن سعيد القطان قال : مارأيت رجلاً أَفضل من محمد بن يوسف الأَصبهانى . وسمعت ابن مهدى يقول : مارأيت مثل محمد بن يوسف الأَصبهانى .

يحيى بن سعيد القطان قال : كنت إذا نظرت إلى محمد بن يوسف رأَيت رجلاً كأَنه قد عَايَنَ الموت .

قال الدورق : وسمعت رجلاً من أَهل أَصبهان يحدّث عن عبد عبد الرحمن بن مهدى قال : كتب أَخو محمد بن يوسف إلى محمد ابن يوسف يشكو إليه جَوْر العمال . فكتب إليه : يا أَخى بلغنى كتابك تَذْكر ما أَنتُم(٣) فيه وإنه ليس يَنْبغِى لمن عمل بالمعصية أَن ينكر العقوبة وما أَرى ما أَنتم فيه إلا شؤم الذُّنوب .

عطاء بن مسلم الحلبى قال : كان محمد بن يوسف الأَصبهانى يختلف إلىّ عشرين سنة لم أَعرفه ، يجىءُ إلى الباب فيقول : رجلٌ غريب يسأَل حتى رأَيته يوماً فى المسجد فقيل لى : هذا محمد بن يوسف الأَصبهانى . فقلت : هذا يختلف إلىّ منذ عشرين سنة لم أَعرفه .

---

(١) ب : « يقول ألا تعجب » . (٢) قط : حديثك .
(٣) قط : أنت .

أبو حاتم قال : بلغنى عن ابن المبارك قال : قلت لابن إدريس : أريد الثغر ، فَدُلَّنى على أفضل رجل به . فقال : عليك بمحمد بن يوسف الأصبهانى . فقلت فأين يسكن ؟ قال : المصيّصة[١] ويأتى السّواحل .

فقدم عبد الله بن المبارك المصيّصة فسأل عنه فلم يُعرف فقال ابن المبارك : من فضلك لاتُعرف .

يوسف بن زكريا قال : كان محمد بن يوسف لايشترى زَادَه من خَبَّازٍ واحد ، ولا من بقَّال واحدِ ، وقال : لعلهم يعرفونى فيحابُونى فأكون ممن يعيش بدِينه .

سعيد بن عبد الغفار قال : قلت لمحمد بن يوسف . أَوْصِنِى . فقال . إن استطعت أن لايكون شىء أهمَّ إليك من ساعتك فافعلْ .

أيوب بن مَعمر قال حدَّثونى بالبصرة أن محمد بن يوسف كان يأوِى بالليل إلى دار امرأة . قالت : فكان يدخل بعد العشاء ثم يخرج عند طلوع الفجر فلا ينصرف إلى العشاء . قالت . وكان يدخل بيتًا فى الدار ويردّ على نفسه الباب . قالت . فذهبت ليلة فاطَّلعتُ فى البيت فرأيت عنده سِرَاجًا يُزهِر[٢] قالت . ولم يكن فى البيت سِراج قالت : ففطن محمد أنّا اطَّلعنا عليه فخرج من الغد ولم يَعُد إلينا .

قال عبد الرحمن بن مهدى . رأيت محمد بن يوسف فى الشتاء والصيف ، فلم يكن يضع جَنْبه .

---

(١) المصيصة (بفتح الميم وتشديد الصاد الأولى) ، ويجوز تخفيفها : مدينة من ثغور الشام على شاطىء جيحان ، بين أنطاكية وبلاد الروم ، تقارب طرسوس . وكانت من مشهور ثغور الإسلام ، وقد رابط بها الصالحون قديماً .

(٢) يزهر : يضىء .

محمد بن أبي رجاء ومحمد بن قتيبة أوأحدهما : أن محمد بن يوسف خرج فى جنازة بالمصّيصة فنظر إلى قبر أبي إسحاق الفزارى ومخلد بن الحسين ، وبينهما موضع قبر . فقال لو أن رجلاً مات فدفن بينهما .

قال : فما أتت عليه إلا عشرة أيام أونحوها حتى دُفن فى الموضع الذى أشار إليه .

أدرك محمد بن يوسف التَّابعين : فروى عن يونس بن عُبيد الأعمش ، وقد روى عن الثورى والحمَّادَيْن وصالح المرّىّ وغيرهم إلا أنه لم يكد يسند حديثًا إنما كان يرسل الحديث شغلاً بالتعبد عن الرواية .

وتوفى سنة أربعٍ وثمانين ومائة ولم يكمل له أربعون سنة .

٦٦٥ — ابو اسحاق ابراهيم بن عيسى الأصبهانى :

كانت عِبَادته تُشبه عبادة الملائكة : قليلةً يقوم إلى قريب الفجر ثم يركع ويتمّها ركعتين ، وليلةً يركع إلى قريب الفجر ثم يسجد ويتمها ركعتين ، وليلةً يسجد إلى قريب الفجر ثم يركع ويتمّها ركعتين ، ثم يدعو فى آخر الليل لجميع الناس ، ولجميع الحيوان والبهائم والوحْش ، ويقول فى اليهود والنصارى : اللهم اهْدِهِم ، ويقول فى التجّار : اللهمّ سلِّم تجاراتِهم .

وصحب معروفًا الكرخى وتوفى سنة تسعٍ وأربعين ومائتين .

٦٦٦ — أبو عبيد الله محمد بن يوسف البناء(١) :

كان يُفتِى الناس بالأجْرة فيأْخذ منها دَانقًا لنفقته ويتصدّق بالباقى ،ويختم كلّ يوم ختمة . ولقى ستمائة شيخ ،وكتب الحديث الكثير .

---

(١) هو جد المحدث المشهور أبي نعيم الأصبهانى لأمه ، وأبو نعيم هو صاحب كتاب حلية الأولياء ودلائل النبوة وغيرها .

وبلغنى عن أبى علىّ بن شاذان قال : سمعت أباجعفر محمد بن قتادة (١) يقول : سمعت محمد بن يوسف يقول : كنت بمكة فكنت أدعو الله عز وجل وأقول : يارب إما أن تُدخلَ قلبى المعرفة أَو اقبضْنى إليك ، فلاحاجة لى فى الدنيا والحياة بلا معرفة .

قال : فرأيت فى النوم كأن قائلاً يقول : إن أردت هذا فصم شهرًا ولاتكلِّم أحدًا من الناس فيه ، ثم ادْخُل قبَّةَ زمزم وسَلْ الحاجة . ففعلت ذلك وختمتُ كلّ يوم ختمة . فلما انقضى الشهر على ذلك دخلتُ قبة زمزم ورفعتُ يدى . ودعوت الله عز وجل ، وسألته الحاجة فسمعت من البئر هاتفًا يقول : يا ابن يوسف اختَر أَيّما أَحبّ إليك : العِلمَ مع الغنى والدنيا أَم المعرفةَ مع الفقر والقلب ؟ فقلت : المعرفة مع الفقر والقلب . فسمِعت من البئر ، قد أُعطِيت ، قد أُعطيتَ .

وكان محمد بن يوسف من المتدينين الأتقياء — تُوفىّ فى سنة ست وثمانين ومائتين .

٦٦٧ — أبو جعفر احمد بن مهدى بن رستم :

محمد بن حيان قال : كان أحمد بن مهدى ذامال كثير نحو ثلثمائة ألف درهم ، فأنفقه كلَّه على العلم ، وذُكِر أنه لم يُعرف له فراش أربعين سنة .

قال أحمد بن مهدى : جاءتْنى امرأة ببغداد ليلةً من الليالى فذكرَتْ أنها من بنات الناس ، وأنها امْتُحِنَتْ بمحنة وأَسْأَلك بالله أَن تسترُنى. فقلت : ومامحنَتك ؟ فقالت : أُكرِهتُ على نفسى ، وأَنا حُبلى ، وذكرتُ للناس أنك زَوْجى وأَن مابى من الحبَل منك ، فلا تفضحْنى ،

(١) هذا ما فى قط . ب : فادة . والعبارة ليست فى ق .

استرنى سَتَرك الله . فسكتُّ عنها ومضت . فلم أشعر حتى وَضَعتْ وجاءَ إمام المحلَّة فى جماعة الجيران يهنّئونى بالولد فأظهرتُ لهم التهلُّل ووزنت فى اليوم الثانى دينارين ودَفَعْتهما إلى الإمام فقلت : أبلغ هذا إلى تلك المرأة لتنفقَه على المولود فإنه سَبَق ما فَرَّقَ بينى وبينها . فكنت أدفع كل شهر دينارين وأوصله إليها بيد الإمام وأقول : هذه نفقة المولود إلى أن أتى على ذلك سنتان ثمّ توفى المولود فجاءنى الناس يعزّونى ، فكنت أُظهِر لهم التّسْليم والرّضا فجاءتنى المرأة ليلة من الليالى بعد شهر ومعها تلك الدنانير التى كنت أبعث بِها بيد الإمام فردَّتْها وقالت : ستَرك الله كما ستَرتنى . فقلت : هذه الدنانير كانت صلةً منى للمولود ، وهى لك فإنّك رَبَّيتِهِ[(١)] فاعملى فيها ماتريدين .

أسند أبوجعفر الحديث الكثير[(٢)] .

٦٦٨ — على بن سهل بن الأزهر أبو الحسن الأصبهانى :

كان من المُتْرفين فتزهّد فكان يبقى الأيام الكثيرة لايأكل .

أبو حامد أحمد بن عبد الله بن رسته ، وكان من أصحاب على بن سهل ، قال : قال على بن سهل : استولى علىّ الشّوقُ فألْهانى عن الأكل.

أبو بكر محمد بن عبد الله الطبرى قال : سمعت علىّ بن سهل بن الأزهر يقول : المبادرة إلى الطاعات من علامات التّوفيق ، والتقاعُد عن المخالفات من علامات حُسن الرّعاية ، ومراعاة الأسرار مِن علاماتِ التيقّظ ، وإظهار الدّعاوى من رُعونات البشريّة ، ومن لم تَصح مَبادى إراداته لايَسلم فى مُنتَهى عَواقبه .

---

(١) قط : لأنك تربينه . ب : لأنك كنت تربينه .

(٢) بعدها فى ط : والسلام .

أحمد بن عبد الله قال : سمعت أبي و يره من أصحاب على بن سهل أنه كان يقول : ليس مَوتِى كَموْتِكم باعلال وأسقام ، إنما هو دعاء وإجابة أُدعَى فأُجيبُ . فكان كما قال : كان يومًا قاعدًا فى جماعة فقال : لبيَّك ووقعَ ميتًا .

أبوجعفر الأصبهانى قال : قال علىّ بن سهل بن أزهر ، أستاذى رحمة الله عليه : إنى لاأموت كما يموت أحدكم : يمدّ رجلاً ويرفع أُخرى ، إنما يُصاحُ بى ياعلىّ بن سهل ! فأقول : لبيّك .

فبينا هو جالس ذات يوم قال . لبيك ، وتمدَّد فإذا هو ميت أو كما قال .

قلت : كان علىّ بن سهل من أحسن الناس إشارة ، وكان يكاتب الجُنيد فيقول الجُنَيْد[١] . ما أشبَه كلامه بكلام الملائكة ، وتوفى سنة سبع وثلمائة .

٦٦٩ ــ عابد اصبهانى

عن عبد الواحد بن زيد قال : خرجنا أنا وفَرْقَد السَّبَخِى ومحمد ابن واسع ومالك ابن دينار نزور أخًا لنا بأرض فارس . فلما جَاوَزْنا (مَهُرْمُز) إذا نحن برجل مجذوم متفطّر قَيْحًا ودمًا . فقال له بعضنا : ياهذا لودخلتَ هذه المدينة فتداويت وتعالجت من بلائك هذا . فرفع طرفه إلى السماء ثم قال : إلٰهى أتيتَ بهؤلاء ليُسخطونى عليك ؟ لك الكرَامة والعُتبى بأن لاأخالفك أبدًا .

---

(١) الجنيد : صوفى ، من العلماء بالدين ، عاش فى بغداد . وتوفى سنة ٢٩٧هـ .

ذكر المصطفين من أهل الرى

٦٧٠ — جرير بن عبد الحميد بن جرير الرازى :

على بن المدِينى قال : كان جرير بن عبد الحميد الرازى صاحبَ ليلٍ ، وكان له رَسَن[١] يقولون : إذا أعيا تعلّق به . يريد أنه كان يصلىٍّ .

سفيان بن عُيينة قال : قال لى ابن شُبْرُمَة : عجبًا لهذا الرّازى ، يعنى جرير بن عبد الحميد ، عرضتُ عليه مائة درهم فى الشّهر من الصّدقة فقال : يـأخذ المسلمون كلُّهم مثلَ هذا ؟ قلت : لا . قال : فلاحاجة لى فيها .

ولد جرير سنةَ عشر ومائة وفيها مات الحسن . ورأى أيوب السختيانى وسمع من مغيرة وحُسين ومنصور بن المعتمر ، فى خلق كثير ، وتوفى سنة ثمان وثمانين ومائة .

٦٧١ — المعلى بن منصور الرازى :

يحيى بن معين قال : كان المعلّى بن منصور الرازى يومًا يُصلِّى فوقع على رأسه كُور الزنابير[٢] فما التفت ولا انفتل حتى أتمَّ صلاته فنظرُوا فإذا رأْسه قد صار هكذا من شدة الانتفاخ .

٦٧٢ — ابو اسحق الدولابى :

صاحب كرامات محمد بن منصور الطوسى قال : جئت مرة إلى معروف الكَرْخى فعَضّ[٣] أنامله وقال : هاه لو[٤] لحقتَ أبا إسحاق الدّولابى ، كان هنا[٥] الساعة يسلم علىّ فذهبت أقوم فقال لى : اجلس لعلّه[٦] قد بلغ منزله بالرىّ .

---

(١) يريد الحبل .
(٢) هو عش الزنابير وموضعها .
(٣) قط : فقبض على أنامله .
(٤) لو ، هنا : حرف تمن .
(٥) ط : ههنا .
(٦) ب : لعله يكون .

٦٧٣ — ابو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد الرازى :

كان من كبار الحفّاظ. وسادات أهل التقوى .

عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : سمعت أبي يقول : ماجاوزَ الجسْرَ[١] أحفظُ. من أبي زُرعة .

أبوعبدالله محمد بن مسلم بن واره يقول : كنت عند إسحاق ابن ابراهيم ، فقال رجل من أهل العراق : سمعت أحمد بن حنبل يقول : صحّ من الحديث سبعمائة ألف حديث وكَسْر ، وهذا الفتى -يعنى أبا زُرْعة - قد حفظ. ستمائة ألف .

محمد بن إسحاق الصّاغانى قال فى حديث ذكره من حديث الكوفة ، فقال : هذا أفادَنيه أبو زُرعة . فقال له بعض من حضَر : يا أبابكر أبوزُرعة من أولئك الحفّاظ الذين رأيتهم ؟ وذَكر جماعة من الحفاظ. منهم الفَلّاس . فقال : أبوزرعة أعلاهم لأنه جَمع الحفظ. مع التقوى والورَع ، وهو يُشبَّه بأحمد بن حنبل .

أبو العباس محمد بن جعفر بن حمدويه الرّازى قال : سئل أبو زُرعة الرازى عن رجل حلَف بالطلاق أن أبا زُرعة يحفظ. مائتى ألف حديث هل حَنث؟ فقال : لا. ثم قال أبوزُرعة : أحفظُ. مائتى ألف حديث كما يحفَظ. الإنسان « قل هو الله أحد »[٢] . وفى المذاكرة ثلثمائة ألف .

أحمد بن سعيد الدّارِمى قال : صلّى أبوزرعة الرّازى فى مسجده عشرين سنة بعد قدومه من السفر ، كان يومٌ من الأيام قدِم عليه قوم من أصحاب الحديث ، فنظروا فإذا فى محرابه كتابةٌ ، قالوا

---

(١) أى اجتازه وقطعه . ويريد به جسراً معيناً معروفاً لديهم .

(٢) الإخلاص : ١ .

له : كيف تقول فى الكتابة فى المحاريب ؟ فقال : قد كَرِهَه قوم ممَّن مضى . قالوا له هُوَ ذا فى محرابك كتابة أَوَما علمت به؟ قال : سبحان الله ، رجل يدخل على الله تعالى ويَدرِى مابين يديه .

أَبو جعفر التُسْتَرى قال : حضرنا أَبا زُرعة وكان فى السوق ؛ وعنده أَبو حاتم . ومحمد بن مسلم والمنذر بن شَاذَان وجماعة من العلماء،فذكروا حديث التَّلقين ، وقولَه عليه السلام «لَقِّنوا مَوْتاكم لاإله إلا الله[(١)]» فأَستحْيَوْا من أَبى زُرعة وهابوا أن يلقِّنوه ، فقالوا تعالَوْا نذكر الحديث فقال محمد بن مسلم أَنبأَ الضحاك بن مخلد عن عبد الحميد بن جعفر ابن صالح ولم يجاوز ، والباقون سَكَتوا ، فقال أَبو زرعة وهو فى السَّوْقِ : ثَنَا بندار قال : ثنا أَبوعاصم قال : ثنا عبد الحميد بن جعفر ، عن صالح بن أَبى غريب ، عن كثير بن مرّة الحضرمى ، عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَن كان آخرُ كلامه لاإله إلا الله وتُوفّى رحمه الله[(٢)]» .

أَسند أَبوزرعة عن خلاَّد بن يحيى وأَبى نعيم ، وقبيصة ، وخلقٍ كثير ، وجالَس أَحمد بن حنبل وذاكَره . وكان أَحمد إذا ذَاكَره يترك الشّغل ويشتغل بمذاكرته .

وتوفّى بالرىّ آخر يوم من ذى الحجة سنة أَربعٍ وستين ومائتين ، وكان مولده سنة مائتين .

أَحمد بن محمد ، أَبو العباس المرادى قال : رأَيت أَبا زُرعة فى المنام فقلت يا أَبا زرعة ما فعل الله بك؟ فقال : لقيت ربّى عزوجل فقال

(١) الحديث صحيح أخرجه مسلم فى الجنائز ، والترمذى برقم ٩٧٦ وأبوداود برقم ٣١١٧ والنسائى وابن ماجة .

(٢) الحديث صحيـح اخرجه ابو داود في الجنائز واحمد بن حنبل في المسند ٥/٢٣٣ ونحوه في البخاري في الجنائز .

لى : يا أبا زرعة إنّى أوتىَ بالطفل فآمر به إلى الجنة فكيف بمن حفِظ. السُّنن على عِبادى؟ تَبوّأْ مِن الجنة حيث شئتَ .

٦٧٤ — يحيى بن معاذ بن جعفر الرازى :

يكنى أبا زكريا . نَزيل الريّ ، ثم انتقل إلى نيسابور فسكَنها وبها مات وكانوا ثلاثة إخوة : إسماعيل ويحيي وابراهيم ، فاسماعيل أكبرهم سنًا ، ويحيي أوسطهم ، وإبراهيم أصغرهم ، وكانوا كلهم زهادًا[١] .

محمد بن محمود السمرقندى قال : سمعت يحيي بن مُعاذ الرّازى يقول : الكلامِ الحسن حَسن ، وأحسن من الحسن معناه[٢] وأَحسن من معناه استعمالُه وأَحسن من استعماله ثَوابه ، وأحسن من ثوابه رِضا مَن يُعْمَل له .

قال : وسمعت يحيي يقول : إلّهى حُجّتى حاجتى وعُدّتى فاقتى ، وَسِيلتى إليك نعمتُك علىّ ، وشفيعى إليك إحسانُك إلىَّ .

طاهر بن إسماعيل قال : سمعت يحيي بن معاذ يقول : الذى حجَب الناس عن التوبة طولُ الأَمل ، وعلامة التائب إسْبال الدّمعة ، وحبّ الخلوة ، والمحاسبة للنفس عند كل هَمّة .

عن أبي عمران قال : سمعت يحيي بن معاذ يدعو : اللهمِ لاتجعلنا ممن يدعو إليك بالأَبدان ويَهْرُب منك بالقلوب ، يا أكرمِ الأَشياء علينا لاتجعلْنا أهون الأَشياء عليك .

الحسن بن علويه يقول : سمعت يحيي بن معاذ يقول : عَمَلٌ كالسراب ، وقلبٌ من التقوى خراب ، وذُنوب بعدد الرّمل والتراب ، ثمِ تطمع فى الكواعب الأَتراب ؟ هيهات ، أنت سكران بغير شَرَاب ،

---

(١) ب : عباداً . وهذا الخبر ليس فى ق .   (٢) ط :وأحسن من الكلام معناه.

ما أَكْمَلك لو بادرت أَملك ، ما أَجلَّك لو بادرت أَجلك ، ما أَقواك لو خالفتَ هواك .

محمد بن إسماعيل بن موسى قال : سمعت يحيي بن معاذ الرازى يقول : كيف أَمتنع بالذنب من الدعاء ولاأَراك تمتنع بذنبى من العطاء ؟

أَبوبكر بن طاهر قال : كان ليحيي بن معاذ أَخ يقال له إسماعيل، وكان أَكبرَ منه ، فقال رجل : مع مَنْ يريد أَنْ يَعيش أَخوك يحيي وقد هَجر الخلق؟ قال : فذكر ذلك ليحيي فقال له يحيي : أَلاقلتَ له : مع من هجَرهم فيه ؟ .

الحسن بن علويه الدّامغانى قال : سمعت يحيي بن معاذ يقول : ذَنْب أَفْتَقِر به إليه أَحبّ إلىّ من طاعة أَفتخِر بها عليه .

عبد الله بن سهل قال : سمعت يحيي بن معاذ يقول : ليكن حظ المؤمن منك ثلاثًا : إن لم تنفعْه فلاتضرّه ، وإن لم تُفرحْه فلاتغمّه ، وإن لم تمدحْه فلا تذمّه .

الحسن بن علويه قال : سمعت يحيي بن معاذ يقول : على قناطر الفِتن جاوزوا إلى خزائن المِنَن . وسمعته يقول : إلٓهى كيف أَفرح وقد عصيتُك؟ وكيف لا أَفرح وقد عَرَفتك ؟ وكيف أَدعوك وأَنا خاطىء ؟ وكيف لاأَدعُوك وأَنت كريم ؟ .

جامع بن أَحمد قال : سمعت يحيي بن معاذ الرازى يقول : ليكن بيتَك الخلوةُ وطعامَك الجوعُ ، وحديثَك المناجاةُ فإمَّا أَنْ تموت بدائك أَوتصل إلى دوائك .

مكحول بن الفضل النَّسفى قال : قال يحيي بن معاذ : مصيبتان

لم يسمع الأوّلون والآخرون بمثلهما فى ماله[١] عند موته . قيل ماهما ؟ قال يُؤْخَذُ منه كلُّه ويُسْأَل عنه كله .

عبد الله بن سهل قال : قال يحيي بن معاذ الكيّس من عمال الله يلهج بتقويم الفرائض والجاهل يعنى بطلب الفضائل وتقويم الأعمال فى تصحيح العزائم .

الحسن بن علويه قال : سمعت يحيي بن معاذ الرازى يقول : هلمّ يا ابنَ آدم إلى دخول جوار الله تعالى بلاعمل ولانَصَب ولاعَنَاء ، أنت بين مامضى من عمرك ومابقى ، فالذى مضى تُصلحه بالتوبة والندم وليس شيئًا عملته بالأركان فإذا أنت (إنما هو أمر نويتَه وتمتنع فيما بقى من الذنوب وامتناعك إنما هو شيء نويتَه وليس شيئًا عملته بالأركان فإذا أنت ـ [٢]) نجوت بغير عمل مع القيام بالفرائض وهذا ليس بعمل وهو أكبر الأعمال لأنه عمل القلب والجزاء لايكون إلّا على عمل القلب .

الحسن بن علويه قال : سمعت يحيي بن معاذ يقول : دواء القلب خمسة أشياء ، قراءة القرآن بالتفكر ، وخلاء البطن وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين .

وسمعته يقول : إذاكنت لاترضى عن الله كيف تسأله الرضا عنك .

الحسن بن على بن يحيي قال : قال يحيي بن معاذ : لولا أن العفو من أحب الأشياء إليه[٣] ما ابتلَى بالذنب أكرمَ الخلق عليه .

---

(١) أى فى مال الإنسان . وهو مفهوم من السياق . وفى ق : (بمثلها) بدل (بمثلهما) تحريف .

(٢) ما بين قوسين من قط ، وليس فى ب ، وأكثر هذه العبارات ليس فى ق .

(٣) أى إلى الله تعالى .

عبد الله بن سهل الرازى قال : سمعت يحيي بن معاذ يقول : كم من مستغفر ممقوت وساكتٍ مرحوم . ثم قال يحيي : هذا استغفَر الله وقلبُه فاجر ، وهذا سكت وقلبُه ذاكِر .

أحمد بن عبد الجبار المالكى قال : سمعت يحيي بن معاذ الرازى يقول حقيقة المحبة أنها لاتزيد بالبرّ ولاتنقص بالجَفاءِ .

السّرىّ بن سهل قال : سمعت يحيي بن معاذ يقول : الناس ثلاثة : رجل شغله مَعادُه عن معاشه ، ورجل شغله معاشُه عن معاده ورجل مشتغل بهما جميعًا ، فالأُولى دَرَجة الفائزين ، والثانية درجة الهالكين ، والثالثة درجة المُخاطِرين .

الحسن بن علويه قال : سمعت يحيي بن معاذ يقول : ليس بعارفٍ من لم يكن غاية أَمله من ربه العفْوُ .

عبد الله بن صالح قال : قال يحيي بن معاذ : الزاهدون غُرباءُ الدنيا والعارفون غُرباء الآخرة .

محمد بن الحسين بن المعلى(١) البلخى قال سمعت يحيي بن معاذ يقول : يابن آدم طلبتَ الدّنيا طلبَ مَنْ لابدّ له منها ، وطلبتَ الآخرة طلبَ مَن لاحاجة له إليها ، والدنيا قد كُفيتَها وإن لم تطلبها ، والآخرة بالطَّلب منك تَنالها فاعقل شأْنك .

عبد الله بن سهل الرازى قال : سمعت يحيي بن معاذ يقول مَفاوِز الدنيا تُقْطع بالأَقدام ، ومَفَاوِز الآخرة تُقْطع بالقلوب — وسمعته يقول يا ابن آدم لايزال دينك متمزّقًا مادام قلبك بحب الدنيا مُتَعلقًا .

وسمعته يقول ، وقيل له من أىّ شيءٍ دَوَامُ غَمّك ؟ قال : من شيءٍ واحد قيل : ماهو ؟ قال : خلقنى ولاأَدرى لم (٢) خلقنى .

(١) ب : العلاء . (٢) ط : لما .

وسمعته يقول ، لايفلحُ من شَمَمْت منه رائحة الرياسة .

وسمعته يقول : من سعادة المرء أن يكون خصمه فهمًا وخَصْمى لافهم له . قيل له : ومن خَصمك؟ قال : نفسى تبيع الجنة بما فيها من النعيم المقيم بشهوة ساعة .

وسمعته يقول : للتائب فخر لايعادله فخر ، فرح الله بتوبته .

أبو العباس بن حكمويه الرازى قال : سمعت يحيى بن معاذ الرازى يقول : لاتَسْتبطىء الإجابة إذا دعوتَ وقد سَدَدْتَ طُرقاتِها بالذنوب .

وسمعته يقول : إلهى إن كانت ذنوبى عَظُمت فى جنب نهيك فإنها قد صَغُرت فى جنب عفوك .

وسمعته يقول : لوسمع الخلق صوت النِّياحة على الدنيا فى الغيب من أَلسنة الفَناء لتساقطت القلوب منهم حُزنًا ، ولو رأَت العقول بعيون الإيمان نزهة الجنة لَذَابت النفوس شَوْقًا ، ولو أَدركت القلوب كُنْه المحبة لخالِقها لانْخَلَعَتْ مفاصلها ولَهًا ، ولطارت الأَرواح إليه من أبدانها دَهَشًا ، سبحان من أَغفل الخليقة عن كنه هذه الأَشياء ، وأَلْهَاهم بالوصف عن حقائق هذه الأَنباء .

الحسن بن على قال سمعت يحيى بن معاذ يقول الليل طويل فلا تُقَصّره بمنامك ، والنهار نقىٌّ فلا تُدَنِّسْه بآثامك .

عبد الله بن سهل قال : سمعت يحيى بن معاذ يقول حُفَّت الجنة بالمكاره وأَنت تكرهها ، وحُفَّت النار بالشهوات وأَنت تَطْلبها ، فما أَنت إلا كالمريض الشديد الداء ، إن صَبَّر نفسَه على مَضَض الدواء اكتسبَ بالصّبر عافِيةً وإنْ جَزِعَت نفسه ممايلقى طالت به عِلَّة الضّنا .

عبد الله بن محمد بن وهب قال : سمعت يحيى بن معاذ يقول أَلا إن العاقل المصيب من عمل ثلاثًا : تركَ الدنيا قبل أَن تتركه ، وبنى قبره قبل أَن يدخله ، وأَرضى ربه قبل أَن يلقاه .

وسمعته يقول : الدنيا خراب ، وأخربُ منها قلبُ مَن يَعمُرها ، والآخرة دار عُمران ، وأَعمَرُ منها قلبُ مَن يَطْلبها .

وسمعته يقول : أخوك من عرّفك العيوبَ ، وصديقك من حذَّرك من الذنوب .

وسمعته يقول : عجبت ممن يحزن على نُقْصان ماله كيف لايحزن على نقصان عمره .

وسمعته يقول : على قدر خوفك من الله يَهابك الخلق ، وعلى قدر حبّك لله يحبك الخلق ، وعلى قدر شغلك بالله يشتغل الخلق بأَمرك .

محمد بن محمود السمرقندى قال : سمعت يحيي بن معاذ يقول : إنْ قال لي يومَ القيامة : عبدى ، ماغرّك بى ؟ قلت : إلّهى بِرُّك بى .

وسمعته يقول ، وسئل : أَرِنا عارفًا[١] ، قال : وأَين أَنتم فأُريكم ؟ عجبًا لقوم عَمُوا عن العُرفَاء يطلبون الخلفاءَ .

وسمعته يقول : استسلم القوم عندما فهموا .

وسمعته يقول : من قوة اليقين ترك مايُرى لما لايُرى .

وسمعته يقول : أَيها المريدون إن اضطُررتم إلى طلب الدنيا فاطلبوها ولاتحبّوها ، وأَشغلوا[٢] بها أَبدانكم وعلِّقوا بغيرها قلوبكم ، فإِنَّها دار مَمَرّ وليست بدار مَقرّ ، الزاد منها[٣] والمَقيل فى غيرها .

وسمعته يقول : رضى الله عن قوم فغَفر لهم السّيئات ، وغضب على قوم فلم يَقْبل منهم الحسنات .

---

(١) أى عارفاً بالله . ق : «وقيل له» بدل «وسئل» . وأثب مافى ط .
(٢) ط : أشغلوا .
(٣) ق : فيها ، وأثبت مافى ط .

وسمعته يقول : يا ابنَ آدم ، مالك تأسف على مفقود لايردّه عليك الفَوْت؟ ومالك تفرح بموجود لايتركه فى يديك الموت ؟

وسمعته يقول : التوحيد فى كلمةٍ واحدة ، ماتصوّر فى الأوهام فهو بخلافه .

وسمعته يقول : طاعة لاحاجة بى إليها لاتمنعنى مغفرة لاغَناء بى عنها .

وسمعته يقول : هو أَلْقَاهم فى الذنب يوم سمَّى نفسه العفوّ الغفور .

وسمعته يقول :ذنب أفتقر به إليه أَحب إلىَّ من عمل أُدِلّ به عليه .

وسمعته يقول : إلهى كيف لاأرجوك تغفِرلى ذنبًا رجاؤُك أَلقانى فيه . ؟

وسمعته يقول : إن الحكيم يَشْبع من ثمار فيه[١] .

وسمعته يقول : كيف أحب نفسى وقد عَصَتْكَ[٢] ؟ وكيف لاأحبها[٣] وقد عَرَفَتْك. ؟

وسمعته يقول : إن وضع علينا عدله لم تبق لنا حسنة ، وإن أتى فضلُه لم تبق لنا سيئة .

وسمعته يقول : إن غفرتَ فخيرُ راحمٍ ، وإن عذّبتَ فغير ظالم

وسمعته يقول : إلٓهى ضيعتُ بالذنب نفسى ، فارْدُدْها بالعفو علىّ .

وسمعته يقول : إلٓهى ارحمنى لِقُدرتك علىّ أَوْلحاجتى إليك .

وسمعته يقول : مسكين مَن عِلْمُهُ حَجيجُه[٤] ولسانه ، وفهمه القاطع لعذره[٥] .

وسمعته يقول : ذنوب مزدحمة على عاقبة[٦] مبهمة . ثم قال : إلٓهى سلامة إن لم تكن كرامة .

---

(١) أى فمه . (٢) ط : عصيتك .

(٣) ق : أحبها . والتصويب من ط .

(٤) أى الذى يحاجه . (٥) كذا فى النسخ . (٦) ط : عافية .

وسمعته يقول ، وسئل : ماالعبادة ؟ فقال : حرفةٌ حانوتُها الخلوة ورِبْحها الجنة .

وسمعته يقول : يامن ربَّانى فى الطَّريق بنِعَمِه ، وأشار لى فى الورود إلى كرمه معرفتى بك دليلى عليك ، وحبّى لك شفيعى إليك .

وسمعته يقول : يامن أعطانا خير ما فى خزائنه : الإيمانَ به قبل السؤال ، لاتمنعنا عفوك مع السؤال .

وسمعته يقول : إلٓهى إن إبليس لك عدوّ وهو لنا عدو ، وإنَّك لاتَغِيظه بشىءٍ هو أنكأُ له من عَفْوك، فاعف عنَّا يا أرحم الرّاحمين .

وسمعته يقول : يامن يغضب على مَن لايسأله ، لا تمنع مَن قَدْ سأَلك .

وسمعته يقول : لاتقع للمؤمن سيئة إلا وهو خائف أن يؤخذ بها ، والخوف حسنة فيرجو أن يعفى عنها والرجاء حسنة .

وسمعته يقول : إلٓهى لاتنس لى دلالتى عليك وإشارتى بالربوبية إليك ، رفعتُ إليك يداً بالذنوب مغلولةً ، وعيناً بالرجاءِ مكحولةً ، فاقْبلنى لأَنك ملك لطيف ، وارحمنى لأَنى عبدٌ ضعيف .

وسمعته يقول : هذا سرورى بك خائفًا ، فكيف سرورى بك آمنًا ؟ هذا سرورى بك فى المجالس فكيف سُرورى بك فى تلك المجالس؟ هذا سرورى بك فى دار الفناءِ فكيف يكون سرورى بك فى دار البقاءِ .؟

عبد الله بن سهل قال : سمعت يحيى بن معاذ يقول : من أَحبّ زينة الدنيا والآخرة فلينظر فى العلم ومن أَحب أن يعرف الزُّهد فلينظر فى الحكمة ، ومن أَحبّ أن يعرف مكارم الأَخلاق فلينظر فى فُنون الآداب ، ومن أَحبّ أن يَسْتَوْثق من أسباب المعاش فَلْيَسْتكثر من الإخوان ، ومن أَحبّ أن لايؤذَى فلايؤذِيَنّ ، ومن أَحب رِفعة الدنيا والآخرة فعليه بالتقوى .

وسمعته يقول : من خان الله عزوجل فى السرِّ هتكَ سِرَّه فى العلانية .

أبومحمد الإسكاف قال : سمعت يحيى بن معاذ يقول : لست آمركم بترك الدنيا ، آمركم بترك الذنوب ـ ترك الدنيا فضيلة وترك الذنوب فريضة ، وأنتم إلى إقامة الفريضة أحْوج منكم إلى الحسنات والفضائل ـ

الحسن بن عاويه يقول : سمعت يحيى بن معاذ يقول : لاتكن ممن يفضحه يومَ موته ميراثُه ، ويوم حشره ميزانُه .

الحسن بن علويه قال : سمعت يحيى بن معاذ يقول : الدنيا خمرُ الشيطانِ ، مَن سكِرَ منها لايُفيق إلا فى عَسكر الموتى نادمًا بين الخاسرين .

محمد بن محمود السمرقندى قال : سمعت يحيى بن معاذ يقول ، وقال له بعض الملحدين : أخبرنى عن الله ماهو؟ قال : إلٓه واحد . قال كيف هو؟ قال : ملك قادر . قال : أين هو؟ قال : بالمرصاد. قال ليس عن هذا سألتك . قال يحيى : فذاك إذًا صفة المخلوقين ، وأمّا صفة الخالق فما أخبرتك به .

سمع يحيى بن معاذ من اسحاق بن ابراهيم الرازى ومكى بن ابراهيم البلخى وعلى بن محمد الطنافسى وتوفى بنيسابور سنة ثمان وخمسين ومائتين والسلام .

٦٧٥ — ابراهيم بن احمد بن اسمعيل الخواص :

يكنى أبا اسحاق . أصله من سُرّ مَن رَأى ،لكنه أقام بالرّى ومات بها .

جعفر بن محمد الخلدى فى كتابه قال : سمعت إبراهيم الخوّاص يقول : سلكت البادية إلى مكة سبعة عشر طريقًا فيها طريقٌ مِن ذهب ، وطريقٌ من فضة .

أبو مسلم السقاء قال : سمعت بعض أصحابنا يحكى عن إبراهيم

الخوّاص أنه قال : كان لى وقتُ فَتْرة[(١)] ، فكنت أخرج كلّ يوم إلى شَطّ نهرٍ كبير كان حَوَاليه الخُوص ، وكنت أقطع شيئًا من ذلك وأسُفّه[(٢)] قِفافًا وأطرحه فى ذلك النهر فأتسلّى بذلك وكأنى كنت مطالبًا به . فجرى وقتى على ذلك أيامًا كثيرة فتفكرت يومًا وقلت . أَمْضى خلف ما أطرحه فى الماء من القِفاف لأنظر أين تذهب فمضيت على شاطىء النهر ساعات ولم أعمل ذلك اليوم فإذا عجوز قاعدة على شطّ النهر تَبكى ، قلت : مالك تبكين ؟ فقالت : لى خمسة من الأيتام مات أبوهم فأصابنى الفقر والشدة فأتيت يومًا هذا الموضع فجاء على رأس الماء قِفاف من الخوص فأخذتها وبعتُها وأنفقت عليهم ، وأتيت اليوم الثانى والثالث والقِفافُ تجىءُ على رأس الماء فكنت آخذُها وأبيعها ، واليوم ماجاءت . قال ابراهيم : فرفعت يدى إلى السماء وقلت : اللهم لوعلمت أن لى خمسةً من العيال لزدت فى العمل . وقلت للعجوز : لاتغتمّى فإنى الذى كنت أعمل ذلك . فمضيت معها فكانت فقيرة فقمت بأمرها وبأمْر عِيالها سنين . أو كما قال .

محمد بن زياد المقيم بكَلواذَى وكان قد بكى[(٣)] حتى ذهبت عيناه . قال : سألت ابراهيم الخوّاص عن أعجب ما رآه فى البادية فقال : كنت ليلة من الليالى فى البادية فنِمت[(٤)] على حَجَر فإذا أنا بشيطان قد جاء وقال : قم من هاهنا . فقلت : اذهب . فقال : إنى أرْفُسُك فتَهلِك . فقلت : افعل ما شئت . فرفَسنى فوقعَت رِجله علىّ كأنها

---

(١) أى استراحة أوتوقف عن العمل . ط : وقتاً ، تحريف . (٢) أنسجه .
(٣) بعدها فى ب وحدها : « وكان فريكاً » ؟ . وكلواذى ، بفتح أوله ، وآخره مقصورة : موضع قرب بغداد . (٤) قط : فقمت .

خِرْقة ، فقال : أنت ولىّ الله ، مَن أنت ؟ قلت : أنا ابراهيم الخواص. قال : صدقت . ثم قال : يا إبراهيم معى حلال وحرام ، فأما الحلال فرمّان من الجبل المباح ، وأما الحرام فحيتان[١] ، مررت على صيّادَيْن وهما يصطادان فَتَخَاوَنَا فأخذت الخيانة فكل أنت الحلال ودَع الحرام .

حامد الأسود قال : كنت مع إبراهيم الخوّاص فى سفر فدخلنا إلى بعض الغِيَاض فلما أدركنا الليل إذا بالسباع قد أحاطت بنا فجزعتُ لرؤيتها وصعدتُ إلى شجرة ، ثم نظرتُ إلى ابراهيم وقد استلقى على قفاه فأقبلَتِ السباع تلحَسُه من قَرنه إلى قدميه ، وهو لايتحرّك . ثم أصبحنا وخرجنا إلى منزل آخر وبِتنا فى مسجد فرأيت بَقّةً وقعت على وجه إبراهيم فلسَعتْه ، فقال : أَخّ . فقلت يا أبا إسحاق أىُّ شىء هذا التأوّه؟ أين أنت من البارحة؟ فقال : ذاك حال كنتُ فيه بالله ، وهذا حال أنا فيه بنفسى .

علىّ بن محمد الحلوانى قال[٢] : كان ابراهيم الخواص جالِسًا فى مسجد الرىّ وعنده جماعة إذ سَمع مَلاهِى[٣] من الجيران ، فاضطرب ن ذلك مَن كان فى المسجد وقالوا : يا أبا إسحاق ماتَرى ؟ فخرج ابراهيم من المسجد نحو الدار التى فيها المنكر فلما بلَغ طرف الزّقاق إذا كلب رابض فلما قرب منه ابراهيم نبح علَيْه وقام فى وجهه . فرجع ابراهيم إلى المسجد وتفكّر ساعة ثم قام مبادرًا وخَرجَ فمرَّ على الكلب فَبَصْبَصَ الكلبُ[٤] له فلما قرب من باب الدّار خرج إليه شابٌّ حسن الوجه وقال : أيها الشّيخ لِمَ انزعجت؟ كنتَ وجّهتَ ببعض من عندك فأَبْلُغ لك كلَّ ماتريد ، وعلىّ عهد الله وميثاقه

---

(١) ج : حوت . (٢) هذا الخبر مؤخر فى ق إلى نهاية ترجمة إبراهيم الخواص .
(٣) ط : ملاه ، تحريف صوابه : ملاه . (٤) حرك ذنبه .

لا شربتُ أبدًا وكسر جميع ماكان عنده من الشراب وآلتِه وصحب أهلَ الخير ولزم العبادةَ .

ورجع إبراهيم إلى مسجده فلما جلس سئل عن خروجه فى أول مرّة ورجوعه ، ثم خروجه فى الثانية وما كان من أمر الكلب ، فقال : نعم إنما نَبح علىّ الكلب لفسادٍ كان قد دخل علىّ فى عَقْدٍ بينى وبين الله لم أنتبه له فى الوقت ، فلما رجعت إلى الموضع ذكرته فاستغفرت الله عز وجل منه . ثم خرجت الثانية فكان ما رأيتم ، وهكذا كلّ من خرج لإزَالة منكَر فتحرّك عليه شىء من المخلوقات فلفسادِ عَقْدٍ بينه وبين الله عزوجل ، فإذا وقع الأَمر على الصحَّة لم يتحرك عليه شىء .

أَبوبكر بن محمد بن عبد الله الأَنصارى قال : سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد الخوّاص يقول : من لم يصبرْ لم يظفر ، وإن لإبليس وَثاقَيْن ما أُوثِق بنو آدم بأَوثقَ منهما : خوف الفخر والطَّمع .

الأَزدى قال : سمعت إبراهيم الخواص يقول : دواء القلب خمسة أشياءِ : قراءة القرآن بالتدبّر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرّع عند السحر ، ومجالسة الصالحين .

وقال : على قَدْرِ إعزاز المرء لأَمر الله يُلبسه الله من عزّه ، ويُقيم له العزَّ فى قلوب المؤمنين .

جعفر بن محمد الخلدى قال : سمعت إبراهيم الخواص يقول : من لم تَبْكِ الدنيا عليه لم تَضْحك الآخرة إليه .

خير النّساج قال : سمعت إبراهيم الخواص وقد رجع من سفره ، وكان غاب عنى سنين ، فقلت له ما الذى أصابك فى سفرك ؟ فقال : عَطِشت عطشًا شديدًا حتى سقطتُ من شدة العطش فإذا أنا بماءٍ قد رُشَّ على وجهى فلما أَحسست ، ببرْده فتحتُ عينى فإذا برجل حسن الوجه

والزّى ، وعليه ثياب خُضر ، على فرس أشهب فسقانى حتى رَوِيت ، ثم قال : ارتدِف خلفى وكُنت بالحاجر[١] . فلما كان بعد ساعة قال أىَّ شيء ترى؟ قلت : المدينة . فقال انزل واقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم منِّى السلام وقل : أخوك الخَضِر يسلِّم عليك.

وقد رَويت لنا هذه الحكاية من طريق آخر وفيها : قُلْ له : رِضوانُ يقرأ عليك السلام كثيراً[٢] .

عمر بن سفيان المنْبِجى قال : اجتاز بنا ابراهيم الخوّاص فقلت له : حدّثنى بأعجب ما رأيت فى أسفارك . قال : لقينى الخَضِر فسألنى الصحبة فخشيت أن يُفسد علىّ سرّ توكُّلى بسكونى إليه ، ففارقته.

محمد بن عبد الله الرازى قال : مرض ابراهيم الخواص بالرىّ فى مسجد الجامع وكان به علة القيام[٣] . وكان إذا قام يدخل الماء ويغتسل ويعود إلى المسجد فيركع[٤] ركعتين . فدخل مرّةً ليغتسلَ فخرجتْ روحه وتُوفىّ وسط الماء .

قلت : كان الخوّاص من أقران الجُنَيْد والنَّورى ، وصحب أبا عبد الله المغربى ، ولا نعرف له مسندًا . وتوفى فى جامع الرِّىّ سنة إحدى وتسعين ومائتين ، ويقال سنة أربعٍ وثمانين ، وتولىّ أمره فى غَسله ودفنه يوسف بن الحسين الرازى .

٦٧٦ — يوسف بن الحسين الرازى :

يكنى أبا يعقوب . محمد بن موسى الرازى قال : سمعت يوسف بن

---

(١) منزل للحجاج فى البادية .
(٢) قط : الكثير . ب : رضوان يسلم عليك كثيراً .
(٣) أى لايستطيع الجلوس . ق : ومرض بالقيام . وأثبت ما فى ط .
(٤) ط : ويركع .

الحسين يقول : علم القوم أن الله يَرَاهم ، واستحْيَوْا من نظره أن يُرَاعوا شيئًا سواه .

وقال : يتولَّد الإعجاب بالعمل من نسيان رؤية المنة .

فارس البغدادى قال : سمعت يوسف بن الحسين يقول : على قَدْر خوفك من الله يهابك الخلق ، وعلى قَدْر حبك لله عز وجل يحبّك الخلق ، وعلى قدْر شغلك بأَمر الله يُشغل الخلقُ بأَمرك .

قال أَبوالحسن على بن إبراهيم البغدادى : سمعت أَبا عبد الله الخناقاباذى يقول : حضرنا يوسف بن الحسين الرازى وهو يجود بنفسه ، فقيل له : يا أَبا يعقوب قل شيئًا . فقال : اللهم إنِّى نَصَحْتُ خلقك ظَاهِراً وغَشَشْتُ نفسى باطنًا ، فهَب لى غِشِّى لنفسى لنُصْحى لخلقك . ثم خرجَت روحه .

أَبوالحسين على ابراهيم الرازى قال : حكى لى أَبو خلف الوزَّان عن يوسف بن الحسين أَنه رئى فى المنام فقيل له : ماذا فعل الله بك ؟ قال : غفرلى ورحمنى . فقيل : بماذا ؟ قال : بكلمة أَوكلمات قلتها عند الموت . قلت : اللهم إنِّى نصحت الناس قَولاً وخنتُ نفسى فِعلاً فهَب خيانةَ فِعلى لنُصح قَولى .

سمع يوسف بن الحسين من أَحمد بن حنبل وذى النون وغيرهما وتوفى سنة أَربع وثلثمائة .

٦٧٧ ـــ أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الحيرى(١) :

ولد بالرىّ ، إلا أَنه خرج إلى نيسابور مع شيخه شاه بن شجاع يزوران أَباحفص النيسابورى فزوّجَه أَبو حفص ابنته وتوطَّن نيسابور ومات بها .

أَبوعمرو بن نجيد قال كنت أَخْتَلِف إلى أَبى عثمان مدة فى وقت

(١) كذا فى قط . و فى ق ، ب : الحيرى نسبة إلى (الحيرة) بكسر الحاء : محلة كبيرة كانت بنيسابور . وهى غير (الحيرة) التى بالعراق . وفى قط : الخيرى ، تصحيف .

شبابى ، وكنت قد حَظِيت عنده . فقُضِىَ من القضاء أنى اشتغلت بشىء مما يشتغل به الفتيان ، فنُقل ذلك إلى أبى عثمان وانقطعتُ عنه بعد ذلك . وكنت إذا رأيته فى الطريق اختفيت فدخلت يومًا سُكَّة من السكك فخرج علىّ أبوعثمان من عطْفةٍ[١] فلم أجد عنه مَحيصًا ، فتقدمت إليه وأنا دَهِشٌ مُتَشوّر[٢] . فقال لى : يا أبا عمرو لاتثقنّ بمودةِ مَن لايحبّك إلا معصومًا .

محمد بن حمدويه الحافظ قال : سمعت أُمى تقول : سمعت مريم امرأة أبى عُثمان تقول : كُنا نؤخِّر اللعب والضحك والحديث إلى أن يدخُل أبو عثمان فى وِرْده من الصلاة فإنه كان إذا دخل الخلوة لم يُحِسّ بشىء من الحديث و يره .

محمد بن نعيم الضبى قال : سمعت أُمى تقول : سمعت مريم امرأة أبى عثمان تَقُول : صادفت من أبى عثمان خلوةً فاغْتَنَمْتُها فقلت : يا أبا عثمان أىّ عملك أَرْجىعندك[٣] ؟ فقال: يا مريم لما ترعرعت وأنا بالرى كانوا[٤] يريدوننى على التزويج فأَمْتَنِع ، فجاءتنى[٥] امرأة فقالت : يا أبا عثمان قد أحببتُك حبًا أذهبَ نومى[٦] وقرارى ، وأنا أسأَلك بمقلِّبِ القلوب وأتوسل به إليك أن تتزوجَ بى . قلت : ألك

---

(١) زاوية من الطريق ، منعطف .
(٢) تشور : خجل فهو متشور .
(٣) ب : أى شىء أرجى عندك من عملك .
(٤) ط : وكانوا .
(٥) ط : جاءتنى .
(٦) ط : بنومى .

والد ؟ قالت : نعم ، فلان الخيَّاط في موضع كذا وكذا فَراسلت أباها أن يزوِّجَها منى ففرِحَ بذلك وأحضرت الشهود فتزوّجتُها . فلما دخلت بها وجدتها عوراء عرجاء شَوْهاء[1] الخَلْق . فقلت : اللهم لك الحمد على ماقدّرته لى . وكان أهل بيتى يلوموننى على ذلك وأزيدُها برًا وإكرامًا إلى أن صارت بحيث لاتَدعُنى أخرجُ من عندها . فتركت حضورَ المجالس إيثارًا لرضاهاوحفظًا لقلبها . ثم بقيتُ معها على هذه الحال خمسَ عشرة سنة وكأنى فى بعض أوقاتى على الجمر وأنا لاأبدى لها شيئًا من ذلك ، إلى أن ماتت فما شيء أرجَى عندى من حفظى عليها ماكان فى قلبها من جهتى .

أبوعمرو بن حمدان قال : سمعت أبا عثمان الحِيرى يقول : من أمر السنَّة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ، ومن أمرّ الهوى على نفْسِه نطق بالبدْعة لقوله تعالى (وإنْ تُطِيعُوه تَهتَدُوا)[2] .

قال ابن حمدان : وقرأت بخط أبى : سمعت أباعثمان يقول : الخوف من الله يوصلك إليه ، والعُجْب يقطعك عنه ، واحتقار النا س فى نفسك مَرض لايُداوَى .

وقال أبوعثمان : حُقّ لمن أعزَّه الله بالمعرفة أن لايُذِلّ نفسه بالمعصية

أبو الحسين الوراق قال : سمعت أبا عثمان يقول ، وقد سئل عن الصحبة ، فقال : الصحبة مع الله عز وجل بحسن الأدب ودَوَام الهيْبة والمراقبة ، والصحبة مع الرسول صلى الله عليه وسلم باتباع سُنّته ، ولزوم ظاهر الحكم ، والصحبة مع أولياء الله بالاحترام والخدمة ، والصحبة مع الأهل والولد بحسن الخلق ، والصحبة مع الاخوان بدوام

---

(١) أى قبيحة . ط : مشوهة الخلق .

(٢) النور ٥٤ .

البشر والانبساط ما لم يكن إثماً ، والصحبة مع الجهال بالدعاء لهم والرحمة عليهم ورؤية نعمة الله عليك إذْ[١] عافاك مما ابتلاهم به .

محمد بن أحمد بن يوسف قال : سمعت أبا عثمان يقول : الذكر الكثير أن تذكر فى ذكرك له أنك لا تصلُ[٢] إلى ذكره إلا به وبفضله .

عبد الكريم بن هوازن قال : سمعت أبا عثمان السلمى يقول : سمعت عبد الله بن محمد الشيرازى يقول : سمعت أبا عثمان يقول : منذ أربعين سنة ما أقامنى الله تعالى[٣] فى حال فكرهته ، ولا نقلنى إلى غيره فسخطته .

أبو عمرو بن مطر قال : حضرت مجلس أبى عثمان الخيرى فخرج ثم قعد على موضعه الذى كان يقعد فيه للتذكير ، فسكت حتى طال سكوته فناداه رجل : ترى أن تقول فى سكوتك شيئاً ؟ فانشأ يقول :

وغَيْر تقىّ يأمرْ الناس بالتّقى   طبيبٌ يُداوى والطبيب مريض

فارتفعت الأصوات (بالبكاءُ) والضجيج .

عبد الله الرازى قال : لما تغيرت الحال على عثمان وقت وفاته ، مزق ابنه أبو بكر قميصاً كان عليه ففتح أبو عثمان عينه وقال : يابنى خلاف السنة فى الظاهر من رياءٍ فى باطن القلب[٤] [الباطن] .

---

(١) ط : أن .

(٢) ط : لم تصل

(٣) ط : عزوجل .

(٤) إلى هنا ينتهى الجزء الثالث من مخطوطة الأوقاف بحلب وجاء فى آخره ما يلى (الورقة ١٨٢/ب) «تم الجلد الثالث من كتاب (صفوة الصفوة) لابن الجوزى ، مختصر حلية الأولياء لأبى نعيم ، يتلوه الجلد الرابع – وهو الأخير من صفوة الصفوة – ذكر المصطفين من أهل بسطام : أبويزيد واسمه طيفور بن عيسى بن سروشان رضى الله عنه» . هذا وقد سقط من ق باق ترجمة أبى عثمان الخيرى ، مع ترجمة فاطمة بنت عمران بعده .

أسند أبو عثمان عن حمدون القصار ، وتوفى يوم الثلاثاء لعشر بقين من ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين ومائتين وتسعين ومائتين .

انتهى ذكر أهل الريّ .

ومن عباد دامغان(١)

٦٧٨ — فاطمة بنت عمران :

كانت كثيرة الاجتهاد .

الحسن بن على قال : قدم علينا أبو محمد الرملى فلقى فاطمة فقال هذه زاهدةٌ وقتها وكانت مستجابة الدعوة مقيمة على تعهّد الفقراء إلى أن ماتت .

ذكر(٢) المصطفين من أهل بسطام(٣)

٦٧٩ — ابو يزيد البسطامى :

واسمه طيْفور بن عيسى بن سروشان — وكان سروشان مجوسياً فاسلم وكان لعيسى ثلاثة أولاد : أبو يزيد وهو أوسطهم ، وآدم ، وهو أكبرهم ، وعلىّ وهو أصغرهم ، وكانوا كلهم عبّادا زهادا .

إبراهيم الهروى قال : سمعت أبا يزيد البِسْطامى يقول : غلطتُ فى ابتدائى فى أربعة أشياء : تَوَهمت أنى أَذْكرُه ، وأعرفه ، وأحبه ، وأَطلُبُه . فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكرى ، ومعرفته تقدمت معرفتى ، وطلبه لى أولاً حتى طلبته .

قال منصور وسمعت أبا عمران موسى بن عيسى يقول : سمعت أبى يقول : قال أبو يزيد عملت فى المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت

---

(١) دامغان بفتح الميم بلد كبير بين الرى و نيسابور .

(٢) من هنا يبدأ الجزء الرابع من نسخة حلب ، وأثبتت البسملة فوق هذا العنوان .

(٣) بسطام : بكسر الباء ثم السكون : بلدة كبيرة على جادة الطريق الى نيسابور بعد دامغان بمرحلتين .

شيئاً أشد عليَّ من العلم ومتابعته ، ولو لا اختلاف العلماء لتعبت[١] ، واختلاف العلماء رحمة إلا فى تجريد التوحيد .

وقال أبو يزيد : لا يعرف نفسه من صحبتْه شهوته .

إبراهيم الهروى قال : سمعت أبا يزيد البسطامى ، وسُئل ما علامة العارف ؟ قال : أن لا يفتر من ذكره ، ولا يمل من حقه ، ولا يستأنس بغيره .

وقال : إن الله أَمَر العبادَ ونهاهم فاطاعوا[٢] فخلع من خِلَعه فاشتغلوا بالخِلَع عنه ، وإنى لا أريد من الله إلا الله .

وقال منصور : وسمعت موسى بن عيسى يقول : سمعت عمى يقول : سمعت أبا يزيد يقول : لَوْ صَفَتْ لى تهليلةٌ ما بليت بعدها بشيء .

إبراهيم الهروى قال : سمعت أبا يزيد يقول : هذا فرَحى بك وأنا أخافكَ فكيف فرَحِي بك إذ أمِنْتك ؟

وسئل بما[٣] نالوا المعرفة ؟ قال : بتضييع مالهم والوقوف مع ما لهُ.

وقال اطلع الله على قلوب أوليائه ، فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صِرفاً ، فاشغلهم بالعبادة .

العباس بن حمزة قال : صليت خلف أبى يزيد البِسْطامىّ الظهر ، فلما أراد أن يرفع يديه ليكبر لم يقدر إجلالا لاسم الله ، وارتعدت فرائصه حتى كنتُ أسمع تقعقُعَ عظامه ، فهَالَنِى ذلك .

---

(١) ق : لبقيت . وأثبت ما فى ط . (٢) ط : فأطاعوه .

(٣) كذا . والأولى حذف ألف (ما) الاستفهامية هنا .

(٤) الضمير يعود إلى الله تعالى .

(٥) خالصة ، يستوى فيه المذكر والمؤنث .

عن أبى موسى ، عن أبى يزيد البسطامى ، قال : ليس العجَب من حبى لك وأنا عبد فقير ؛ «بل» إنما العجَب من حبّك لى وأنت ملك قدير .

قال : وقال أبو يزيد : لم أزل ثلاثين سنة كلما أردت أن أذكر الله أتمضمض وأغسل لسانى إجلالا لله أن أذكره .

قال : وقال أبو يزيد : أن فى الطاعات من الآفات ما لا يحتاجون «إلى» أن يطلبوا فى المعاصى .

قال : وقال أبو يزيد : ما دام العبد يظن أن فى الخلق من هو شرٌّ منه فهو متكبّر .

قال : وقال أبو يزيد أشدّ المحْجُوبين عن الله ثلاثةٌ بثلاثةِ ، أوّلهم الزاهد بزهده ، والثانى العابد بعبادته ، والثالث العالم بعلمه . ثم قال : مسكينٌ الزاهد ، لو علم أن الله عز وجل[1] سمى الدنيا كلها قليلا فكم مَلك من الدنيا ؟ وفى كم زَهَد مما يملك ؟ وأما العابد فلو رأى مِنّةَ الله عليه فى العبادة عرف عبادته فى المنّة ، وأما العالم فلو علم أن جميع ما أبدى الله عز وجل من العلم سطرٌ واحدٌ من اللوح المحفوظ. فكم علم هذا العالم من ذلك السطر ؟ وكم عمل مما علم[2] ؟

قال : سمعت أبا يزيد يقول : ما ذكروه إلا بالغفلة ولا خدموه إلا بالفترة .

وقال : أكثر الناس إشارة إليه أبعدهم منه .

وسأله رجل : من أَصْحَبُ ؟ فقال : من لا تحتاج أن تكتمه شيئاً مما علمه الله منك .

---

(١) ط : تعالى .

(٢) ق : عمل . والتصويب من ط .

قال عبيد بن عبد القاهر : قال أبو يزيد : غبتُ عن الله عز وجل ثلاثين سنة وكانت غيبتى عنه ذِكْرِى إياه ، فلما خنست[١] عنه وجدته فى كل حال : فقال له رجل : مالك لا تسافر ؟ قال : لأنّ صاحبى لا يسافر ، وأنا معه مقيم . فقال السائل : إن الماء القائم[٢] قد كره الوضوء منه . فقال أبو يزيد : لم يَرَوْا بماء البحر باساً ، هو الطهور ماؤه الحِلّ ميتَتُه . ثم قال : قد تَرَى الأنهار تجرى لها دَوِىّ وخَرِير حتى إذا دَنت من البحر وامْتَزَجتْ به سكن خريرها وحدتها ولم يُحسّ بها ماءُ البحر ، ولا ظهرت فيه زيادة ، ولا إن خرجت منه استبانَ فيه .

قاسم الحداد قال : خرج أبو يزيد البِسطامى فى بعض سياحته فوقف على دِجلة فالتقى به الشيطان[٣] فحوّل وجهه ثم قال : وعزّتِك إنّك تعلم أنى ما عبدتُك قطّ لهذا ، فلا تَحْجبنى به عنك[٤] .

عبد الصمد بن محمد عن أبى يزيد أنه صَعد ليلةً سُورَ بِسْطم فلم يزل يدور على السّور إلى وقت طلوع الفجر ، يريد أن يقول لا إله إلا الله فيغلبه ما يَرِيد عليه من هيبة الاسم فلا يستطيع أن يُطلق بها لسانه . فلما كان وقت طلوع الفجر نزل فبال الدم .

الحسن بن علويه قال : قال أبو يزيد : قعدت ليلة فى محرابى فمددت رجلى فهتفَ بى هاتف من يجالس الملوك فينبغى أن يجالسهم بحسن الأدب .

---

(١) خنس عنه : تأخر وتنحى وانقبض .

(٢) قام الماء : ثبت متحيراً لا يجد منفذاً ، فهو قائم ، أى راكد ساكن .

(٣) ق : فالتقى له الشيطان . وفى حاشية ط : «كذا ، والصواب : الشطآن» .

(٤) ق : «بك عنك» وأثبت ما فى ط .

الحسن بن على قال : قال أبو يزيد : أبعد الخلق من الله أكثرهم إشارة إليه .

عبيد قال : قال أبو يزيد طلّقت الدنيا ثلاثاً بتاتاً لا رجعة لى فيها ، وصرت إلى ربّى وحدى فناديته بالاستغاثة : إلٰهى أدعوك دعاءَ من لم يبق له غيرُك . فلما عرف صدق الدعاءِ من قلبى ، واليأس من نفسى ، كان أوّل ما ورد علىّ من إجابة هذا الدعاء أن أنسانى نفسى بالكلية ونصب الخلائق بين يدىّ مع إعراضى عنهم .

أبو الحسن المروزى قال : سمعت امرأة أبى يزيد تقول : سمعت أبا يزيد يقول : دعوت نفسى إلى الله فأبت علىّ واستعصت ، فتركتها ومضَيْت إلى الله عز وجل .

أبو موسى الديبلى قال : سمعت أبا يزيد يقول : الناس كلهم يهربون من الحساب ويتجافون عنه ، وأنا أسأل الله تعالى أن يحاسبنى فقيل له : لمَ ؟ قال : لعلّه أن يقول لى فيما بين ذلك : ياعبدى ، فأقول : لبيك . فقوله لى : عبدى أعجب إلىّ من الدنيا وما فيها . ثم بعد ذلك يفعل بى ما شاءَ .

على بن المثنى قال : سمعت عمّى يقول : سمعت أبى يقول : سمعت أبا يزيد يقول : رأيت ربّ العزة تبارك وتعالى فى المنام ، فقلت : يابار خدا[١] ، كيف الطريق اليك ؟ قال : اترك نفسك ثم تعالَ .

---

(١) كلمتان فارسيتان مسبوقتان بأداة النداء ، أى : يا عظمة الله ، أو : يا ألله العظيم . (بار = عظمة ، خدا = الله) .

أبو موسى الديبلي قال : سمعت رجلاً يسأل أبا يزيد فقال : دُلّني على عملٍ أتقرب به إلى ربي عز وجل ، فقال : أحبب أولياء الله تعالى ليحبوك فان الله تعالى[١] ينظر إلى قلوب أوليائه فلعله أن ينظر إلى اسمك فى قلب وليه فيغفر لك .

عيسى بن آدم ابن أخي أبي يزيد قال : كان أبو يزيد يعظ نفسه فيصيح عليها فيقول[٢] : يامأوى كل سوء ، المرأة إذا حاضت طَهُرت بثلاثة أيام وأكثره بعَشرة ، أنت يانفس قاعدة منذ عشرين وثلاثين سنة بعدُ[٣] ما طهرت فمتى تطهرين ؟ إن وقوفك بين يدى طاهرٍ ينبغى أن يكون[٤] طاهراً .

أبو موسى الديبلي قال سمعت أبا يزيد يقول : عرج قلبي إلى السماء فطاف ودار ورجع ، فقلت : بأى شيء جئت معك ؟ قال : المحبة والرضا .

عن أبي موسى الدَّيْبُلي ، عن أبي يزيد قال : نظرت فاذا الناسُ في الدنيا متلذّذون بالنكاح والطعام والشراب ، وفى الآخرة بالمنكوح والملذوذ ، فجعلت لذّتى فى الدنيا ذكر الله عز وجل وفى الآخرة النظر إلى الله عز وجل[٥] .

أبو موسى الديبلي قال : قلت لأبي يزيد : من أصحب ؟ قال : مَن إذا مرضت عادك ، وإذا أذنبت تاب عليك ومن يعلم منك ما يعلمه الله منك .

---

(١) سقط من ط قوله : « فان الله تعالى » . (٢) ط : يقول .
(٣) بعد : ظرف مبنى على الضم . و (ما) نافية .
(٤) ط : « يدى الله طاهرة ينبغى أن تكون » ولا تستقيم المعنى بذلك . والتصويب من ق
(٥) ط : تعالى .

جعفر بن عليّ الترمذى أن أحمد بن خَضْرَويه قال : رأيت ربّ العزة فى منامى فقال لى : يا أحمد ، كل الناس يطابون منى إلا أبا يزيد فإنه يطابنى .

ذكر أبو نعيم الاصبهانى أنه لا يُعرفُ لأبى يزيد حديثٌ مسند أصلاً إلا حديثٌ واحدٌ رواه أبو الفتح الحمصى باسناد له عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «إنّ مِن ضَعف اليقين أن تُرضىَ الناس بسخط الله »[١] .

قال أبو نعيم : وهو مركب على أبى يزيد ، وليس من حديثه ، والحمل فيه على الحمصىّ فقد عُثر منه على غير حديث ركّبه[٢] .

قلت وهذا الحديث الذى أشار إليه أبو نعيم هو الذى ذكره له أبو عبد الرحمن السّلمِىّ[٣] ، ووجدت أنا لأبى يزيد ثلاثة أحاديث أُخَر مسندة ، منها حديثان لا يَثبتان فلم أذكرهما ، والثالث قريب الحال فاقْتَصَرْت عليه .

قال أبو موسى الديبُلى ، ابن أُخت أبى يزيد البِسْطامى ، أنبأ أبو يزيد البسطامى ، يعنى طيفور بن عيسى ، قال : أنبأ محمد بن منصور الطوسى ، قال : أخبرنا سفيان بن عُيينة عن محمد بن سوقة . عن نافع بن جبير ، عن أم سلمة قالت : ذكر رسول الله

---

(١) الحديث ضعيف، أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان ، وأبو نعيم فى الحلية . وما ذكره المؤلف هنا هو جزء من الحديث .

(٢) انظر كلام أبى نعيم السابق فى حلية الأولياء (١٠/٤١/) وقد تصرف ابن الجوزى فى بعض عباراته .

(٣) وذلك فى كتابه (طبقات الصوفية) ص ٦٨ — ٦٩ (تحقيق نور الدين شريبة — مصر ١٩٦٩) .

صلى الله عليه وسلم الجيش الذى يُخسف بهم ، فقالت أم سلمة : لعل فيهم المكْرَه . قال : إنَّهم يُبعثون على نياتهم(١) .

توفى أبو يزيد سنة إحدى وستين ومائتين ، وله ثلاث وسبعون سنة (٢) .

٦٨٠ ـــ ابو محمد البسطامى :

أبو بكر محمد بن ثوابة المعبِّر قال : كنت مصاعداً إلى الجبل فى باب حلوان أيام الشتاء وعلىّ دِثار(٣) وسَراويلان ، أحدهما مبطَّن ، على غاية مايكون من الشّدة ، فلَقِيَنى رجل عليه خِرْقَتَان لا يَتوارى بغيرهما . فعارضته مراراً ويَرُوغ منى ، فقلت له : لأَىّ شىء تفرّ منى أنا سَبُع ؟ فقال : لو لقينى سبعون سَبُعاً كان أهون علىّ من اقائك . فقلت أنا أَمُرّ كذا وأنت تمضِى كذا قل لى شيئاً ومُرّ فى وَدَائع الله تعالى . فقال : تسمع ؟ فقلت : نعم . فأنشأ يقول .

إذا ما عَدَت النفسُ عن الحقّ زَجَرْناها
وإن مالَت إلى الدنيا عن الأُخرى مَنعناها
تُخادِعُنا ونَخْدَعها(٤) وبالصّبر غَلَبْناها
لها خوفٌ من الفقر وفى الفقر أَنَخْناها

قال : فجئت ابراهيم بن شَيْبان بعد أربعة أيام أوخمسة ، وقد فرّقتُ جميع ما علىّ من الدّثار . فلما دخلت عليه قال : مَن لقيت

---

(١) أخرجه مسلم فى أول كتاب الفتن . وحديث يبعث الناس على نياتهم : أخرجه البخارى فى كتاب الصيام ، وأبو داود فى المهدى ، والترمذى فى الفتن ، وابن ماجه فى الزهد وفى الفتن .
(٢) بعدها فى ط : والسلام .
(٣) الدثار : ثوب يلبس فوق الشعار . والشعار هو الثوب الذى يلى شعر الجسد .
(٤) ط : ونخادعها ، خطأ .

فوصفت له . فقال : أبومحمد البِسْطامى فى ذلك اليوم خرج من عندنا . وقال : أىّ شىءٍ جرى بينك وبينه ؟ فحدّثته فأمر ابنه إسحاق فكَتبها .

انتهى ذكر أهل بِسطام

ذكر المصطفين من أهل نيسابور(١)

٦٨١ — يحيى بن يحيى النيسابورى :

يكنى أبازكريا !

أَبوبكر المروزى قال ذكر أبوعبد الله أحمد بن حنبل يومًا ابن المبارك فقال : مارفعه الله إلا بخبيئة كانت له ، ما أخرجت خراسان مثلَ ابن المبارك ، ولا بعد ابن المبارك ، مثل يحيى بن يحيى .

قال المروزىّ : سمعت بعض الخراسانية يقول : إن يحيى بن يَحْيى شَرِب اشربة دواءٍ ، فقالت له امرأته : لوقمتَ فتردّدتَ فى الدار . فقال يحيى : ما أدرى ماهذه المشية أنا أُحارب نفسى منذ أربعين سنة .

أَبو على الحسن بن على بن بُنْدار الزِّنجانى قال : كان يحيى بن يحيى يحضر مجلس مالك فانكسر قلمه فناوله المأْمون قلمًا من ذهب أومِقلمةَ(٢) ذهَب . فامتنع عن قبوله ، فقال له المأْمون : ما اسمك؟ قال : يحيى بن يحيى النيسابورى . فقال : تعرفنى؟ قال : نعم ، أنتَ المأْمون ابن أمير المؤمنين . قال : فكتب المأْمون على ظهر جزئه ناولتُ يحيى بن يحيى النيسابورى قلمًا فى مجلس مالِك فلم يقبله .

---

(١) نيسابور (بفتح النون) : مدينة عظيمة فى بلاد فارس ، كانت منبع العلماء .

(٢) المقلمة : وعاء قلم الكتابة .

فلما أفْضَتْ الخلافة إليه بعث إلى عامله بنيسابور وأمره أن يولىّ يحيي بن يحيي القضاء فبعث إليه يستدعيه فقال بعض الناس : إنه يَمْتَنِع من الحضور وَلَيْته أذنَ للرسول . فأُنفِذ إليه كتابُ المأْمون فقرىء عليه فامتنع من القضاء فَرَدَّ إليه ثانيًا وقال : إن أمير المؤمنين يأمرك بشيء وأنت من رعيَّته وتأبى عليه؟ فقال : قل لأمير المؤمنين ناولَتنى قلمًا وأنا شاب فلم أقبله فَتجبرونى[١] الآن على القضاء وأنا شيخ؟ فرَفع الخبر إلى المأْمون .

قال : قد علمتُ امتناعُه ولكن[٢] وَلّ القضاء رجلاً تختاره[٣] . فبعث إليه العامل فى ذلك فاختار رجلاً فوُلِّي القضاء ، ودخل على يحيي وعليه سَوَاد فضمّ يحيي فِرَاشًا كان جالسًا عليه كراهيةَ أنْ يجمعه وإياه . فقال : أيها الشيخ ألم تخترنى؟ قال : إنما قلت : اختاروه ، وماقلتُ لك : تقلَّد القضاء .

روى يحيي بن يحيي عن مالك والليث بن سعد وغيرهما . وتوفى فى يوم الأربعاء سَلْخ صفَر[٤] سنة ست وعشرين ومائتين .

٦٨٢ — اسحاق بن ابراهيم بن مخلد بن ابراهيم[٥] أبو يعقوب الحنظلى:

ويقال له ابن رَاهَوَيْه ، أحد أئمة الإسلام ، رحل إلى العراق والحجاز واليمن والشام وعاد فاستوطن نيسابور .

محمد بن أسلم الطوسى قالَ حين مات إسحاق الحنظلى : ما أعلم أحَدًا كان أخشى لله من إسحاق ، وكان أعلم الناس ، ولو كان سفيان الثورى فى الحياة لاحتاج إلى إسحاق .

---

(١) ط : أفتجبرنى .
(٢) ط : لكن .
(٣) أى تختاره يحيى بنفسه .
(٤) سلخ الشهر (بفتح فسكون) : آخره .
(٥) قوله : (ابن إبراهيم) ساقط من ط .

قال محمد بن عبد السلام : فأَخبرت بذلك محمد بن يحيى الصفار فقال : والله لوكانَ الحَسن البصرى فى الحَياة لاحتاج إلى إسْحَاق فى أَشياءَ كثيرة .

الحسن بن عبد الصّمد قال : سمعت إسحاق بن ابراهيم يقول : أَحفظ سبعين أَلف حديث كأَنها نُصب عينىّ .

أَبو عبد الرحمن الجوزجانى قال : سمعت أَحمد بن جنبل ، وذكر إسحاق ، فقال : لاأَعلم ولاأَعرف لإسحاق بالعراق نظيراً .

أَبو داود الخفّاف قال . سمعت أَحمد بن حنبل يقول : لم يَعْبُر الجسرَ مثلُ إسحاق .

الفضل بن عبد الله الحميرى قال : سأَلت أَحمد بن حنبل عن رجال خراسان فقال : أَما إسحاق بن راهويه فلم يُرَ مثله .

أَبويحيى الشَّعْرانى قال : ما رأَيت بيد إسحاق كتاباً قطّ ، ماكان يحدّث إلا حفظًا .

وقال : كنتُ إذا ذاكرت إسحاق العلمَ وجدتُه فيه فرداً (١) فإذا جِئْتُ إلى أَمر الدنيا رأَيته لارأَىَ له .

أَسند إسحاق عن جرير بن عبد الحميد ، وإسماعيل بن علية ، وسفيان بن عيينة ، ووكيع ، فى خَلْق لايُحصَون . وتوفى بنيسابور ليلة النصف من شعبان سنة ثمان وثلاثين ومائتين .

٦٨٣ ـــ محمد بن رافع بن أبى يزيد(٢) أبو عبد الله النيسابورى القشيرى:

زكريا بن دلويه قال : بعث طاهر بن عبد الله إلى محمد بن رافع بخمسة آلاف درهم على يد رسوله ، فَدَخَلَ عليه بعْد صلاة العَصْر

---

(١) أقول : لقد اعانني الله فجمعت فقهه ، وارجوه ان ييسر نشره (٢) ق: زيد .

وهو يأْكل الخُبز مع الفِجل ، فوضع الكيس بَيْنَ يديه(١) فقال : بعث الأَمير طاهر بهذا المال إليك لتُنْفِقه على أَهْلك . فقال : خُذ ، خذ ، لاأحتاج إليه ، فإن الشمس قد بلغت رُءُووسَ الحِيطان إنما تَغرب بعد ساعة وقد جاوزتُ الثمانين ، إلى متى أعيش ؟ فردّ المال ولم يقبل . فأَخذ الرسول المال وذهب فدخل عليه ابنه فقال : يا أَبةْ ليس لنا(٢) الليلةَ خبزٌ . قال : فذهب بعض(٣) أصحابه خلف الرسول ليردّ المال إلى حَضْرة صاحبه فزعًا من أن يذهب ابنه خلف الرسول فيأْخذ المال .

قال : زكريًا : ربما يخرج إلينا محمد بن رافع فى الشتاء الشَّاتىْ وقد لبس لحافَه الذى يلبسه بالليل .

كان محمد بن رافع رفيق أَحمد بن حنبل ، وقد حدّث عن عبد الرَّزَّاق ، ومحمد بن إسماعيل بن أَبى فُديك ، ووهب بن جرير وغيرهم . وأَخرج البخارى ومسلم عنه فى الصحيحين . وتوفى سنة خمس وأَربعين ومائتين .

٦٨٤ ــ أبو حفص النيسابورى :

واسمه عمرو بن سلم(٤) وقيل عمرو بن سلمة

وهو من أَهل قريةٍ على باب مدينة نيسابور يقال لها كُورَدَاباذ(٥).

الخلدى قال : سمعت الجنيد ، وذكر عنده أبوحفص النيسابورى ، فقال : كان رجلاً من أَهل الحقائق ، ولورأَيته لَاسْتَغْنَيت ، وقد

(١) ط : من يديه .

(٢) لنا : ساقطة من ط .

(٣) ط : ببعض ، تحريف .

(٤) ق : مسلم .

(٥) ط : كرد آباد . وما أثبتناه من ق ومعجم البلدان .

يتكلَّم من نُورٍ بعيدٍ كان من أهل العلم البالغين ، ولقد قال له يومًا رجل من أصحابه : كان من مَضَى لهم الآيات الظاهرة وليس لك من ذلك شيء . فقال له : تعالى فجاء به إلى سوق الحدادين ، إلى كُور مَحمًى عظيم فيه حديدة فأَدْخل عظيمة يده فأَخَذَها فَبَرَدَتْ فى يده . فقال له : يَجزيك(١) ؟ فأَعظمَ(٢) ذلك وأَكْبَره ثم مضى .

أَبوعثمان (سعيد) بن إسماعيل الرازى قال : دخلت مع أَبى حفص على مريض فقال المريض : آهٍ فقال : ممَّن؟ فسكت . فقال : مع مَن؟

أَبوعثمان قال : دخل أَبوحفص النيسابورى على مَريض ، فقال المريض : آه . فقال ممن؟ فسكت المريض . فقال : أَبوحفص مَع مَن؟ فقال له المريض : كيف أَكون وماذا أَقول ؟ فقال له أَبو حفص : لايكون أَنينك شكوى ولاسكوتُك تجلُّدًا ، ولكنْ بين ذلك .

قال مَحمِش الجَلَّاب : صحبت أَباحفص اثنتين وعشرين سنة ما رأَيته ذكَر اللهعزوجل على حدّ الغفلة والانبساط(٣) ، ماكان يذكر إلا على سبيل الحضور والتَّعظيم والحرمة . وكان إذا ذكر الله تعالى تغيّرتْ عليه حاله حتى كانَ يَرى ذلك منْه جميعُ من حضره .

وقال مرة ، وقد ذكر الله تعالى وتغيّرت عليه حاله ، فلما رجع قال : ما أَبعد ذِكْرَنا من ذِكر المحقِّقين . فما أَظن أَن مُحِقًّا(٤) يذكر الله على غير غفلة ثم يبقى بعد ذلك حيًا إلا الأَنبياء فإنهم أُيِّدوا بقوّة ، وخواصُّ الأَولياء بقوة ولايتهم.

---

(١) أى هل يفيك ذلك ؟
(٢) ق : « قال : فأعظم » . وأثبت ما فى ط .
(٣) الانبساط : عكس الحشمة والحرمة .
(٤) كذا فى النسخ ، ولعلها : محققاً .

قال السّلمى : وسمعت جدّى يقول : كان أَبوحفص إذا غضب تكلَّم فى حُسن الخُلُق حتى يسكن غضبه ، ثم يرجع إلى حديثه .

محفوظ بن أحمد قال : قال أَبوحفص : حرستُ قلبى عشرين سنة ثم[١] حرسنى قلبى عشرين سنة ، ثم وردَتْ حالةٌ صرنا فيها محروسين جميعًا .

قال السُّلَمى : وسئل أَبوحفص : مَن الوَلىّ؟ قال : من أُيّد بالكرامات وغُيّبَ عنها .

وقال : ماظهرت حالة عالية إلا من ملازمة أَصلٍ صحيح .

وقال لاتكن عبادتك لربك سببًا لأَن تكون مَعْبودًا [٢] .

أَبو على الثَّقفى قال : كان أَبوحفص يقول : من لم يزن أَفعاله وأَحواله فى كل وقت بالكتابِ والسنَّة ، ولم يَتَّهم خَوَاطرَه ، فلا تعدّه فى ديوان الرجال .

أَبو أَحمد بن عيسى قال : سَمِعْت أَبا حفص يقول : حُسن أَدب الظاهر عنوان حُسن أَدب الباطن ، لأَن النبى صلى اللهُ عليه وسلَّم قال : «لو خشَع قلبُ هذا لخشعَتْ جَوارحُه»[٣] .

وسُئل مَن الرّجالُ ؟ قال : القائمون مع الله بوفاءِ العُهُود ، قال الله تعالى (رجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدوا الله عَليه) [٤] .

وسُئل عن العبوديَّة؟ فقال تَرْكُ مالِكَ والتزام ما أُمِرت به .

أَبو محمد المرْتَعِش قال : سمعت أَباحفص النيسابورى يقول :

---

(١) ق : حتى حرسنى . وأثبت ما فى ط .

(٢) ط : مبعوداً ، تصحيف .

(٣) الحديث ضعيف . قال السيوطى فى الجامع الصغير : أخرجه الحكيم عن أبى هريرة .

(٤) الأحزاب ٢٣ .

ما استحقَّ اسمَ السخاء من ذكَر العطاء ولا من لَمحَهُ بقلبه ، وإنما يستحقُّه مَن نَسِيَه حتى كأنه لم يُعطَ .

أَبو عثمان النيسابورى قال : خرجنا جماعةً مع أُستاذنا أَبى حفص النيسابورى إلى خارج نيسابور ، فجلسنا ، فتكلَّم علينا الشيخ فطابت أَنفسُنا . ثم بصُرْنا بأَيِّلٍ[١] قد نزل من الجبَل حتى برَك بينَ يدِى الشيخ . فأَبكاه ذلك بكاءً شديدًا . فلمَّا هدأَ الشيخُ سأَلناه فقلنا له : يا أُستاذ تكلَّمت علينا وطابت قلوبنا فلما جاءَ هذا الوحش وبَرَكَ بين يديك أَزعجك وأَبكاك فأَحببنا أَن نَعْرف فِقه ذلك؟ فقال : نعم رأَيت اجتماعكم حَولى وقد طابت قلوبكم ، فوقع فى قلبى لو أَن شاةً ذبحتها ودعوتهم عليها . فما تحكَّم هذا الخاطرُ حتى جاءَ (هذا) الوحش فَبرك بين يدىّ فخُيِّل لى أَنِّى مثل فرعون الذى سأَل ربَّه أَن يجرى له النيل ، فأَجراه له . قلت : فما يؤمننى أَن يكون الله تعالى يعطينى كلَّ حظٍ لى فى الدنيا وأَبقى فى الآخرة فقيرًا لاشىءَ لى ؟ فهذا الذى أَزعجنى .

تُوفىّ أَبو حفص سنة سبعين ومائتين . ويقال سنة سبع وستين ، ويقال أَربع وستين ، ويقال خمس وستين ، ولا نعرف له مسندًا[٢] إلا أَنه قد رافق أَحمد بن خضرويهْ[٣] البَلْخى وغيره من العبّاد (والسلام)[٤]

---

(١) الأيل : حيوان من ذوات الظلف ، للذكر منه قرون متشعبة .

(٢) ق : ولا يعرف له مسنداً » . وعليه يجب رفع (مسند) لأنه نائب فاعل ليعرف .

(٣) ط : حصرويه .

(٤) زيادة من ط .

٦٨٥ — على بن شعيب السقاء :

حجّ نَيّفًا وخمسين حَجّة . أحرم فى كلّ حجّةٍ من نيسابور ، وكان يصلى فى البادية عند كلّ ميل ركعتين ، ثم يقول : قال الله عزوجل (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لهم)[١] وهذه منافع فى حَجّى[٢] (والسلام)

٦٨٦ — ابو صالح حمدون بن احمد بن عمارة القصار :

عبد الله بن مبارك قال : قيل لحمدون بن أحمد : ما بال كَلام السلف أنفع من كلامنا قال : لأنهم تكلّموا لِعزّ الإسلام ونجاةِ النفوس ورضا الرحمن ، ونحن نتكلم لعز النفوس وطلَب الدنيا ورضا الخَلْق .

وقال : كفايتك تُساق إليك من غير تعب ولانَصب ، وإنما التعب فى الفضول[٣] .

عبد الله بن مبارك قال : سَفِهَ[٤] رجل على حمدون ، فسكت حَمدون عنه وقال : يا أخى لونقَصْتَنى كلّ نَقْص لم تَنتقصْنى كنَقصى عندى[٥] . ثم قال : سفِهَ رجلٌ على إسحاق الحنظلى فاحتمله وقال لأَىِّ شيءٍ تَعلّمنا العِلْم . ؟

عبد الله الحجّام قال : قال حمدون : إذا رأيت سكرانًا فتمايلْ لئلا تنعَى عليه[٦] فتُبتلَى بمثل ذلك . قال السلمى : وقال حَمدون : من نظر فى سِيرَ السّلف عَرف تَقصيره وتخلّفه عن درجات الرجال.

وقال لا تُفشِ على أحدٍ ماتحبّ أن يكون مستورًا منك.

---

(١) الحج ٢٨ . (٢) ق : حجتى . وأثبت ما فى ط .

(٣) الزيادة وما يفضل عن الحاجة .

(٤) سفه الرجل (بضم الفاء وكسرها) : كان سفيهاً . (٥) نظرى وعند نفسى .

(٦) يقال : نعى على الرجل شهوته : عابه بها . وفلان ينعى على فلان بالفاحشة : أ يظهرها ويشهرها . وفى ق : تبغى .

وقال : من استطاع منكم أن لايعمَى عن نقصانِ نفسه فليفعلْ .

أسند حمدون عن إبراهيم الزرّاد ، عن ابن نمير ، وصحب أبا تراب النخشبي ، وتوفىّ سنة إحدى وسبعين ومائتين بنيسابور .

٦٨٧ — ابو بكر عبد الله بن محمد بن زيد بن واصل النيسابورى :

جَمع بين علم الحديث والفقه والتقوى ، وسمع من محمد بن يحيى الذُّهلىّ والحسن بن محمد الزعفراني وعباس الدّورى ، فى خلق كثيرٍ ، وكان من الحفّاظ المتقنين .

كان الدارقطنى يقول : ما رأينا فى مَشَايخنا أحْفظ منه للأَسانيد ولمتون ، وكان أفقه المشايخ .

أَبو بكر النيسابورى قال : أعرف من أقام أربعين سنة لم ينم الليل ويَتقوّت(١) كل يوم بخمس حبات ، ويُصلى صلاة الغداة على طَهَارة عِشاءِ(٢) الآخرة . ثم قال : أنا هو وهذا كلّه قبل أن أعرف أم عبد الرحمن ، أىّ شيءٍ أقول لمن زوّجنى؟ ثم يقول(٣) فى أثر هذا : ماأراد إلا الخير .

توفى أبو بكر النيسابورى فى شهر ربيع الآخر من(٤) سنة أربع وعشرين وثلمائة .

ذكر المصطفين من عابدات نيسابور

٦٨٨ — فاطمة النيسابورية :

محمد بن الحسن بن على بن خلف قال : سمعت ابن ملوك وكان شيخًا كبيرًا رأى ذا النّون المصرى قال : وسألته مَنْ أَجَلُّ مَن رأيتَ ؟

---

(١) ط : يتقون (بلا واو) .

(٢) ط : « يصلى صلاة الغداة على طهارة العشاء ... » .

(٣) ط : قال .

(٤) من : ساقطة من ط .

قال : ما رأيتُ أجلّ من امرأة رأيتها بمكة يقال لها فاطمة النيسابورية وكانت تتكلّم فى فهم القرآن ، وتعجّبت منها ، فسألت ذا النون عنها فقال لى : هى وليّة من أولياء الله عزوجل وهى أُستاذى . فسمعتها تقول : من لم يكن الله عزوجل منه على بال فإنه يتخطّى فى كل ميدان ويتكلّم بكل لسان ، ومن كان الله منه على بال أخرسه إلا عن الصدق وألزمه الحياء منه والإخلاص .

قال : وقالت فاطمة : الصادق المقرّب فى بحرٍ تضطرب عليه أمواجٌ ، يدعو ربه دعاء الغريق يسأل ربه الخلاص والنجاة .

وقالت فاطمة : مَن عمل لله على المشاهدة فهو عارف ، ومَن عملَ على مشاهدة الله إياه فهو مخلص .

قال السّلمى : كانت فاطمة النيسابورية من قُدماء نساء خراسان أتى إليها أبو يَزِيد البِسطامى ، وسألها ذوالنون عن مسائل ، وكانت مجاورةً بمكة ، وربما دخلت إلى بيت المقدس ثم رجعت إلى مكة .

وقال أبويزيد البسطامى : ما رأيت فى عمرى إلا رجلاً وامرأة[١] ، والمرأة فاطمة النيسابورية ، ما أخبرتها عن مَقَام من المقامات إلا وكان الخبَر لها عياناً .

وقال لها ذو النون : عِظينى ، وقد اجتمعا ببيت المقدس ، فقالت له : الزم الصدق وجاهد نَفْسك فى أفعالك .

ماتت فاطمة بمكة فى طريق العمرة سنة ثلاث وعشرين ومائتين.

---

(١) أى : كاملين .

٦٨٩ — عائشة بنت ابى عثمان سعيد بن اسماعيل الحيرى(١) النيسابورى:

أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى قال : كانت عائشة بنت أَبى عثمان من أزهد أولاد أَبى عثمان وأَوْرعهم وأَحسنهم حالاً ووقتًا . وكانَت مجابة الدعوة ، سمعتُ ابنتها أُم أَحمد بنت عائشة تقول : قالت لى أُمى : لَاتَفْرحى بِفَانٍ ، ولاتَجزعى مِن ذاهبٍ ، وافرحى بالله عز وجل ، واجزعى من سُقوطك من عَين الله عز وجل .

وسمعتها تقول : قالت لى أُمّ الزمى الأَدب ظاهرًا وباطنًا فما أَساءَ أَحدٌ الأَدب فى الظاهر إلَّا عوقب ظاهرًا ولا أَساءَ أَحدٌ الأَدب باطنًا إلا عوقب باطنًا .

وقالت عائشة : من استوحش من وحدته فذاك لقلَّة أنسِه بربه.

وقالت من تهاون بالعبد فهو من قلَّة معرفته بالسيد فمن أَحب الصانع أَحبّ صنعته(٢) .

ماتت عائشة سنة ستٍّ(٣) وأَربعين وثلثمائة .

انتهى ذكر أَهل نيسابور بحمد الله ومنّه(٤) .

ذكر المصطفين من أهل طوس

٦٩٠ — محمد بن أسلم ، ابو الحسن الطوسى :

أَبو عبد الله محمد بن القاسم الطوسى ، خادم ابن أَسلم ، قال : سمعت إسحاق بن راهويه يقول : لم أَسمع بعالم منذ خمسين سنة كان أَشدّ تمسّكًا بأَثر النبى صلى الله عليه وسلم من محمد بن أَسلم .

---

(١) ط : أبى إسماعيل الحيرى ، خطأ .
(٢) ضمير الهاء يعود على الصانع .
(٣) ط : ستة ، خطأ .
(٤) بحمد الله ومنه : ليست فى ط .

قال أبو عبد الله وكتب إلىّ أحمدبن نصر أن كتُبْ إلىّ بحال محمد ابن أسلم فإنه رُكن من أرْكان الإسلام .

قال أبو عبد الله : وقال لى محمد بن أسلم : يا أبا عبد الله مالى ولهذا الخلق ؟ كنتُ فى صلب أبى وَحْدى ، ثم صرت فى بطن أُمىّ وَحْدى ثم دخلت الدنيا وَحدى ، ثم يُقبض روحى وحدى ، ثم أدخل فى قبرى وحدى ، ثم يأْتينى منكَر ونكيرٌ فيسألانى وحدى فإن صرتُ إلى خيرٍ صرتُ وحدى ، ثم يُوضع عملى وذنوبى فى الميزان وحدى ، وإن بُعثت إلى الجنة بُعثت وحدى ، وإن بُعثت إلى النار بُعثت وحدى فمالى وللناس؟ ثم تفكَّر ساعة فوقعت عليه الرِّعْدة حتى خشيت أن يسقط . وصحبتُه نيّفًا وعشرين لم أره يصلى حيث أراه ركعتين من التطوع إلا يَوم الجمعة ، ولايسبّح ولايقرأ حيث أراه ولم يكن أحد أعلم بسرّه وعلانيته منّى .

وسمعته يحلف كذا كذا مرّة : لو قدرتُ أن أتطوع حيث لايرانى ملَكاى لفعلت ، ولكنى لاأستطيع ذلك خوفًا من الرئاء .

وكان يدخل بيتًا ويغلق بابه ويُدخل معه كوزًا من ماء فلم أدرما ما يصنع ؟ حتى سمعت ابنًا له صغيرًا يحكى بكاءه فنهَتْه أُمّه فقلت لها : ما هذا البكاء ؟ فقالت : إن أبا الحسن يدخل هذا البيت فيقرأ القرآن ويبكى فيسمعه الصبى فيَحكيه .

وكان إذا أراد أن يخرج غسلَ وجهه واكتحل ولايُرى عليه أثر البكاء .

وكان يصِل قوماً ويعطيهم ويَكْسوهم فيبعث إليهم ويقول للرسول : انظر أن لا يعلموا مَن بعثه إليهم ؟ ويأتيهم هو بالليل فيذهب به إليهم ،

ويخفى نفسه فربما بَليت ثيابهم ونَفِذ ما عندهم ولا يدرونَ من الذى أعطاهم ؟ ولا اعلم منذ صحبته وَصَلَ أحدًا باقلّ من مائة درهم إلا أن لا يمكنه ذلك ، وكنت أخبز له فما نخلت له دقيقاً إلا أن أعصيَه . وكان يقول لى : اشترِ لى شعيراً أسود قد تركه الناس فانه يصير إلى الكنيف ، ولا تشترى لى إلا ما يكفينى يوماً بيوم .

وكان يقول : والله الذى لا إله إلا هو ما رأيت نفساً تصلىٍّ إلى القبلة شراً عندى من نفسى . ودخلت عليه قبل موته بأربعَة أيام بنيسابور ، فقال : يا أبا عبد الله تعال أبشّرْك بما صنع الله بأخيك من الخير ، قد نزل بى الموت وقد منّ الله علىّ أنه ليس عندى درهم يحاسبنى الله عليه ، وقد علم ضعْفى فانى لا أطيق الحساب فلم يدع عندى شيئاً يحاسبنى عليه . ثم قال : أغلق الباب ولا تأْذَن لأحد علىّ حتى أموت ، واعلم أنى أخرج من الدنيا وليس أدَع ميراثاً غير كسائى ولبْدى وإنائى الذى أتوضا فيه ، وكتبى .

وكانت معه صُرّة فيها نحو ثلاثين درهماً فقال : هذا لابنى أهداه إليه قريبٌ له ولا أعلم شيئاً أحَلَّ[١] لى منه لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أنت ومالك لأبيك[٢] » فكفنونى منها فان أصبتم لى بعشرة دراهم ما يستر عورتى فلا تشتروا بخمسة عشر ، وابسطوا على جنازتى لبدى وغطّوا علىّ بكسائى ، وتصدقوا بانائى ، أعطوه مسكيناً يتوضأ منه . ثم مات اليوم الرابع .

---

(١) اسم تفضيل من الحلال .

(٢) الحديث قوى كما في المقاصد . واخرجه ابن ماجة في التجارات والطبراني في الاوسط، والبزار والبيهقى فى دلائل النبوة ، والإمام أحمد فى المسند .

سمع أبو الحسن بن أسلم من أصحاب الأعمش وأصحاب الثورى والأوزاعى فى آخرين – وتوفى فصلىّ عليه ألف ألف تقريباً .

٦٩١ – ابو العباس احمد بن محمد بن مسروق الطوسى :

أصله من طُوس ، لكنه سكن بغداد ومات بها .

جعفر بن محمد بن نصير قال : سمعت أبا العباس بن مسروق يقول : قدم علينا شيخ فكان يتكلم علينا بكلام حسن ، وكان عَذْب اللّسان جيّد الخاطر ، فقال لنا فى بعض كلامه : كل ما وقع لكم فى خَوَاطركم فقولوا لى . فوقع فى قلبى أنه يهودى وكان الخاطر يَقْوَى ولا يزول فذكرتُ ذلك للحريرىّ فكبرُ عليه ذلك فقلت : لا بد من أن أخبر الرجل بذلك . فقلت له : تقول كل ما وقع فى خاطركم فقولوه لى ، إنه يقع لى أنك يهودى . فأطرق ساعةً ثم رفع رأسه وقال : صدقت أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، وقال : قد مَارسْتُ جميع المذاهب ، فأنتم على الحق وحَسُنَ إسلامه .

أبو سعيد بن عطاء قال : إن الجُنيد رأى فيما يرى النائم قوماً من الأبدال فسأل : هل ببغداد أحد من الأولياء ؟ فقالوا : نعم أبو العباس بن مسروق . قال : فقلت متعجّباً : أبو العباس بن مسروق ؟ فقالوا : نعم أبو العباس بن مسروق من أهل الأنس بالله عز وجل .

على بن عبد الله بن جهْضم قال : أنا المفيد ، قال : سمعت أحمد بن مسروق يقول : كانت والدتى إذا كان يوم الجمعة تبكى ،

تعلم أنى لا أنصرف من الجمعة إلا عليلاً لما قد سمعته من الشيوخ وكنت أنظر إلى شيوخى فتكون رُؤيتى لهم قوّتى من الجمعة إلى الجمعة .

جعفر بن محمد بن نصير قال : سئل ابن مسروق : ما التوكل ؟ قال : اعتماد القلب على الله .

قال السّلمى : وقال ابن مسروق : من راقب الله فى خَطَرَات قلبه عَصَمَه الله فى حركات جوارحه .

وقال : أنت فى هَدْم عمرك منذ خرجت من بطن أمّك .

أسند ابن مسروق الكثير ، وروى عن محمد بن بكار وشَيْبَان بن فَرّوخ وخَلْق كثير ، وصحب البرجلاني ومحمد بن منصور الطوسى والحارث المحاسبى وسَرّياً السقطى .

وتوفى فى صفر سنة ثمانٍ وتسعين ومائتين ، ودفن فى مقابر باب حرْب(١) وبلغ أربعاً وثمانين سنة .

انتهى ذكر أهل طوس بحمد الله ومنّه(٢) .

ذكر المصطفين من أهل هراة(٣)

٦٩٢ — ابراهيم بن طهمان :

وُلد بهراة ونشأ بنيسابور ورَحل فى طلب العلم ، وكان حسنَ الخلق سَخِياً واسع النفس ، مُطعمَ الطعام كلَّ من أتاه من أهل العلم .

---

(١) مقابر مشهورة ، فيها دفن أحمد بن حنبل وبشر الحافى ومن لا يحصى من العلماء والعباد والصالحين وأعلام المسلمين ، وتنسب إلى حرب بن عبد الملك ، أحد قواد أبي جعفر المنصور ، وتقع فى ضاحية بغداد .

(٢) بحمد الله ومنه : ليست فى ط .

(٣) هراة (بفتح الهاء) : مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان .

أَبو زُرعة قال : سمعت أَحمد بن حنبل ، وذُكر عنده إبراهيم ابن طهمان ، وكان متكئاً من علة فاستوى جالساً وقال : لا ينبغى أن يذكر الصالحون ، فيتكأ [١] . ثم قال أحمد : حدثنى رجل من أَصحاب ابن المبارك قال : رأَيت ابن المبارك فى المنام ، ومعه شيخ مَهيب ، فقلت مَن هذا معك ؟ قال : أَما تعرف هذا ؟ هذا سفيان الثَّوْرى . فقلت : من أَين أَقبلتم ؟ قال [٢] : نحن نزُور فى كل يوم إبراهيم بن طهمان . قلت : فأَين تَزُورُونه [٣] ؟ قال : دارَ الصِّدِّيقين دار يحيى بن زكريا .

أَسند إبراهيم بن طهمان عن جماعة من التابعين كعبد الله بن دينار وأَبى الزبير وأَبى حازم وغيرهم ، وأَقام بمكة حتى توفى بها فى سنة ثلاث وستين ومائة .

المسعودى قال : سمعت مالك بن سليمان يقول : مات إبراهيم ابن طهمان سنة ثلاث وستين بمكة ولم يخلّف مثله .

٦٩٣ — ابو عبيد القاسم بن سلام :

كان أَبوه عبدًا روميًا لرجل من هَراة ، وولد أَبو عُبَيْد بهَراة ورحل فى طلب العلم ، فسمع من اسماعيل بن جعفر ، وشريك ، واسماعيل بن عَيّاش ، وهُشيم ، وسفيان بن عُيينة ، واسماعيل بن عُلَيّة ، ويزيد بن هارون ، فى خَلْق كثير ، وكان عالماً بالقراءات واللغة والغريب ، وصنف الكتب الكثيرة فى فنونٍ ، وكان ذا فضلٍ ودينٍ ووَرعٍ وجودٍ .

---

(١) ط : متكئاً ، تحريف .
(٢) ط : فقال .
(٣) ط : ترونه .

عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : عرضتُ كتابَ «غريب الحديث»[1] لأبي عبيد على أبي فاستحسنه وقال جزاه الله خيرًا .

ابن عَرْعَرَة قال : كان طاهر بن عبد الله ببغداد ، فطمع فى أن يسمع من أبي عبيد وطمع فى أن ياتيه فى منزله . فلم يفعل أبو عبيد حتى كان هو ياتيه . فقدم علىّ بن المدِينى وعيّاش العنْبرى فأرادا أن يَسْمعا (ريب الحديث) فكان يحمل كل يوم كتابه وياتيهما فى منزلهما فيحدّثهُما به .

أبو بكر بن الأنبارى قال : كان أبو عُبيد يُقسّم الليل أثلاثاً : فيصلّى ثلثه ، وينام ثلثه ، ويضع الكتب ثُلثه .

أبو حاتم قال : قال أبو عَبيد القاسم بن سلاّم : مثل الألفاظ الشريفة والمعانى الظريفة[2] مَثل القلائِد اللائحة[3] فى الترائب الواضحة .

سمعتُ إسحاق بن إبراهيم الحظلى يقول : أبو عبيد أوْسعنا علماً وأكثرنا أدباً وأجمعنا جمعاً وإنّا نحتاج إلى أبي عبيد ، وأبو عبيد لا يحتاج إلينا .

ثعلب قال : لو كان أبو عبيد فى بنى إسرائيل لكان عجباً .

أحمد بن كامل القاضى قال : كان أبو عُبيد القاسم بن سلاّم فاضلاً فى دِينه وعِلمه ربّانياً مُفَنّناً[4] فى أصناف عُلوم الإسلام ، من القرآن والفقه والعربية والأخبار ، حسنَ الرّواية صحيحَ النقل لا أعلم أحداً من النّاس طَعن عليه فى شىءٍ من أمره ودينه .

---

(١) لم يطبع هذا الكتاب بعد . (٢) قط : المعانى الشريفة والألفاظ الظريفة .
(٣) قط : اللامحة . (٤) ب : مفتياً .

عبد الله بن طاهر قال : كان الناس أربعةً : ابن عباس فى زمانه ، والشعبيّ فى زمانه ، والقاسم بن معن[١] فى زمانه وأبو عبيد القاسم ابن سلام فى زمانه .

إبراهيم الحربى قال : أدركت ثلاثة لن يُرى[٢] مثلُهم أبداً تعجز النساءُ أن يلدْنَ مثْلهم ، رأيت أبا عبيد القاسم بن سلاّم ، ما مثّلته إلا بجبلٍ نفخ فيه روح ، ورأيت بِشْر بن الحارث[٣]، ما شبّهته إلاّ برجل عُجن من قرنه إلى قدمه عقلاً ، ورأيت أحمد بن حنبل فرأيت كأنّ الله جَمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف ، يقول ما شاء ويمسك عما شاء .

أقام أبو عُبيد ببغداد مدة طويلة ثم ولى القضاء بطَرَسوس[٤] ثم خرج إلى مكة فى سنة تسع عشرة ومائتين وأقام بها ، وتُوفى بها فى سنة ثلاث وعشرين وقيل أربع وعشرين ومائتين[٥] وهو ابن سبع وستين سنة .

٦٩٤ — ابراهيم بن على الخراسانى الهروى :

إبراهيم الخواص قال : نزلت إلى مَشْرَعة الساج[٦] من بغداد وكان الماء مدّاً والريح تلعب بالموج ، فرأيت رجلاً بين الموج يمشى على الماء ، فسجدتُ وجعلت بينى وبين الله تعالى أن لا أرفع رأسى حتى أعلم مَن الرجل ؟ فلم أُطِل فى السجود حتى حركنى وقال لى : قُم ولا تُعَاود فأنا إبراهيم بن على الخراسانى .

---

(١) قط : معين . وقوله بعدها : (في زمانه) ساقطة من ط ، هو قاضي الكوفة ، عالم بالعربية والاخبار والانساب والادب ، ومن اروى الناس للشعر والحديث ، يقال له شعبي زمانه توفي سنة ١٧٥ هـ (٢) ط : ترى .

(٣) هو بشر بن الحارث الحافي تقدم برقم ٢٦١ .

(٤) بفتح الطاء والراء : مدينة بثغور الشام بين انطاكية وحلب وبلاد الروم .

(٥) هذا القول ليس في ط .

(٦) المشرعة : مورد الشاربة . والساج : شجر .

عبد الله الخياط. قال : قال إبراهيم الخراسانى : احتجتُ يوماً إلى الوضوء فإذا أنا بكوزٍ من جوهر ، وسِواكٍ من فضة رأسه أَلْيَن من الخز ، فأمسكتُ بالسِّواك ، وتوضأْت بالماءِ وتركتهما وانصرفت .

أبو سعيد الخرَّاز قال : قال لنا إبراهيم الهروى : بينما أنا فى بعض سيَاحَاتى وقد بقيت أياماً كثيرة لم أَر فيها أحدًا من الناس ولا طائرًا ولا ذا رُوح ، وكنت فى تلك الحال مستقلاً بلا طعام ولا شراب ، فوقع فى نفسى أنى فى معنى[1] فخرج على شخص مع الخاطر لا أدرى من أين خرج ؟ فقال لى : يا إبراهيم ، ذلك[2] المرائى تعرفه ؟ قلت : أنا هو . قال : وكان إلى جَنْبِى شجرةٌ فقال لى : قل لهذه الشجرة تحمل دنانير . قلت : احملى دنانير . فلم تحمل . ثم قال لها : احملى . فاذا بشماريخ[3] دنانير معلقة فاشتغلتُ أنظر إليها ثم التفتّ فلم أَر الشخص وذهبَتْ الدّنانير من الشجرة .

قال أبو سعيد : وسمعته يقول : بينما رجل فى مسيرٍ له فى يوم صائف إذْ عَدل إلى شِعْب[4] فأصاب فيه مَغارة . قال : فدخلت فيها فما لبثتُ أن دخل علىّ ثعبان كأنه النخْلة[5] فتطوق فى شقّ المغارة فجعل ينظر إلىّ فقلت فى نفسى : لَعَلِّى رِزْقٌ له . وهالنى أمره ، فما لَبِثَ[6] أن خرج من المغارة . ثم أقبل[7] إلىّ وفى فيه رغيف

---

(١) كذا فى النسخ . ويمكن أن تكون مصدراً ميمياً من العناء وهو التعب والنصب .

(٢) ط : ذلك .

(٣) ط : شماريخ . والمفرد شمروخ وشمراخ وهو أشبه بالعنقود من العنب .

(٤) الطريق فى الجبل .

(٥) قط : النخل .

(٦) ط : لبثت ، تحريف . وقوله (وهالنى) فى ق : ويهلنى (؟) .

(٧) ب : دخل .

حُوّارَى(١) قد ذهبت(٢) منه عضّة . فوضعه عند رأسى ورجع إلى موضعه فتطوق فيه . فقمت فأكلتُ الرغيف فلما برَد النهار خرجتُ فسرت فلقينى رِفقةٌ ، فقالوا : من أين جئت ؟ قلت : من هذا الشِّعب . قالوا : هل رأيت ما رأينا ؟ قلت : وما هو ؟ قالوا : اعترضَ علينا فى الرّفقة ثعبان وقام على ذنبه ونَفَح(٣) وكان معنا إنسان ظريف فيه أدب فقال : أظن هذا جائعاً . فرمى إليه رغيفاً حُوّارى فأخذه الثعبان ومضى . فقلت : أنا أكلت الرغيف . ومضيت وخلّيتهم .

انتهى ذكر أهل هَراة .

ذكر المصطفين من أهل مرو

٦٩٥ — عبد الله بن المبارك :

يكنى أبا عبد الرحمن كان أبوه تركياً عند رجل من التجار من بنى حنظلة . وكانت أمه تركية خُوارزمية . ولد سنة ثمانى عشرة ومائة ، وقيل تسع عشرة .

الحسن قال : كانت أم ابن المبارك تركية ، وكان الشَّبه لهم بيّناً فيه ، وكان ربما خلع قميصه فلا أرى على صدره وجسده كثير شعْرٍ . وأخبرنى غير واحد من أهله أنه ما دخل الحمّام قطّ .

قال : وكانت دار ابن المبارك بمرَو كبيرة صحن الدار نحو خمسين ذراعاً فى خمسين ذراعاً ، فكنتَ لا تحب أن ترى فى داره صاحب علم أو صاحب عبادة أو رَجُلاً له مرُوءة وقَدْر بمرو إلاّ رأيته فى داره ، يجتمعون فى كل يوم حَلَقاً يتذاكرون حتى إذا خرج

(١) الحوارى (بضم فشدة وآخره ألف مقصورة) : الدقيق الأبيض .
(٢) ق : ذهب .   (٣) ب : نهج .

ابن المبارك انضمّوا إليه . فلما صار ابن المبارك بالكوفة نزل فى دار صغيرة وكان يخرج إلى الصلاة ثم يرجع إلى منزله لا يكاد يخرج منه ولا يأْتيه كثير أحد(١) . فقلت له : يا أبا عبد الرحمن ألا تستوحش هاهنا مع الذى كنت فيه بمرو ؟ فقال : إنما فَرَرْتُ من مرو من الذى تراك تحبه ، وأحببت ماهاهنا للذى أراك تكرهه لى ، فكنت بمرو لا يكون أمر إلاّ أتونى فيه ولا مسألة إلاّ قالوا : اسألوا ابن المبارك ، وأنا هاهنا فى عافية من ذلك .

قال : وكنت مع ابن المبارك يوماً فأتينا على سِقاية (٢) والناس يشربون منها ، فدنا منها ليشرب ولم يعرفه الناس فَزَحَموه ودفعوه فلما خرج قال لى : ما العيش إلاّ هكذا . يعنى حيث لم نُعْرَف ولم نُوقَّر .

قال : وبينا هو بالكوفة يقرأُ عليه كتاب المناسك ، انتهى إلى حديث وفيه : قال عبد الله وبه نأْخذ(٣) . فقال : مَن كتب هذا من قولى ؟ قلت : الكاتب الذى(٤) كتبه . فلم يزل يحكّه بيده حتى دَرَسَ . ثم قال : ومن أنا حتى يُكتب قولى . ؟

قال الحسن وكنّا على باب سفيان بن عُيَيْنة يومًا وأصحاب الحديث وهم يَرون أن عنده بعض هؤلاءِ الكبار يحدّثه . فقال رجل : أَعْيانى أن أرى رجلاً يسوِّى بين الناس فى علمه . فقال له آخر : هذا عبد الله ابن المبارك . قال : نعم هاتِ غيره ، أتعرف غيره ؟ .

---

(١) كذا فى ط . وفى ق : « يخرج منه ولا كبيراً حد » .
(٢) السقاية : موضع السق ، أو ما يبنى لجمع الماء .
(٣) ق : يأخذ . وأثبت فى ما فى ط .
(٤) أى أن ناسخ الكتاب هو الذى كتب ذلك .

فلما قدمتُ الكوفة ذكرتُ لابن المبارك قول الرجل وأنه فلان ولم أُعْلمه أنهم سمَّوْه . فقال أفَلا قالُوا الفُضَيلُ بن عياض ؟ .

قال الحسن : ورأيت فى منزل ابن المبارك حمامًا طيَّارة[١] . فقال ابن المبارك : قد كنا ننتفع بِفِرَاخ هذه الحمام فليس ننتفع بها اليوم قلت : ولم ذلك؟ قال : اختلطت بها حمامٌ غيرُها فتزاوجَت بها فنحن نكره أن ننتفع بشىء من فراخها من أجل ذلك .

قال الحسن : وصحبت ابن المبارك من خراسان إلى بغداد فمارأيته أكل وحده .

قال : وزوّج النضر بن محمد وَلَدَه دَعِيّ بن المبارك . فلما جاء قام ابن المبارك ليخدم الناس فأَبَى النضر أن يَدَعه وحلف عليه حتى جلس .

عُبيد بن جناد قال : قال عطاءُ بن مسلم : يا عُبيد رأيتَ عبدالله ابن المبارك ؟ قلت : نعم قال : مارأيت مثله ولايُرَى مثله .

عبد الرحمن بن مهدى قال : مارأتْ عيناىَ مثل سفيان ولاأقدّم على عبدالله بن المبارك أحدًا .

عبد الرحمن بن عبيد الله قال كنَّا عند الفضيل فنُعِىَ إليه ابن المبارك فقال : رحمه الله أما إنه ماخلَّف بعده مثلَه .

عبد الرحمن بن مهدى قال : مارأتْ عيناىَ أنْصَحَ لهذه الأُمة من عبد الله بن المبارك .

نعيم بن حماد قال : كان عبد الله بن المبارك يُكثر الجلوس فى بيته فقيل له : ألا تَسْتَوْحش ؟ فقال : كيف أستوحش وأنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ؟ .

---

(١) قط : طائرة .

شقيق بن ابراهيم قال : قيل لابن المبارك : إذا صلّيتَ معنا لم تَجْلس معنا ؟ قال : أذهب أجلس مع الصحابة والتّابعين . قلنا له : ومن أَين الصحابة والتابعون ؟ قال : أَذهب أَنظرُ فى علمى فأُدرِكُ آثارهم وأعمالهم ، ما أَصنع معكم؟ أَنتم تغتابون الناس ، فإذا كانت سنة مائتين فالبُعد من كثير من الناس أَقربُ إلى الله ، وفِرّ من الناس كَفِرَارِك من أَسد ، وتمسّك بدينك يسلَمْ لك .

الحسين بن الحسن المروزى قال : قال عبد الله بن المبارك : كن محبًّا للخُمول كراهيةَ الشهرة ولاتُظهر من نفسك أَنك تُحبّ الخمول فترفعَ نفسك فإنَّ دعواك الزهدَ من نفسك هو خروجك من الزهد لأَنَّك تجرّ إلى نَفْسك الثناءَ والمدْحة .

أَشعث بن شُعبة المَصِّيْصِيّ قال : قدم هارون الرشيد الرّقة فانْجَفَل الناس خلف عبد الله بن المبارك وتقطّعت النِّعال وارْتَفَعَتْ الغبرة وأَشرفت أُم ولد أَمير المؤمنين من برجٍ من قصر الخشب فلما رأت الناس قالت : ما هذا ؟ قالوا : عالم من أَهل خراسان قدِم الرّقة يقال له عبد الله بن المبارك . فقالت : هذا والله المُلْك لامُلْك هارون الذى لايجمع الناسَ إلا بشُرَطٍ وأَعوان .

سويد بن سعيد قال : رأيت عبد الله بن المبارك بمكّة أَتى زمزم فاستقى منها ثم استقبل الكعبة فقال : اللهم إنّ ابن أَبى الموالى حدّثنا عن محمد بن المنكدر عَنْ جابر عن النّبى صلّى اللهُ عليه وسلم أَنه قال : «ماءُ زمزم لما شُرِب له »(١) وهذا أَشربُه لعطشِ القيامة . ثم شربه .

نعيم بن حماد قال : كان ابن المبارك إذا قرأ كتاب الرقاق فكأَنه

---

(١) الحديث صحيح ، اخرجه ابن ماجة في المناسك الباب ٧٦ واحمد في المسند ٣/٣٥٧

بقرة منحورة ، من البكاء ، لايجترىء أحد منّا أن يدنو منه أويسأله عن شيء .

قال سفيان : إنى لأشتهى من عمرى كلّه أن أكون سنة واحدة مثل عبد الله بن المبارك فما أقدر أن أكون ولا ثلاثة أيام .

عمران بن موسى الطَّرَسُوسىّ قال : جاء رجل فسأل سُفيان الثورى عن مسألة ، فقال له من أين أنت ؟ قال : من أهل المشرق . قال : أوَليس عندكم أعلم أهل المشرق ؟ قال : ومَنْ هويا أبا عبدالله ؟ قال : عبد الله بن المبارك . قال : وهو أعلم أهل المشرق؟ قال : نعم وأهلُ المغرب .

قال ابن عُيَيْنة : نظرت فى أمر الصحابة وأمر ابن المبارك فما رأيت لهم عليه فضلاً إلا بصحبتهم النبىّ صلى الله عليه وسلم وغزوهم مَعه .

حِبّان بن موسى قال : عُوتب ابن المبارك فيما يَقرِى من المال فى البلدان ولا يفعل فى أهل بلده كذلك ، فقال : إنى أعرف مكان قوم لهم فضلٌ وصدْق طَلبوا الحديث وأحْسنوا الطلب ، فاحتاجوا ، فإنْ تركْناهم ضاع عِلْمُهم وإن أَغَنَّاهم بَثّوا العلم لأُمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا أعلم بعد النبوة أفضل من بَثّ العلم .

عبد الله بن ضُرَيس قال : قيل لعبدالله بن المبارك : يا أبا عبد الرحمن إلى متى تكتب هذا الحديث ؟ فقال : لعل الكلمة التى أنتفع بها ما كَتَبْتُها بعدُ .

الحسين بن الحسن المروزى قال : سمعت ابن المبارك يقول : أهل الدنيا خرجوا من الدنيا قبل أن يَتَطعّموا أطيب ما فيها . قيل له : وما أطيبُ ما فيها ؟ قال : المعرفة بالله عزوجل .

قطن بن سعيد قال : ما أفطر ابن المبارك ولارُئى نائمًا [١] قطُّ .

علىّ بن الحسن بن شقيق قال : سمعت ابن المبارك يقول : لأَن أَرُدَّ دِرهمًا مِن شُبهة أَحبّ إلىّ من أن أتصدّق بمائةِ ألف ومائةِ ألف، حتى بلغ ستمائة ألف .

عبد الله بن خُبَيق قال : قيل لابن المبارك: ما التواضع ؟ قال : التكبّر على الأغنياء .

عيَّاش بن عبد الله قال : قال عبد الله بن المبارك : لو أن رجلاً أبقى مائة شئ ولم يُبق شيئًا واحدًا لم يكن من المتَّقين . ولو تَوَرَّع عن مائة شئ ولم يتورَّع عن شئ واحد لم يكن وَرِعًا ومن كان فيه خلَّة [٢] من الجهل كان من الجاهلين . أما سمعت الله تعالى قال لنوح عليه السلام لما قال (إنَّ ابْنى من أَهلي) [٣] فقال الله تعالى (إنِّى أَعِظُكَ أَن تكونَ من الجاهلين) [٤] ؟ .

علىّ بن الحسن قال : سمعت عبد الله بن المبارك يقول : لايقع مَوْقعَ الكسب على العيال شئٌ ، ولاالجهادُ فى سبيل الله عزوجل .

عبد الله بن عمر السّرخَسىّ قال : قال لى ابن المبارك : ما أَعيانى شئٌ كما أَعيانى أَنِّى لاأجد أَخًا فى الله عز وجل .

سليمان بن داود قال : سأَلت ابن المبارك من الناس؟ قال : العلماء. قلت فَمن الملوك؟ قال : الزّهاد. قلت : فمن الغوغاء؟ قال : خزيمة وأَصحابه . قلت : فمن السَّفلة [٥] ؟ قال : الذين يعيشون بِدِينهم .

(١) ق ، ب : صائماً . وأثبت ما فى قط .

(٢) الخلة (بفتح الخاء وضمها) : الخصلة .

(٣) هود : ٤٥ .

(٤) هود : ٤٦ .

(٥) سفلة القوم (بفتح فكسر ، أو بكسر فسكون) : سقاطهم وغوغاؤهم .

فُضَيل بن عياض قال : سئل ابن المبارك : مَن الناس ؟ قال : العلماء . قال : فمن الملوك ؟ قال : الزهاد . قال : فمن السِّفلة ؟ قال : الذى يأكل بدينه .

أحمد بن جميل المروزى قال : قيل لعبد الله بن المبارك : إن إسماعيل ابن عُليَّة قد وَلِىَ الصَّدقات . فكتب إليه ابنُ المبارك .

يا جاعلَ العِلْم له بَازِيًا يَصْطاد أموال المساكين
إحْتَلْتَ للدّنيا ولذّاتِهـا بِحِيلةٍ تَذهبُ بالدِّينِ
فَصِرْتَ مَجْنُونًا بها بعدَ ما كُنتَ دَوَاءً للمجانين
أينَ رِوَاياتُك فى سَرْدِها عن ابن عونٍ وابنِ سِيرينِ ؟
أين رِواياتُك والقولُ فى لِزُوم أبوابِ السَّلاطين ؟
إن قلتَ أُكرِهْتُ فماذا كذا زَلّ حِمار العِلْم فى الطِّينِ

فلما قرأ الكتاب بكى واستعفى .

محمد بن علىّ بن الحسن بن شقيق قال : سمعت أبى يقول : كان ابن المبارك إذا كان وقتُ الحج اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو فيقولون : نصحبك يا أبا عبدالرحمن فيقول لهم : هاتوا نَفقاتكم . فيأخذ نفقاتِهم فيجعلها فى صُندوق ويُقفل عليها ثم يكترِى لهم ويُخرجهم من مَرْو إلى بغداد ، فلا يزال يُنفق عليهم ويُطعمهم أطيب الطعام وأطيب الحلْواء . ثم يُخرجهم من بغداد بأحسن زِىّ وأكمل مُرُوءة ، حتى يصِلوا إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإذا صاروا إلى المدينة قال لكل رجل منهم : ما أمَرك عِيالك أن تَشترىَ

لهم من المدينة ، من طُرَفها ؟ فيقول : كذا . ثم يُخرجهم إلى مكة فإذا وصلوا إلى مكة فقضَوا حوائجهم(١) قال لكل [رجل] منهم : ما أمرَك عِيالك أن تشترى لهم مِن متاعِ مكة؟ فيقول : كذا وكذا . فيشترى لهم ويُخرجهم من مكّة . فلايزال يُنفق عليهم حتى يَصيروا إلى مرو فإذا وصلوا إلى مرو جَصَّص أبوابهم ودُورهم . فإذا كان بعد ثلاثة أيام صنَع لهم وَلِيمَةً وكَسَاهم فإذا أكلوا وشربوا دعابالصندوق ففتحه ودفع إلى كلّ رجل منهم صُرّته بعد أن كتب عليها اسمه .

قال أَبي : أَخبرني خادمه أنه عمل آخر سَفْرةٍ سافرها دعوة فقدّم إلى النَّاس خَمْسة وعشرِين خِوانًا فالوذَجًا .

قال : وبلغنا أَنه قال للفضيل بن عياض : لولاك وأَصحابك ما أتجرت .

قال أَبي : وكان ينفق على الفقراءِ فى كل سنة مائة أَلف درهم .

محمد بن عيسى قال : كان عبد الله بن المبارك كثير الاختلاف إلى طَرَسُوس ، وكان ينزل الرّقة فى خَان ، فكان شاب يختلف إليه ويقوم بحوائجه ويسمع منه الحديث . قال : فقدم عبد الله الرّقة مرّةً فلم يرِ ذلك الشاب وكان مستعجلاً ، فخرج فى النَّفير(٢) فلما قفل من غزوته ورجع إلى الرّقة سأَل عن الشاب فقالوا : إنه محبوس لِدَيْن ركبه . فقال عبد الله : وكم مبلغ دَيْنه؟ قالوا عشرة أَلف(٣) درهم فلم يزل يَستقصِى حتى دُلّ على صاحب المال فدَعا به ليلاً ووزن له

---

(١) ب : حجهم .

(٢) النفير : القوم الذين ينفرون إلى الجهاد .

(٣) كذا فى النسخ بافراد (ألف) وهو جائز لأن (الألف) يدل على معنى الجمعية ، فهو اسم جمع مثل قوم ورهط (انظر النحو الوافى ٤ / ٥٠٦ ط ١٩٦٨) .

عشرة آلاف[١] درهم وحلّفه أن لايخبر أحدًا مادام عبد الله حيًا . وقال : إذا أصبحت فأخرِج الرجل من الحبس .

وأدلجَ عبد الله[٢] وأُخرِج الفتى من الحبس ، وقيل له : عبد الله ابن المبارك كان هاهنا وكان يَذكرك ، وقد خرج . فخرج الفتى فى أثره فلحِقه على مَرْحلتين أو ثلاثٍ من الرَّقّة ، فقال : يافتى أين كنت؟ لم أرك فى الخان ؟ قال : نعم يا أبا عبد الرحمن كنت محبوسًا بِدَيْن . قال : وكيف كان سَبب خَلاصِك ؟ قال : جاء رجل وقَضى دَيْنى ولم أعلم به حتى أُخرِجت من الحبس . فقال له عبد الله : يافتى احْمَد الله على ماوفَّق لك من قضاءِ دَيْنك . فلم يخبر ذلك الرجل أحدًا[٣] إلّا بعد موت عبد الله .

سلَمة بن سليمان قال : جاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فسأله أن يقضىَ دَيْنًا عليه . فكتب إلى وكيلٍ له . فلما ورد عليه الكتاب قال له الوكيل : كم الدّين الذى سألتَ فيه عبد الله أن يَقضيه عنك ؟ قال : سبعمائة درهم . فكتب إلى عبد الله : إن هذا الرجل سألك أن تقضى سبعمائة درهم فكتبتَ له بسبعة آلاف ، وقد فَنيتْ الغَلّات . فكتب إليه عبد الله : إن كانت الغلّات قد فَنيت فإنَّ العُمر أيضاً قد فَنِىَ[٤] فأَجْرِ له ما سَبَق به قلمى .

وقد رُويت لنا هذه الحكاية أبسط[٥] من هذا . فأخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقى قالا : أنبأ أحمد قال أنبأ أحمد بن

---

(١) ق : ألف .
(٢) سار ليلا .
(٣) كذا فى النسخ ، فيكون المراد بالرجل صاحب الدين .
(٤) ط : فنيت ، خطأ .
(٥) أكثر تفصيلا .

عبد الله قال نبأ أبى قال : نبأ محمد بن أحمد بن ابراهيم قال نبأ على بن محمد بن روح قال سمعت المسيّب بن واضح يقول : كنتُ عند عبد الله بن المبارك جالسًا إذ كلَّموه فى رجل يَقضى عنه سبعمائة درهم دَيْنًا . فكتب إلى وكيله : إذا جاءَك كتابى هذا وقرأْته فادفع إلى صاحب هذا الكتاب سبعة آلاف درهم . فلما ورَد الكتاب على الوكيل وقرأه التفت إلى الرجل فقال : أىّ شىءٍ قَضّيتك ؟ فقال : كلَّموه أن يقضى عنى سبعمائة درهم دَيْنًا . فقال : قد أصبتُ فى الكتاب غلطًا ، ولكن اقعد موضعك حتى أُجرِىَ عليك من مالى وأبعثَ إلى صاحبى فأُوامِره[١] فيك .

فكتب إلى عبد الله بن المبارك : أتانى كتابك وقرأْته وفهمتُ ماذكرت فيه ، وسألتُ صاحب الكتاب فذكر أنه كلَّمك فى سبع مائة درهم وهاهنا سبعة آلاف . فإن يكن منك غَلطٌ فاكتُب إلىّ حتى أعمل على حسب ذلك . فكتب إليه : إذا أتاك كتابى هذا وقرأْتَه وفهمتَ ماذكرتُ فيه فادْفع إلى صاحب الكتاب أربعة عشر ألفًا . فكتب إليه : إن كان على هذا الفعالِ تفعلُ فما أسرع ما تَبيع الضَّيعة . فكتب إليه عبد الله بن المبارك إن كنت وكيلى فأَنفِذ ما آمُرك به ، وإن كنتُ أنا وكيلَك فتعالَ إلى مَوْضِعى حتى أَصير إلى موضعك فأُنفِذ ما تأْمُرنى به .

ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مَن فاجأَ من أخيه المسلم فرحةً غفر الله له)[٢] فأَحببت أن أُفاجئه فرحةً على فرحة .

---

(١) أشاوره . (٢) الحديث لم اجده ، وروى الطبراني في الاوسط عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان احب الاعمال الى الله بعد الفرائض ادخال السرور على المسلم . وفي الباب عن انس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لقى اخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك ، سره الله عز وجل يوم القيامة .

مُعاذ بن خالد قال : تعرّفت إلى إسماعيل بن عيَّاش بعبد الله(١) بن المبارك فقال اسماعيل بن عيَّاش : ماعلى وجه الأَرض مثل عَبد الله بن المبارك ، ولا أَعْلم أنَّ الله خلق خصْلة من خِصَال الخير إلَّا وقد جعلها فى عبد الله بن المبارك ، ولقد حدّثنى أَصحابى أَنهم صَحِبوه من مصر إلى مكة فكان يُطعمهم الخبِيصَ ، وهو الدهرَ(٢) صائمٌ .

عبد الله بن خُبَيق قال : قال رجل لابن المبارك : أَوْصِنى . فقال : اعرِفْ قدْرَك .

سعيد بن يعقوب الطالقانِى قال : قال رجل لابن المبارك : هل بقِىَ مَن ينصح ؟ قال فقال : وهل تَعرف من يَقبل ؟ .

عبدة بن سليمان قال : كنا فى سَرِيَّة مع عبد الله بن المبارك فى بلاد الروم فصادفنا العدوّ فلما التقى الصفَّان خرج رجل من العدو فدعا إلى البِراز . فخرج إليه رجل فَطَارَدَه ساعة فطعنه فقتله ، ثم آخر فقتله . ثم دعا إلى البِراز فخرج إليه رجل فطارَدَه ساعة فطعنه فقتله . فازدحم عليه الناس وكنتُ فيمن ازدحم عليه فإذا هو مُلَثِّم(٣) وجهَه بكمّه فأَخذت بطرف كُمّه فمددتُه فإذا هو عبد الله بن المبارك فقال : وأَنت يا أَبا عَمْرو ممّن يشنّع(٤) علينا .

أَبو وهب قال : مرّ ابن المبارك برجل أَعمى فقال : أَسأَلك أن تدعوالله أَن يَرُدّ بصرى . قال : فدعا الله فردّ عليه بصره وأَنا أَنظر.

---

(١) أى بوساطة عبد الله . ط : لعبد الله ، تحريف .
(٢) الدهر : ظرف زمان منصوب ، أى طوال الدهر .
(٣) ط : يلثم .
(٤) شنع عليه : كثر عليه الشناعة ، وهى القبح .

الحسن بن عرفة قال : قال لى ابن المبارك : استعرت قلمًا بأَرض الشام فذهب على أن أَرده إلى صاحبه فلما قدمت مرْو نظرت فإذا هو معى ، فرجعتُ يا أَبا علىّ إلى أَرض الشام حتى رددتُه على صاحبه

شريح بن مسلمة قال : سمعت عبد الله بن المبَارك يَقُول : كاد الأَدب يكون ثُلثَى الدِّين .

أَبوبكر بن عبد الله بن حسن قال : قال ابن المبارك : طَلَبْنَا العلم للدُّنيا فدلَّنا على تَرك الدنيا .

أَحمد بن الزِّبْرِقان قال : سمعت عبد الله بن المبارك يقول : إن الصّالحين فيما مضى كانت أَنفسهم تُواتيهم على الخير عفْوًا وإنّ أَنفسنا لاتكاد تُواتينا إلّا [على] كُرهٍ فينبغى لنا أَن نُكرِهَها .

عن القاسم بن محمد قال : كنا نسافر مع ابن المبارك فكثيرًا ما كان يخطر ببالى فأَقول فى نفسى : بأَىّ شىءٍ فُضِّل هذا الرجل علينا حتى اشتهر فى الناس هذه الشهرة؟ إن(١) كان يصلى إنَّا لنصلى ، ولئن(٢) كان يصوم إنَّا لنصوم ، وإنْ كان يغزُو فإنا لنغزو(٣) ، وإن كان يحج إنَّا لنحجّ .

قال : فكنَّا فى بعض مَسيرنا فى طريق الشام ليلةً نتعشَّى فى بيت إذ طَفِىءَ السراجُ فقام بعضنا فأَخذ السراج [وخرج يَستصبح(٤) فمكث هنيهة ثم جاءَ بالسّراج] فنظرتُ إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلَّت من الدموع ، فقلت فى نفسى : بهذه الخشية فُضِّل هذا الرجل علينا ، ولعله حين فَقدَ السراج فصار إلى الظُلمة(٥) ذكَر القيامة .

(١) كذا فى النسخ ، والصواب : (لئن) .
(٢) ط : و إن .
(٣) ق : إنا لنغزو . ب : إنا نغزو .
(٤) استصبح : أوقد المصباح واستضاء . والمراد خرج يبحث عما يوقد به المصباح .
(٥) ب : إلى الظلمة .

قال المرْوَزِىّ : وسمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل قال : مارفع الله ابن المبارك إلّا بخبيئةٍ كانت له .

قال المروزىّ : وأُخبِرت عن داود بن رشيد قال : كان ابن المبارك عند أبى الأَحْوص فجاء رسول فلانٍ الهَاشمىّ[1] بعض الولاة فقال : يُقرئك السلام ويقول : يا أبا الأَحوص هذا شهر رمضان وقد وسَّعنا على عيالنا وهذه ألف درهم تُوسّعُ بها عليهم فى هذا الشهر . قال أبو الأَحوص : فَعل الله به وفعل به[2] . وقال : قل له يَدَعُها عنده حتى إذا احتَجنا إليها بعثْنا فأَخذْناها .

قال : وانسلّ ابن المبارك إلى منزله فجاء بأَلف فقال : يا أبا الأَحوص هذه الأَلف تُنفقها فإنّى لاآمنُ أن يكون قد بلغ أهلك فيخاصمونك ، وهذه من وجهٍ أَرجو أن تكون أطيب فقبِلها .

الحسن بن الربيع قال : سمعت ابن المبارك حين حضرته الوفاة وأَقبل نُصَير يقول له . يا أَبا عبد الرحمن ، قل لاإله إلّا الله . فقال له . يا نُصَير قد تَرى شدّة الكلام علىّ فإذا سمعتَنى قُلتُها فلا تردّها علىّ حتى تَسْمَعنى قد أَحدثتُ بعْدها كلامًا ، فإنما كانُوا يستحبّون أَنْ يَكُون آخر كلام العَبْد ذلك .

أَدرك ابن المبارك جماعةً من التابعين منهم . هِشَام بن عروة ، وإسماعيل بن أَبى خالد ، والأَعمش ، وسليمان التيمى ، وحُميد الطويل ، وعبد الله بن عون ، وخالد الحذاء ، ويحيى بن سعيد الأَنصارى ، وموسى بن عقبة ، فى آخرين .

---

(١) ق : الشامى . و أثبت ما فى ط .

(٢) قط : له .

وروى عن كبار الأئمة . كالثورى وشُعبة والأوزاعى والحمّادَيْن فى نُظرائهم ، وكان أحد أئمة المسلمين .

وتوفّ بِهِيتَ[١] منصرفًا من الغزو لثلاثَ عشرةَ خلَت من رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة ، وهو ابن ثلاث وستين سنة .

محمد بن فضيل بن عياض قال . رأيت عبد الله بن المبارك فى المنام فقلت . أىَّ الأعمال وجدتَ أفضل؟ قال . الأمر الذى كنتُ فيه . قلت : الرّباطُ والجهاد؟ قال : نعم – قلت : فأىَّ شىءٍ صَنع بك ربك؟ قال : غفرلى مغفرة مابعدها مغفرة وكلّمتنى[٢] امرأة من أهل الجنة أو امرأة من الحُور العِين .

٦٩٦ — ابو عبد الله محمد بن نصر المروزى الفقيه :

لبث مع أمه ثلاثين شهرًا[٣] . أبوه مَرْوَزىّ . وولد هو[٤] ببغداد ، ونشأ بنيسابور ، واستوطن سَمَرْقند ، وكان عالماً بالحديث والفقه .

أبو محمد الثقفى عبد الله بن محمد قال : سمعت جدى يقول : جالست أبا عبد الله المروزىّ أربع سنين فلم أسمعه طولَ تلك المدة يتكلم فى غير العلم .

أبو بكر أحمد بن إسحاق قال : ما رأيت أحسن صلاةً من أبى عبد الله المروزى ، ولقد بلغنى أن زُنبورًا قعد على جبهته فسال الدم على وجهه ولم يتحرّك .

---

(١) هيت : ناحية فى العراق (لواء الديلم) عندها كانت القوافل تقطع الفرات فى طريقها بين بغداد وحلب . واشتهرت قديماً بالتمر والقمح والخمر . وبالقرب منها ينابيع النفط .

(٢) قط : وزوجنى .

(٣) أى مكث فى بطن أمه هذه المدة . وهذه الجملة زيدت فى هامش ق وبعدها كلمة (صح).

(٤) هو : ساقطة من ط .

محمد بن نصر قال : خرجت من مِصر ومعى جارية لى ، فركبت البحر أُريد مكة ، فغرقت وذهبَ منى ألفا جُزء ، وصرتُ إلى جزيرة أنا وجاريتى فما رأينا فيها أحداً ، وأخذنى العطش فلم أقدر على الماء ، فاجهدت فوضعت رأسى على فخِذ جاريتى مُستسلماً للموت فإذا رجل قد جاءنى ومعه كوز . فقال لى : هاه . فأخذت وشربت وسَقيت الجارية . ثم مضى فما أدرى من أين جاء ولا أين[1] ذهب .

أسند المروزى عن عَبدان ويحيى بن يحيى وإسحاق بن راهويه وخلق كثير يطول ذكرهم . وكان مولده فى سنة ثنتين[2] ومائتين ، وتوفى سنة أربع وتسعين[3] .

٦٩٧ — عبد الله بن احمد محمد الرباطى المروزى لبث مع امه خمس سنين(٤) وهو الذى يقال له ابن شبويه(٥) :

سافر مع أبى تراب النّخشبى ، وكان الجُنيد يمدحه ويقول : هو رأس فتيان خراسان .

مصعب بن أحمد بن مصعب قال : قدِم أبو محمد المروزى إلى بغداد يريد مكة ، وكنت أحب أن أصحبه ، فأتيته واستأذنته فى الصحبة فلم يأذن لى فى تلك السنة . ثم قدِم سنةً ثانية وثالثة فأتيته فسلمت عليه وسألته فقال : اعزم على شرْطٍ : يكون أحدنا الأمير لا يخالفه الآخر . فقلت أنت الأمير . فقال : لا بل أنت فقلت : أنت أسنّ وأولى . فقال : فلا تعصنى . فقلت : نعم .

---

(١) ب : من أين .

(٢) ط : ثلاثين ، خطأ . انظر النجوم الزاهرة ٣/١٦١ ومفتاح السعادة ٢/٣١٠ .

(٣) أى ومائتين .

(٤) هذه الجملة زيدت فى هامش ق وبعدها : (صح) بخط مخالف .

(٥) قط : شمويه . وكلمة (ابن) ساقطة من المطبوع .

فخرجت معه وكان إذا حضر الطعام يُؤْثرنى فاذا عارضته بشيء قال : ألم أشرط عليك أن لا تخالفنى ؟ فكان هذا دَأْبنَا حتى ندمت على صحبته لما يُلحق نفسه من الضَّرر .

فأَصابنا فى بعض الأَيام مطر شديد ونحن نسير فقال لى : يا أَبا أحمد اطلب الميل[١] . ثم قال لى : اقعد فى أَصله فأَقعدنى فى أَصله وجعل يديه على الميل وهو قائم قد حنا[٢] علىّ ، وعليه كساءٌ قد تَجَلل به يُظلِّنى من المطر حتى تَمَنَّيْتُ أَنّى لم أَخرج معه لما يُلحق نفسه من الضرر . فلم يزل هذا دَأْبَه حتى دخَل مكة رحمة الله عليه[٣] .

٦٩٨ ــ عبد الله بن المنير المروزى[٤] لبث فى بطن امه ما شاء الله [٥] :

يحيى بن بدر القرشى قال : كان عبد الله بن مُنير يوم الجمعة قبل الصلاة بتَزوين فاذا كان فى وقت صلاة الجمعة يرونه فى مسجد آمل[٦] فكان الناس يقولون : إنه يمشى على الماء . فقيل له : يا أَبا محمد إنك تمشى على الماء ؟ قال : أَمّا المشى على الماء فلا أَدرى ، ولكن إذا أَراد الله عز وجل جمع حافتَىْ النهر حتى يَعْبُرَ الإِنسان .

قال : وكان عبد الله بن منير إذا قام من المجلس يخرج إلى البرّية مع قوم من أَصحابه يجمع شيئاً مثل الأُشنان وغيره فيدخل السوق فيبيع ذلك فيتعيش[٧] به .

(١) الميل : حجر قائم يبنى للمسافر ولا سيما فى طريق مكة للاهتداء به وإدراك المسافة . وبين كل ميل وآخر مقدار مدى البصر .

(٢) عكف ومال . ورسمت فى النسخ : حنى .

(٣) الجملة الدعائية ليست فى ط .

(٤) بعدها فى ط : رضى الله عنه .

(٥) هذه الجملة ليست فى ط .

(٦) آمل (بضم الميم) : أكبر مدينة فى طبرستان .

(٧) ط : فيعيش .

قال : فخرج يومًا مع أَصحابه فاذا هو بالأَسد رابض(١) على الطريق ، فقيل له : هذا الأَسد فقال : لأَصحابه : قفوا . ثم تقدم هو وحده إلى الأَسد فلا ندرى ما قال له ، فمرّ الأَسد ، فقال لأَصحابه مُرّوا .

انتهى ذكر أهل مرو . [رضى الله عنهم] .

ذكر المصطفين من أهل بلخ(٢)

٦٩٩ — الضحاك بن مزاحم الهلالى يكنى ابا القاسم :

حملت به أُمه سنتين ، وكان يعلم ولا يأْخذ أَجراً(٣) أَصله من الكوفة ثم أَقام بِبَلْخ .

قَبِيصة بن قيس العَنْبرى قال : كان الضحاك بن مُزَاحم إذا أَمسى بكى فيُقالُ له(٤) : ما يبكيك ؟ فيقول : لا أَدرى ما صَعَد اليوم من عَمَلِى .

توفى الضّحاك سنة ثِنْتَين(٥) وقيل سنة خمس ومائة .

٧٠٠ — عطاء بن ابى مسلم :

حملت به أَمه ثلاث سنين .

وفى اسم أَبيه قولان أَحدهما مَيسرة والثانى عبد الله . وفى كنية عطاء قولان : أَحدهما أَبو عثمان ، والثانى أَيّوب وأَصله من بَلخ ، وكان من أَهل العلم والصلاح .

عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال : كنا نُغَازِى عطاءَ الخراسانىّ

(١) ق : رابظ .
(٢) بلخ (بفتح فسكون) : كانت القصبة السياسية لولاية خراسان فتحها الأحنف ابن قيس ، اجتاحتها قبائل جنكيز خان فدمرتها .
(٣) ب : أُجرة .
(٤) ب : فقيل له .
(٥) كذا فى ط : وقد أزيل موضعها فى ق وكتب بدلا منها « ست » .

فكان يُحيِي الليلَ [كله] صلاةً فإذا ذَهب من الليل ثُلثه أو نصفهُ نادانا وهو فى فُسطاطه يُسمعنا : يا عبد الرحمن بن يزيد بنَ جابر ، يا يزيد بن يزيد ، يا هشام بن الغاز [١] يا فلان بن فلان ، قوموا فتوضَّؤا وصلّوا فإنّ قيام هذا الليل وصيام هذا النهار أيسر من شُرب [٢] الصّديد ومقطعات الحديد ، الوحى الوحَى [٣] النّجاءَ النجاءَ ثم يُقبل على صلاته .

عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال : حدثنى عمّى يزيد بن يزيد بن جابر ، عن عطاءٍ الخراسانى أنه كان يقول : إنى لا أُوصيكم بدنياكم ، أنتم بها مستَوْصَوْن ، وأنتم عليها حِراص ، وإنما أُوصيكم بآخرتكم فخذوا من دار الفَنَاءِ لدار البقاء ، واجعلوا الدنيا كشىءٍ فارقتموه ، فوالله لتفارِقُنَّها ، واجعلوا الموت كشىءٍ ذُقْتموه ، فوالله لتذوقُنّه ، واجعلوا الآخرة كشىءٍ نزلتموه ، فوالله لَتنزِلُنّها ، وهى دارُ الناس كلِّهم ليس من الناس أَحدٌ يخرج لسفر إلاَّ لَمَخَذ له أُهبَته ، فمن أَخذ لسفَره الذى يُصلحه اغتَبط ، ومن خرج إلى سفرٍ لم يأْخذ له أُهبته ندِم فإذا ضَحِيَ لم يجد ظلاًّ ، وإذا ظمىءَ لم يجد ماءً يتروّى به ، وإنما سَفَر الدنيا منقطع ، وأَكْيس الناس من قام يتجهّز لسفرٍ لا ينقطع .

يزيد بن سمرة أنه سمع عطاءً الخراسانى يقول : مَجَالس الذكر هى مجالس الحلال والحرام .

---

(١) هشام بن الغاز بن ربيعة الجرشى الدمشقى نزيل بغداد . ثقة ، مات سنة مائة وبضع وخمسين . ق : الغار .

(٢) ق : شراب ، وأثبت ما فى ط .

(٣) يقال ذلك فى الاستعجال ، أى البدار البدار . والوحى : العجلة .

الأَوزاعى قال : حدّثنى عطاءُ الخراسانى قال : ما مِن عبدٍ يسجُد لله سجدة فى بقعة من بقاع الأَرض إلا شهدَتْ له يوم القيامة وبكَت عليه يوم يموت .

عن عثمان بن عطاء عن أَبيه قال : إن أَوثَق عَملى فى نفسى نَشْرِى للعلم [١] .

عمر بن أَبى خليفة قال : سمعت عطاءَ الخراسانى ، وصلَّى معنا المغرب فأَخذ بيدى حين انصرفنا ، فقال : ترى هذه الساعةَ ما بين المغرب والعشاء ؟ فانها ساعة الغفلة وهى صلاة الأَوابين [٢] .

أَسند عطاءُ عن ابن عمر ، وابن عباس ، وأَنس ، وأَبى هريرة ، فى آخرين . وتوفى سنة خمس وثلاثين ومائة .

٧٠١ — ابراهيم بن ادهم يكنى ابا اسحاق [٣] :

يونس بن سليمان البلخى قال : كان إبراهيم بن أَدهم من الأَشراف وكان أَبوه كثير المال والخَدم ، فخرج إبراهيم يوماً فى الصّيد مع الغلْمان والخدم والجَنائب [٤] والبُزَاة. فبيْنَا إبراهيم فى ذلك وهو على فرسه يَركُضه [٥] ، إذا هو بصوت من فوقه : يا إبراهيم ماهذا العَبَث ؟ «أَفحسِبْتُم أَنّما خلَقناكم عَبَثاً وأَنّكم إلينا لا ترجعون؟ [٦] » إتق الله وعليك بالزّاد ليوم الفاقة . قال : فنزل عن دابّته ورَفض الدنيا وأَخذ فى عمل الآخرة .

---

(١) ط : نشر العلم .
(٢) قط : الأولين .
(٣) زيد بعدها فى هامش ق هذه العبارة : « ليس أبوه بملك خراسان من الكبار والده » ؟
(٤) مفردها جنيبة وهى الدابة ترسلها إلى جنبك .
(٥) يحمله على الركض ويستحثه برجليه .
(٦) المؤمنون (١١٥) .

بشير بن المنذر قال : كنت إذا رأيت إبراهيم بن أدهم كأنه ليس فيه روح لو نفخته الريح اوقع قد اسود متدرّع بعَبَاء .

إبراهيم بن بشار قال : سمعت إبراهيم بن أدهم يقول : ما كانت لى مُؤنةٌ قطّ على أصحابى ولا على غيرهم إلاَّ فى شىءٍ واحد . فقلت أى شىءٍ يا أبا إسحق ؟ فقال : ما كنت أُحسِن أُكْرِى نفسى[١] فى الحَصّادين ، فيحتاجون إلى أن يُكرونى ، ويأْخذون لى الأُجرة ، فهذه كانت مؤْنتى عليهم .

قال ابن بشار ومضيت مع ابراهيم بن أدهم إلى مدينة يقال لها طرابلس ومعى رغيفان مالنا شىءٌ غيرهما وإذا سائلٌ يسأَل ، فقال لى : ادفع إليه ما معك فتَلَبّثتُ[٢] . فقال : لى : مَالَك؟ أعطه . فأَعطيتُه وأنا متعجب من فعله . فقال لى : يا أَبا إسحاق إنك تلقى غدًا ما لم تلقه قطُّ . واعلم أَنَّك تلقى ما أَسلفتَ ولا تَلقى ما خلّفت . فمهِّد لنفسك فإنك لا تدرى متى يَفْجَؤُك أمرُ ربّك . قال : فأَبكانى كلامه وهوّن علىّ الدنيا . فلما نظر إلىّ أبكى ، قال : هكذا فكُن .

قال ابن بشار : وخرجت أنا وابراهيم بن أدهم ، وأَبو يوسف الغَسُولى ، وأَبو عبد الله السّنْجارى ، نريد الاسكندرية فمررنا بنهر يقال له نهر الأُرْدُنّ فقعدنا نَسْتَرِيح وكان مع أَبى يوسف كُسَيْرَاتٌ يابسات . فأَلقاها بين أَيدينا فأَكلناها وحمدنا الله عزّ وجل . فقمتُ أَسعى أتناول ماءً لابراهيم فبادر إبراهيم فَدَخَل النَّهر حتى بلغ الماءُ إلى رُكبتيه . فقال بكفّيه فى الماءِ[٣] فملأَهما ثم قال : بسم الله . وشرب الماءَ ثم قال :

---

(١) أكرى نفسه : أجرها ، من الأجرة .

(٢) تلكأت وتمهلت . ط : فتثبت ، تحريف .

(٣) أى جمع بينهما وغرف بهما من الماء . والقول هنا بمعنى الإشارة والحركة .

الحمد لله ، ثم ملأ كفيه وقال : بسم الله ، وشرب الماءَ ، ثم قال : الحمد لله . ثم إنه خرج من النهر فمدَّ رجليه ثم قال : يا أبا يوسف لو علم الملوك وأبناءُ الملوك ما نحن فيه من النعيم والسّرور لَجَالَدُونا عليه بالسّيوف أيامَ الحياة . فقلت يا أبا إسحاق طلب القومُ الراحة والنّعيم فأَخْطأُوا الطريق المستقيم . فتبسم وقال من أين لك هذا الكلام ؟ .

قال ابن بشار : مررنا مع ابراهيم بن أدهم بمقْبَرَة فتقدم إلى قبر فوضع يده عليه ثم قال : رحمك الله يافلان . ثم تقدّم إلى آخر فقال مثل ذلك . فعل ذلك بسبعة من القبور ثم قام قائماً بين تلك القبور فنادى يا فلان يافلان ، بأعلى صوته ، لقد مِتّم وخلَّفتمونا ونحن بكم سَريعاً لا حقون . ثم بكى وغَرق فى فِكره ثم رجع بعد ساعة فأَقبل إلينا بوجهه ، ودموعُه تنحدر كاللؤْلؤِ الرَطْب وقال : إخوتى ، عليكم بالمبادرة والجدّ والاجتهاد ، سارعوا وسابِقوا فإنّ نَعْلاً فَقَدت أُختها سريعة اللّحاق بها .

شقيق بن ابراهيم قال : بينا نحن ذات يوم عند إبراهيم بن أدهم إذْ مرّ به رجل فقال ابراهيم : أليس هذا فلان[1] ؟ فقيل : نعم . فَقال لرجل : أَدركه فقل له : قال لك إبراهيم : لِمَ لَمْ تُسَلِّمْ ؟ فقال لهُ . فقال : والله إن امرأتى وضعت وليس عندى شئٌ ، فَخرجت شِبْهَ المجنون . قال : فرجعت إلى إبراهيم فقلت له ، فقال : إنّا لله ، كيف غَفَلنا عن صاحبنا حتى نَزل به هذا الأَمر ؟ وقال : يا فُلان إيتِ صاحب البستان فاستسلف منه دينارين ، فادخُل السوق فاشتَرِ له ما يُصلحه بدينار ، وادفع الدينار الآخر إليه .

---

(١) فى النسخ : فلان ، والصواب ما أثبت لأنه خبر ليس .

فدخلت السّوق فأَوْقَرْتُ(١) بدينار من كل شيء وتوجهت إليه فَدققت الباب فَقالت امرأته : مَن هذا ؟ قلت : أنا ، أردت فُلاناً . قالت : ليس هوَ ههنا . قلت : فَمُرِى بفتح الباب وتَنحَّىْ . قال : ففتحت الباب فأدخلت ماعلى البعير وألقيته فى صحن الدار وناولتُها الدينار . فقالت : على يَدَىْ مَن بُعث هذا ؟ فقلت : قولى على يد أخيك إبراهيم بن أدهم . فقالت : اللهم لاتنس هذا اليوم لإبراهيم .

قال شقيق : وقلت لإبراهيم : ياإبراهيم تركت خراسان . فقال : ما تهنّيت بالعيش إلا فى بلاد الشام ، أفِرُّ بدينى من شاهقٍ إلى شاهق ، ومن جبل إلى جبل ، فمن يرانى يقول هو مُوَسْوَس ، ومن يَرانى يقول : هو جمَّال . ثم قال لى : يا شقيق لم يَنْبُل عندنا من نَبُل بالحجّ والجهاد إنما نَبُل مَن كان يعقل ما يَدخُل جوفَه ، يعنى الرغيفين ، من حِلِّه . يا شقيق ماذا أنعم الله على الفقراء ؟ لا يسألهم يوم القيامة لا عن زكاة ولا عن حج ولا عن جهاد ولا عن صلةِ رَحِمٍ ، إنما يسأل هؤلاءِ المساكين ، يعنى الأغنياء .

أحمد بن داود قال : مر يزيد بإبراهيم بن أدهم وهو ينطر كَرْماً . فقال : ناوِلْنا من هذا العنب . قال : ما أذن لى صاحبه . قال : فقلبَ السَّوط فجعل يقنّع رأسَه . فطاطأ ابراهيم رأسه وقال : اضرب رأساً طالما عصى الله عز وجل فأعجز الرجل عنه .

على بن بكار قال : كنا جلوساً بالْمَصِيصَة وعندنا إبراهيم بن أدهم ، فقدم رجل من خراسان فقال : أيكم إبراهيم بن أدهم ؟

(١) أوقر الدابة : حملها ثقيلا .

فقال القوم : هذا . قال : إنّ إخوتك بعثونى إليك فلما سمع ذِكْر إخوته قام فأخذ بيديه فنحاه . فقال : ما جاء بك ؟ فقال أنا مملوكك ، معى فرس وبغلة وعشرة آلاف درهم بعث بها إليك إخوتك . فقال : إن كنت صادقاً فأنت حُرٌّ ، وما معك لك ، اذهب فلا تخبر أحدًا . فذهب .

يحيىٰ بن الكُدَير بن أَسوَد الكلابى من أهل عَسْقَلاّن[١] قال : كان إبراهيم بن أدهم أَجيرًا فى بستانٍ لى سنةً أبتذله[٢] فيما يُبتذَل الأَجير . فزارنى إخوان لى فى بستانى فقلت لإبراهيم : ايتنا برمّانٍ حُلو. فجاء برمّان لم نحمده . فقلت له : أَنْت فى هذه البستان منذ سنة لاتعرف موضع الجيّد الحلو من الحامض؟ قال : فأَىّ موضع هو من البستان ؟ فوصفْتُه له فأَنكرتُ أَمره ، وإذا رجل قدأقبل على نَجيب[٣] يسأَل عن إبراهيم بن أَدهم . فأُخْبر بمكانه عندى . فنزل إليه فرأيته قد قبّل يديه وعظّمه . فقال له ابراهيم : ماجاء بِكَ ؟ فقال : مَاتَ بعض مَوَاليك فجئتك بميراثه ثلاثين ألف درهم . فقال : مالكم واتِّبَاعِى؟ فقال الرجل : قد تَعَنَّيْت من بَلْخ فاقبْلها منى . فقال للرجل : ابسُط إزارك ، وصُبّ عليه مامعك . ففعل . فقال ابراهيم : اقسمه ثلاثة أقسام . فقَسَمه . فقال : ثُلث لك لِعَنَائك من بلْخ إلى هاهنا وثُلث اقسِمه على المساكين بِبَلْخ ، وثُلث أَنتَ يايحيى اقسِمه فى مساكين أَهل عَسْقَلّان .

---

(١) مدينة واقعة على ساحل فلسطين جنوباً ، اشتهرت فى الحروب الصليبية . خربها السلطان بيبرس سنة ١٢٤٧ م .

(٢) استخدمه وأشغله .

(٣) الدابة الأصيلة النفيسة فى نوعها .

أبوسليمان الدّارانى قال : صلّى إبراهيم بن أدهم خمس عشرة صلاة بوضوءٍ واحد .

عن مخلد بن الحسين قال : ما انتبهتُ من الليل إلا أصبت إبراهيم بن أدهَمْ يذكُرُ الله فأغتمَّ ثم أتعزَّى بهذه الآية (ذٰلك فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ)(١) .

عبد الملك بن سعد الدمشقى قال : سمعت إبراهيم بن أدهم يقول : أعْرَبْنَا الكلامَ فما نَلْحَن ، ولَحنّا فى الأَعْمال فما نُعْرِب .

عبد الله بن الفرج العابد قال : اطلعت على إبراهيم بن أدهم بالشام فى بستان وهو نائم وعند رأسِه أفعى فى فِيها طاقةُ نرجس تَذُبّ عنه .

موسى بن طريف قال : ركب ابراهيم بن أدهم البحر فأخذَتْهم ريح عاصف فأشرفوا على الهلَكة فلفَّ ابراهيم رأسه فى عباءَةٍ ونام . فقالوا له : ما ترى مانحن فيه من الشدة ؟ فقال : ليس ذا شدّة . قالوا : ما الشِّدّة ؟ قال : الحاجة إلى النَّاس . ثم قال : اللهم أريتَنا قُدرَتك فأرِنا عَفْوَك . فصار البحر كأنه قَدَح زيتٍ .

خلف بن تميم قال : كنت عند أبى رجاءٍ الهَرَوىّ فى مسجده ، فأتَى رجل على فرس فنزل فسلَّم عليه ووَدّعه . فأخبرنى أبورجاء عنه أنه كان مع إبراهيم بن أدهم فى سفينةٍ فى غُزاة فى البحر ، فَعَصَفَتْ عليهم الريح وأشرفوا على الغرق فسمعوا فى البحر هاتفًا يهتف بأعْلى صوته : تخافون وفيكم إبراهيم ؟ .

ابراهيم بن عبد الله بن محمد البَلْخى ، عن ابْراهيم بن أدهم قال وجدت يومًا راحةً فطاب قلبى لحُسن صَنيع الله بى فقلت : اللهم إن

(١) المائدة : (٥٤) .

كنتَ أعطيتَ أحدًا من المحبِّين لك ما سكَّنتَ به قلوبهم قبل لقائك، فأَعْطِنى ذلك ، فلَقَدْ أضرَّ بى القلق . قال ابراهيم : فرأيت الله تعالى فى النوم ، فوقفنى بين يديه وقال لى : يا إبراهيم ما استَحْيَيْتَ منى؟ تسأَلنى أن أعطيك ما تسكِّن به قلبك قبل لقائى ، وهل يسكُن قلبُ المشتاق إلى غير حبيبه؟ أم هل يستريح المحبُّ إلى غير من اشتاق إليه؟ فقلت : يا ربِّ تِهتُ فى حبِّك فلم أدر ما أقول .

اقتصرنا من أخبار ابراهيم على هذا القَدْر لأَنَّا قد وضعنا كتابًا جمعنا فيه أخباره فكرهنا الإعادة فى التَّصَانيف .

وقد روى إبراهيم عن جماعة من التابعين : كأَبى إسحاق السَّبَيْعى وأَبى حازم وقَتادة ومالك بن دينار وأَبَان والأَعمش وغيرهم ، وقد روى عن خلق من تابِعِى التَّابعين إلا أنه شافَهَ بعض من رَوى عنه ، وأرسل الرواية عن بعض ، وتوفِّى بالجزيرة ، فحُمل إلى صُورفدفن هنالك .

٧٠٢ — داود البلخى :

لبث مع أمه أربعين شهرًا(١)

ابراهيم بن أدهم قال : لقيت أَسلم بن زيد الجُهَنى فقلت له : إنِّى صَحِبْتُ رجُلاً مِنَ الكوفَةِ إلىٰ مكَّة فرأَيْته إذا مشٰى يُصلِّى ركْعتين ثم يتكلم بكلام خفىّ بينه وبين نفسه فإذا جَفْنة من ثَريدٍ عن يمينه وكُوزُماء ، وكان يأْكل ويُطْعمنى . فبكى وقال : يا بنى ذاك أخى داود ، ومسكنه من قرى بلخ بقرية يقال لها المازرة الطيِّبة ، وإنما تفاخر البقاع بِكَيْنونة داودَ فيها ، ياغلام ماقالَ لك وما علَّمك؟ قلت : علَّمني إسْم الله الأَعظم . قال : وماهو؟ قلت : إنه يَتَعاظم علىّ أَن أَنطق به فإننى سأَلت به مرَّةً فإذا برجل آخِذ بحُجْزَتى فقال : سَل

(١) أى مكث فى بطن أمه هذه المدة . والعبارة ليست فى ط .

تُعْطَهْ(١) . فراعنى ذلك وفَزِعْت فَزَعًا شديدًا فقال : لاَرَوْع عليك أناأخوك الخَضر ، إنَّ أخى داود علَّمك اسم الله الأَعظم فإياك أَن تدعو به على رجل بينك وبينه نَزْع(٢) فتهلكه هلاك الدنيا والآخرة ، ولكن ادعُ الله أن يثبّت به قلبك ، ويشجّع به جَبنك ، ويُقوِّى به ضَعفك ويُؤنس به وَحْشَتك ، ويُؤْمِنَ به رَوْعتك .

٧٠٣ — شقيق بن ابراهيم البلخى :

لبث فى أمه ستة وثلاثين شهرًا(٣) يكنى أبا علىّ .

أَحمد بن عبد الله الزاهد قال : قال علىّ بن محمد بن شقيق : كان لجدّى ثلثمائة قرية ولم يكن له كفَن يكفَّن فيه ، قَدَّم ذلك كلَّه بين يديه ، وثيابه وسيفُه إلى الساعة معلَّق يَتَبرّكون به ، وكان قد خرج إلى بلاد الترك لتجارة وهو حدَث فدخل إلى بيت أَصنامهم ، فقال لعاملهم : إن هذا الذى أَنت فيه باطل ، ولهذا الخلق خالق ليس كمثله شىءٌ ، رازقُ كلّ شىء . فقال له الخادم : ليس يوافق قولُك فِعلَك . فقال له شقيق : كيف؟ قال : زعمت أَن لك خالقًا قادرًا على كل شىء ، وقد تَعَنَّيت إلى هاهنا لطلب الرّزق . قال شقيق : فكان سببَ زهدى كلامُ التّركىّ . فرجَع فتصدّق بجميع ماملك وطَلب العلم .

قال أَبو عبدالله : سمعت شقيق بن ابراهيم يقول : خرجت من ثلثمائة أَلف درهم وكنُت مُرابيًا(٤) ولبست الصوف عشرين سنة وأَنا لا أَعلم ، حتى لقيت عبد العزيز بن أَبى رَوّاد ، فقال لى : ياشقيق

---

(١) الهاء للسكت.

(٢) كذا ، يريد النزاع والخصومة .

(٣) هذه الجملة زيدت فى ق بخط مخالف . وليست فى ط .

(٤) ط : مرائياً . والتصويب من ق والحلية (٥٩/٨) .

ليس الشأن فى أكل الشعير ، ولالباس الصوف والشعر ، الشأن فى المعرفة ، وأن تعبد الله لاتُشرك به . فقلت : فَسِّر لى هذا . قال : يكون جميع ماتعمله لله خالصًا . ثم تلا : (فَمن كان يَرجُو لقاءَ رَبّه فلْيعمَلْ عملاً صالحًا ولايُشْرِكْ بعبادة رَبّه أحدًا)(١) .

محمد بن أبى عمران قال : سمعت حاتمًا الأصمَّ يقول : كنا مع شقيق البلخى ونحن مُصافُّوا الترك ، فى يومٍ لاأرى فيه إلا رؤوساً تندُر ،(٢) وسيوفًا تقْطَع . فقال لى شقيق ، ونحن بين الصفّين : ياحاتم كيف ترى نفسك فى هذا اليوم؟ تراها مثلها فى الليلة التى (٣) زُفَّت إليك امرأتك . فقلت : لا والله . فقال : اكنّى [والله] أرى نفسى فى هذا اليوم مثلها فى الليلة التى زُفَّت فيها امرأتى . قال : ثم نام بين الصفَّين ودَرَقَتُه (٤) تحت رأْسه ، حتى سمعت غَطِيطه (٥) .

حاتم الأَصمَّ قال : لى شقيق البلخى : إصْحَبِ الناسَ كما تَصحب النار ، خُذْ منفعتَها واحذَر أنْ تَحرِقك .

حاتم قال : سمعت شقيقًا يقول : مثل المؤمن كمثَل رجلٍ غرَس نخلة وهو يخاف أن تحمل شوكًا ومثل المنافق كَمثل رجل زرَع شَوْكًا وهو يَطْمع أن يحصد تمرًا هيهات هيهات ، كلّ من عمل حَسنًا فإن الله لايجزيه إلا حسنًا ، ولا ينزل الأَبرارُ منازلَ الفُجَّار .

أَسند شقيق عن عباد بن كثير وغيره ، وصحب ابراهيم بن أدهم.

---

(١) الكهف : ١١٠ .

(٢) تزول من مواضعها وتسقط على الأرض .

(٣) ق : فى اليوم زفت ، وأثبت مافى ط .

(٤) الدرقة : الترس من جلد ليس فيه خشب ولا عقب .

(٥) شخيره .

٧٠٤ ــ حاتم الأصم :

واختلفوا فى اسم أبيه : فقِيل حاتم بن عنوان ، وقِيل حاتم بن يوسف ، وقيل حَاتِم بن عنوان بن يوسف . يُكنى أبا عبد الرحمن ، وهو مولى للمثنَّى بن يحيى المحاربى ، صحب شقيقًا .

محمد بن أبى عمران قال : سمعت حاتمًا الأَصم ، وسأَله رجل على[1] مابنيت أَمرك هذا فى التوكل على الله؟ قال : على خِصَال أربع علمت أن رزقى لايأْكله غيرى فاطمأَنَّت به نفسى ، وعلمت أن عملى لايعمله غَيْرِى فأَنا مشغول به ، وعلمت أن الموت يأْتينى بغتة فأَنا أبادره ، وعلمت أنى لاأَخلو من عين الله حيث كنتُ فأَنا مُستَحْيٍ منه .

رباح بن الهَروى قال : مرّ عاصم بن يوسف بحاتم الأَصم وهو يتكلم فى مجلسه ، فقال : يا حاتم كيف تصلّى ؟ قال حاتم : أَقوم بالأَمر ، وأَمشى بالسّكينة ، وأَدخل بالنية ، وأُكبّر بالعظمة ، وأَقرأُ بالترتيل والتفكر ، وأَركع بالخشوع ، وأَسجد بالتّواضع ، وأُسَلِّم بالسّنة وأُسلمها بالإِخلاص إلى الله عزوجل ، وأَخاف أَن لاتُقبل[2] منى . قال تكلم فأَنت تُحسن تصلّى .

عبد الله بن سهل قال : سمعت حاتمًا الأَصمَّ يقول : اختلفتُ إلى شقيق ثلاثين سنة ، فقال لى يومًا : أَىّ شىءٍ تعلّمت ؟ فقلت : رأَيت رِزْقى من عند ربى فلم أَشتَغِل إلّا بربّى ، ورأَيت أَن الله تعالى وَكَّل بى ملكَيْن يكتبان علىّ كلَّ ماتكلَّمتُ به فلم أَنطق إلا بالحق ، ورأَيت أَن الخلق ينظرون إلى ظاهرى والربّ تعالى ينظر إلى باطنى ، فرأَيت مراقبته أَوْلى وأَوجب ، فسقطَت عنِّى رؤْية الخلق ، ورأَيت

---

(١) كذا ، وصحتها : علام ؟

(٢) ط : لا يقبل .

أن الله مستحِثًّا يدعو الخلقَ إليه فاستعدَدْتُ له متى جاءنى لا أحتاج يَقتلنى ، يعنى ملكَ الموت . فقال لى : ياحاتم ماخاب سعيك .

الحسن بن على العابد قال : سمعت حاتمًا يقول : لو أن صاحب خَبر(١) جلس إليك ليكتب كلامك لاحْتَرَزْتَ منه ، وكلامُك يُعْرض على الله تعالى فلا تَحتَرِز .

أَبوتُرَاب النَّخشبى قال : سمعت حاتمًا يقول : لى أَربع نسوةٍ وتسعةٌ من الأَولاد ، ماطمع الشيطان أَن يوسوس لى فى شىءٍ من أَرزاقهم .

حامِد اللفَّاف قال : سمعت حاتمًا الأَصمّ يقول : ما من صباح إلَّا والشيطان يقول لى : ما تأْكل؟ وماتلبس؟ وأَين تسكن ؟ فأَقول : آكل الموت وأَلبسُ الكفن وأَسكن القبر .

قال : وقال رجل لحاتم ما تشتهى؟ قال : أَشتهى عافيةَ يومٍ إلى الليل ، فقيل له : أَليست الأَيام كلُّها عافيةً ؟ قال : إن عافية يومى أَن لاأَعصىَ اللهَ فيه .

قال : وقال حاتم : تعهَّد نفسك فى ثلاثة مواضع : إذا عملتَ فاذْكُر نظَر الله إليك ، وإذا تكلَّمتَ فاذكر سَمْع الله إليك ، وإذا سكتَّ فاذكُر عِلم الله فيك .

عن علىّ بن الموفَّق قال : سمعت حاتمًا يقول : لقينا التّرك وكان بيننا جَولة فرمانى تُركىّ بَوَهَق(٢) فقلبنى عن فرسى ونزل عن دابَّته

---

(١) هكذا فى النسخ وهو الصحيح . إلا أن أصحاب طبعة حيدر آباد أثبتوا فى صحيفة الخطأ والصواب أن صوابها : حبر (بالحاء) !! .

(٢) الوهق : حبل فى طرفه أنشوطة يطرح فى عنق الإنسان حتى يؤخذ .

فَقَعَد على صدرى وأخذ بلحيتى هذه الوافرة وأخرج؟من خُفّه سكّيناً ليذبحني . فَوَحَقّ سيّدى ماكان قلبي عنده ولاعند سكّينه ؛ إنما كان قلبي عند سيّدى أنظر ماذا ينزل[١] به القضاء منه . فقلت : سيدى قضيتَ عليّ أن يَذْبحني هذا فعلى الرأس والعين ، إنما أنالَك ومِلْكُك فبينا أنا أُخاطب سيدى وهو[٢] قاعدٌ على صدرى آخِذ بالحيتى ليذبحني ، إذْرماه بعض المسلمين بسهم فما أخطأ حلْقه ، فسقط عَني فقُمتُ أنا إليه فاخذت السكّين من يده فَذَبَحْته ، فما هو إلا أن تكون قلوبكم عند السّيدحتى تَرَوْا من عجائب لُطفه مالم تَروا من الآباء والامهات .

أسند حاتم الحديث ولاأعرف له إلّا ما أخبرنا به محمد بن عبد الباقى قال : أخبرنا حمد بن أحمد قال : أنا أحمد بن عبد الله ؟ قال : حدثنا أبو الحسين محمد بن محمد بن أحمد المؤذن قال : حدثنا محمد بن الحسين بن على قال : حدثنا محمد بن علويه قال : حدثنا ابن الحارث قال : حدثنا حاتم الأصمّ قال : حدثنا سعيد بن عبدالله الماهيانى قال : حدثنا ابراهيم بن طهمان قاك : حدثنا مالك عن الزّهرى عن أنس عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « صَلّ[٣] صلاة الضحى فإنّها صلاةُ الأبرار ، وسلِّم إذا دخلت بيتك يَكثُرْ خيرُ بيتِك »[٣] .

٧٠٥ ــــ احمد بن الخضر :

وهو المعروف بابن خضرويه البلخى

يكنى أباحامد ، صحب أباتراب النخشبى وحاتماً الأصمّ ، ورحل إلى يزيد وأبي حفص النيسابورى .

---

(١) ط : نزل .

(٢) أى التركى .

(٣) قط : صلوا . لم أجد الحديث بهذا اللفظ . وفى الباب قول الرسول صلى الله عليه وسلم لأنس : « يابنى إذا دخلت على أهلك فسلم يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك » . أخرجه الترمذى ، برقم ٢٦٩٩ بسند صحيح . وأحاديث صلاة الضحى صحيحة مشهورة .

وقال(١) أبوحفص : مارأيت أحدًا أكبر همّةً ولاأصدق حالاً من أحمد بن خضرويه.

محمد بن الفضل قال : قال أحمد بن خضرويه : القلوب جَوّالةٌ إمّا أن تجول حول العرش وإمّا أن تجول حول الحَشّ .

محمد بن حامد الترمذى قال : أحمد بن خضرويه : الصّبر زاد المضطرّين ، والرضا درجة العارفين .

قال : وقال رجل لأحمد بن خَضْرويه : أَوصنى . فقال : أَمِتْ نفسك حتى تُحييها .

قال : وقال أحمد لانومَ أثقلُ من الغفلة ، ولارِقّ أمْلَكُ من الشّهوة ، ولولاثقل الغفلة لم تَظفر بك الشهوة .

قال : وسئل أحمد : أىّ الأعمال أفضل ؟ فقال : رعاية السرّ عن الالتفات إلى شىء غيرالله عز وجل .

محمد بن حامد قال : كنت جالساً عند أحمد بن خضرويه وهو فى النزع ، وكان قد أتى عليه خمس وتسعون سنة فسُئل عن مسألةٍ فَدَمَعَتْ عيناه وقال : يابنىّ باب كنت أدقّه خمسًا وتسعين سنة هو ذايُفتح لى الساعة ، لاأدرى أيُفتح لى بالسعادة أو بالشقاوة أنّى لى أوان الجواب ؟ .

وكان قد ركبه من الدَّيْن سبعمائة دينار ، وحضره غُرَمَاؤُه فنَظَر إليهم فقال : اللهم إنك جعلتَ الرُهون وثيقة لأرباب الأموال وأنت تأخذ عنهم وثيقتهم فأَدِّ عَنىّ . قال : فَدقَّ داقٌّ الباب وقال : هذه دار أحمد بن خضْرويه ؟ فقالوا : نعم . قال : أين غرماؤه؟ قال : فخرجوا فَقَضَى عنه ثم خرجت روحه .

---

(١) ط : وقال له .

أسند أحمد بن خضرويه عن محمد بن عَبدة المروزِىّ وتوفى سنة أربعين ومائتين .

٧٠٦ — محمد بن الفضل بن العباس ابو عبد الله البلخى :

أبوبكر محمد بن عبد الله الرازى قال : سمعت محمد بن الفضل يقول : العَجب ممن يقطع الأَوْدِية والمفَاوِز والقِفَار ليصل إلى بيته وحَرَمه لأَنَّ فيه آثار أَنبيائه ؛ كيف لايقطع نفسه وهواه حتّى يصل إلى قلبه لأَن فيه آثارَ مولاه ؟ .

الحسن بن علويه قال : قال محمد بن الفضل : أَنزلْ نفسك منزلَةَ مَن لاحاجة له فيها ولابدّ له منها ، فإنَّ من مَلك نفسه عزَّ ، ومن ملكَتْه ذَلّ .

ابراهيم الخوّاص قال : قال لى محمد بن الفضل : ما خطوتُ أَربعين سنة خطوةً لغير الله عزَّ وجل ، ومانظرت أَربعين سنة فى شيء أَستحسنه حياءً من الله عز وجلّ ، وما أَمليت على مَلَكىَّ ثلاثين سنة شيئًا ، ولوفَعلتُ ذلك لاسْتَحْيَيْت منهما .

أَسند محمد بن الفضل عن قتيبة بن سعيد ، وصحب أَحمد بن خضرويه وغيره ، وانتقل إلى سَمَرْقَند فمات بها فى سنة تسعَ عشرة (١) وثلثمائة .

٧٠٧ — ابو بكر الوراق :

واسمه محمد بن عمر ، ويقال له الحكيم وأَصله من تِرْمذ لكنه أَقام ببَلْخ .

أَبوبكر بن أَجيد البلخى قال : سمعت أَبابكر الورّاق يقول :

---

(١) ط : تسعة عشر ، خطأ .

لوقيل للطمع مَن أبوك ؟ قال : الشكّ المقْدور ، ولوقيل : ماحِرْفتك ؟ قال : اكتساب الذل ولو قيل : ماغايتك؟ قال : الحِرمان .

غيلان السَمَرْقندى قال : دخلَ رجل على أبى بكر الورّاق فقال : إنى أخاف من فلان . فقال : لاتخف منه فإن قلبَ مَن تخافه بيد منَ ترجوه . محمد بن حامد قال : قُلت لأبى بكرالورّاق علّمنى شيئًا يقرّبنى إلى الله ، ويقرّبنى من الناس . فقال : أَما الذِى يقرّبك من الله فمسألته ، وأَما الذى يقربك من الناس فترك مَسْألتهم .

أَسند أَبوبكر الورّاق الحديث عن موسى بن حزام الترمذى .

٧٠٨ ـــ عابد بلخى لم يعرف اسمه :

عبد الوهاب قال : بينا أَناجالس فى الحدّادين ببَلْخ إذ مرّ رجل فنظر إلى النار فى الكُور فسقط. فقمنا فنظرنا إليه فإذا هو قد مات .

٧٠٩ ـــ عابدة بلخية (رضى الله عنها) :

أَبوبلال الأَسود قال : خرجت حاجًّا فلما صرت فى بعض الطريق إذا أَنا بامرأَة ليس معها زاد ولا إدَاوة(١) . فقلت لها : من أَين أَنت؟ قالت : مِن بَلْخ . فقلت لها : ما أَرى معك زادًا ولاما تحملين فيه الزّاد . فقالت لى : خرج معى من بَلخ عشرة دراهم وقدبقّى بعضها (٢) فقلت لها : إذا نفدَتْ ما تَصْنعين؟ فقالت : علىّ هذه الجبّة أَبيعهاوآخذ دُونَها وأَنْفِق ما بين ذلك . قلت : إذا فَنى ماتَصْنَعين؟ قالت : أَبيع هذا الخِمار وآخذ دُونَهُ وأَنفق مابين ذلك . قلت فإذا فَنى ما تَصنِين قالت : يا بطّال أَسأَله فيُعْطينى . قلت : أَلاسَأَلْتِه(٣) قبلَ ذلك؟

(١) الإداوة : إناء صغير من جلد .
(٢) هذه رواية ق و ب . ط : نصفها .
(٣) فى النسخ : سألتيه . والصواب ما أثبت

قالت ، ويحك إنى أستحيي أن أسأله شيئًا من الدنيا ومعى فضلٌ مِنْ عَرَضها . قلت : اعقبي[١] على هذا الحمار عُقْبةً . فقالت : دَعْه . فتركته معها وتخلَّفت لحاجة . فلما قضيت حاجتى أسرعتُ فى أثرها فإذا أنا بالحمار واقف والخُرْج مملوءُ فرآنى حوارِيٌّ لم أربحُسنه فطلبتها بعد ذلك فما رأيتها .

انتهى ذكر أهل بَلْخ بحمد الله ومنّه[٢] .

ذكر المصطفين من أهل ترمذ[٣]

٧١٠ — على بن رزين أبو الحسن :

خراساني ، أصله مِن تِرمِذ ، ويقال من هَراة كان أُستاذ أبى عبد الله المغربى .

كان على بن رَزين قد صحِب الحسن البصرى فيما يذكر والله أعلم ، وكان يدخل إلى قَرْمِيسين[٤] فيما بلغنى فيكتب عنه ، وشَاعَ فى الناس ذِكْره أنه يشرب فى كل أربعة أشهرٍ شَربة ماءَ ، فسأله رجل من أهل قرميسين عن هذا؟ فقال : نعم وأىّ شيءٍ فى هذا؟ سألت الله عزّوجلّ أن يكفينى مَؤُونة بطنى فكفانى .

عاش علىّ بن رزين مائة وعشرين سنة ، وتوفىّ سنة خمس وعشرين ومائتين ، ودُفن على جبل الطُّور ، ودُفن إلى جانبه صاحبه أبو عبد الله المغربى .

٧١١ — محمد بن على بن الحسين (٥) الترمذى :

يكنى أبا عبد الله ، من كبار مشايخ خراسان ، له التصانيف

---

(١) كذا فى ط . و ق : اعتقبى .

(٢) الكلمات الثلاث ليست فى ط .

(٣) مدينة على الضفة الشمالية لنهر جيحون شمالى إيران .

(٤) بلد قرب همذان والدينور ، على جادة الحاج .

(٥) ق : الحسن . وأثبت ما فى ط .

المشهورة . وكان يقول ماصنَّفت شيئًا ليُنسب إلىّ لكن كنت إذا اشتدّ علىّ وَقتِى أتَسَلىّ بمصنَّفاتى .

منصور بن عبد الله قال : قال محمد بن على الترمذى ليس فى الدنيا حِمْل أثقل من البِرّ لأنَّ مَن برّك فقد أوثقك ، ومَن جَفاك فقد أطْلقك .

الحسن بن علىّ قال : سمعت محمد بن علىّ الترمذى يقول : من جهل أوصاف العُبودية فهو بنَعتِ الربوبية أجهل .

أبوالحسيْن الفارسى قال : سمعت محمد بن على الترمذى يقول(١) المؤمنُ بِشْرُه فى وجهه ، وحُزنه فى قلبه ، والمنافق حُزنَه فى وجهه وبِشْره فى قلبه .

وقال : اجعل مراقبتك لمن لاتَغيب عن نظره إليك ، واجعل شُكرك لمن لاتنقطع عنك نِعْمَتُه(٢) ، واجعل خضوعك لمن لاتخرج عن ملكه وسلطانه .

أسند محمد بن على عن محمد بن رزام الأيلى .

انتهى ذكر أهل ترمذ بحمد الله ومنّه(٣) .

ذكر المصطفين من أهل بخارى

٧١٢ — محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخارى يكنى أبا عبد الله :

أبو جعفر محمد بن أبى حاتم الورّاق قال : قلت لأبى عبدالله محمد ابن إسماعيل البخارى : كيف كان بَدْوُ أمرك فى طلب الحديث ؟ قال : ألهمت حفظَ الحديث وأنا فى الكُتَّاب . قلت : وكم أتى عليك إذ ذاك

(١) قط : قال .

(٢) ط : نعمه .

(٣) الكلمات الثلاث ليست فى ط .

فقال : عشر سنين أو أقلّ ، ثم خرجت من الكُتّاب بعد العشر فجعلت أَخْتَلِف إلى الداخليّ وغيره . فقال يومًا ، فيما كان يقرأ للناس : سفيان عن أبي الزبير عن ابراهيم . فقلت له : يا أبا فلان إن أبا الزبير لم يَرو عن إبراهيم . فَانْتَهَرَنى . فقلتُ له ارجع إلى الأصل إن كان عندك . فدخل فنظر فيه ثم خرج فقال لى : كيف هو ياغلام؟ قلت : هو الزبير بن عَدِى عن إبراهيم . فأخذ القلم منّى فأحكم كِتابه وقال : صَدَقْت . فقال له بعض أصحابه : ابن كم كنت إذ رددت عليه؟ قال : ابن إحدى عشرة سنة . فلما طعنتُ فى سن ستّ عشرة حفظت كُتب ابن المبارك وَوَكيع ، ثم خرجت مع أُمى وأخى إلى مَكّة فلما حججتُ[1] رجع أخى وتخلّفتُ بها فى طلب الحديث . فلما طعنتُ فى ثمانَ عَشرةَ جعلت أُصنِّف قضايا الصّحابة والتابعين وأقاويلهم ، وصنَّفْت كتاب التاريخ عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الليالى المقمرة[2] .

أبومحمد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن البخارى قال : سمعت أبا عبدالله محمد بن اسماعيل يقول لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم (من) أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر .

السعدانى قال : سمعت بعض أصحابنا يقول : قال محمد بن إسماعيل أخرجت هذا الكتاب ، يعنى الصحيح ، من زُهاء ستمائة ألف حديث .

---

(١) ب : حجت .

(٢) ق : القمر . وأثبت ما فى ط .

مُحَمَّد بن يوسف الفربرى قال : قال محمد بن إسماعيل : ماوضعت فى كتاب الصحيح حديثًا إلا اغْتَسَلْتُ قبل ذلك وصليت ركعتين .

بكر بن منير قال : كان حُمل إلى مُحمد بن إسماعيل بضَاعة أنفذَها إليه فلان . فاجتمع التجار إليه بالعشيَّة فطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم . فقال لهم : انصرفوا الليلة فجاءه من الغد تجَّار آخرون فطلبوا منه تلك البِضَاعة بربح عشرة آلاف درهم فردَّهم وقال : إنى نويت البارحة أن أَدفع إليهم بما طلبوا ، يعنى الذين طلبوا أول مرّة ، ففعل وقال : لاأُحب أن أَنقض نِيتّى .

مسبّح بن سَعيد[1] قال : كان محمد بن إسماعيل البخارى إذَا كان فى أَول ليلة من رمضان يَجْتَمِع إليه أَصْحابه فيصلِّى بهم فيقرأ فى كل ركعة عشرين آية ، وكان يقرأُ فى السَّحر مابين النصف إلى الثُلث[2] من القرآن ، فيختم عند السَّحر فى كل ثلاث ليالٍ ، ويقول عند كل خَتمة : دعوةٌ مُسْتَجَابة .

على بن محمد بن مَنْصور قال : سمعت أَبى يقول : كنافى مجلس أَبى عبد الله محمد بن إسماعيل ، فرفع إنسان من لحيته قَذاةً فطرَحها على الأَرض ، فرأَيت محمد بن إسماعيل ينظر إليها وإلى الناس فلما غَفَل النَّاس رأَيته مَدَّ يدَه فرفع القَذاة من الأَرض فأَدخلها فى كُمِّه . فلما خرج من المسجد رأَيته أَخْرَجَها فَطَرَحَهَا على الأَرض .

محمد بن أَبى حاتم قال : كنت أَرى أَبا عبد الله يقوم فى ليلة واحدة خمس عشرة مرّة إلى عشرين مرة فى كل ذلك ياخذ القدّاحة

---

(١) ط : مسيح بن سعد . ب : مسيح بن سعيد . (٢) ط : ثلث .

فيورى ناراً ويسرج ثم يخرج أحاديث فيعلّم عليها ثم يضع رأسه . وكان يصلىّ فى وقت السحر ثلاث عشرة ركعة يُوتر منها بواحدة .

بكر بن منير قال : سمعت محمد بن اسماعيل يقول : أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبنى أنى اغتبت أحداً .

قلت : فضائل البخارى كثيرة ، وحِفظه للحديث حِفظ غزير قد شهد له الأكابر به حتى قال أحمد بن حنبل : ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل . وكان نحيف الجسم ليس بالطويل ولا بالقصير . ولد يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة خَلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة .

وتُوفى ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفطر ، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر وذلك لغرّة شوال من سنة ست وخمسين ومائتين وقبره بخَرْتَنْكَ (١) .

٧١٣ — عابد بخارى :

إبراهيم بن أحمد الخواص قال : سلكت البادية ستّة (٢) عشر طريقاً على غير الجادة ، فاعْجَبُ ما رأيت فيها رجل ليس له يدان ولا رجلان ، وعليه من البلاء أمر عظيم وهو يزحف زحفاً فتحيرت منه وسلمت عليه ، فقال لى : وعليك السلام يا إبراهيم . قال : فقلت له : بم عَرَفْتَنى ولم تَرنى قبلها ؟ فقال : الذى جاء بك عرّف بينى وبينك . فقلت : صدقت ، إلى اين تريد ؟ فقال : إلى مكة قات ومن أين

(١) بفتح أوله وتسكين الراء وفتح التاء ونون ساكنة : قرية بينها وبين سمرقند ثلاثة فراسخ . ينسب إليها أبو منصور غالب بن جبرائيل الخرتنكى ، وهو الذى نزل عليه البخارى ومات فى داره . (معجم البلدان) .

(٢) ط : ست ، تحريف .

أنت ؟ قال : من بخارى فبقيت متعجباً أنظر إليه . فنظر إلى شزرًا وقال : يا إبراهيم تعجب من قوىّ يحمل ضعيفاً ويرفق به ؟ ثم دمعت عيناه وأرسل الدموع فقلت : لا ، ياحبيبى . فتركته على حاله ومضيت أنا . فلما دخلت مكة رأيته فى الطواف وهو يزحف زحفاً .

انتهى ذكر أهل بخارى .

ومن المصطفين من فرغانة (١)

٧١٤ — ابو بكر بن اسماعيل الفرغانى :

محمد بن داود قال : ما رأيت فى الفقراء أحسن من أبى بكر بن إسماعيل الفَرْغانى ، وكان ممن يظهر الغنى فى الفقر ، يلبس قميصين أبيضين ورداءً وسَراويل ونعلاً لطيفة وعمامة ، وفى يده مفتاح كبير حسن ، وليس له بيت ، يَنْطَرِح(٢) فى المساجد ، ويطوى الخمس والست دائماً .

ومن المصطفين من نخشب(٣)

ومن المصطفين من نخشب (٤)

٧١٥ — ابو تراب النخشبى :

واسمه عسكر بن الحصين . ويقال عسكر بن محمد بن حصين

أبو عبد الله الجلاء قال : لقيت ستمائة شيخ ما رأيت فيهم مثل أربعةٍ أوّلُهم أبو تراب .

أبو على الحسن بن خيران الفقيه قال : مرّ أبو تراب النَّخشبى بمزين فقال له : تحلق رأسى لله عز وجل ؟ فقال له : إجلس ؛

---

(١) ب : ذكر . (٢) فرغانة : بفتح فسكون : مدينة واسعة فيما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان . (٣) ط : يتطرح .

(٤) نخشب : بفتح فسكون ففتح : من مدن ما وراء النهر بين جيحون وسمرقند ، على يسار القاصد من بخارى إلى سمرقند .

فجلس . ففيما يحلق رأسه مرّبه أمير من أهل بلده فسأل حاشيته فقال لهم : أليس هذا أبا[1] تراب ؟ قالوا : نعم . فقال : أى شىء معكم من الدنانير ؟ فقال له رجل من خاصّته : معى خريطة[2] فيها ألف دينار . فقال : إذا قام فأعطِه واعتذِرْ إليه وقل له : لم يكن معنا غير هذه . فجاء الغلام إليه فقال له : إن الأمير يقرأ عليك السلام وقالَ لك : ما حضر معنا غير هذه الدنانير . فقال له : ادفعها إلى المزين . فقال المزّين : أىَّ شىءٍ أعمل بها ؟ فقال : خذها . فقال : لا والله ولو أنها ألفا[3] دينار ما أخذتها . فقال له أبو تراب : مُرَّ إليه فقل له ان المزين ما أخذها[4] فَخُذْها أنت فاصرفها فى مهمّاتك .

أبو عبد الله الجلاء قال : قدم أبو تراب مرّة إلى مكة فقلت له : يا أستاذ أين أكلت ؟ قال : جئتَ بفُضولك ، أكلت أكلة بالبصرة ، وأكلت أكلة بالنِّباج[5] ، وأكلة عندكم .

إسماعيل بن نجيد قال : كان أبو تراب يقول : بينى وبين الله عز وجل عهدٌ أن لا أمد يدى إلى حرام إلا قصّرتُ يدى عنه .

منصور بن عبد الله قال : سمعت أبا تراب النّخشبى يقول : ألِفت القلوب الاعراض عن الله عز وجل صحبتها الوقيعة فى الأولياء .

أبو العباس الشرقى[6] قال : كنا مع أبى تراب النخشبى فى طريق مكة فمرِض فعدل عن الطريق إلى ناحية فقال له بعض أصحابه :

---

(١) فى النسخ : أبو ، والصواب ما أثبت .

(٢) الخريطة : وعاء من جلد أو غيره يشد على ما فيه .

(٣) ق : ألفى ، والصواب كما فى ط . (٤) ق : خذها ، وأثبت ما فى ط .

(٥) النباج : (بكسر النون) : موضع على طريق البصرة ، وقيل : هو منزل لحجاج البصرة .

(٦) كذا فى ط . وفى ق : السرقى (بضم السين) .

أنا عطشان . قال : فضرب برجله فاذا عَين من ماء زلال : فقال الفتى : أُحبُّ أن أشربه فى قدح . فضرب بيده الأَرض فناوله قَدحاً من زجاج أبيض كأَحسن ما رأيت ، فشرب وَسقانا وما زال القَدح معنا إلى مكة .

قال : فقال لى يوماً : ما يقول أَصحابك فى هذه الأُمور التى يكرم الله عز وجل بها عباده ؟ فقلت : ما رأيت أَحداً إلا وهو يُعطَى الايمان بها . فقال : إنما سأَلتك من طريق الأَحوال . قات : ما أعرف لهم قولاً فيه . فقال : بلى قد زعم أَصحابك إنها خُدَعٌ من الحق وليس الأَمر كذلك إنما الخُدعُ فى حال السكون إليها ، فأَما من لم يعرّج على الملك فى اعْتِنَاق الحقائق فتلك مرتبة الربّانيين .

أسند أبو تراب عن محمد بن نمير ويعمر بن حماد وغيرهما . وتوفى بالبادية . نهشته السباع فى سنة خمس وأربعين ومائتين .

ومن المصطفين من أهل منجوران وهى قرية ببلخ(١)

٧١٦ — على بن محمد المنجورانى :

أحمد بن سهل قال : مات أبو على المنجورانى فخرجنا نعزى ابنه على بن محمد فلما رجعنا من دفن أَبيه نزع ثيابه ودخل الماء فى نهر ، وقال : اشهدوا أنى لا أملك اليوم شيئاً مما ورثتُ عن أبى ، لأَنه يتخالج فى صدرى ، فانْ وَاسَيْتُمونى بقميص حتى أخرج من الماء فعلتم «قال » وكان لنا صديقاً مؤَانساً فأَلقوا إليه قميصاً فخرج من الماء . وكان أبوه ترك مالا . لا يحصى (٢) .

---

(١) بلخ : (بفتح فسكون) : مدينة فى خراسان ، ومنجوان : إحدى قراها .
(٢) ط : ما لا يحصى .

ذكر المصطفين من عباد خراسان والمشرق الذين لم تعرف بلادهم ولا أسماؤهم

٧١٧ — عابد :

صالح بن عبد الكريم قال : أَتى رجل من إخوان فُضيل من أَهل خراسان فجلس إلى فُضَيْل فى المسجد الحرام فحَّدثه(١) قال : فقام الخراسانى يطوف ، فسُرِقت منه دنانير ، ستين أَو سبعين . قال : فخرج الخراسانى يَبْكى . فقال له فضيل : ما لك ؟ قال : سرقت الدنانير . قال : عليها تبكى ؟ قال : لا . قال الخراسانى : مثَّلتُنى(٢) وإياه بين يدى الله عز وجل (٣) فأَشرفت عقلى على إدْحَاض حُجّتِه فبكيتُ رحمة له .

٧١٨ — عابد آخر :

صالح بن أَحمد قال : جئت يوماً إلى المنزل فقيل لى : قد وَجَّه أَبوك أَمس فى طلبك . فقلت : وجهت فى طلبى ؟ فقال : جاءَنى رجل أَمس كنت أَحبّ أَن تراه ، بينا أَنا قاعد فى نحر الظهيرة إذا أَنا برجل يُسلم بالباب وكأَن قلبى ارتاح فقمتُ ففتحتُ الباب فاذا أَنا برجل عليه فَرْوَة وعلى أَمّ رأَسه خِرْقة ، ما تحت فروته قميص ولا معه رَكْوِة ولا جِراب ولا عُكَّاز ، قد لوّحته الشمس ، فقلت : ادخل . فدخل الدَّهْليز فقلت : من أَين أَقبلت ؟ قال : من ناحية المشرق ، أُريد بعض هذه السواحل ولولا مكانك ما دخلت هذا البلد

---

(١) ط : يحدثه .
(٢) مثلت نفسى وتخيلتها .
(٣) ب : مثلتنى وأنا بيد الله عز وجل .

إلا نويت السلام عليك . قال : قلت : على هذه الحال ؟ قال نعم ، ما الزهد فى الدنيا ؟ قال : قِصَر الأَمل .

قال : وجعلت أعجب منه ، فقلت فى نفسى : ما عندى ذهب ولا فضة . فدخلت البيت فأَخذت أَربعة أَرغفة وخرجت إليه فقلت : ما عندى ذهب ولا فضة وإنما هذا من قُوتى . قال : أَويَسُرّك أن أَقبل ذلك يا أَبا عبد الله ؟ قلت : نعم . فأَخذها فوضعها تحت حِضْنه وقال : أَرجو أَن تكفينى هذه زادى إلى الرّقة . أَستودعك الله . فلم أَزل قائماً أَنظر إليه إلى أن خرج . وكان يذكره كثيراً .

٧١٩ — عابد آخر :

أحمد بن على الاخْميمى قال : كنا ذات يوم عند ذى النون ، وقد ذَكر كرامات الله عز وجل لأَوليائه . فقال بعض من حَضره أنت رأَيت منهم أَحداً يا أَبا الفيض ؟ فقال ذو النون : كان عندى فتى من أَهل خُراسان أَعجمى بقى عندى فى المسجد سبعة أَيام لا يَطعم الطعام ، وكنت أَعْرِض عليه الطعام فيأْبى . فبينا نحن جلوس ذات يوم دخل سائل يطلب شيئاً ، فقال له الخراسانى : لو قصدت الله عز وجل دون خَلْقه أَغناك . فقال السائل : مالى هذا المكان . فقال له الخراسانى : أَى شىء تريد ؟ فقال : ما سدّ فاقتى وستَرَ عَوْرَتى .

فقام الخراسانى إلى المحراب وصلى ركعتين ثم أَتاه(١) بثوب جَديد وطبق فيه فاكهة وأَعطاه السائل .

قال ذو النون : فقلت له : يا عبد الله لك هذا الجاه عند الله عز وجل وأَنت منذ سبعة أَيام لم تطعَم شيئاً ؟ فجثا على ركبتيه وقال :

---

(١) ب : فأتاه .

يا أَبا الفيض ، كيف تَنْبُسط الأَلسن بالمسأَلة والقلوب ممتلئة بأَنوار الرضا عنه ؟

قال ذو النون : فقلت له : فالراضون لا يسأَلون شيئاً . فقال : منهم من يسأَل مِن باب الادلال ، ومنهم من يملؤه غنًى به ، ومنهم من يَسْتَخْرِج المسأَلة منه عطْفُه على غيره .

ثم أُقيمت الصلاة فصلىَّ معنا العشاءَ (١) الآخرة وأَخذ ركْوته وخرج من المسجد كأَنه يريد الطهارة . فلم أَره بعد ذلك «رضى الله عنه وأَرضاه » .

٧٢٠ — عابد من وراء النهر :

عبد الله بن الفرج قال : حدثنى ابراهيم بن أَدهم بابتدائه كيف كان ، قال :

كنت يوماً فى مجلس «لى » له مَنظرة إلى الطريق فاذا أَنا بشيخ عليه أَطار ، وكان يوماً حارًا فجلس فى فَىْءِ القصر ليستريح فقلت للخادم : اخرُج إلى هذا الشيخ فأَقرِئه منى السلام وسَله أَن يَدْخل إلينا فقد أَخذ بمجامِع قَلْبى .

فخرج إليه فقام معه فدخل إلَىَّ فسلم فردَدْت عليه السلام واستَبْشَرت بدخوله ، وأَجلسته إلى جانبى وعرضتُ عليه الطعام فأَبى أَن يأْكل . فقلت له : من أَين أَقبلت ؟ فقال : من وراءِ النهر . فقلت : أَين تريد ؟ قال : الحج إن شاءَ الله . قال وكان ذلك أَول يوم من العَشر أَو الثانى . فقلت : فى هذا الوقت ؟ قال : يفعل الله ما يشاءُ . فقلت : فالصّحبة ؟ فقال : إن أَحْبَبْتَ ذلك .

---

(١) ق : عشاء . وأثبت ما فى ط .

حتى إذا كان الليل قال لى : قم فلبِست ما يصلح للسفر وأخذ بيدى وخرجنا من بَلْخ فمررنا بقرية لنا فلقينى رجل من الفلاحين فأوصَيْته ببعض ما أحتاج إليه فقدّم إلينا خبزاً وبيضاً ، وسألنا أن نأكل فأكلنا ، وجاء بماء فشربنا ثم قال : بسم الله قُم . فأخذ بيدى فجعلنا نسير وأنا أنظر إلى الأرض تُجْذَبُ من تحتنا كأنها الموْج فمررنا بمدينة بعد مدينة فجعل يقول : هذه مدينة كذا ، هذه(١) مدينة كذا ، هذه الكوفة . ثم إنه قال لى الموعد ها هنا فى مكانك هذا فى الوقت الفلانى ، يعنى من الليل .

حتى إذا كان الوقت إذا به قد أقبل فأخذ بيدى وقال : بسم الله . باسم الله . قال : فجعل يقول : هذا منزل كذا ، هذا منزل كذا ، وهذا منزل كذا ، وهذه فِيْدورُ(٢) ، هذه المدينة . وأنا أنظر إلى الأرض تُجذَبُ من تحتنا كأنها الموج .

فصرنا إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزرناه ثم فارقنى وقال لى : الوَعْد(٣) فى الوقت من الليل فى المصلى .

حتى إذا كان الوقتُ خرجت فاذا به فى المصلى فأخذ بيدى ففعل كفعله فى الأولى والثانية حتى أتينا مكة فى الليل ، ففارقنى فقبضتُ عليه فقلت : الصُّحبة ؟ فقال : إنى أُريد الشام . فقلت : أنا معك . فقال لى : إذا انقضى الحجّ فالموعد ها هنا عند زمزم .

حتى إذا انقضى الحجّ إذا أنا به عند زمزم فأخذ بيدى فطفنا بالبيت ثم خَرَجنا من مكة ففعل كفعله الأول والثانى والثالث ، فاذا

---

(١) ط : وهذه .

(٢) فيد : (بفتح الفاء وسكون الياء) : منزل بطريق مكة ، من الكوفة .

(٣) ط : الموعد .

نحن ببيت المقدس . فلما دخل المسجد قال لى : عليك السلام أنا على المقام ههنا إن شاء الله تعالى . ثم فارقنى فما رأيتهُ بعد ذلك ولا عرفنى اسمه .

قال إبراهيم : فرجعت إلى بلدى أسير سَيْر الضَّعْفَى منزلاً بعد منزل حتى رجعت إلى بلْخ فكان أول أمرى .

قلت : قد انتهينا بحمد الله ومنّه إلى نهاية المشرق ونحن نعود إلى مركزنا وهو مدينة السلام بغداد فنرتقى إلى ديار الشام والمغرب والله الموفق .

فمن المصطفين من أهل عكبراء (١)

٧٢١ — ابو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة :

وكان عالماً عابدًا (٢)

القاضى أبو حامد أحمد بن محمد اللؤْلؤىّ قال : لما رجع أبو عبد الله بن بطة من الرّحلة لازم بيته أربعين سنة فلم يُرَ يوماً منها فى السوق ولا رُئِىَ مُفطراً إلا فى يومَىْ الأضحى والفطر ، وكان أمّاراً بالمعروف ، ولم يبلغه خبرُ منكرٍ إلا غيّره . أو كما قال .

أحمد بن على قال أخبرنى القطيعى قال : تُوفىّ أبوعبد الله بن بطة فى المحرّم سنة سبع وثمانين وثلثمائة وكان شيخاً صالحًا مستجاب الدعوة .

---

(١) ب : «من عباد أهل عكبراء» . وعكبراء (بضم العين وفتح الباء) وقد تقصر الألف : تبعد عن بغداد عشرة فراسخ .

(٢) ب : زاهداً .

ذكر المصطفين من اهل الموصل

٧٢٢ — المعافى بن عمران ابو مسعود الازدى :

جمع العلم والتقوى والورع

على بن خشرم قال : سمعت بشرًا (١) الحافى ، وقال له رجل : ألا أَراك (٢) عاشقًا للمُعافَى بن عِمران ، فقال : مالى لاأعشقه ، وكان الثورى يسمّيه الياقوته .

وقال : حضرته يومًا فنُعِيَ إليه ابناه ، فما حلَّ حَبْوَته (٣) ، قال : ظالمين أو مظلومين؟ قيل : مظلومين . فحلّ حَبْوَته وخرّ ساجدًا ، ثم رفع رأسه وقال : كيف كانت قصّتهما ؟ .

بشر بن الحارث قال : قتل للمعافى (٤) بن عمران ابنان فى وقعة الموصل فجاءه إخوانه يعزّونه من الغد فقال لهم : إن كنتم جئتم لتعزّونى فلا تعزّونى ولكن هنّئونى . قال فهنّئوهُ (٥) . قال : فما برحوا حتى غدّاهم وغلّفهم بالغالية (٦) .

يعقوب بن يوسف قال : قال بشر : كان المعافَى صاحب كَمدٍ ، أُصيب بابنَيْن له قُتلا وأُصيب بماله ، فما رئى عليه أثر حزن ولاسُمع فى (٧) داره صوت .

محامد بن مودود الموصلى قال : قيل للمعافى بن عمران : ماتَرى فى الرجل يقرِض الشعر ويقوله ؟ قال : هو عُمرك فأَفْنِه بما شئت .

---

(١) النسخ : بشر ، والصواب ما أثبت .

(٢) كذا النسخ . إلا أن أصحاب طبعة حيدر آباد ذهبوا فى صحيفة الخطأ والصواب إلى أن صوابها : لأراك !! . ويمكن جعل (ألا) أداة تنبيه ، أو لعلها مقحمة .

(٣) الحبوة : ما يحتبى به ، أى يشتمل به من ثوب أو عمامة .

(٤) ط : لمعافى. (٥) ط : فهنيناه .

(٦) الغالية : أخلاط من الطيب . (٧) ط : من .

بشر بن الحارث قال : سمعت المعافى بن عمران يقول : عِزّ المؤمن استِغْناؤُه عن الناس ، وشَرفه قِيامُه بالليل .

مِرْداد بن جميل قال : سأَل عمرُو بن اسماعيل ، رجل من أَصحاب الحديث ، المعافى بنَ عمران فقال له : يا أَبا عمران أَىّ شىءٍ أَحبّ إليك : أَسهرُ وَأُصلِّى ، أَو أَكتبُ الحديث ؟ فقال : كتابة حديث واحدٍ أَحبّ إلىّ من صلاة ليلة .

أَسند المعافَى عن مغيرة بن زياد وأُسامة بن زيد وصالح بن أَبى الأَخضر والثورى ، وابن أَبى ذئب ، ومالك ، وابن جريج ومِسَعروالليث ابن سعد وغيرهم . وأَكثرَ ملازمةَ الثورى وتأَدّب بآدابه وصَنَّف كتبًا فى السنن والزهد والأَدب وتوفىّ فى سنة أَربع وثمانين ومائة . وقيل خمس وثمانين وقيل ست (والله أعلم) .

٧٢٣ — فتح بن محمد بن وشاح الأزدى الموصلى ، ويكنى ابا محمد :

محمد بن الوليد قال : سمعتُ فَتح بن محمد الأَزدى يقول فى جوف الليل : رَبِّ أَجَعْتَنِى وأَعرَيْتَنِى ، وفى ظُلم الليل أَجْلَسْتَنِى ، فبأَىّ وسيلةٍ أَكرمْتَنى هذه الكرامة؟ وكان يبكى ساعةً ويفرح ساعةً .

المعافَى بن عمران قال : دخلت على فتح الموصلى فرأَيته قاعدًا فى الشمس وصبيةٌ له عُريانة وابنٌ له مريض ، فقلت له : ايذن لى حتى أَكسوَ هذه الصبيّة . قال : لا ، قلت : وَلِمَ؟ قال : دعها حتى يرى الله عَزّ وجَلّ ضُرَّها وصَبرِى عليها فيرحمنى .

قالَ : فَتَجَاوَزْتُ إلى الصبىّ فقعدْت عند رأْسه فقلت : حَبيبى أَلا تَشتَهى شيئًا حتى أَحمله؟ قال : ومَن أَنت؟ قلت : مُعافَى بن عمران فرفع رأْسه إلى السماءِ وقال : مِنِّى الصبر ومنك البلاء .

أبوغسان المؤذن قال : خرجنا حُجّاجًا فأردْنا غَسل ثيابنا بمكة فأُرشدنا إلى رجل له صلاح من أهل فارس ، يغسِل للناس ثِيَابهم ويتَّجِر على الضُّعفاء فيغسل ثيابهَم بغير أُجرةٍ(١) فأتيناه فقال : ممن أنتم ؟ قلنا : من أهل الموصل : قال : تعرفون فَتحاً ؟ قلنا نعم . قال : مافَعل؟ قلنا : مات قال : فتوجّع عليه وأظهر حزنًا ، فقلنا : كيف تَعرفه وأنت رجل من أهل فارس وهو بالموصل؟ قال : رأيت فى مَنَامى عِدَّة ليالٍ أن إيتِ فتحًا الموصلى فإنه من أهل الجنة . فخرجت من فارس حتى أتيت الموصل فسألت عنه فقيل لى هو على الشطِّ ، فأتيته فإذا رجل ملتفّ بكسائه وقد ألقى شِصًّا له فى الماء فسلَّمت عليه فردَّ علىّ فقلت له : أتيتك زائرًا . قال :فلفَّ الشِّص وقام فدخلنا المسجد وغربت الشمس وصلَّينا وتفرق الناس .

فأتى بطعامٍ فأكلنا ثم نُودى بالعشاء الآخرة فصلَّينا وتفرّق الناس وقام(٢) فتح فى صلاته ورميت بنفسى فإذا رجل قد دخل علينا المسجد فسلَّم وصلَّى إلى جنب فتح ركعتين وقعد فسلَّم عليه فتح وسأله ، فقال له الرجل : متى عَهدُك بأبى السَّرِىّ ؟ قال : مالى به عهد منذ أيام . قال : فقم بنا إليه فإنه مُعتلّ .

قال : فخرَجا من المسجد وأنا أنظر إليهما حتى مَضَيا إلى دِجلة يمشيا على الماءِ فقعدت أنظر رجوعهما فجاء أحدهما فى آخر الليل فإذا هو فَتح فدخلت المسجد فرميت نفسى كأنى نائم . فلما أسفر الصبح وصَلَّينا(٣) وتفرق الناس قمتُ إليه فقلت : يا أبا محمد قد

---

(١) ط : أجر .
(٢) ط : فقام .
(٣) ط : فصلينا .

قضيتُ من زيارتك وطرًا وقد رأيتُ الرجل الذى أتاك البارحة وماكان منكما . فجعل يعارِضنى . فلما علم أنِّى قد علمت الخبر أخَذ علىّ العهود أن لاأعلم بذلك أحدًا ماعلمت أنه حىّ . وقال لى : ذاك الخَضِر وأبو السَّرِىّ حمزة الخولانى ، وهو رجل صالح فى هذه القرية ، وأشار بيده إليها ، وقال : اجعل طريقك عليه فالقَه وسلِّم عليه فمضيت إليه وسلَّمت عليه .

ذكر المعافَى بن عمران أنه لم يلق أحدًا أعقل من فتح هذا .

وقال أبونصر التمَّار توفىّ فى سنة سبعين ومائة رحمة الله عليه(١)

٧٢٤ — فتح بن سعيد الموصلى يكنى أبا نصر :

وقد يَشتبه هذا بالذى قبله إذا قيل : فتح الموصلى ، وهما اثنان معروفان عند أهل العلم وإذا فُرّق بينهما بالكنية أو باسم الأَب تَباينا . وقد حُكى عن هذا نحو الحكاية التى حكيناها عن الأَول فى حق أولاده ويحتمل أن يكون عن الأَول .

أبوبكر بن عفان قال : سمعت بِشر بن الحارث يقول : بلغنى أن بنْتًا لفتح الموصلىّ عَرِيَت فقيل له : ألاتَطلب مَن يكسوها ؟ فقالَ : لا ، أَدَعُها حتى يرى الله عز وجل عُرْيَها وصَبرِى عليها . قال : فكان إذا كان ليالى الشتاء جَمع عياله وقال بكسائه عليهم (٢) ثم قال : اللهم أفقرتنى وأفقرت عيالى ، وجَوّعتنى وجوّعت عيالى ، وأعريتنى وأعريت عيالى ، فبأَىّ(٣) وسيلة توسّلتها إليك ، وإنما تفعل هذا بأَوليائك وأَحبائك ، فهل أنا منهم حتى أفرح .

---

(١) الجملة الدعائية ساقطة من ط .

(٢) أى ألقاهم عليهم ورماه فوقهم .

(٣) ط : بأى .

إبراهيم بن نوح الموصلى قال : رجع فتح الموصلى إلى أهله بعد العتَمة وكان صائمًا فقال : عَشّونى . فقالوا : ماعندنا شىءُ نعشّيك به . قال : فما لكم جلوسًا(١) فى الظلمة ؟ قالوا ماعندنا شىءُ نُسرجُ ولاسِراج ؟ بأَىّ يدٍ كانت منّى ؟ فما زال يبكى إلى الصباح .

أبوبكر بن عفان قال : سمعت بِشر بن الحارث يقول : بلغنى عن فتح الموصلى أنه كان يَتَجَزّأ بفَلْسٍ فى اليوم يشتَرى به نُخالة .

إبراهيم بن عبد الله قال : صُدّع(٢) فتح الموصلى ، ففرح وقال : ياربّ ابتليتَنى ببلاءِ الأنبياء . فشُكْرُ هذا أن أُصلّى الليلةَ أربعمائة ركعةٍ .

بشر بن الحارث قال : قال فتح الموصلى : مَن أدام النظر بقلبه ورّثه ذلك الفرحَ بالمحبوب ، ومَن آثره على هواه ورّثه ذلك حُبّه إياه ، ومن اشتاق إليه وزَهِد فيما سِواه ورَعى حقّه وخافه بالغيب ، ورّثه ذلك النظرَ إلى وجهه الكريم .

أبوجعفر ، ابن أُخت بشربن الحارث ، قال : كنت يومًا واقفًا ببابنا إذ أقبل شيخ ثائر الشّعر ملتفّ بالعَبَاء فقال لى : بِشْرٌ فى البيت؟ قلت : نعم فقال : إدخُل فقُل : فَتْحٌ بالباب فدخلت فقلت : ياخال شَيْخٌ فى عباءٍ قال لى : قل لبشرٍ فَتْحٌ بالباب. قال : فخرج مسرعًا فصافحه واعْتَنَقَه فقال له الشيخ : ياأبانصر إنى ذكرتك البارحة فاشتقتُ إلى لقائك . قال : فدفع إلىّ درهمًا فقال : خذ بأَربعة دوانيقَ خبزًا ،

---

(١) فى النسخ : جلوس ، والصواب ما أثبت لأنه منصوب على الحالية .
(٢) قط : صرع .

ويكون جيِّدًا ، وبدانقين تَمرًا . فقال الشيخ : قل له يكون شِهريزًا (١) فجئته به . فقال الشيخ : قل له يأْكل مَعنا . فقال : كُل مَعنا فأَكلتُ معهم . فلما أَكلنا أَخذ مافضل فى طرف العباءِ ومَضَى ، فخرج خالى معه يشيّعه إلى حَرْب . فلما رجع قال لى : يا بنىّ ، تدرى مَن هذا ؟ قلت لا ، قال : هذا فَتحُ الموصلى .

محمد بن الصلت قال : كنت عند بشر بن الحارث فجاءَ رجل فسلم على بشر ، فقال بشر إليه فقمت لقيامه ، فمنعنى . فلما سكَن الرجل أَخرج بِشرٌ درهمًا صحيحًا وقال : أَخرج واشتَرِ خُبزًا وزُبدًا وتمرَ بَرنىٍّ (٢) .

قال : فخرجت واشتريت وحملته فوضعته بين يديه ، فأَكل الرجل وحمل الباقى وقام فخرج ، فلما خرج قال لى بشر : يابنىّ تَدرى لِمَ منعتُك عن القيام له؟ قلت لا . قال : لأَنه لم يكن بينك وبينه معرفة فكان قيامك لقيامى فأَردت أَن لايكون قيامك إلاالله خالصاً ، وتدرى لماذا دفعتُ إليك الدرهم وقلتُ اشتَر كذا وكذا؟ قلت : لا. قال : إن طيب الطعام يَستخرج خالص الشكرلله تعالى ، وتدرى لِمَ حَمل الباقى؟ قلت لا – قال : عندهم إذا صحّ التوكُّل لم يضرّ (٣) الحَمل ، وهذا فتحُ الموصلى جاءَنا زائرًا .

عن أَحمد بن أَبى الحوارِىّ أَنه قال : سمعت شيخًا من أَصحاب فتحِ الموصلى قال : كانت لفتحِ الموصلىّ بضاعة عند أَخ له يعمل

(١) تمر شهريز (بضم الشين وكسرها ، وبالنعت وبالإضافة) : نوع جيد من التمر معروف عندهم . ويقال أيضاً (سهريز) بالسين .

(٢) كذا فى النسخ ولعلها على الإضافة . والتمر البرنى (بفتح الباء وتشديد الياء) نوع جيد أيضاً من التمر .

(٣) ط : لا يضر .

بها فى البر والبحر ، فبعث فَتحٌ فاسْتَرَدّها وأنفقها وقال : رأيت قلبى يميل إليها فكرهتُ أن تكون ثِقتى سِواهُ .

ابراهيم بن موسى قال : رأيت فتحًا الموصلى يوم عيدٍ وقد رأى على الناس الطَّيالس والعمائم . قال : فقال لى : يا ابراهيم إنما ترى ثوبًا وجَسَدًا يأْكله الدّود غدًا ، هؤلاء أنفَقُوا خَزائنهم على بُطُونهم وظُهُورهم ويُقْدِمون على ربّهم مَفاليس .

عبد الله بن الفرج قال : قال فتح الموصلى : كبرتْ علىّ خَطاياىَ وكثرت حتى لقد آيسَتْنى من عظيم عفْوِ الله عزوجل قال : ثم قال : وانّى آيسُ منك وأنت الذى جدت عَلى السَّحرة بعد أن غَدوا كفَرةً فَجَرة؟ ، وأنّى آيِسُ منك وأنت ولىٌّ كل نعمة؟ وأنّى آيسُ منك وأنت المؤمّل لكل فَضل ومعروف؟ ، وأنّى آيسُ منك وأنت المغيث المغيث عند الكرب؟ ولم يزل يقول : آيسُ منك ، حتى سقط مغشيًّا عليه .

عمران بن موسى الطَّرسوسى قال : مرّ فتح الموصلى بصبّيين مع أحدهما كِسرةٌ عليها عسل ومع الآخر كسرةٌ عليها كامَخ(١) . فقال الذى معه الكامَخ للذى معه العسل : أَطعِمنى من خبزك قال : إن كنت كلبًا لى أطعمْتك . قال : نَعم . فأَطعمه من خبزه وجعل فى فمه خيطًا وجعل يقوده فقال فتح : لورضيتَ بخبزك ما كنتَ كلبًا لهذا .

قال أبوموسى فهكذا الدنيا .

عثمان بن عمارة قال : غبت غيبةً فلما قدمت لقيت فتحًا الموصلى فى حانوت سالم الدّوْرَقى . فقال لى : يابصرىّ أىّ شىء رأيتَ فى

---

(١) الكامخ : إدام يؤتدم به .

غيبتك؟ فقلت : رأيت عجائبَ كثيرة وأخبارًا مختلفة . فصاح صَيْحة . فقلت : أنت تصيح من الخبر ، فكيف لوشاهدتَ القيامة أو شاهدتَ صاحب القيامة ؟ فشهق شهقة ووثب من الحانوت فخرّ مغشيًا عليه فحملناه فأدخلناه الحانوت فما زال مغشيًا عليه إلى العصر ، فلما صليت العصر تنفَّس ثم فتح عينيه .

رِياح بن الجراح العبدىّ قال : جاءَ فتحُ الموصلى إلى منزل صديق له يقال له عيسى التمّار فلم يجده فى المنزل ، فقال للخادم : أخرِجى إلىّ كيسَ أخى . فأخرجَتْه فأخذ منه درهمين ، وجاءَ عيسى إلى منزله فأخبرتْه الجارية بمجىءِ فتح وأخذِه الدّرهمين فقال إن كنتِ صادقة فأنتِ حُرّة . فنظر فإذا هى صادقة فَعتِقَتْ .

محمد بن عبد الرحمن بن حبيب الطُفاوى قال : دخلت على فتح الموصلى وهو يُوقِد بالآجرّ . وكان فتح رجلاً من العربْ ، وكان شريفًا زاهدًا .

عبد الله بن الفرج العابد قال : كان بالموصل رجل نصرانى يكنى أَبا إسماعيل . قال : فمرّ ذات ليلة برجل وهو يَتَهَجّد على سطحه وهو يقرأُ «وَله أَسلَم مَنْ فى السّموات والأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وإليه تُرْجَعُون(١) قال : فصرخ أَبواسماعيل صرخةً غُشِىَ عليه فلم يزل على حاله تلك حتى أَصبح فلما أَصبح أَسلم ثم أَتى فتحًا الموصلى فاستأْذنه فى صحبته فكان يصحبه ويخدمه .

قال : وبكى أَبواسماعيل حتى ذهبت إحدى عينيه وعَشِىَ(٢) من الأُخرى ، فقلت له ذات يوم : حدِّثْنى ببعضِ أَمر فتح الموصلى . قال

(١) آل عمران : ٨٣ .

(٢) ضعف بصر عينه الأخرى . والأعشى فى الأصل: الذى لا يبصر ليلا . ق : وغشى .

فبكى ثم قال : أُخبرك عنه : كان والله كهيئة الرّوحانيِّين ، معلَّق القلب بما هناك ، ليست له فى الدنيا راحة . قلت : على ذاك قال : شهدتُ(١) العيدَ ذات يوم بالموصل ورجع بعد ماتفرّق الناس ورجعتُ معه فنظر إلى الدّخان يفور من نواحى المدينة فبكى ثم قال : قد قرّب الناس قُربانَهم ، فليت شعرى ما فعلتُ فى قُربانى عندك أيُّها المحبوب؟ ثم سقط مغشيًا عليه .

فجئت بماءٍ فمسحت به وجهه ، فأفاق ثم مضى حتى دخل بعضَ أَزقَّة المدينة فرفع رأسه إلى السماء ثم قال : قد علمت طُول غَمِّي وحُزنِى وتَرْدَادى فى أَزِقَّة الدنيا ، فحتى متى تَحبِسُ أَيّها المحبوب ؟ ثم سقطَ مغشِيًّا عليه فجئت بماءٍ فمسحتُ على وجهة فأفاق . فما عاش بعد ذلك إلا أَيَّامًا حتى مات رحمه الله .

ابراهيم بن موسى قال : رأَيت فتحًا الموصلى فى يوم عيد أَضحى وقد شَمَّ ريح القُتار(٢) ، فدخل إلى زُقاق فسمِعْتة يقول : تقرَّب المتقرّبون بقُربانهم وأنا أَتقرّب إليك بطُول حُزنى يامحبوب ، كم تَتْركُنى فى أَزِقَّة الدنيا محبوسًا ؟ ثم غُشِىَ عليه وحمل فدفنَّاه بعد ثلاث .

إسماعيل بن هشام ، عن بعض أَصحاب فتح الموصلى قال : دخلت عليه يومًا وقد مدّ كفَّيه يبكى ، حتى رأيت الدموع من بين أَصابعة تنحدر . فدنوت منه لأَنظر إليه فإذا دموعه قد خالَطْتها صُفرة . فقلت : بالله يافتح بكيت الدم ؟ فقال : لولا أَنك حلَّفتَنى بالله عز وجل

(١) ط : شهد .
(٢) القتار (بضم القاف) : رائحة الشواء .

ما أخبرتك ، بكيت دمًا . فقلت : على ماذا بكيتَ الدموع؟ وعلى ماذا بكيت الدم فقال : بكيت الدموع على تخلُّفى عن واجب حقّ الله عزوجل ، وبكيت الدم على الدموع خوفًا أن تكون ماصحّت لِىَ الدّموع .

قال (١) الرجل : فرأيت فتحًا بعد موته فى المنام . فقلت : ماصنع الله بك؟ فقال (٢) غفرلى – قلت فما صنع فى دموعك؟ فقال : (٢) قَرّبنى ربِّى عزّوجل وقال لى : يافتح ، الدّمع على ماذا ؟ قلت : يارب على تخلُّفى عن واجب حقّك قال : فالدّمَ لِمَ بكيتَ ؟ فقلت : ياربّ على دموعى خوفًا أن لاتصِحّ لى فقال لى : يافتح ما أردت بهذا كلّه؟ وعزّتى لقد صَعِدَ إلىّ حَافِظَاكَ أربعين سنة بِصَحِيفتك مافيها خَطِيئة .

أدرك فتح عيسى بن يونس وأقرانه وأسند عن عيسى وتوفى سنة عشرين ومائتين .

٧٢٥ – سباع الموصلى :

أحمد بن أبى الحوارى قال : سمعتُ المضاء يقول لِسِبَاعٍ الموصلىّ (٣) يا أبا محمد إلى أىّ شىء أفضى بهم الزهد ؟ قال : إلى الأنس به .

٧٢٦ – احمد الموصلى :

عن أحمد الميمونىّ ، من ولد مَيمون بن مهران ، قال : قدم علينا أحمد الموصلى فأتيته فقال لى : يا أحمد إن تعمَلْ فقد عمل العاملون قبلك ، وإن تعبد فقد تعبّد المتعبدون قبلك ، أُولئك الذين قرّبوا الآخرة وباعَدوا الدنيا ، أُولئك الذين وَلِىَ الله إقامتهم على الطريق

(١) ط : فقال .
(٢) ب : قال .
(٣) بعدها فى قط : قالوا .

فلم يأخذوا يميناً ولاشمالاً ، (١) فلوسمعت نغمةً من نغماتهم المختمرة فى صدورهم ، المتغرغِرة فى حلوقهم لغيّبت (٢) عليك عيشك ، ولطردت عنك البَطالة أيام حياتك .

ذكر المصطفيات من عابدات الموصل

٧٢٧ — ألوف الموصلية :

أبوسليمان قال : خطب رجل امرأةً من أهل الموصل يقال لها أُلوف فقالت للرسول : قل له مايسرّنى أنك لِىَ عبدٌ وجميع ماتملِكه لى ، وأنك شغلتَنى عن الله عزّوجل طرفة عين .

٧٢٨ — رقيـــة :

عبيدالله بن عمربن عبيدالله (٣) المَعمرىّ قال : أنبأ جدى قال : سمعت فتحاً الموصلى يقول : سمعت امرأة متعبّدة عندنا تقول : إلٓهى وسيّدى ومولاى لوأنك عذّبتَنى بعذابك كلِّه لكان مافاتَنى من قربك أعظم عندى من العذاب ، ولونَعّمتَنى بنعيم أهل الجنّة كلِّهم كانت لَذّةُ حبك فى قلبى أكثر .

قلتُ : هذه العابدة هى رُقَيّة .

منصور بن محمد قال : قالت رقيّة الموصلية : إنى لأُحب ربِّى حبًا شديدًا فلو أمَرنى إلى النار ماوجدت للنار حرارةً مع حبه ، ولو أمرنى إلى الجنة لما وجدت للجنة لذّة مع حبّه ، لأن حبّه هو الغالب علىّ .

محمد بن كثير المصيصى قال : قالت رقيّة العابدة ، وكانت بالمَوصِل : حَرامٌ على قلب فيه رهبانيّةُ المخلوقين أن يذوق حلاوة

---

(١) ط : ولو .

(٢) كذا فى ط . وذكر فى الحاشية أنها بغير نقط واضح . وفى ق : لغثبت (؟) ولعلها (لغثثت) بتشديد الثاء ، أى أفسدت .

(٣) قط : عبد الله .

حلاوة الإيمان ، شَغَلَوا قلوبهم بالدنيا عن الله عزوجلّ ولوتركوها لجالت في الملكوت ورجعت إليهم بطُرَف الفوائد .

وكانت تقول تفقّهوا في مذاهب الإخلاص ولا تفقّهوا فيما يؤدّيكم إلى الركوب على القِلاص(١) .

٧٢٨ — امية بنت ابى المودع :

أَبو الوليد ، رياح بن أَبي الجرّاح العبدى ، قال : ما رأيت قطّ مثل أُميّة بنت أَبي المورّع الموصلية ، وكانت من الخائفين ، وكانت إذا ذكرت النار قالت : أُدخِلوا النارَ ، وأَكلوا من النار ، وشَربوا من النار ، وعاشوا . ثم تَبكى . وكان بكاؤُها أَطول من ذلك ، وكانت كأَنّها حَبَّةٌ على مِقْلى ، وكانت إذا ذكرت النار بكت وأبكت دمًا وما رأَيت أَحدًا أَشدّ خوفًا ولاأَكثر بكاءً منها .

٧٣٠ — موافقة ويقال موفقة :

أَبوعبد الله الحصرى قال : سمعت فتحًا الموصلي يقول مرّت بى امرأة متعبّدة(٢) يقال لها : مُوافقة ، فعثَرَتْ فسقط ظفرُ إبهامها ، فضحكتْ ، فقيل لها يا مُوافقة يسقط إبهامُكِ وتَضحكين؟ فقالت : إنَّ حَلاوة ثوابه أَزالت عن قلبي مَرارَة وَجَعِه .

عبد الله بن حُبَيق(٣) قال : مرّت بفتحِ الموصلي امرأة يقال لها مُوفَّقة ، فعثَرَت فسقط ظُفُرُ إبهامها فضحكت ، فقيل لها يا موفَّقة سقط ظفر إبهامكِ وتضحكين ؟ فقالت : والله إن حلاوة ثَوابه أَزالت عن قلبي مرارة وجَعه .

---

(١) مفردها قلوص وهى الناقة .

(٢) الكلمة ساقطة من ط .

(٣) ق : خبيق ، تحريف .

وقد روى أن هذه القصة جرت لامرأة فتح الموصلى .

قال زيد بن أبى الزرقاء : عثرت امرأة فتح الموصلى فانقطع ظُفرها فضحكت فقيل لها فأينَ ماتجدينه من حَرارة الوجع ؟ فقالت : إنَّ لذة ثوابه أزالت عن قلبى مرارة وجَعه .

٧٣١ — راهبة الموصلية :

أحمد بن أبى الحوارى قال : حدثتنى امرأتى رابعة قالت : دخلتُ على أُخت لى عاتقٍ بالموصل ، فقالت لى : هل تَدرين ما معنى قوله (إلَّا مَن أتَى اللهَ بقلبٍ سَليم (١) ؟ قالت : قلتُ لا — قالت : القلب السليم الذى يلقى الله عزوجل وليس فيه (٢) شيءٌ غير الله عزوجل قال أحمد حدثتُ بهذا أبا سليمان فقال ليس هذا كَلام الرّاهبة هذا كَلام الأَنبِياء .

انتهى ذكر أهل الموصل بحمد الله ومنّه (٣)

---

(١) الشعراء : ٨٩ .

(٢) ق ، ب : فى قلبه ، وأثبت ما فى قط .

(٣) الكلمات الثلاث الأخيرة ليست فى ط .

ذكر المصطفين من اهل الرقة

٧٣٢ — ميمون بن مهران ، يكنى ابا ايوب :

مولى بني نصر – وقيل مولى الأزد ولد سنة أربعين .

عن جَعْفَر عن مَيْمُون بن مهران قال : قال لى عُمَر بن عبد العزيز مواليك ؟ قلت ، كانت أمىِّ مولاةً للأزد وكان أبى مُكاتبًا مَن لبنى نصر . فقال لى عمر ياميمون أنت مولىً للأزد .

خلَف بن حوشب قال : تكارَيْنا مع ميمون بن مَهْران دَوابَّ إلى مكانٍ فقال ميمون لولا أنَّ الدوابَّ بكراءٍ لمَرْرنا على آل فلان .

جَعْفَر بن برقان قال : قَالَ مَيْمُون بن مهران : ياجعفر قُل لى فى وجهى ما أكرهُ فإنَّ الرجُل لاينصح أخاهُ حتى يقول له فى وجهه مايَكْرَهُ .

أبو المَليح عن ميمون قال : لاتَضرب المملوك فى كلّ ذَنْب ، ولكن احفظ ذلك له فإذا عصَى الله عزوجل فعاقِبْه على معصية الله ، وذكِّره الذنوب التى أذنب بينك وبينه .

أبو المَليح قال : مارأيت أحدًا أفضل من ميمون بن مهران ، قَالَ له رَجُل يومًا : يا أبا أيوب أىَّ شيءٍ تشتكى (١) ؟ أراك مصفرًّا ؟ قال : نعم لِما يبلغنى فى أقطار الأرض .

عبد الملك الميمونى قال : سمعت أبى يقول : سمعت عَمِّى عمر (٢) يقول : ما كان أبى يكثر الصيام ولاالصلاة ولكنه كان يكره أن يَعصِيَ اللهَ عزوجل .

قال : وسمعت أبى يقولَ : وَدِدْت أَنَّ إصبَعى قُطِعت من هاهنا وأنّى لم أَلِ (٣). فقلتُ : ولالِعُمر ؟ قال : لالعُمر (٤) ولالغيره .

(١) ب ، ق : « يا أبا أيوب أتشتكى » . وأثبت ما فى قط . (٢) ب ، ق : عمراً .
(٣) فعل مضارع ، من الولاية . (٤) ط : ولا لعمر .

أَبو المَليح قال : سمعت ميمونًا يقول :لاخير فى الدنيا إلَّا لأَحَد رجلين : رجلٍ تائب ، ورجُلٌ يعمل فى الدَّرَجات .

جعفر بن برقان قال : سمعت ميمون بن مَهْرَان يقول :إنَّ العبدإذا أَذنب ذنبًا نُكِت فى قلبه نُكتةٌ سوداءَ فإذا تاب مُحيتْ من قلبه فترى قلبَ المؤمن مجْلوًّا مثلَ المرآة ، مايأْتيه الشيطان من ناحِيَةٍ إلَّا أَبْصره ، وأَما الذى يَتَتَابع فى الذنوب فإنَّه كلَّما أَذنب نُكِت فى قلبه نُكتة سوداءَ فلايزال يُنكت فى قلبه حتّى يَسْوَدّ قلبه فلايُبصر الشيطان من حيث يأْتيه .

قال : وسمعت ميمون بن مِهران يقول : لايكون الرجل من المتَّقين حتى يحاسِب نفسه أَشدّ من محاسبة شريكه ، حتَّى يعلَم مِن أَين مَطعَمُه؟ ومِن أَين ملبَسه؟ ومن أَين مَشرَبه؟ أَمِن حِلٍّ ذلك أَم مِن حَرام ؟

أَبو المليح عَنْ مَيْمُون قال : الصَّبرُ صَبْران ، والذِّكر ذِكْران : فذِكر الله عزوجل باللسان حَسن ، وأَفضل منه أَن تذكر الله عزوجل عند ما (١) تشرف عليه من مَعَاصِيه ، والصَّبر عند المِصيبة حسَن وأَفضل منه أَن تَصبر نفسُك على ماتكره من طاعة الله عزَّوجل وإن ثَقُل عليك.

قال ميمون : وأَدركت من لم يتكلم إلَّا بحقّ أَويسكتُ ، وقد أَدركت مَن لم يكن يتكلَّم بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس إلَّا بما يَصعدُ ، وقد أَدركت من لم يَملأْ (٢) عينيه من السماءِ فَرَقًا من ربَّه عز وجل ، ولو أَن بعض من أَدركت نُشرِ حتى يُعاينكم ماعَرف منكم شيئًا إلَّا قِبْلَتكُم .

---

(١) ب : على ما .

(٢) ط : تملأْ ، تصحيف .

عيسى بن كثير الأَسدى قال : مَشَيْت مع ميمون بن مِهران حتى إذا أتى باب دارِه ومعه ابنه عمروا ، فلما أردت أن أنصرف قال له عمرو : يا أبَة ألا تعرِض عليه العَشَاء ؟ قال (ليس) ذالك من نيتى .

أسندميمون عن ابن عمر ، وابن عباس ، وغيرهما . وتوفى فى سنة سبعَ عشرة ومائة .

٧٣٣ ــ حناذ القلاء (١) :

حذيفة المرعشى قال : مررتُ بالرّقّة بأَصحاب السَّويق ، ورجلٌ يبيع السَّويق عليه بَتّة (٢) وهو مقبل على غلامين ، وعلى رأسه كُمَّةٌ دَنِسة (٣) فقلت : لو أَلقيت هذه الكُمَّة .

فقال : أَصبتُ قلبي يَصلُح عليها . قلت : أَراك مقبلاً على الغُلامين أَفَمِن حُبِّهما ؟ قال : إنِّى أَجِّل الله عزوجل أن أَشغَل قلبي بحبّ أَحدٍ مع حُبِّه ، ولكنْ (٤) أَرحَمُهما .

حذيفة العابد ، صاحب يوسف بن أَسباط ، قال : لما اصْطَلَح الروم والعرب قلت : فما أَصنع الآن فى الرّباط ؟ فخرجتُ حتى أَتيت الرَّقّة فجئت إلى قومٍ قَلَّائين ، فقلت أَعمل معكم فتنظُرون إلى عَمل فَتَجْزُون من الكِراءِ (٥) بقدرما أَستحقّه . قالوا نعم . فجعلت أَعمل معهم . وكان ثَمَّ شيخ جالس بين يديه زنبيلُ سُويقٍ يبيع ، على

(١) بعدها فى ط : رضى الله عنه . وحناذ : على وزن كنان . ق : جناذ ، تحريف . ط : القلا .

(٢) كذا فى النسخ ، والذى فى القاموس وغيره : (بت) بلا تاء التأنيث . وهو الطليسان من خز ونحوه . والسويق : الناعم من دقيق الحنطة والشعير .

(٣) الكمة (بضم فتشديد) : القلنسوة المدورة . والدنسة : القذرة ، الوسخة .

(٤) ط : ولكنى .

(٥) أى من الأجرة . ط : الكرى .

رأسه قلنسوة سوداء مخرقة وفروٌ مخرّق(١)وبين يديه صبيّان يلعبان ويقتتِلان ، وهو متشاغل بهما يزجرهما وينهاهما .

قال : فقلت له : أنى أحسبك تحبّهما . قال : لا والله ما أحبّهما ، ولكن أرحَمُهما ، وما أحدٌ أحبّ إلىّ من الله عزوجل .

قال : فأعجَبنى قوله . وأنِست به ، وكان ثَمَّ شباب يَرفُث بعضُهم على بعض فقلت له : ألاتَنهى هؤلاءِ الشباب؟ فقال : إنى لأُجِّل الله عزوجل أن أذكره عند مثل هؤلاءِ قال : فأعجَبْتنى مقالته فَقُلْت : كيف حُبُّك لِمَدحَة النَّاسِ؟ قال : ما أحبّ أنَّ لى مِلْءَ بيت دنانيرَ وأنه يقع فى قَلْبِى حُبّ مِدْحة النَّاس لى . فقلت : فما هذه القَلَنْسُوة على رأسك؟ قال : وجدت قلبى يَصلُح عليها .

قال حذيفة : فلم أرَ أحدًا إن شاءَ الله كان أصدق منه . قيل منه . قيل له : أين كان من يوسف بن أسباط ؟ قال : ماكان يوسف بن أسباط يَصلح إلا شاكِرْ دًا(٢) لذاك .

قال أبو عمر : فذكرت ذلك لبعض الرقّيين فقال : ذاك حَنَّاذا القلَّاءِ (٣) .

٧٣٤ — توبة بن الصمة (٤) :

عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا قال : حدثنى رجل من قريش ، ذكر أنه من ولَد طلحة بن عبيد الله ، قال : كان توبة بن الصمَّة بالرقة وكان محاسبًا لنفسه ، فحسَبَ فإذا هو بن ستٍّين سنة ، فحسَب أيامها فإذا هى أحدٌ وعشرون ألف يومٍ وخمسمائة يوم فصرخ

(١) قط : وفروة مخرقة .

(٢) شاكرد : كلمة فارسية لم تذكرها المعاجم العربية ومعناها : تلميذ ، أو أجير .

(٣) ط : القلا . (٤) بعدها فى ط : رضى الله عنه .

وقال (١) : ياويلتا ، ألقَى المليك (٢) بـأحد وعشرين ألفَ ذنْب ، كيف؟ وفى كلّ يوم عشرة آلاف (٣)ذنْب ثم خرّ مغشيًا عليه فإذا هوميّت . فسمعوا قائلاً يقول : ياالكِ ركضةً إلى الفردوس الأعلى (رضى الله عنه)

٧٣٥ — ابراهيم بن داود القصار ابو اسحاق الرقى :

أبو بكر بن شاذان قال : سمعت إبراهيم القصّار يقول : المعرِفة إثْبات الربّ عزّوجل خارجًا عن كل موهوم .

وقال ابراهيم الأبصار قويّة والبَصائر ضعيفة .

وقال : من اكتفى بغير الكافى افتَقر من حيث استغنى .

وقال : الكفايات تصل إليك (٤) بلاتعب والأشغال والتعب فى الفضول .

وقال أضعف الخلق مَن ضَعُفَ عن رَدّ شهواته ، وأقوى الخلق من قَوِىَ على رَدّها .

ابراهيم بن أحمد بن المُولد يقول : سأَل رجل ابراهيم القصّار فقال هل يُبدى المحبّ حبّه؟ أوهل ينطق به؟ أوهل يُطيق كتمانه؟ فأنشأ يقول متمثلا :

ظفرتُم بكتْمان اللّسان فَمَن لكمْ   بِكِتْمانِ عينٍ دَمْعُها الدَّهْرَيَذرِفُ
حَملتم جِبَال الحُبّ فَوْقِى وإنّنى   لأَعْجَزُ عن حَمل القَمِيصِ وأضعُفُ

قال السُلَمىّ : ابراهيم بن داود من جِلّة مشايخ الشام ، من أقران لجُنَيد وابن الجلّاءِ عُمر ، وصحِبَه أكثر مشايخ الشام ، وكان لازمًا للفقر مجرّدًا فيه ، محبًّا لاهله . توفى سنة ست وعشرين وثلثمائة .

---

(١) وقال : ساقطة من ط .
(٢) ب : الملك .
(٣) ق : ألف . وهو جائز ، وأثبت ما فى ط .
(٤) قط : تجمل القلب .

ذكر المصطفيات من عابدات الرقة (١)

٧٣٦ ــ عابدة (٢) :

عبيد الله بن عبد الخالق قال : سَبى الروم نساءً مسلماتٍ ، فبلغ الخبر الرّقّة وبها هارون الرشيد أمير المؤمنين ، فَقِيل لمنصور بن عمّار : لو اتّخذت مجلسًا بالقُرْب من أمير المؤمِنين فحرّضت الناس على الغزو. فَفَعَل . فبينا هو يذكّرهم ويحرّض إذا نحْن بخرْقة مَصْرورة مختومة قد طرِحت إلى منصور ، وإذا كتاب مضموم إلى الصُّرّة فَفكَّ الكتابَ فقرأه فإذا فيه : إنى امرأة من أهل البيوتات من العرب ، بلغنى مافَعَلَ الروم بالمسْلمات ، وسمعت تحريضَك الناس على الغزو ، وترغيبك فى ذلك ، فعمدت إلى أكرم شيءٍ مِن بدنى وهما ذُؤَابتاىَفقطعتُهماوصَرَرْتُهما وصَرَرْتُهما فى هذه الخِرْقة المختومة ، وأُناشِدُك(٣) بالله العظيم لَما جعلتَهما قَيْدَ فرسٍ غازٍ فى سبيل الله ، فَلَعَلَّ الله العظيم أن يَنْظُر إلىّ على تلك الحال نظرةً فيرحمنى بها .

قال : فبكى وأبكى الناس ، وأمر هارون أن يُنادَى بالنَّفير ، فغَزا بنفسه فأَنكى (٤) فيهم وفتح الله عليهم .

قلت : هذه امرأة حَسُنَ قَصدها وغلطَت فى فعلها ، لأَنها جهلت أَنَّ ما فعلَت مَنهيٌّ عنه ، فليُنظر إلى قَصدها .

٧٣٧ ــ عابدة أخرى :

من أَهل الشام نُقل عنها مثل هذه .

بلغَنا عن أَبى قُدامة الشامىّ قال : كنت أَميرًا على الجيش فى بعض الغزَوات ، فدخلتُ بعض البلدان فدعوتُ الناس إلى الغزو (٥)

(١) بعدها فى ط : رضى الله عنهن . (٢) ق : عابد ، تحريف . وبعدها فى ط : رضى الله عنها .
(٣) قط : وأنا أنشدك . (٤) ق : وأنكأ .
(٥) ب : للغزو .

ورغَّبتُهم فى الثواب ، وذكرتُ فضل الشهادة وما لأَهلها . ثم تفرّق النَّاس وركبت فَرسى وسرتُ إلى منزلى . فإذا أَنا بامرأَة من أَحسن الناس تُنادى : يا أَبا قُدامة . فقلتُ : هذه مكيدةٌ من الشيطان . فمضيت ولم أُجِب . فقالت : ما هكذا كان الصالحون . فوقفت . فجاءت ودفعت إلىّ رُقْعةً وخِرْقةً مَشْدودةً وانصرفَتْ باكية .

فنظرتُ إلى الرّقعة فإذا فيها مكتوب : إنَّك دعوتَنا إلى الجهاد ورغَّبتَنا فى الثواب ، ولاقُدرة لى على ذلك فقطعتُ أَحسن ما فىّ ، وهما ضفيرتاىَ وأَنفذتُهما إليك لتجعلَهما قَيدَ فرسِك ، لعل الله يَرى شَعرِى قَيدَ فَرسِكَ فى سَبيله فيغفر لى .

فلما كانت صبيحة القتال فإذا بغلامٍ بين يدَى الصفوف يقاتل فتقدّمت إليه وقلت : يا فتى أَنت غلامٌ غِرٌّ راجِلٌ ولا آمنُ أَن تَجولَ الخَيْلُ فتطَأَك بأَرجُلها فارجع عن مَوْضِعك هذا فقال : أَتأْمرنى بالرّجوع ؟ وقد قال الله تعالى (يا أَيُّها الذين آمنُوا إذا لَقيتُم الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فلا تُوَلُّوهُم الأَدبارَ . ومَنْ يُولِّهِمْ يومئذٍ دُبُرَه إلَّا متحرِّفًا لقتالٍ أَومتحيِّزًا إلى فئةٍ فقد باءَ بغضبٍ من اللهِ ومأْواهُ جهنَّمُ وبِئْسَ المَصِيرُ)(١)

فحملتُه على هَجين كان معى فقال : يا أَبا قدامة أَقرِضْنى ثلاثة أَسْهمٍ . فقلت : أَهذا وقتُ قرضٍ؟ فما زال يلحّ علىّ حتى قلت بشرطٍ : إن مَنّ الله بالشهادة أَكون فى شَفَاعتك . قال : نعم . فأَعطيته ثلاثة أَسهم فوضع سهمًا فى قوسه وقال : السلام عليك يا أَبا قُدامة . ورمى به فقتل روميًا . ثم رَمى بالآخر وقال : السلام عليك يا أَبا قُدامة فقتل روميًا . ثم رَمى بالآخر وقال : السلام عليك سَلام مودِّع.

---

(١) الأنفال : ١٥ – ١٦ .

فجاءه سهمٌ فوقع بين عينيه فوضع رأسه على قَرَبوس(١) سرجه. فتقدّمت إليه وقلت : لاتنسَها . فقال : نعم ولكن لى إليك حاجة : إذا دخلت المدينة فأْتِ والدتى وسلِّم خرْجِى إليها وأخبرها فهى التى أعطتك شَعرها لتقيِّدبه فرسك ، وسلِّم عليها فإنها العامَ الأَوّل أُصيبت بوالدِي ، وفى هذا العام بى . ثم مات .

فحفرت له ودفنته . فلما هممنا بالإنصراف عن قبره قَذَفَتْه الأَرض فأَلقَتْه على ظهرها . فقال أَصحابى : إنه غلامٌ غِرٌّ ولعله خرَج بغير إذن أُمِّه . فقلت : إنَّ الأَرض لتَقبلُ مَن هو شرٌّ من هذا . فقمتُ وصلَّيت ركعتين ودعوت الله عزّ وجل فسمعت صوتًا يقول : يا أَبا قدامة اترك ولىَّ الله .

فما برحتُ حتى نزلَت عليه طيورٌ بيض فأَكلَتْه . فلما أَتيتُ المدينة ذهبتُ إلى دار والدتِه فلما قرعتُ الباب خرجت أُخته إلىّ فَلَمَّا رأَتنى عادت وقالت : يا أُمَّاه هذا أَبوقُدامة ليس معه أَخِي ، فقد أُصِبنا فى العام الأَوّل بأَبى ، وفى هذا العام بأَخى .

فخرجَت أُمُّه إلىّ فقالت : أَمعزِّيًا أَم مهنِّئًا ؟ فقلت مامعنى هذا؟ فقالت : إن كان ماتَ فَعزِّنى ، وإن كان استُشهد فهنِّئْنى . فقلت : لابل مات شهيدًا . فقالت : له علامة فهل رأَيتَها ؟ قلت : نعم لم تَقبله الأَرض ونزلَت الطيور فأَكلَت لحمه وتركت(٢) عِظَامه فدفنتُها فقالت : الحمدلله . فسلَّمت إليها الخرْج ففتَحته فأَخرجَت منه مِسْحًا وغُلاًّ من حَديد ، وقالت : إنه كان إذا جَنَّه الليل لبس هذا

---

(١) القربوس (بفتح القاف والراء) : حنو السرج ، وهما قربوسان .
(٢) ب : وبقيت .

المِسْح وغَلّ نفسَه بهذا الغُلّ وناجى مَوْلاه ، وقال فى مناجاته : احشُرنى مِن حَواصل الطيور . فقد استجاب الله دعاءه .

انتهى ذكر أهل الرقَّة بحمد الله ومنّه (١).

ذكر المصطفين من أهل الشام
فمن الطبقة الأولى من التابعين ومن بعدهم

٧٣٨ — عمرو بن الأسود السكونى (١) :

عن حكيم وضمرة بن حبيب قالا : قال عمر بن الخطاب : مَن سَرَّه أن ينظر إلى هَدْيِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى هَدْي عمرو بن الأَسود .

عن يحيى بن جابر الطائى قال : قال عَمروبن الأَسود : لاألبس مشهورًا أَبدًا ، ولا أَملأُ جوفى من طعام بالنهار أَبدًا حتى أَلقاهُ (٣) .

ابن عياش ، عن شُرَحبيل أن عمروبن الأَسودِ كان يَدع كثيرًا من الشِّبع مخافةَ الأَشَر ، وكان إذا خرج من بيته إلى المسجد قبضَ يَمينُه (٤) على شماله مخافة الخُيَلاءِ .

أَبوبكر بن عبد الله الغسّانى ، عن المَشْيَخة ، أَن عمرو بن الأَسود يشتَرى الحُلَّة بمائتين ويصبغها بدينار ويخمّرها النهار كلَّه ، ويقوم فيها الليل كله .

أَسند عمرو عن معاذ ، وعُبادة ، والعرباض ، فى آخرين .

---

(١) الكلمات الثلاث ليست فى ط .
(٢) بفتح السين .
(٣) ب : حتى ألقى الله . قط : حتى القيامة .
(٤) قط : بيمينه .

٧٣٩ — أبو عبد الله الصنابحي(١) واسمه : عبد الرحمن بن عسيلة(٢) :

عن محمود بن الربيع قال : كنا عند عُبادة بن الصامت فأقبل الصُّنابِحِي ، فقال عُبادة : من سَرَّه أن ينظر إلى رجل كأنَّما رُقِىَ به فوقَ سبع سموات فعَمل ما عَمِل على ما رأى فلينظُر إلى هذا .

أسند الصُّنابحِي عن أبى بكر الصديق ، ومعاذ ، وعُبادة فى آخرين.

٧٤٠ — يزيد بن الأسود يكنى أبا الأسود الجرشى :

عن سليم بن عامر الخبائرى أن الشام قحِطَت فخرج معاوية بن أبى سفيان وأهل دمشق يَسْتَسْقون . فلما قعد معاوية على المنبر قال : أين يزيد بن الأسود الجُرَشى؟ فناداه الناس ، فأقبل يَتَخَطى ، فأمره معاوية فصعِد المنبر فقعَد عند رجليه . فقال معاوية : اللهم إنَّا نستَشفِع إليك اليومَ بخيرنا وأفضلِنا ، اللهم إنَّا نستشفِع إليك بيزيد بن الأسود ، يايزيد ارفَع يديك إلى الله . فرفع يديه ورفع الناس ، فما كان أوشك(٣)أن ثارت سحابة فى الغرب كأنها تُرْسٌ وهبَّت لهاريح فسقَتْنا حتى كاد الناس أن لايَبلغوا منازلهم .

عن على بن أبى جُملة (٤) قال : أصاب الناس قَحْط بدمشق ، وعلى الناس الضحَّاك بن قيس الفِهْرى ، فخرج بالناس يَستسقِى ، فقال : أين يزيد بن الأسود الجُرَشِىّ ؟ فلم يجبه أحد ، ثم قال : أين يزيد بن الأسود الجُرَشىّ ؟ فلم يجبه أحد ثم قال : أين يزيد بن الأسود الجُرَشِىّ ؟ عزمتُ عليه إن كان يَسْمع كَلامى إلَّا قام وعليه

---

(١) بضم الصاد وكسر الباء ، نسبة إلى (صنابح) جد إحدى القبائل ، ومنهم بعض الصحابة .

(٢) بضم العين وفتح السين .

(٣) أسرع .

(٤) كذا فى ط . وجملة : من أسمائهم . ق : حفلة ، تحريف .

بُرنُس فاسْتَقْبل الناسَ بوجهه ورفَع جانبي بُرنُسه على عاتقيه ثم رفع يديه ، ثم قال : اللهم ياربّ إنَّ عِبادك تقرّبوا إليك فاسقهم.

قال : فانصرف الناس وهم يخوضون الماء . فقال : اللهمّ إنّه قد شَهرنى فأَرِحْنى منه . قال : فما أتت عليه إلَّا جُمعة حتى قُتل الضحاك .

٧٤١ — شرحبيل بن السمط بن الأسود أبو يزيد الكندى :

بكر بن سَوادة قال : كان رجل يعتزل الناس ، إنما هو وحده ، فجاءه أبو الدرداء فقال : أنشدك الله عزوجل مايحملك على أن تعتزل الناس ؟ قال : إنى أخشى أن أُسلَب دينى وأنا لا أشعر . فحدثت بذلك رجلاً من أهل الشام فقال : ذاك شُرَحبيل بن السَّمط .

قلت : ذكر محمد بن سعد[١] شُرَحبيل بنَ السّمط فى التّابعين بعد يزيد بن الأَسود ، وقد قال البخارى : له صحبة[٢]

٧٤٢ — كعب الأحبار بن ماتع يكنى أبا اسحق وهو من حمير من آل ذى رعين :

كان يهوديًا فأَسلم وقدِم المدينة ثم خرج إلى الشام فسكن حمص.

عبد الله بن بُرَيدة[٣] قال : قال كعب الأَحبار : ما كَرُم عبدٌ على الله عزوجل إلا زاد البلاءُ عليه شدّةً ، وما[٤] أعطَى رجل زكاةً فنقَصَت من ماله ، ولا حَبَسها فزادت فى ماله ، ولاسَرق سارق إلَّا حُسِب له من رزقه .

---

(١) صاحب كتاب (الطبقات الكبرى) .

(٢) ق : صحب ، وأثبت ما فى ط .

(٣) قط : يزيد .

(٤) ط : ولا .

عن عبد الله بن شقيق قال : قال كعب : إن لِسُبحانَ الله ، والحمدلله ، ولاإله إلا الله ، والله أكبر ، دويًا حول العرش كَدوِىّ النَّحل ، يذكرن بصاحبهن والعَمل الصالح فى الخزائن .

عن عبد الله بن الحارث ، عن كعب قال : ما استقرّ لعبدٍ ثناءٌ(١) فى الأَرض حتى يستقر فى السماء .

عن أَبى العوّام ، عن كعب الأَحبار ، قال : جاءَ رجلان فوقفا بباب المسجد فدخل أَحدهما ولم يدخل الآخروقال : مثلى لايدخل بيت الله وقد عصيتُه . فأَوحى الله إلى نبىٍّ من أَنبياءِ بنى إسرائيل : إنَّنى قد جعلتُه صِدِّيقًا بإِزْرائه على نَفسه .

عن يزيد بن قودر ، عن كعب أَنه قال : مؤمن عالِم أَشدّعلى إبليس وجنوده من مائة أَلف مؤمنٍ عابد ، لأَن الله يَعصم بهم من الحرامِ .

عن عبدالله بن شقيق العقيلى ، عن كعب قال : لأَن أَبكى من خَشْية الله حتى تَسِيل دموعى على وجنتى أَحبّ إلىّ مِن أَن أَتصدّق بوزنى ذهبًا ، والذى نفسُ كعبٍ بيده مابكى عبدٌ من خشية الله حتى تقَع قطرةٌ من دموعه إلى الأَرض فَتَمَسّه النار أَبدًا حتى يعود قَطْر السَّماءِ الذى وقَع إلى الأَرض من حيث جاءَ ، ولن يعود أَبدًا .

عن علقمة بن مَرْثِد ، عن كَعْب قال : مَن يعبد الله عز وجل حيث لايراه أَحد يَعرِفُهُ(٢)خرج من ذنوبه كما يخرج من ليلته.

عن الأَعمش ، عن زياد عن كعب ، قال : المتخَلِّق إلى أَربعين يومًا ثُمَّ يعود إلى خَلْقه الذى هو خَلْقُه .

---

(١) ا : شىء .

(٢) قط : « الله ليلة عرفة حيث لا يراه أحد بعرفة » . ب : « من يعبد الله حيث لا يراه أحد يعرفه » .

عن كُرْز بن وَبْرة قال : بلغني أن كعبًا قال : إن الملائكة يَنْظرون من السماء إلى الذين يُصَلُّون بالليل فى بيوتهم كما تنظرون أنتم إلى نجوم السماء .

أسند كعب عن عمربن الخطاب وصُهَيْب وعائشة . وتوفى بحمص سنة ثنتين وثلاثين فى خلافة عثمان .

٧٤٣ — يزيد بن مرثد ابو عثمان الهمدانى :

عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال : قلت ليزيد بن مَرثد : مالى أرى عينيك لاتجفّ ؟[1] قال : وما مَسْألتك عنه؟ قلت : عسى الله عزوجل أن ينفعَنِي به . قال : يا أخى إن الله عزوجل قد تَوَعّدنى إن إن أنا عَصَيْتُه أن يَسْجُنَنى فى النار ، واللهِ لولم يَتواعدنى أن يَسْجُننى إلّا فى الحمَّام لكنت حَرِيًا أن لاتجفّ لى عين .

قال : فقلت له : فهكذا أنت فى خلواتك؟ قال : وما مسألتك عنه؟ قلت : عسى الله عزوجل أن ينفعنى به . قال : والله إن ذلك ليَعرِض لى حين أسكن إلى أهلى فيحَولُ بينى وبين ما أريد ، وإنه ليوضَع الطعام بين يدىّ فيعرِض لى فَيحول بَيْنى وبين أكْله ، حتى تبكى امرأتى ويبكي صِبْيَاننا ، مايدرون ما أبكانا؟ ولربما أَضْجَر ذلك امرأتى فتقول : ياويحها ماخُصّت به من طول الحُزن معك فى الحياة الدنيا ، ما تقرّ لى معك عَين .

عن الوضين بن عطاء قال : أَراد الوليد بن عبد الملك أن يُوَلّىَ يَزيد ابن مَرْثِد فبلغ ذلك يزيد فلبس فروةً وقلبَها فجعل الجِلْد على ظهره والصوف خارجًا وأَخذ بيده رغيفًا وعَرَقًا وخرج بلا رداء ولاقلنْسوة ولا

---

(١) كذا ، والصواب : لا تجفان .

نعل ولاخُفّ ، وجعل يمشى فى الأَسواق ويأْكل . فقيل للوليد . إنَّ يزيد قد اختَلَطَ . وأُخبر بما فَعل فتركَه .

أَسند يزيد بن مرثد عن مُعاذ ، وأَبى الدّرداء ، وغيرهما[1]

٧٤٤ — عبد الله بن محيريز ، ابو محيريز :

عن بشير بن صالح قال دخل ابن مُحَيْريزٍ حانوتًا بدانِق وهو يريد أَن يشتَرى ثوبًا ، فقال رجل لصاحب الحانوت : هذا ابنُ مُحَيريزٍ فأَحسِنْ بَيعه فغضب ابنُ مُحَيْريزٍ وخرج ، وقال : إنما إنما نشترى بأَموالنا ، لسنا نَشترى بدِيننا .

عن رجاء بن حَيَوة قال : أَتانا نَعْىُ ابن عمر ، ونحن فى مجلس ابن مُحيريز فقال بن محيريز : والله إن كنتُ لاعُدُّ بقاء ابن عمر أَمانًا لأَهل الارض .

وقال رجاء بن حَيَوة بعد موت ابن مُحيريز : وأَنا واللهِ إنْ كنتُ لأُعدّ بقاءَ ابن مُحيريز أَمانًا لاهل الأَرض .

وعن ضمرة ، عن رجاء قال : كان ابن مُحيريز يجىءُ بالكتاب إلى عبد الملك فيه النصيحة فيُقرئه إياه ثم لايُقِرُّه فى يده .

أَيوب بن سويد قال : نبأَ أَبوزرعة أَن عبدالملك بن مروان بعث إلى ابن مُحيريز بجارية ، فتَرك ابن محيريز منزله فلم يكن يَدخله ، فقيل له : ياأَمير المؤمنين تغيّب ابن محيريز عن منزله . قال . ولِم؟ قيل : من أَجل الجارية التى بعثتَ بها إليه . قاك : فبعث عبد الملك فأَخذها .

عن يحى بن أَبى عَمرٍ والشيبانى قال : كان ابن مُحيريز إذا مُدِح قال : وما يُدريك؟ وما عِلْمُك؟ .

---

(١) بعدها فى ط : و السلام .

وَعن ضَمرة عن عُمر (١) بن عبدالرحمن بن محيريز قال : كان جدّى ابن مُحيريز يختم فى كلّ سبع

عن عبدالله بن عوف القارِى قال : لقد رأيتُنا بِرُودِس (٢) وما فى الجيش أحد أكثر صلاةً من ابن مُحيريز فى العلانية ثم أقصر عن ذلك حين شُهر وعُرِف (٣) .

وعن ضَمرة ، عن الاوْزاعى ، قال : كان ابن أَبى زكريّا يَقدمُ فِلَسْطين فيلقَى ابن مُحيريز فَتَتَقَاصَر إليه نفسُه لمِا يرى من فضل ابن مُحيريز .

عبد الواحد بن موسى قال : سمعت ابن مُحيريز يقول : اللهم إنّى أسالك ذكْرًا خاملاً .

عن خالد بن دُرَيك قال : كانت فى ابن مُحيريزخصلتان ماكانتا (٤) فى أَحدٍ ممن أدركتُ فى هذه الأُمة : كان أَبعدَ الناس أَن يسكت عن حقٍّ بعد أَن يَتبيَّن (٥) له ، يتكلم فيه غضبَ مَن غضب ، ورَضِيَ من رَضِى ، وكان من أَحرص الناس أَن يكتم من نفسه أَحسنَ ماعنده .

عبد الله بن المبارك عن طُليق قال : سمعت ابن مُحيريز يقول : من مشى بين يدى أَبيه فقد عَقه ، إلا أَن يمشى فيُميطَ له الأَذى عن طريقه ، ومن دعا أَباه باسمِه أَوبُكْنيته فقد عَقه إلا أَن يقول : ياأَبَهْ .

أَسند ابن مُحيريز عن أَبى سعيد الخدرى ، ومعاوية بن أَبى سفيان ، وأَبى محذورة وفضالة بن عبيد وغيرهم – وتوفى فى ولاية الوليد بن عبد الملك .

---

(١) ط : عمرو . (٢) جزيرة كانت للروم تجاه الاسكندرية شمالا غزاها معاوية بن أبى سفيان وهى الآن تابعة لليونان . (٣) ط : عرف وشهر . (٤) ط : ماكانت . (٥) ط : تبين .

٧٤٥ — ابو مسلم الخولانى واسمه عبد الله بن ثوب :

طرحه الأَسود العَنسى المتنبى باليمن فى النار فلم تضره فكان يشبَّه بالخليل عليه السلام .

عن شُرَحبيل بن مسلم الخَوْلانى قال اتنبأَ(١) الأَسود بن قيس الْعَنسِى باليمن (٢) فأَرسل إلى أَبى مسلم فقال له : أَتشهد أَن محمدًا رسول الله؟ قال : نعم — قال : فتشهد (٣) أَنى رسول الله؟ قال : ما أَسمع . قال : أَتشهد أَن محمدًا رسول الله؟ . قال : نعم قال : فتشهد أَنى رسول الله؟ قال : ما أَسمع قال : أَتشهد أَن محمدًا رسول الله؟ قال : نعم . قال : فتشهد أَنى رسول الله؟ قال : ما أَسمع (٤) .

قال : فأَمر بنارٍ عظيمة فأُجِّجت وطُرِح فيها أَبومسلم فلم تَضره فقال له أَهل مملكته : إن تركتَ هذا فى بلادك أَفسدَها عليك . فأَمره بالرحيل فقدم المدينة وقد قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واستُخلف أَبوبكر . فقام إلى ساريةٍ من سَوارى المسجد يصلِّى فبصر به عمر بن الخطاب ، فقال : من أَين الرجل ؟ قال : من اليمن — قال : فما فَعل عدو الله بصاحبنا الذى حرقه بالنار فلم تضره؟ قال : ذاك عبد الله بن ثوب . قال : نشدتك باللهعزوجل أَنت هو؟ قال : اللهم نعم . قال : فقبّل ما بين عينيه ،ثم جاء به حتى أَجلسه بينه وبين أَبى بكر وقال : الحمدلله الذى لم يُمِتْنِىحتى أَرانى فى(٥) أُمة محمد صلى الله عليه وسلم من فُعِل به كما فُعِل بابراهيم خليل الرحمن ، عليه السلام .

---

(١) فى النسخ : تنبى .

(٢) ب : بأرض اليمن .

(٣) قط : أتشهد .

(٤) العبارة فى المرة الثالثة ساقطة من ط .

(٥) قط : من .

عن علقمة بن مَرثد قال : انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم أبو مسلم الخولانى ، فإنه لم يكن يُجالس أَحدًا يتكلَّم فى شىءٍ من أَمر الدّنيا إلَّا تحوّل عنه . فدخل ذات يومٍ المسجد فنظر إلى نفَرٍ قد اجتمعوا فرَجا أَن يكونوا على ذِكْر الله تعالى ، فجلس إليهم وإذا بعضهم يقول : قدِم غلامى فأَصاب كذا وكذا . وقال آخر : جهزتُ غلامى .

فنظر إليهم وقال : سبحان الله أَتدرون ما مَثَلى ومَثَلُكم؟ كمَثل رجلٍ أَصابه مطر غزيرٌ وابل فالتفَت فإذا هو بمصراعين عظيمين فقال : لو دخلتُ هذا البيت حتى يذهب هذا المطر . فدخل فإذا البيت لا سقف له . جلستُ إليكم وأَنا أَرجو أَن تكونوا على ذِكْرٍ وخَير فإذا أَنتم أَصحاب دُنيا .

قال : وقال له قائل ، حين كَبِرَ ورقّ[1] : لو قَصرتَ عن بعض ما تَصنع . فقال : أَرأَيتم لو أَرسلتم الخيل فى الحلبة أَلستم تقولون لفارسِها دَعْها وارفُق بها حتى إذا رأَيتم الغاية لم تَستَبْقُوا منها شيئًا؟ قالوا : بلى – قال : فإنِّى قد أَبصرت الغاية وإنَّ لكل ساعةٍ غايةً ، وغايةُ كلّ ساعةٍ الموتُ ، فسابِقٌ ومسبوقٌ .

أَبو بكر بن أَبى مريم قال : حدّثنى عطية بن قيس أَن ناسًا من أَهل دمشق أَتوا أَبا مسلم الخولانى فى منزله وهو غازٍ بأَرض الروم ، فوجدوه قد احتفَر فى فُسْطاطه جَوْبة[2] ووضع فى الجَوبة نِطْعًا[3] وأَفرغ فيه ماءً يَتَصَلَّق فيه[4] وهو صائم ، فقالوا له : ما يحملك على الصيام

(١) ضعف جسمه .
(٢) الجوبة : الحفرة .
(٣) بساطاً من جلد .
(٤) يتقلب ويتمرغ ، ليجد من البرودة ما يخفف عنه شدة الحر . والأصل فى التصلق أن يكون بسبب الألم والوجع وفى ط : (يتلصق) تحريف .

وأنت مسافر وقد رُخِّص لك فى الفِطر فى السفر؟ فقال : لو حضَر قتالٌ لأَفطرتُ وتقوّيت للقتال ، إنَّ الخيل لا تَجرى إلى الغايات وهى بُدَّنٌ (١) إنما تجرى وهى ضُمّر ، إنَّ بين أَيدينا أَيامًا لها نعمل .

عن شُرَحبيل بن مسلم أَنَّ رجلين أَتيا أَبا مسلم الخَولانى فى منزله ، فقال بعض أَهله : هو فى المسجد . فأَتياه فوجداه يركع فانتظرا انصرافه وأَحْصَيا رُكوعه ، فأَحصى أَحدهما أَنه ركع ثلثمائة والآخر أَربعمائة قبل أَن ينصرف فقالا له : يا أَبا مسلم كنَّا قاعدَيْن خلفك ننتظِرك . فقال أَما إنِّى لوعلمت مَكانَكما لانصرفتُ إليكما ، وما كان لكما أَن تَحفظا على صلاتى ، فأُقسِم لكما إنَّ كثرة السجود خيرٌ ليوم ِ القيامة .

حُميد قال : قال أَبومسلم الخولانى : ماعملتُ عملاً أُبالِي مَن رآه إلا أَن يخلو الرجل بأَهله أَويَقْضِي حاجةَ غائطٍ (٢) .

محمد بن زياد عَنْ أَبِى مسْلم أَنه كان إذا غَزا أَرض الروم فمرّوا بنهرٍ قال : أَجيزوا بسم الله . قال : ويمر بين أَيديهم . قال : فيمرون بالنهر الغمْرِ ، فربَّما لم يبلغ من الدواب إلَّا إلى الرُكَب ، أَو بعض ذلك ، أَو قريبًا من ذلك . فإذا جازوا قال للناس : هل ذهب لكم من شيءٍ ؟ من ذهَب له شيءٌ فأَنا له ضامِنٌ . قال فأَلقى بعضُهم مخلاةً عمدًا فلما جازوا قال الرجل : مِخْلاتى وقَعت فى النهر . قال له : اتبعنى (٣) ، فإذا المخلاة تعلَّقت ببعض أَعواد النهر .

---

(١) سمينة ، مفردها بادن وبادنة .

(٢) ط : أو يقضى إلى حاجة عائط .

(٣) ط : ابتغى ، تصحيف .

عن عثمان بن عطاء عن أَبيه قال : قالت امرأَة أَبي مسلم - يعنى الْخَوْلانى : ياأَبا مسلم ليس لنا دقيق . قال : عندك شيء ؟ قالت : درهم بِعْنا به غَزْلاً . قال : ابْغِينيه وهاتِى الجراب . فدخل السوق فوقف على رجل يبيع الطعام . فوقف عليه سائل فقال : يا أَبا مسلم تصدق علىّ . فهرب منه فأَتى حانوتًا آخر فتبعه السائل فقال : يا أَبا مسلم . فهرب منه . فأَتى حانوتًا آخر فتَبِعه السائل فقال : تصدق علىّ . فلما أَضْجره أَعطاه الدرهم . ثم عمد إلى الجراب فملأَه نجارة النَّجارين مع التراب ثم أَقبل إلى باب منزله فنَقر الباب وقلبُه مرعوبٌ من أَهله ،فلما فَتحت الباب رمَى بالجراب وذهب .فلما فتحته إذا هى بدقيق حُوّارَى ، فعجَنت وخبزت . فلما ذهب من اللَّيلِ الهَوِىُّ[1] جاءَ أَبومسلم فنقر الباب فلما دخل وضعت بين يديه خِوانًا وأَرغفة . فقال : من أَين لكم هذا ؟ قالت له[2] يا أَبا مسلم من الدقيق الذى جئتَ به . فجعل يأْكل ويَبكى .

عن عثمان بن عطاء ، عن أَبيه قال : كان أَبومسلم الخولانى إذا انصرف من المسجد إلى منزله كَبَّر على باب منزله فتُكبّر امرأَته فإذا كان فى صحن داره كبَّر فتُجيبه امرأَته ، فإذا بلَغ إلى باب بَيْته كبَّر فَتُجيبه امرأَته فانصرف ذات ليلة فكبر عند باب داره فلم يجبه أَحد. فلما كان فى الصحن كبَّر فلم يجبه أَحد . فلما كان فى باب بيته كبَّر فلم يَجِبْه أَحد . وكان إذا دخل بيته أَخَذَت امرأَته رِدَاءَه ونَعْلَيْه ثم أَتته بطعامه[3] قال : فدخل فإذا البَيْت ليس فيه سِراج وإذا امرأَته

(١) يقال : مضى هوى من الليل (على وزن غنى وقد تضم الهاء) : أى ساعة .

(٢) قط : قالت . ب : فقالت له .

(٣) قط : بطعام .

جالسةٌ مُنكِّسة تنكتُ بعودٍ معها . فقال لها مالَكِ ؟ فقالت[(١)] : أَنت لك منزلة من مُعَاوية وليس لنا خادم فلو سأَلته فَأَخْدَمنا[(٢)] وأَعطاك. فقال : اللهم مَن أَفْسَد على امرأَتى فأَعْمِ بصَره . قال : وقد جاءَتها امرأَة قبل ذلك فقالت : زوجُك له منزلة من معاوية فلو قُلتِ له يسأَل[(٣)] معاوية أَن يُخْدِمه ويُعطيه عِشْتُم . قال : فبينا تلك المرأَة جالسة فى بيتها إِذْ أَنكرت بصَرها فقالت : مالِسراجكم طَفِىءَ ؟ قالوا : لا . فعرفَت ذَنْبها . فأَقْبَلَتْ إِلى أَبى مُسْلم تَبكى وتَسْأَله أَن يَدْعو الله عز وجل لها يرد عليها بصرها . قال : فَرحمِها أَبومسلم فدَعا اللهَ [عز وجل] لها فرد عليها بصَرها .

الحسن قال : قال أَبو مسْلم الخولانى ، وكانَ ذا أَمثالٍ ، أَرأَيتم نَفْساً إِذا أَكرمتُها وَوَدعتُها ونعمتُها ذمتنى غداً عند الله وإِن أَنا أَهنتُها وأَنصبتُها وأَعمَلتُها مَدحَتْنى عند الله غداً ؟ قالوا : مَن تِيك يا أَبا مسلم ؟ قال تِيكَ واللهِ نفسى .

عن شُرَحبيل بن مسلم ، عن أَبى مسلم الخولانى ، أَنه كان إِذا وَقَفَ عَلى خَرِبة قال : ياخربةُ أَين أَهْلُكِ ؟ ذَهبوا وبقيتْ أَعْمالهم ، وانْقَطعَت الشَّهْوة ، وبقيت الخطيئة . ابن آدم ! تَرْكُ الخطيئة أَهْوَنُ مِن طلَب التوبة .

أَبوبكر بن أَبى الأَسود قال : قال أَبو مسلم الخولانى ماطلبتُ شيئًا من الدنيا قطّ فوُلّى[(٤)] لى ، حتى لقد ركبت مرةً حماراً فلم يَمْشِ فَنَزَلت عَنْه وركبه غيرى فَعَدا . قال : فأُرِيت[(٥)] فى منامى كأَن قائلاً

(١) ق : قالت . وأثبت ما فى ط .
(٢) جعل لنا خادماً .
(٣) ط : يسأل من .
(٤) أى وجه إلى وتحقق . ط : فوتى .
(٥) ط : ورأيت .

يقول لى : لا يُحزنك ما زُوِىَ عنك من الدنيا وإنما يَفعَل ذلك بأَوليائه وأَحبّائه وأَهل طاعته . قال : فُسرِّىَ عنِّى .

شُرَحبيل بن مسلم ، عن عُمير بن سيف ، أَنه سمع أَبا مُسْلم الخولانى يقول : لأَنْ يُولَد لِي مولودٌ يُحسن الله عز وجل نباتَه حتى إذا استوى على شبابه وكان أَعْجب مايكون إلىّ ، قبضَه منى ، أَحبُّ[1] إلى من أَن يكون لى الدنيا وما فيها .

عن عثمان بن أَبي العاتكة قال : كان من أَمْرِ أَبي مُسْلم الخَولانى أَن عَلَّق سَوْطًا فى مَسْجده ويقول : أَنا أَوْلى بالسوط مِنَ الدّوَابّ ، فإذا دخلته فترةٌ مَشَقَ ساقَه[2] سوطًا أَو سَوْطَيْن . وكان يقول: لو رأَيت الجنة عِيانًا ما كان عندى مُسْتزاد ، ولو رأَيت النارَ عيانًا ماكان عندى مُسْتزاد .

بلال بن كعب قال : ربما قال الصبيان لأَبي مسلم الخولانى ادعُ الله أَن يحبسَ عَلَيْنا هذا الطائر . فيدعو الله عزوجل فيحبسه ، فيأْخذوه[3] بأَيديهم .

أَدْرك أَبو مسلم أَبا بكر وعُمر ، وأسند عن معاذ بن جبل وعبَّادة ابن الصَّامت وتُوفى فى خِلافة يَزيد بن مُعَاوية – كذا قال محمد بن سَعْد . وقال البُخاري توفّىَ فى خلافة مُعاوية .

ومن الطبقة الثالثة

٧٤٦ – رجاء بن حيوة أبو المقدام الكندى :

عن مطَر الورّاق قال : ما رأَيت شاميًّا أَفضل مِنْ رجاء بن حَيْوَةَ .

أَبو أُسامة قال : كان ابن عون إذا ذكر من يُعجبه ذكر رَجاء بن حَيْوَةَ .

---

(١) خبر المبتدأ الذى هو المصدر المؤول فى (لأن يولد ...) .

(٢) ضربها مسرعاً فى ذلك .

(٣) ط : حتى يأخذوه .

ابن عون قال : ثلاثَةٌ لم أَرَ مِثْلهم كأَنَّهم التقَوا فتَوَاصَوْا : ابن سِيرين بالعراق ، والقاسِم بْنِ محمد بالحجاز ، ورَجَاء بن حَيْوَة بالشام .

عبيد بن السّائب قال : أَنبأَ أَبى قال : ما رأَيْت أَحدًا أَحْسن اعتدالا فى صَلاتِهِ من رَجَاء بن حَيْوَة .

عن عبد الرحمن بن عبد الله أَنَّ رجاء بن حَيْوة قال لرجليْن وهو يعِظُهما : انظُرا الأَمر الذى تحبَّان أَن تَلقيا الله عزوجل عليه ، فخُذا فيه الساعة ، وانظر الأَمرَ الذى تكرهان أَنْ تلْقيا الله عزوجل عليه فدَعاه الساعة .

أَسند رجاء عن عبد الله بن عمرو ، وأَبى الدّرْداء ، وأَبى أُمامة ، ومُعاوية ، وجابر . وكان يَصْحب الخلفاءَ ويأْمُرهم بالمعْروف . فلما ماتَ عُمر بن عبد العزيز انقطعَ عَنْ صُحبتهم . فسأَله يزيد بن عبد الملك أَن يصحبه فأَبى واستعْفاه . فقيل له : نخافُ عليكَ مِنْ هؤلاء . فقال : يَكْفِينهم(١) الذى تركْتُهم له .

٧٤٧ — عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية :

عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال : كان عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية خِلاً لعبد الملك بن مروان . فلما ماتَ عبد الملك بن مروان وتَصَدّع (٢) الناس عن قَبْره وقف عليه فقال : أَنْتَ عبد الملك الذى كنتَ تَعِدُنى فأَرجوك ، وتُوعِدُنى فأَخافك ، أَصبحتَ وليس معك من مُلكك غيرُ ثوبيك ، وليس لك منه غير أَربعة أَذرع فى عَرض ذِراعين .

---

(١) ط : يكفينهم . أى يكفينى إياهم الله .

(٢) ط : وانصدع .

ثم انكَفَأَ إلى أَهْلِهِ واجْتَهَدَ فى العبادةِ حتى صار كأنَّه شَنٌّ بالٍ فدخل عليه بعضُ أَهْله فعاتَبه فى نَفْسه وإضرارِه فقال للقائل : أَسْأَلُكَ عن شيءٍ تَصدُقنى عنه ؟ قال : نعم . قال أَخبرنى عن حالتك التى أَنت عَلَيْها أَترْضاها للموْت ؟ قال : اللهم لا – قال : أَفَعزَمْت على انتقالٍ منها إلى غَيْرها؟قال :ما انتصحْتُ رأْيِى فى ذلك . قال أَفَتَأْمَن من أَن يأْتيكَ الموْت على حالك التى أَنت عليها ؟ قال اللهم لا – قال : حالٌ ما أَقام عليها عاقل . ثم انْكَفأَ إلى مُصلَّاه . روى عبد الرحمن عن ثوبان .

٧٤٨ – خالد بن معدان الكلاعى . يكنى أبا عبد الله :

عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن مَعْدان قال : إيَّاكم والخطرَان فإنه قد تُنافق يدُ الرجل ، من سائر جسده . قيل : وما الخطرَان ؟ قال : ضرْبُ الرجل بيده إذا مشى .

عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن مَعْدان قال : ما من عبدٍ إلا وله أَربعُ أَعينٍ : عينان فى وَجْهِهِ [١] يبصر بهما أَمر الدنيا ، وعينان فى قلبه يبصر بهما أَمر الآخرة ، فإذا أَراد الله بعبدٍ خيرًا فتَح عينيه اللَّتين فى قلبه فَيُبْصر[٢] بهما ما وَعَدَ بالغيب . قال : وهما غَيب فآمن الغيب بالغيب ، وإذا أَرادَ الله بعبدٍ غير ذلك تركه على ماهو عليه ثم قرأَ . « أَمْ عَلَى قُلوبٍ أَقْفَالُها » [٣] .

عبد الله بن واقد ، عن أُم عبد الله ، عن أَبيها قال : خُلقتِ القلوبُ من طينٍ وإنَّها تلين فى الشتاءِ .

صفوان بن عَمرو قال : كان خالد بن مَعدان إذا عظمت حَلقتُه قام فانصرف . قلت لصفوان : ولِمَ كان يقوم ؟ قال [كان] يكرُه الشُّهرة.

---

(١) قط : جبهته .
(٢) ط : فبصر .
(٣) محمد : ٢٤ .

أَسْنَدَ خالد بن معْدان عن أَبي عبيدة ومُعاذ وعُبادة وأَبي ذرّ وغيرهم.

محمد بن سعد قال : أَنبأَ يزيد بن هارون قال : مات خالد وَهُوَ صائم . قال ابن سعْد : وتوفى سنة ثلاثٍ ومائةوقال عُفير بن مَعدان : توفى خالد سنة أَربعٍ ومائة [والسلام] .

٧٤٩ — عبادة بن نسى الكندى(١) :

توفى سنة ثمانَ عشرةَ ومائة .

عَنْ رَجاء قالَ : كانَ بينَ رجُلٍ وبَيْن عُبادة بن نُسَيّ منازعة فأَسرع إليه الرجل(٢) فلقى رجاءُ بن حَيْوة عبادةَ فقال : بلغنى أَن فلانًا كان منه إليك فأَخبرنى . فقالَ لَوْلا أَن تكونَ غِيبةٌ منى لأَخبرتُكَ بما كانَ منه .

٧٥٠ — عبد الله بن ابى زكريا (٣) الخزاعى :

كان صاحب غَزْوٍ من أَهل دمشق عن الأَوْزاعى قال : لم يكن بالشام رجل يُفضَّل على عَبْدِ الله بن أَبي زكَريّا . قالَ : عالجتُ لِسانى عِشْرينَ سنة قَبْلَ أَن يَسْتقيم لى .

على بن أَبي جَملة قال : قال عبد الله بن أَبي زكريا الدمشقى : عالجت الصّمت عما لايَعنينى عشرين سنة قبل أَن أَقدر منه على ما أُريد . قال : وكان لايدَع أَحدًا يَغْتَاب فى مجلِسه أَحدًا . يقول : إن ذَكرتم الله أَعنَّاكم وإن ذَكَرتم الناس تَركْنَاكم .

عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أَن عبد الله بن أَبي زكريا كان يقول : لو خُيِّرت بين أَن أُعمَّر مائة سنة فى طاعة الله أَو أَن

---

(١) نسى : بضم النون وفتح السين وتشديد الياء .

(٢) أى بادره بالكلام السيء .

(٣) قط : بن زكريا .

أُقبَض فى يومى هذا أو فى ساعتى هذه لاخترتُ أَن أُقبَض شوقًا إلى الله عزوجل وإلى رسوله وإلى الصّالحين من عباده .

الوليد بن سليمان الدمشقى قال : سمعت أَبى يذكر قال : كانَ عَبْد الله بن أَبى زكريا إذا خَاضَ جُلَساؤُه فى غير ذِكْرِ الله كأَنَّهُ سَاهٍ ، وإذا خاضوا فى ذكر الله كان من أَحْسَنِ الناس استماعًا .

أَسند عبد الله عن عبادة بن الصامت وأَبى الدرداءِ فى آخرين ، وتوفى سنة سبعَ عشرةَ ومائة .

ومن الطبقة الرابعة

٧٥١ — بلال بن سعد :

عبد الله بن المبارك قال : كان محلّ(١) بلال بن سعد بالشام ومصر كمحلِّ الحسن بالبصرة .

الأَوزاعى قال : سمعتُ بلال بن سعْد يَقولُ : واحُزْناه عَلى أَنّى لا أَحزن . الأَوزاعى عن بلال بن سعد قال : إن الخطيئة إذا أُخفيت لم تضرّ إلّا أَهلها وإذا أُظهِرت فلم تُغيَّر ضَرّتِ العامَّة .

عن الأَوْزاعى قال : سمعت بلالاً يقول ، لا تَكُنْ وليًا لله تعالى فى العلانية وعدوّه فى السرّ .

قال : وسمعتُ بلالاً يقول فى مَواعِظِه : يا أَهل الخلود ويا أَهل(٢) البقاءِ ، إنكم لم تُخلقوا للفناءِ وإنما خُلقتم للخلود والأَبد ، ولكنكم تُنقلون من دارٍ إلى دار .

عن الأَوزاعى عن بلال بن سعد قال : إن الله يغفر الذنوب ، ولكن لايَمْحوها مِنَ الصحيفةِ حتى يَقِفه(٣) عليها يوم القيامةوإن تاب .

---

(١) أى منزلته ومكانته . (٢) ط : يا أهل .

(٣) الهاء تعود على المذنب المفهوم من الكلام .

سعيد بن عَمرو قال : قال بلال بن سعد : ذِكْرُك حسَناتِك ونسِيانُك سيِّئَاتك غِرّة .

الأَوزاعى قال : هلك ابنٌ لبلال بن سعد فجاءَ رجل يَدَّعِي عليه ببضعة وعشرين دينارًا فقال له بلال : أَلك بيّنة؟ قال : لا . قال : فلَك كتاب ؟ قال : لا . قال : فتَحلف ؟ قال : نعم . قال فدخل منزله فأَعْطاهُ الدَّنانيرَ . فقال : إن كنت صادقًا فقد أَدَّيتُ عَنِ ابنى ، وإن كنتَ كاذبًا فهى عليك صدقة .

الأَوزاعىِ قال : سمعت بلال بن سعد يقول : رُبَّ مسرورٍ مَغْبونٍ يَأْكُلُ ويشرب ويضحك وقد حَقّ له فى كتاب الله عز وجل أَنه مِنْ وَقُودِ[1] النَّار .

الأَوزاعى قال : سمعْت بلال بن سعد يقول : أَخٌ لك كلما لَقيك ذكَّرك بحظِّك من الله خيرٌ لك من أَخ كلَّما لقيك وضَع فى كفِّك دينارًا .

عن الأَوزاعى قال : سمعت بلال بن سعد يقول : لا تَنْظر إلى صِغر الخَطيئة ولكن انظر مَن عصَيْت .

سعيد بن عبد العزيز قال : قال بلال بن سعد : الذكر ذِكْران : ذكْرٌ لِله عز وجل[2] باللسان حَسنٌ جميل ، وذِكْرُ اللهِ عندما أَحلّ وحرّم أَفضل .

الضحَّاك بن عبد الرحمن قال : سمعت بلال بن سعد يقول : يا أُولى الأَلْباب لِيتفكَّرْ متفكّر فيما يبقى له وينفعه ، أَما ماوكَّلكم الله عز وجل به فتضيّعون ، وأَمَّا ماتكفَّل لكم به فَتطلبون ، ماهكذا

---

(١) ب : أهل .

(٢) ذكر الله باللسان .

نَعت الله عبادَه المؤمنين ، أَذَوو عقولٍ فى طَلب الدنيا وَبَلَهٍ عما[١] خُلقتم له ؟ فكما ترجون الله بما تؤدُّون من طاعته فكذلك أَشفِقوا من عذابِ الله بما تَنْتهكون مِنْ معاصيه .

قال : وسمعت بلال بن سعد يقول : عبادًا الله ، اعلموا أَنكم تعملون فى أَيامٍ قصارٍ لأَيامٍ طوال ، وفى دار زوالٍ لدارِ مُقامٍ ، وفى دار نَصبٍ وحزن لدار نعيمٍ وخُلْدٍ ، ومن لم يَعْمل على اليقين فلا يتعن ، عبادَ الرحمن هل جاءكم مُخبر يخبركم أَن شيئًا من أَعْمالكم تُقْبَل منكم أَو شيئًا من أَعمالكم غُفر لكم ؟

عن الأَوْزاعى عن بلال بن سعد : قال أَدركتهم يَشْتدّون بين الأَغراض ، ويضحك بعضهم إلى بعض فإذا كان اللَّيْل كانوا رُهْبانًا .

أَسْند بلال عن أَبيه سعد بن تميم السّكونى و [عن] عبد الله بن عمر ابن الخطاب وجابر بن عبد الله فى آخرين .

٧٥٢ — عمير بن هانىء أبو الوليد الشامى :

قال البخارى : سمع من ابن عمر ، وزعم آل عُميرٍ أَنه أَدرك ثلاثين من أَصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

سعيد بن عبد العزيز قال : قلتُ لعُمَير بن هانىء : أَرى لسانك لاَ يَفْتُر من ذكر الله عزَّ وجل فكم تُسبِّح كُلُّ يوم ؟ قال : مائة أَلف إلَّا أَن تُخْطِىءَ الأَصابع .

٧٥٣ — أبو عبد رب واسمه عبيدة[٢] بن المهاجر :

عن ابن جابر أَن أَبا عبد ربّ كان من أَكثر أَهل دمشق مالًا فخرج إلى أَذْرَبيجان فى تجارة فأَمْسى إلى جانب مَرعَىً ونهر فنزل به . قال :

(١) ب : فيما .

(٢) قط : عبيد .

فسمعتُ صوتاً يُكثر حمد الله عز وجل فى ناحيةٍ فَاتَّبعتُه فرأيت رجلاً فى حَفير من الأَرْض ، ملفوفًا فى حَصِير ، فسلَّمت عليه وقلت : من أَنت ؟ قال : رجل من المسْلمين . فسأَلته أَن يَقومَ معى إلى المنزل فأَبَى . فانصرفْتُ وقد تقاصَرتْ إلىَّ نفسى ومقتُّها أَنِّى لم أخلِّف بدمشق رجلاً فى العَين يُكاثر نى وأَنا أَلْتمس الزِّيادة فقلت : اللهم إنِّى أَتوبُ إليْك مِنْ سوءِ ما أَنا فيه . . فَبِتُّ ولِمَ يعْلم إخوانى بما قد أَجْمعت عَلَيْه فلما كان السَّحَر رحلوا فركبتُ دابَّتِى وضربتُها إلى دمشق فقلت : ما أَنا بصادق التَّوْبة إن مَضَيتُ فى مَتجَرى . قال ابن جابر : فلما قدم تَصَدَّقَ بِصَامِت ماله[1] وجهّز به فى سبيل الله عز وجل . قال ابن جابر فحدثنى بعض إخوانى قال : ما كستُ[2] صاحبَ عباء بدانقٍ فى عَباءٍ أَعطيتُه ستّة وهو يقول : سبعة . فلما أَكثرتُ قال : ممن أَنت ؟ قلت : من أَهل دمشق . قال ما تُشبه شيخًا وفد علىّ أَمس يُقال له أَبو عبد ربّ اشترى منى سبعمائة كساءٍ بسبعةٍ سبعةٍ ما سأَلنى أَن أَضع له درهمًا وما زال يفرقها بين[3] فُقراءِ الجَيْش فما دَخَل إلى منزله منها بكساء . قال ابن جابر : وكان أَبو عبد ربٍ تصدّق بصامتِ مَالِه وباعِ عُقَدَه[4] فتصدّق بها ، إلاَّ دارًا بدمشق ثم باعها بمالٍ وفرَّقه . ثم مات فما وجَدوا من ثمنها إلَّا قَدْر الكفن . وكان يَقولُ : واللهِ لو أَنَّ نهركم هذا سالَ ذهبًا وفِضَّة ، مَن شاءَ خرج إليه فأَخذ ، ما خرجتُ إليه ، ولو قيل : مَن

---

(١) الصامت من المال : الذهب والفضة . والمال الناطق : الحيوان كالإبل والغنم وما إليها .

(٢) المماكسة فى الثمن : استنقاصه وطلب تنزيله .

(٣) ب : فى .

(٤) مفردها عقدة وهى الضيعة ، أو العقار الذى اقتناه صاحبه ملكاً . ط : عقره ، تحريف .

مسّ هذا العُود مات لسرّنى أن أَقوم إِليه شوقًا إلى الله عز وجل وإلى رسوله .

أَسند أَبو عبد ربّ عن معاوية بن أَبى سفيان [والسلام] .

ومن الطبقة الخامسة

٧٥٤ — أبو بكر بن عبد الله بن أبى مريم الغسانى :

بقيّة قال : خرجنا إلى أَبى بكر بن أَبى مريم نسمع منه فى ضيعته ، وكانت كثيرة الزّيتون ، فخرج علينا نَبطىٌّ من أَهْلها فقال لى : مَن تريدون ؟ فقلنا : نريد أَبا بكر بن أَبى مريم فقال : الشَّيخ ؟ فقلنا : نعم — فقال : ما فى هذه القرية شجرة من زيتون إلا وقد[1] قام اليها ليلته جمعاء[2] يزيد بن هارون قال : كان أَبو بكر من العُبَّاد المجتهدين ، فَحَضَرَهُ الموت وهو صائمٌ ، فلم يزل يَجْهَد[3] حتى قَشّروا له تفّاحة فأَفطرعليها وقيل لامرأَته أَلا تُفَلّين ثيابه ؟ قالت : أَيّة ساعةٍ أَفلّيها ؟ ما يلقيها عنه ليلا ولا نهارًا . تقول[4] لاشتغاله بالصلاة .

الحسن بن على بن مسْلم السكونى قال : كان لأَبى بكر بن أَبى مريم فى خدّيه مَسلكان من الدُّموع .

يزيد بن عبد ربه قال : عُدتُ أَبا بكر بن أَبى مريم وهو فى النَّزع فقلت له : رحمك الله لو جَرَعْت جرعةَ ماء . فقال[5] بيده : لا ثُم جاءَ الليل فقال : أُذِّنَ ؟ فقلت : نعم . فقطَرنا فى فمه قَطْرة ماءٍ ثم مات.

أَسند أَبو بكر عن عبد الله بن بُسر وغيره .

---

(١) ط : قد . (٢) ق : جمعاً ، ب : جميعاً .

(٣) ق ، ب : يجهد به . وأثبت ما فى قط .

(٤) أى تعنى وتريد بقولها ذلك .

(٥) أشار .

٧٥٥ ــ حسان بن عطية يكنى أبابكر :

عن الأَوزاعى قال : ما رأَيْت أَحدًا أَكثر عملاً منه فى الخير . يعنى حسان بن عطية .

عن الأَوْزاعى قال : كان حسّان بن عطية يَتَنَحّى إذا صلَّى العصر فى ناحية المسجد ، فيذْكُرِ الله عز وجل (١) حتى تغيبَ الشمس ــ

الأَوزاعِى ، عن حَسَّان بن عطية قال : من أَطال قيام اللّيلِ يُهوَّن عليه طُول القيام يوم القيامة .

الأَوزاعى قال : حدَّثنى حسان قال : يُعذِّب الله الظالَم بالظالم ثم يُدْخِلُهُمَا النار جميعًا . وحدثنى حسان قال : إن العبد إذا عمل سَيّئة وقف الملَك فلم يكتبها ثلاث ساعاتٍ ، فإن لم يَسْتَغفر كُتبتْ وإن استغفر لم تُكتب . وإن الرجل إذا سافر يوم الجمعة دُعِىَ عليه أَن لا يُصاحب فى سفره ولا يُعَان فى حاجته ، وركعتان يَستَنُّ فيهما العبدُ خيرٌ من سبعين ركعة لا يستنّ فيها .

أَسند حسّان عن أَنس وشدّاد بن أَوس ، وأَرسل عن ابن مسعود وأَبى ذرّ وحذيفة فى خلق كثير .

٧٥٦ ــ أمية الشامى :

عن سفيان بن عيينة قال : كان أُميَّة رجلاً من أَهل الشام يقوم فيصلِّى هناك مما يلى باب بنى سَهم ، فَيَنْتَحِب ويَبْكى حتى يَعْلو صوته وحتى تَسِيل دموعه على الحصى . قال : فأَرْسَل إليه الأَمير : إنك تُفسِد (٢) على المصَلِّين صلاتهم بكثرة بُكائِك وارتفاعِ صوتك ، فلو أَمسكت قليلاً . فبكى ثُمَّ قال : إن حُزْنَ يومِ القيامة ورثنى دموعًا

(١) يذكر الله .
(٢) ط : لتفسد .

غزارًا ، فأنا أستريح إلى ذَرْيها(١) أحيانًا . وكان أُمية يقول : ألا إنّ المطيع لله مَلِكٌ فى الدنيا والآخرة . وكان يَدْخل الطواف فيأْخُذُ فى البكاء والنحيب ، وربما سَقط مغشيًا عليه .

ومن الطبقة السادسة

٧٥٧ — أبو سليمان الداراني واسمه عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسى(٢) :

ودارَيّا قرية من قرى دمشق ، وقيل ضيعة إلى جَنب دمشق .

أحمد بن أبى الحَوارِىّ قال : سمعت أبا سليمان عبد الرحمن بن أحمد العنسى(٢) يقول : مفتاح الدّنيا الشّبع ، ومفتاح الآخرة الجوع ، وأصل كل خيرٍ فى الدنيا والآخرةِ الخوفُ من الله ، وإن الله يُعْطى الدنيا من يحبُ ، ومن لا يُحبّ ، وإن الجوع عنده فى خزائن مدّخرة ، ولا يعطِى إلا من أحّب خاصّة ، ولأن أدَع من عَشَائى لُقْمةً أحّب إلىّ من أن آكلها وأقوم من أوّل الليل إلى آخره .

أحمد بن أبى الحَوارِىّ قال : سمعت أبا سليمان يقول : لولا الليل ما أحببتُ البقاءَ فى الدنيا ، وما أحبّ البقاءَ فى الدنيا لتَشْقيق الأنهار ولا لغَرْس الأشْجار .

أحمد بن أبى الحَوارِىّ قال : سمعْتُ أبا سليمان يقول : سمعت أبا جعفر يبكى فى خطبته يوم الجمعة ، فاستقبلنى الغَضَب وحضرَتْنى نِيّةٌ أن أقوم فأعِظه بما أعرف من فعله إذا نَزل . قال : فتفكّرت أن أقومَ إلى الخليفة فأعِظه والناس جلوس يَرمقُونى بأبصارهم ، فيَعْرض لى تزين فيأْمُر بى فأُقْتَل على غير تصحيح . فجلست وسكتُّ .

---

(١) انسيابها ، أى الدموع . ط : درتها . وهما بمعنى .

(٢) ب : العبسى .

قال أَحمد : وسمعت أَبا سليمان يقول : كُنْت بالعراق أَعَملَ ، وأَنا بالشام أعَرفُ . قال أَحمد : فحدّثت به ابنه سليمان فقال : إنما مَعْرفة أَبى بالله تعالى بالشام لطاعتِه بالعراق ، ولو ازدادَ لله بالشام طاعةً لازداد لله معرفة .

ابن أَبى الحَوارِىّ قال : سمعت أَبا سليمان يقول : كلّ ما شغَلَكَ عن الله عزّ وجل من أَهْلٍ ومالٍ أَو ولدٍ فهو عليك مَشُوم (١) .

مسْعود بن أَبى جميل قال : سمعت أَبا سليمان يقول : إنما عَصَى الله عز وجل من عَصَاه لِهَوانهم عليه ، ولو كَرُموا عليه لِحَجزهم عن مَعاصِيه .

أَحمد بن أَبِى الحوارى قال : سمعت أَبا سليمان يقول : كلما ارتفعتْ منزلة القلب كانت العقوبة إليه أَسرع .

أَحمد بن أَبى الحَوارِىّ قال : قال لى أَبو سليْمان : من أَىّ وجه أَزالَ العاقِلُ اللّائمةَ عمّن أَساءَ إليه ؟ قلت : لا أَدرى — قال : من أَنه قد علم أَن الله تعالى هو الذى ابتلاه به .

أَحمد بن أَبِى الحَوارِىّ قال : سمعتُ أَبا سليمان يقول كُنْتُ ليلةً باردة فى المحرابِ فأَقْلَقَنِى البَرد فَخَبأْتُ إحْدى يدىَّ من البردِ وبقَيت الأُخْرى ممدودةٌ . فغابتْنى عيْنى فَهَتَفَ بى هاتفٌ ياأَبا سليمان قد وضَعْنَا فى هذه ما أَصَابَهَا ، ولو كانت الأَخرى لوضعنا فيها ما أَصابها . فآليت لا أَدعو إلّا ويداىَ خارجتان .

أَحمد بن أَبى الحَوارِىّ قال : قال لى أَبو سليمان الدّارانى : ياأَحمد إنى محدّثك بحديث فلا تحدّث به أَحدًا حتى أَموت : نمت ذات ليلةٍ عن وِرْدِى فإذا أَنا بحوراءَ تنبّهنى وتقول : ياأَبا سليمان تنام وأَنا أُربَّى لك فى الخدور منذ خمسمائة عام ؟

---

(١) ط : مشوئم . وإنما هى مشؤوم .

أَحمد بن أَبي الحَوارِيّ قال : سمعت أَبا سليمان الدّاراني يقول : بينا أَنا ساجد إِذ ذهب بي النوم فإِذا أَنابها ، يعني الحوْرَاء ، قد رَكَضَتْني برجلها فقالت : حبيبي أَترقد عيناك والمَلِك يَقْظَان ينظر إلى المتهجّدين في تَهجُّدِهم ؟ بُؤْساً لعين آثرت لذّة نوم[1] على لذّة مناجاة العزيز ، قم فقد دنا الفراغ ولقي المحبّون بعضُهم بعضًا ، فما هذا الرَّقاد ؟ حَبيبي وقُرّةَ عيني ، أَترقد عيناك وأَنا أُرَبَّى لك في الخدور منذ كذا وكذا ؟

فوثبتُ فزِعًا وقد عرِقتُ استحياءً من توبيخها إِيّاي ، وإِن حلاوة منطقها لفي سمعي وقلبي .

أَحمد بن أَبي الحَواري يقول : سَمْعت أَبَا سليمان الدّاراني يقول : ما ضّرك ما غرّك إذا أَعْقبكَ ما سرّك .

موسى بن عمران قال : سمعت أَبا سُلَيْمان الدّاراني يقول : إن النَّفْس إذا جاعَتْ وعَطِشت صفا القلب ورقّ ، وإِذا شبعت ورَوِيَتْ عَمِيَ القلبُ .

موسى بن عمران قال : سمعت أَبا سليمان الدَّاراني يقول : ما يسرّني أَن لي من أَول الدنيا إلى آخرها أُنفِقه في وجوه البِرّ وأَنيّ أَغفل عن الله عز وجل طرْفة عين .

عن أَحمد بن أَبي الحَوارِيّ قال : قال أَبو سليمان الدَّاراني : لو أَن الدنيا كلَّها في لقمة ثم جاءَني أَخ لي لأَحببت أَن أَضعَها في فِيه .

أَحمد بن أَبي الحَوارِيّ قال : سَمِعْت أَبا سليمان الدّاراني قال : إذا كانت الآخرة في القلب جاءَت الدنيا تزحَمها ، وإذا كانت الدنيا في القلب لم تَزْحَمها الآخرة ، لأَنَّ الآخرة كريمة والدنيا لئيمة .

---

(1) ط : نومة .

أحمد بن أبى الحَوَارِىّ قال : سمعت أبا سليْمان الدارانى يقول : مَن حَسُنَ ظنُّه بالله عزَّ وجل ثم لا يخاف اللهَ فهو مَخْدوع .

أحمد بن أبى الحَوارِىّ قال : سمعت أبا سليمان الدّارانى يقول : أرجو أن أكون قد رُزقتُ من الرّضا طرفًا لو أدخلَنى النار لكنت بذلك راضياً .

محمد بن هشام قال: سمعت أبا سليمان الدّارانى يقول : يُوحى الله عز وجل إلىْ جبريل[١] عليه السلام : اسْلُب عَبدى ما رَزَقْتُه من لذّة طاعتى فإن افتقَدها فَرُدَّها عليه ، وإن لم يفتقِدها فلا تردَّها عليه أبدًا .

أحمد بن أبى الحَوارِىّ قال : سمعت أبا سليمان الدّارانى يقول فى مناجاته : إنّك إن طالبَتنى بِسَرّى طالبتُك بكرَمك ، وإن أخذتَنى بذُنوبى أتيتك بتوحيدك ، وإن[٢] أسكنتَنى النار بين أعدائك لأُخبرنّهم بحبى لك .

أحمد بن أبى الحَوارِىّ قال : سمعت أبا سليمان يقول : كنت أنظر إلى الأَخ من إخوانى بالعراق فأَعمل على[٣] رؤيته شهرًا . وسمعته يقول : إنما الأَخ الذى تعِظك رؤيته قبل أن يعظك بكَلامه[٤].

أحمد بن أبى الحَوارِىّ قال : بات أبو سليمان ذات ليلة فلما انْتصَف الليل قامَ ليتهّيأَ . فلما أَدخل يده فى الإناء بقىَ على حالته حتى انْفَجَرَ الصّبح ، وكان وقت الإقامة . فخشيتُ أن تَفوته الصلاة فقلتُ : الصلاة يرحمك الله . فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله [العلىّ العظيم] .

---

(١) ط : جبرئيل .
(٢) ط : فإن .
(٣) ط : فأعمل عملى على .
(٤) ط : كلامه .

ثم قال : ياأحمد أدخلتُ يدى فى الإناء فعارضَنى مُعارض من سرّى : هَبْ أنك غسلت بالماء ما ظَهر منك فماذا تَغْسِل قلبك ؟ فبقيت متفكراً حتى قلت[١] بالغُموم والأحزان فيما[٢] يفوتُنى من الأُنس بالله عزّ وجل .

أَحمد بن أبى الحَوارِىّ قال : سمعت أبا سليمان يقول : ما يَسُرّ العاقلَ أن الدنيا له منذ خُلقَت إلى أن تَفنى ، يتنعم فيها حلالاً لا يُسأَل عنه يوم القيامه وأنه حُجب عن الله عز وجل ساعةً واحدة ، فكيف بَمن[٣] حُجب أيام الدنيا وأيام الآخرة ؟

أحمد بن أبى الحَوارِىّ قال : سمعت أبا سليمان يقول ، ربما مثلَ لى رأسى بين جبلين من نار ، وربما رأيتُنى أهوى فيها حتى أبلغ قَرارها وكيف تَهنِىء الدنيا مَن كانت هذه صفتَه ؟

وسمعته يقول : إنما ارتفعُوا بالخوف ، فإن ضيّعوا نزلوا وينبغى لعاقل وإن بلغ أعلى درجة أن يفزَع قلبه بأسفلِ درجة من ذِكر الموت والمقابر[٤] والبعث .

وقلت [٥] لأبى سليمان إنى قد غبطْت بنى إسرائيل . قال : بأىّ شىءٍ ويحْك ؟ قلت بثمانمائة سنةٍ بأربعمائة سنةٍ ، حتى يَصيروا كالشّنان البالية وكالأوْتار . قال : ما ظننت إلا أنك قد جئت بشىءٍ ، لا والله لا يريدُ الله عز وجل مِنّا أن تَيبس جلودنا على عظامنا ولا يريد منّا إلا صِدق النية فيما عنده ، هذا إذا صَدق فى عشرة أيام نال ما نال ذاك [٦] فى عمره .

---

(١) كذا فى ط . وفى ق : قلب .
(٢) ط : من .
(٣) ق : قلت .
(٤) ط : فما .
(٥) ط : فى المقابر .
(٦) ط : ذلك .

وسمعت أَبا سليمان ، وذُكر له رجل ، فقال : لقد وقع على قلبى ولكن صف لى حاله . فقلت : إنه نشأ فى الصوف والقرآن وأَكل المَلّة(١) . فقال : قد كنت أَحبّ أَن يكون ممن وَجد طعم الدنيا ثم تركها ، لأَنه إذا وَجد طعمها ثم تركها لم يَغتر بها ، وإذا كان ممن لم يجد طعمها لم آمن عليه إذا وجَد طعمها أَن يرجع إليها .

وسمعت أَبا سليمان يقول : لأَهلُ الطاعة فى ليلهم أَلذُّ من أَهل اللهو بِلَهوِهم ، وَلَولا(٢) الليل ما أَحببت البقاءَ فى الدنيا .

وسمعت أَبا سليمان يقول : لو لم يبك العاقل فيما بقى من عمره إلاّ على لذةِ ما فاته من الطاعة فيما مضى ؛ كان ينبغى له أَن يبكيه حتى يموت .

أَحمد بن أَبى الحَوارِىّ قال : سمعت أَبا سليمان يقول : ما عمل داود عليه السلام عملًا قطّ كان أَنفع له من خَطِيئته ، ما زال منها خائفًا هاربًا حتى لحق بربّه عز وجل . قال : ورأَيت أَبا سليمان أَراد أَن يُلبِىّ فغُشِىَ عليه . فلما أَفاق قال : ياأَحمد بلغنى أَن الرجل إذا حّج من غير حِلّه فقال : لبيَّك اللهم لبيَّك ، قال له الرب : لا لبيّك ولا سَعْدَيْك حتى تردَّ ما فى يديْك . فما يؤْمِننى أَن يُقال لِى هذا ؟ ثم لَبَّى .

وسمعت أَبا سليمان يقول : أَقمت عشرين سنة لم أَحتلم . فدخَلْتُ مَكَّةَ فأَحَدثْتُ بها حَدثًا ، فما أَصبحت حتى احتلمتُ . فقلت له : فأَىّ شىء كان ذلك الحَدث ؟ قال : تركت صلاة العِشاءِ فى المسّجِدِ الحرام فى جَماعةٍ ، والاحْتلام عُقُوبة .

---

(١) الخبز الذى يخبز على الرماد الحار .

(٢) ط : فلولا .

وسمعته يقول : حِيل بيني وبين قِيامِ اللَّيل ـ قال أَحْمد : كان الذِكْر يغلب عليْه ـ وإنّي لأَمرض فأَعرف الذنب الذى أَمرض به(١) .

وسمعته يقول : ماحجّوا ولا رابَطوا ولا جاهدوا إلاّ فِرارًا من البَيْتِ ، وما يَرون ما تقرُّ به أَعْينهم إلاّ فى البيت .

أَحمد بن أَبى الحَوارِىّ قال : قال أَبو سليمان : لو اجْتَمَعَ الخَلْقُ جميعًا على أَن يَضَعُونى كاتِّضَاعى عند نفسى ما قدروا على ذلك .

أَحمد بن أَبى الحَوارِىّ قال : قال أَبو سليمان الدّارانى : من صَفّى صُفّىَ له ومن كَدَّر كُدِّرَ عليه .

أَخبرنا ابن ناصر قال : أَنبأَ على بن خلف قال : انبأَ أَبو عبد الرحمن السلمى قال : أَنبأَ عبد الله بن محمد الرازى قال أَنبأَ [إسحق] (٢) بن إبراهيم بن أَبِى حسّان الأَنماطى قال : سمعت أَبا سليمان يقول : من أَحسنَ فى نهاره كُوفِىءَ فى ليله ، ومن أَحسن فى ليله كُوفِىءَ فى نهاره ، ومن صدَق فى ترك الشَّهْوة ذَهب الله بها من قلبه ، والله أَكرمُ من أَن يعذّب قلبًا بشهوة تُركت له .

الجُنَيد قال : قال أَبو سليمان الدّارانى : ربما يقع فى قلبى النُّكتة من نُكَت القوم أَيامًا فلا أَقبل منه إلَّا بشاهِدَين عدْلَين : الكتاب والسنة .

أَحمد بن أَبى الحَوارىّ قال : سمعت أَبا سليمان يقول ، وقد دخلت عليه وهو يبكى ، فقلت له : ما يُبكيك ؟ فقال(٣) لى يا أَحمد ولمَ لا أَبكى ؟ وإذا جنَّ الليل ونامت العيون ، وخلا كلّ حبيب بحبيبه ، وافترش أَهل المحبّة أَقدامهم ، وجرت دموعهم على خدودهم ، وقَطَرت فى مَحَارِيبهم ، أَشرف الجليل سبحانه ، فنادى جبريل(٤)

(١) أى بسببه .
(٢) من ب .
(٣) ق : قال . وأثبت ما فى ط .
(٤) ط : جبرئيل .

عليه السلام بعينى من تَلَذَّذَ بكلامى ، فلمَ لا ينادِى فيهم ما هذا البكاءُ ؟ هل رأيتم حبيبًا يُعذِّب أَحبابه ؟ أَم كيف يَجْمُلُ بى أَن أُعذِّب قومًا إذا جنَّهم الليل تَمَلَّقونى؟ فبى حلفتُ إذا وردوا علىَّ القيامة لأَكْشِفَنَّ لهم عن وجهى الكريم حتى ينظروا إلىَّ وأَنظر إليهم .

أَحمد بن أَبى الحَوارِىّ قال : قال [لى] أَبو سليمان : ليس العبادة عندنا أَن تَصِفَّ قدَميك وغيرُك يُفتّ لك ، ولكن ابْدأ برغيفيْك فأَحرِزْهما ثم تَعبَّد ، ولا خير فى قلب يتوقَّع قَرْع الباب يتوقع إنسانًا يجيئه يعطيه شيئًا .

قال : وقلت لأَبى سليمان : سهرتُ ليلةً فى ذكر النّساءِ إلى الصباح . قال : فتغيّر وجهه وغضب علىّ وقال : ويحك أَما[1] استَحْيَيْتَ منه ؟ يراك ساهرًا فى ذكر النساءِ ؟ ولكن كيف تستحيي ممن لا تعرف . قال : وسمعت أَبا سليمان يقول : إذا لذّت لك القراءة فلا تركع ولا تسجد ، وإذا لذَّ لك السجود فلا تركع ولا تقرأ ، الزم الأَمر الذى يُفتح لك فيه [وسمعت أَبا سليمان يقول : من كان يومُه مثل أَمس فهو فى نقصان][2] وسمعت أَبا سليمان يقول : ما أُتِىَ مَن أُتِىَ من[3] إبليس وقارون وبَلَعَم[4] إلا أَن أَصل نيّاتهم غشّ فرجعوا إلى الغش الذى فى قلوبهم ، والله أَكرم من أَن يمنّ على عبدٍ بصدقٍ ثم يسلبه إياه .

أَحمد بن أَبى الحَوارِىّ قال : سمعت أَبا سليمان الدارانى يقول : إذا ذكرتُ الخطيئة لم أَحبّ الموت وقلت : أَبقى لعلىّ أَتوب .

---

(١) ط : ما . (٢) ما بين قوسين ساقط من ق . وقوله « أمس » كذا فى ط . ولعله أمسه . (٣) قط : مثل .

(٤) هو بلعم بن باعور من الكنعانيين ، أوتى علم بعض كتب الله . وهو المقصود بقوله تعالى : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين » الأعراف» (١٧٥) .

أَبو عمران ، موسى بن عيسى الجصّاص قال : قال أَبو سليمان رُدَّ سبيلَ العُجْب بمعرفة النفس ، وتَخلّصْ إلى إجمام القلب(١) بقلّة الخُلَطاءِ ، وتَعّرضْ لرقة القلب بمجالسة أَهل الخوف ، واستجلِبْ نورَ القلبِ بِدَوام الحزْن ، والْتَمس باب الحزْنِ بِدوام الفكرة ، والتمس وُجوه الفكرة فى الخَلوات ، وتحرَّزْ من إبليس بمخالفة هَواك ، وتزَّينْ لله بالإخلاص والصدق فى الأَعْمال ، وتعَّرضْ للعفو بالحياءِ منه والمراقبة ، واستجلِبْ زيادة النِّعَم بالشكر ، واستدِم النِعَم بَخوف زوالها ، ولا عملَ كطلب السلامة ، ولا سلامة كسلامة القلب ، ولا عقل كمخالفة الهوى ، ولا فَقر كَفَقْر القلْب ، ولا غِنى كغِنَى النفس ، ولا قوة كردّ الغضب ، ولا نور كنور اليقين ، ولا يقينَ كاسْتِصْغار الدنيا ، ولا معرفة كمعرفة النفس ، ولا نعمةَ كالعافية من الذنوب ، ولا عافيةَ كمساعدة التوفيق ، ولا زُهْدَ كقِصَر الأَمل ، ولا حِرصَ كالمنافسة فى الدّرجات ، ولا طاعةَ كأَداءِ الفرائض ، ولا تَقوى كاجْتِناب المحارم ، ولا عَدَمَ كعَدَم العقل ، ولا فضيلة كالجهاد ، ولا جهاد كَمُجَاهَدَة النّفس ، ولا ذُلّ كالطّمَع ، ومن لم يُحسن رعاية نفسه أَسرعَ به هَواه إلى الهلكة ، ولا ينفع الهالكَ نجاةُ المعصوم ، ومرارُة التقوى اليوم حلاوةٌ فى ذلك اليوم(٢) ، والهالك مَن هَلَك فى آخر سفَرِه وقد قاربَ المنزل ، والخاسِر من أَبدى للناس صالحَ عَملِه وبارَزَ بالقبيح مَن هو أَقربُ إليه من حَبل الوريد .

أَحمد بن أَبى الحَوارِىّ قال : سمعت أَبا سليمان يقول ، وسأَله رَجُل فقال : ياأَبا سليمان ما أَقرب ما تُقرِّبَ به إليه ؟ فبكى ثم قال :

---

(١) إراحته .　　(٢) يوم القيامة .

مِثلى يُسأَل عن هذا ؟ أَقربُ ما تُقُرِّبَ به إليه أَن يطَّلع من قلبك على أَنك لا تريد من الدنيا والآخرة إلاّ هو .

وسمعت أَبا سليمان يقول : ربما أَقمت فى الآية الواحدة خمس ليال ولولا أَنى أَدَع الفكر فيها ما جُزْتُها أَبدًا ولربما(١) جاءت الآية من القُرآن تُطيرّ العقل فسبحان الذى ردّه اليهم . قال أَحمد : وقلت لأَبى سليمان : إن فلانًا وفلانا لا يقَعان على قلبى . قال : ولا على قلبى ، ولكن لعلّنا أُتينا من قلبى وقلبك فليس فينا خير وليس نحبُّ الصالحين .

أَحمد بن أَبى الحَوارِىِّ قال : سمعت أَبا سليمان يقول : إذا اعتقدَت النُّفوسُ تَرْكَ الآثام جالَتْ فى الملكوت وعادَت بِطَرَائف الحِكْمة من غير أَن يؤدِّى إليها عالمٌ عِلمًا . قلت سمع أَبو سليمان الدَّارانى الحديث الكثير ولقى سُفيان الثّورى وغيره ، ولكنه اشتغل بالتعبّد عن الرواية إلا أَننى(٢) وجدت له ثلاثة أَحاديث مُسندة :

الحديث الأَول ــ أَبو سليمان الدّارانى قال : سمعت علىّ بن الحسن ابن أَبى الربيع الزاهد يقول : سمعت إبراهيم بن أَدْهم يذكر عن القَعْقَاع بن حكيم عن أَبى صالح عن أَنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صَلَّى قبل الظهر أَربعًا غُفِر له ذُنوبُ يومِه ذلك(٣) ».

قال الخطيب : لا أَحفظ لأَبى سليمان حديثًا مسندًا غيره (٤) .

الحديث الثانى ــ أَبو سليمان الدارانى قال : أَنبأَ علىّ بن الحسن ابن أَبى الربيع قال حدثنا إبْراهيم بن أَدهم قال : سَمِعْت مُحمد بن

---

(١) ط : لربما وقوله : ما جزتها : أى ما تجاوزتها ولا تعديتها إلى غيرها .

(٢) ط : وإننى .

(٣) الحديث ضعيف ، أخرجه الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد .

(٤) ط : غير هذا .

عجلان يذكر عن أَبيه عن أَبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَن تواضَعَ لله عز وجل رفعه الله[١] » .

الحديث الثالث ــ أَبو سليمان الدّارانى قال : حدّثنى شيخ بساحل دمشق يُقال له عَلْقَمَة بن يزيد بن سُوَيد الأَزْدى قال : حدثنى أَبى عن جدّى سويد بن الحارث قال : وَفَدْتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم سَابِع سَبْعةٍ من قَومِى ، فلما دخلنا عليه وكلَّمنَا أَعْجَبه ما رأَى من سَمْتِنا وَزِيِّنَا . فقال : ما أَنتم ؟ قلنا[٢] مؤمنون . فتبسم وقال : إن لكل قول حقيقةً فما حقيقة قولكم وإيمانكم ؟ قال سُويد : قلنا خمس عشرةَ خَصْلة : خمسٌ منها أَمَرتْنا رُسلُك أَن نؤمن بها ، وخمسٌ منها أَمَرتْنا رُسلك أَن نعمل بها ، وخمس منها تخلَّقنا بها فى الجاهلية ، فنحن عليها إلا أَن تَكْره منها شيئًا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما الخمسُ التى أَمَرتْكم رُسلى أَن تؤمنوا بها ؟ قلنا . أَمَرتْنا رُسلك أَن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورُسُلِهِ والبعْث بعد الموت . قال : وما الخمسُ التى أَمَرتْكم أَن تعملوا بها ؟ قلنا : أَمرتنا رسلك أَنْ نَقول : لا إله إلا الله ونُقيم الصلاة ونُؤتىَ الزكاة ونَصومَ رمضان ويَحجّ البيتَ مَن استطاع إليه سبيلًا . قال : وما الخمُس التى تخلّقتم بها أَنتم[٣] فى الجاهلية ؟ قلنا : الشكر عند الرَّخاء ، والصَّبْر عند البَلاءِ ، والصِّدق فى مَواطِنِ اللِّقاءِ ، والرِّضا بِمُرّ القضاء ، والصبر عند شَمَاتة الأَعداءِ . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : عُلماء حُكماء كادوا من صِدْقهم أَن يكونوا أَنْبياء . ثم قال صلى الله عليه وسلم : وأَنا أَزيدكم خمسًا فتتمّ لكم عشرون

(١) الحديث حسن ، أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى وأخرجه أبو يعلى وأبونعيم فى الحلية .

(٢) ط : فقلنا .

(٣) أنتم : ساقطة من قط .

خصلة : إن كنتم كما تقولون فلا تجمعوا مالا تأْكلون ، ولا تَبْنوا ما لا تَسْكنون ، ولا تَنافَسُوا فى شيءٍ أَنتم عنه تَزُولون ، واتقوا الله الذى إليه تَرجعون وعليه تُعْرضون ، وارغبوا فيما عليه تَقدَمُون وفيه تخلُدون . قال أَبو سليمان : وقال لى عَلْقمة بن يزيد : فانصرفَ القومُ مِنْ عِنْدِ رسولِ اللهُ صلى الله عليه وسلَّم وحفِظوا وصيته وعمِلوا بها ، ولا والله يا أَبا سليمان ما بقى من أَولئك النفر ولا من أَولادهم أَحد غيرى . قال وما بقى إلا أَيام قلائل ثم مات رحمه الله . توفى أَبُو سليمان الدّارانى سنة خمس ومائتين وقال أَبو عبد الرحمن السلمى سنة خمس عشرة . والأَول أَصحّ .

٧٥٨ — عبد العزيز بن عمير ـ اصله من خراسان لكنه سكن دمشق :

أَحمد بن محمد بن أَبى موسى الانطاكي قال : سمعت أَحمد بن أَبى الحَوارِىّ يقول : سمعت عبد العزيز بن عمير يقول : ترى نور الجلال عليهم وأَثر الخدمة بين أَعينهم . ثم قال عبد العزيز : إن الرجل لَيَنْقَطِعَ إلى بعض ملوك أَهل الدنيا فيُرى أَثرُه عليه ، فكيف بمن ينقطع إلى الله عز وجل كيف لا يُرى أَثره عليه .

قال أَحمد بن وديع : سمعت عبد العزيز بن عُمَير يقول : الصيام سجن المؤمن عن الدنيا .

أَبو خزيمة قال : سمعت عبد العزيز بن عمير يقول : النَّفْسُ أَمَّارة بالسوءِ ، فإذا جاءَ العزْمُ من الله عز وجل كانَتْ هِيَ التى تنازِعُكَ إلى الخيرْ[1] .

---

(١) ب : الخيرة .

٧٥٩ — مروان بن محمد :

أَحمد بن أَبِى الحَوارِىّ قال : سمعت مروان بن محمد يقول : إنّى أَخبرك بشىءٍ ياأَحمد ما كلّمتُ به أَحدًا قطّ قَبلك : ما أَنا لشىءٍ أَخْوَفُ منّى من أَن يُختَم لِى بكُفرٍ .

ومن الطبقة السابعة

٧٦٠ — مضاء بن عيسى(١) :

أَحمد بن أَبِى الحَوارِىّ قال : سمعت مَضاء بن عيسى يقول : خَفِ اللهَ يُلهِمْك ، واعمل له لا يُلجِئْك إلى دليل .

أَحمد بن أَبِى الحَوارِىّ قال : سمعت مَضَاء بن عيسى يقول : إذا وصلوا إليه لم يرجعوا عنه ، إنما رجع مَنَ رجع من الطريق .

قاسم الجُوعى قال : سمعت مَضاء بن عيسى يقول : من رجا شيئًا طلبهُ ، ومَنْ خاف من شىءٍ هرب منه ، ومن أَحبّ شيئًا آثره على غيره .

أَسند مَضاء عن شعبة . وسَمِع من غيره [رضى الله عنه] .

٧٦١ — ابو كريمة العبدى :

عيسى بن الهذيل قال : سمعت أَبا كريمة ، وكان من عُبّاد أَهل الشام ، يقول : ابن آدم ليس لما بقِىَ من عُمرك ثَمنٌ .

٧٦٢ — بشير الطبرى :

سكن الشام . أَبوعمرو(٢) الكندى قال : أَغارت الروم على جَواميس لبشير الطبرى نحواً من أَربعمائة(٣) جاموس ، فركبتُ معه أَنا وابن له فلقينا عَبيدَهُ الذين كانَتْ مَعَهُم الجواميس [معهم عِصِيُّهم فقالوا : يامولانا ذهبت

(١) بعده فى ط : رضى الله عنه .
(٢) ط : أبوعمر .
(٣) قط : نحو أربعمائة .

الجواميس] فقال : وأَنتم أَيْضًا اذهبو معها فأَنتم أَحراز لوجهِ الله تعالى . فقال له ابنه : ياأَبهْ أَفقَرتنا . قال : اسكت إِنّ ربّى اختَبرنى فأَردتُ أَن أَزيده[١] .

ومن الطبقة الثامنة

٧٦٣ — القاسم بن عثمان الجوعى :

أَحمد بن أَبى الحَوارِىّ قال : سمعت القاسم الجُوعّىّ الكبير يقول : شَبع الأَولياء بالمحبّة عن الجوع ففقَدوا لَذاذة الطعام والشّراب والشّهوات ولذّات الدنيا لأَنهم تلذّذوا بلذّةٍ ليس فوقها لذّة فقطَعتْهم عن كل لذّة ، وإنما سُمّيتُ قاسمًا الجُوعَّى لأَنَّ الله تعالى قَّوانِى على الجوع ، فلو تُركت ما تُركت ولم أُوتَ بالطعامِ لم أَبال رُضْتُ[٢] نفسى حتّى لو تُركت شهرًا وما زادَ لم تَأْكل ولم تَشْرَب ، لم تُبال ، أَنا عنها راضٍ أَسوقها حيث شئتُ ، اللهم أَنت فعلتَ بى ذلك فأَتِمّه علىَّ .

أَحمد بن عبد الله الحافظ قال : كان القاسم يقول : حُبّ الرِّياسة أَصْل كل مُوبقة ، وقليلُ العمل مع المعرفة خيرٌ من كثير العمل بلا مَعْرفة ، ورأْس الأَعْمالِ الرِّضا عن الله عز وجل والوَرَعُ عِماد الدين ، والجوعُ مُخُّ العبادة ، والحِصن الحصين ضَبْطُ اللِّسانِ .

سعيد بن عبد العزيز الحلبى قال : سمعت قاسمًا الجوعى يقول : أَصْل الدين الورَعُ ، وأَفضل العبادة مُكابدة الليل ، وأَفضل طُرق الجنة سلامة الصَّدر .

عبد الرحمن بن أَبى حاتم الرازى قال : دخلت دمشق على كَتَبة الحديث فمررت بحلقة قاسم الجوعى فرأَيت نفرًا جُلوسًا حوله وهو

---

(١) ط : فأحببت أن أزيده .

(٢) من الترويض . ط : رضيت .

يتكلم عليهم ، فهالَنِى منظرهم ، فتقدمت إليه فسمعته يقول : اغتنموا من زَمانكم خمسًا : إن حضرتم لم تُعَرفوا ، وان غبتم لم تُفتقَدوا ، وإن شَهدتم لم تُشاوَروا وإن قلتم شيئًا لم يُقبل قولكم ، وإن عملتم شيئًا لم تُعطوا به . أُوصيكم بخمس أيضًا ، إن ظُلِمتم لم تَظلِموا ، وإن مُدحتم لم تفرحوا ، وإن ذممتم لم تَجزعوا ، وإن كُذِّبتم فلا تَغضبوا ، وإن خانوكم فلا تَخونوا . قال : فجعلتُ هذا فائدتى من دمشق .

أَسند قاسم عن سفيان بن عُيينة وغيره .

٧٦٤ — أحمد بن أبى الحوارى(١) :

يكنى أبا الحسن . واسم أَبى الحَوارِىّ : ميمون .

سكن دمشق وكان له ابن يقال له عبد الله من الزّهاد ، وأَخ يقال له محمد يشبهه فى الورَع والزهد . وأَبوه أَبو الحَوارِىّ من أَهل الورَعِ أَيْضًا. فبيتُهم بَيْتُ الورَعِ والزُّهْد .

وكان الجُنيد يقول : أَحْمد بن أَبى الحَوارِىّ ريْحانَةُ الشَّام .

يحيى بن معين ، وذَكَرَ أَحْمد بن أَبى الحَوارِىّ فقال : أَظن أَهل الشام يَسقيهم اللهُ الغيثَ به .

محمود بن خالد ، وذكر أَحمد بن أَبى الحَوارِىّ فقال : ما أَظنه بقىَ على وَجْهِ الأَرض مثْلُه .

العّباس بن حمزة قال : سمعت أَحمد بن أَبى الحَوارِىّ يقول : من أَحب أَن يُعرف بشىءٍ من الخير أَو يُذكر به فقد أَشرك فى عبادته ، ومن عبدَ على المحبة لا يُحبّ أَن يرى خدمتَه سوى مَحْبوبه(٢) . وقال : إنى لأَقرأُ القرآن فأَنظر فى آيةٍ آيةٍ فيحَارُ عقلى فيها فأَعجب من حُفّاظ

(١) بفتح الحاء وتخفيف الواو وكسر الراء وتشديد الياء .
(٢) ط : مخدومه .

القرآن كيف يَهْنيهم النوم وَيسَعَهُم أن يَشْتَغِلوا بشيء من الدنيا وهم يَتْلُون كلام الرحمن ؟ أَمَا لو فهموا ما يَتاون وعَرَفوا حقّه وتلذّذوا به واستِحْلَوْا المناجاةَ به لذَهب عنهم النوم فرحًا بما رُزقوا .

العباس بن حمزة قال : قال أحمد بن أَبى الحَوارِىّ : كلما ارتفعت مَنْزِلة القلب كانت العقوبة إليه أسرع .

أَسند أَحمد بن أَبى الحَوارِىّ عن حَفْص بن غياث وأَبى معاوية ووَكيع ونُظرائهم . وتوفِّى فى سنة ثلاثين ومائتين .

٧٦٥ — محمد بن سمرة السائح (١) :

يوسف بن اسباط قال : كتب إلىّ محمد بن سَمُرة السائح بهذه الرسالة : أَىْ أَخى ، إياك وتأْمير التّسويف على نفسك وإمكانه من قلبك فإنه محلّ الكَلال وموئل التّلف ، وبه تقطع الآمال وفيه (٢) تنقطع الآجال ، فإنك إنْ فعلت ذلك أَدَلْته من عزمك (٣) فاجتَمع وهَواك عليك فغَلبا واسترجَعا من بدنك (٤) من السآمة ماقد ولّى عنك ، فعند مراجعته إياك لا تنتفع نفسك من بدنك (٤) بنافعة ، وبادِر ياأَخى فإنك مبادَرٌ بك ، وأَسرع فإنك مَسروع بك ، وجدّ فإن الأَمر جدٌّ ، وتيقّظ من رَقْدتك وانْتبه من غفلتك ، وتذكَّر ما أَسلفت وقصَّرتَ ، وأَفرطتَ وجنَيتَ وعملت فإنه مُثْبَتٌ مَحصِىٌّ ، وكأَنك بالأَمر قد بَغَتَك فاغتبطت بما قدّمت ونَدِمْتَ على ما فرّطت ، فعليك بالحياء والمراقبة والاعتزال وقلّة الملاقاة ، فإن السلامة فى ذلك موجودة — وفّقنا الله وإياك لأَرشد الأَمور (٥) ولا قوة بِنا وَبِك إلاّ بالله وصلى الله على سيدنا محمد نبينا وعلى آله الطاهرين .

(١) بفتح السين وضم الميم . (٢) قط : وبه . (٣) جعلت له الغلبة والسلطان على عزمك . (٤) ب : يديك . (٥) قط : رشد الأمور .

٧٦٦ — أبو عباد(١) الشامى :

إبراهيم بن منصور بن عمار قال : سمعت أبى يقول : قال لى رجل بالشام : ياأبا السرىّ عندنا رجل من العبّاد من أهل واسط العراق لا يأكل إلا من كدّ يديه ، وقد دبِرتْ من سَفّ الخوص صفحةُ يديه (٢) ولو رأيته لوقذك(٣) النظرُ إليه ، فهل لك أن تمضِى بنا إليه ؟ قلت : نعم فأتيناه فدققنا عليه بابه فخرج إلى الباب فسمعتهُ يقول : اللَّهم إنى أعوذُ بك ممّن جاء ليشغلنى عما أتلذّذُ به من مُناجاتك . ثم فتح الباب فدخلنا فإذا رجل ترى به الآخرة ، وإذا قبرٌ محفور ووصيّته قد كتبها فى الحائط ، وكساؤه قد أعدَّه لكفنه . فقلت أىّ موقف لهذا الخلق ؟ فقال : بين يَدىْ مَن ؟ قال : ثم صاح وخرّ لوجهه . ثم أفاق من غشيته فقال له صاحبى : ياأبا عبّاد هذا أبو السّرىّ منصور بن عمار . فقال لى : مرحبًا ياأخى مازلت إليك مشتاقًا . أعلمك أنّ بى داءً قد أعْيا المتطببين قَبْلك قديماً ، فهل لك أن تتأتّى له برفقك وتُلصِق عليه بعض مَراهمك لعلّ الله أن ينفع بك ؟ .

قال : قلتُ : وكيف يُعالج مِثلى مثلك وجُرحِى أنغَلُ(٤) من جُرحِك ؟ قال : وإن كان كذلك فانّى مشتاق إلى ذلك . قال : قلت : إن كنت تمسكْت باحتفار قبرك فى بيتك وبوصّية رسمتَها بعد وفاتك وبكفن أعددته ليوم مَوتك ، فإن لله عز وجل عبادًا اقتطعهم خوفُه عن النظر إلى قبورهم . قال : فصاح صيحة ووقع فى قبره ، وجعل يَفْحَص

---

(١) بفتح العين وتشديد الباء .
(٢) تقرحت من نسج الخوص ، وهو ورق النخيل .
(٣) أوجعك وآذاك .
(٤) أكثر فساداً وسوءاً .

برجليه ، وبال فعرفتُ ذهاب عقله . فخرجت إلى طحّان على بابه فقلت ادخُل فأَعِنّا على هذا الشيخ ،فاستخرجناه من قبره وهو فى غَشْيته فقال لى الطحّان : ويحك ما صنعتَ ؟[1] فخرجت وتركته صريعًا . فلما كان الغد عُدت إليه فاذا بسَلخٍ[2] فى وجهه ، وإذا بشريط قد شدّ به رأسه لصداعٍ وَجَده . فلما رآنى قال : ياأبا السّرىّ المعاوَدة رحمك الله ، فقلت له : أين بلغت أَيها المتعّبد من أَحزانك بالله ؟ لكَأَنّى[3] أَنظر إلى آكلِ الفَطير والصابر على خبز الشعير ، يأْكل ما اشتهى ويُسعى علَيه بلَحم طيرٍ ، ويُسقى من الرحيق المختوم فشهق شهقةً فحرّكتُه فإذا هو قد فارق الدنيا .

٧٦٧ — على بن الفتح الحلبى :

أَبو زُرعة الدمشقى قال : خرج علىّ بن الفتح الحلبى يوم النحر ، فرأى الناس يتقرّبون إلى الله تعالى . فقال : ياربّ أَرى النَّاس يتقرّبون إليك بأَلوان الذبائح وإنِّى تقرّبت إليك بحُزنِى . ثم غُشى عليه فأَفاق . ثُمَّ قال : إلٰهى ، إلى متى تُردِّدُنِى فى دار الدنيا محزونًا ؟ فاقبضنى إليك . فوقع من ساعته ميتًا .

٧٦٨ — على بن عبد الحميد الغضائرى :

محمد بن الحسن[4] اليقطينى ، ومحمد بن إبراهيم ، يقولان : سمعنا علىّ بن عبد الحَمِيد الغضائرى يقول : دَققتُ على السَّرىّ بن مُغلِّس بابه فسمعته يقول : اللهم مَن شغلنى عنك فاشغَله بك عنى .

---

(١) ب : ما صنعت به .
(٢) ط : سلخ . أى كشط جلد وجهه .
(٣) قط : فكأنى . ب : تالله لكأنى .
(٤) ب : الحسين .

فكان من بركة دعائه أنِّى حججتُ مِنْ حَلَبَ ماشيًا على قدميّ أربعين عامًا . وكان يُعَدُّ من الأَبدال .

أَسْند الغَضائِريّ الحديث عن سَوَّار بن عبد الله .

٧٦٩ ـــ جابر الرحبى(١) :

أَبو جعفر الخصّاف قال : حدثنى جابرُ الرَّحَبِيّ قال : أَكثَر علىّ أهلُ الرَّحبَة يُنكرون عَلَيَّ مايُعطِي الله عزَّ وجل أَولياءَه ، فخرجْتُ إلى خارج فركبتِ السَّبُعَ ودخلتُ إلى الرَّحبَة وأَنا أَقول : أَين الذين يُكذِّبون أَولياءَ الله عز وجل؟ فَكَفُّوا عنِّى بعد ذلك .

وقال أَبو جعفر الخصّاف : قال لى جابر يومًا وأَنا أُماشيهُ مُرَّ بنا نَتسابَقُ ، مُرَّ أَنت هكذا حتى أَمُرّ أَنا هكذا . قال : فمررتُ(٢) أَنا على الجسر . فلما حصلت على الجسر التفتّ فإذا هو يَمشى على الماءِ . فلما التقينا قلت : من لا يُحسِنُ(٣) مثل هذا ؟ أَمشى أَنا على الجسر وتمشى أَنت على الماءِ . قال : فقال : وقد(٤) رأَيتَنى ؟ قلت : نعم . قال : أَنت رجل صالح .

٧٧٠ ـــ ابو عبيد البسرى (٥) :

وبسرى (٦) فوقَ دمشق .

(١) بفتح الراء والحاء وكسر الباء ، نسبة إلى الرحبة وهى مدينةعلىشاطىءالفرات بين الرقة وبغداد، بناهامالك بن طوق،أحد ندماءهارون الرشيد، فنسبت إليه.وهناكمدنأخرىتحمل هذاالاسم.

(٢) ق : مررت . وأثبت ما فى ط . (٣) قط : لا يحسب . ب : لا يحسبن .

(٤) ط : قد . (٥) بضم الباء وسكون السين ، نسبة إلى (بسر) قرية بحوران من سورية . وزعم بعضهم أنه منسوب إلى (بصرى) قصبة حوران ، من أعمال دمشق ، وأن صادها أبدلت سيناً . وقيل غير ذلك . والصواب الأول . (انظر القاموس ، والتاج ، ومعجم البلدان : بسر) .

وأبو عبيد البسرى : اسمه محمد بن حسان ، من قدماء مشايخ الشام ومشاهير الصوفية . صحب أبا تراب النخشبى المتوفى سنة (٢٤٥ هـ) وذكره ابن عساكر فى تاريخ دمشق .

(٦) كذا فى النسخ الثلاث هنا . إلا أنها جاءت فى الموضعين التاليين بعد بالسين (بسرى) فى (قط ، ب) وبالصاد (بصرى) فى (ق) ، مع أن النسبة وردت بالسين (البسرى) فى النسخ جميعاً وفى كل المواضع من ترجمة هنا ، وفى المصادر التى ترجمت له أيضاً .

عن محمد ، غلام أبي عُبيد ، قال : ودّعت أبا عبيد حين أردت الحج . فقال لى : معك شيءٌ ؟ قلتُ لا ، ليْس معى غير هذه الرّكْوة . فقال : إذا أَرَدْت شيئًا أو جُعتَ أوعطشتَ فَصلّ ركعتين واجعَلها على يمينك ، فإذا سلَّمت رأيت كلّ ماتحبّ . قال : فجئت إلى بعض المنازل وليْس فيه ماءٌ ، والناس يَصيحون : العطَش . فقلت فى نفسى : قدقال أبو عُبيد ما قال وهو صادق . فأخذتُ الرْكوة فرميت بها فى مَصنع[1] وصلَّيت ركعتين ، فما[2] سلَّمت إلَّا والرياح تَذهب بها وتجىءُ على رَأْسِ الماء . فنزلت فأخذتُ الرّكوة ثم صِحتُ بالناس فجاءُوا واستَقَوْا حتى رَوُوا .

أبو بكر بن معمر قال : سمعت ابن أبي عبيد البُسرىّ يُحدِّثُ عن أبيه أنه غزا سنةً من السّنين ، فخرج فى السَّريّة . فمات المُهر الذى كان تحته وهو فى السّرِية فقال : ياربّ[3] أعرنا إياه حتى نَرجع إلى بُسرى[4] يعنى قَرْيته . فإذا المهر قائم . قال : فلما غزا ورَجع إلى بُسرى[4] ، قال : يا بنىّ خذ السّرج عن المُهر . قال : قُلْت يا أَبَهْ هو عَرِقٌ . فقال لى : يا بَنىّ هو عاريّة فلما أخذت السَّرج وقع المُهر ميتًا.

أبو زُرعة قال : كان أبو عبيد البُسرىّ بعرَفة وإلى جانبه ابنه. فقال له : يُهنِئك[5] الفارس.. فقال له يا أَبَهْ وأىّ فارس ؟ فقال له : وُلِدَ لَكَ الساعةَ غلام . فلما صِرنا إلى بسرى[6] وجدتُ زوجتى قد وَلدت غلامًا يوم عرفة .

---

(١) المصنع كالحوض يجمع فيه ماء المطر. (٢) ق : فلما . وأثبت ما فى ط .

(٣) ق : أى يارب . ب : أى رب . وأثبت ما فى قط .

(٤) ق : بصرى. (٥) ق : يهنيك .

(٦) ق : بصرى.

عبدُ الله غلامٌ لأَبِى عُبيد ، قال : كنت معه يومًا قاعدًا بدمشق أَنا وجماعة من إخوانه ، إذْ مرَّ رجل على دابَّة وخلْفه غلامٌ له يَعْدُو ، وقُدَّامَه بيده[1] غاشيةٌ[2] . فلما حاذى أَبا عُبيد قال : اللهم أَعتِقنى وأَرِحْنى منه . ثم قال : ادْعُ الله عزَّ وجل لِى . فقال أَبو عبيد : اللَّهم أَعْتِقه من النار ومن الرقِّ . فعثرت الدابَّةُ بمولاه فَسَقَطَ إلى الأَرْض . فالتفت إلى الغلام وقال له : أَنت حرٌ لوجه الله عزوجل . قال : فرمى بالغاشية إليه وقال : يا مَوْلاى أَنْتَ لم تُعتِقْنى وإنما أَعتَقنِى هؤلاء . فصحب أَصحابنا وتُوفِّى بينهم .

ابن أَبِى حسان قال : قال لى أَبوعُبيد البُسرىّ يومًا : يا أَبا حسان ماغمِّى ولاأَسَفِى إلَّا أَن يجعلنى ممَّنَ عَفا عنه . فقلت : يا أَخى ، الخَلْق على العفْو تَذابحوا . فقال : أَجل ، ولكن أَىّ شىءٍ أَقبح بشيخ[3] مثلى يُوقَف غدًا بين يَدِى الله عزوجل ، فيقال له : شيخَ سُوءٍ كُنْتَ ، اذهب فقد عَفَوْتُ عنك ؟ [إنما] أَنا أَملى فى[4] الله عزَّ وجل أَن يَهَبَ لى كُلَّ من أَحَبَّنِى .

٧٧١ — ابو بكر الهلالى :

محمد بن على الصورى قال : سمعت أَبا القاسم الحسن بن عبد الله ابن أَحمد بن هاشم الشيخ الصالح قال : سمعت أَبا بكر الهلالى يقول : من عُنِى بمجاهَدَة الأَسرار اشْتَغَلَ عن الحكايات والأَخبار .

وسمعته يقول ، رمَوا بهِمَمهم إلى أَعلى الفَضائل ، وَضَيَّعوا الفرائض ، فلا إلى هِمَمهم وصَلوا ، ولا قاموا بقليل ما بِه وُكِّلوا ، ومَن قام بقليل

---

(١) ق : وبيده .

(٢) الغاشية : الغطاء ، وجلد ألبس جفن السيف من أسفل شاربه إلى نعله .

(٣) ب : من شيخ .

(٤) ق : من الله .

ما وُكّل به أُؤْتُمن على الكثير ، ومن لم يقم بقليلٍ ما وُكّل به لم يؤتَمن على قليلٍ ولا كثير .

وسمعته يقول : وأشار إلى شجرةٍ فى منزله فقال : هذه الشجرة ما نظرتُ إليها نظرةً فرجَع طَرْفى إلَّا بعقوبة أو تَوْبيخ فى سِرِّى ، يقال لى : تكون بين أَيْدينا وتنظر إلى سِوانا ؟

وسمعته يقول : كنت أَتمنَّى على الله أَن يُرِيَنى أَبا العباسى الخَضِر عليه السلام . فلما كان بعد مدّةٍ إذا أَنا بالباب يُدَقُّ علىّ . فقلت : مَن هذا ؟ فقال لى : أَنا الذى تَتَمنَّانى على الله عز وجل أَنا الخَضِر . فقلت له : الذى طَلَبْنَاكَ له قد وَجَدْناه . ارْجع إلى حال سبيلك .

ذكر المصطفين من عباد بيت المقدس

٧٧٢ — ادريس بن أبى خولة الأنطاكى :

عمر بن واصل ، عن سهل بن عبد الله قال : مرض رجل من أَولياءِ الله عزوجل مَرضًا مُشْكِلاً . فكان الناس إذا رأوه قالوا . به جِنَّة فأُكثِر عليه القول (١) فلما عظُم كلامُ مَن تكلَّم فى أَمره قالوا له : نُعالجك ؟ فقال لهم : ياقوم اعلموا أَنَّ لى طبيبًا إنْ سأَلتُه داوَى كلّ عليل ، لكنِّى أَنا لاأَسأَله أَن يُدَاوِيَنى . فقيل له ولم ذاك وأَنت تحتاج إلى الدواءِ ؟ فقال : أَخشى إن بَرَأْتُ من هذه العلَّة طَغيتُ . فقيل له : فإنَّ لنا مجنونًا فسَل طبيبك هذا أَن يُداوِيهُ . فقال :نعم إيتونى به ، فأَتَوه برجل فى عنقه غُلٌّ عظيم ويَداه مَشْدودةٌ (٢) إلى عنقه فى قيد ثقيل ، قد اسْتَمْكَنَت منه العِلَّة . فقال لهم : خلُّونى (٣) معه .

---

(١) القول : ليست فى ط .

(٢) به : ساقطة من ط .

(٣) كذا والصواب تثنيتها لأن المبتدأ كذلك .

فعمدَ جُهَّال القوم إلى يده فحلُّوها وأدخَلوه معه فى البيت الذى كان فيه ، وأَغلقوا عليه الباب ، وهم يظنّون أن سيُمْضِى إليه بمكْروه. فلما كان بعد ساعة صاحوا به فأَجابهم وخرج إليهم وكلَّمهم كلام عَاقِلٍ وهو يبكى بكاءً شديدًا . فقالوا له : خبرنا بقصتك وماكان . فقال : دخلت على هذا الرجل وأنا على ما قد علمتم من علَّتى لا أعقل شيئًا كما رأيتمونى ، فقرَّبنى منه وأَدْنانى وجعل يدَه على صدرى والأُخرى على رأسى ، فأَحسست بطعم البُرءِ يدبّ فى جِسمى حتى زال ما بى . فقالوا له : ادخُل معنا إليه فسَله يدعو اللهَ عزَّ وجل لنا . فدخل مع القوم إليه فلم يجدوه فى البيت وَستره الله عز وجل عنهم . فمن عقَل منهم عَظُمت نَدَامته وكثر أَسَفه . قال سهل : وهذا الرجل[١] من بيت المقدس يقال له إدريس بن أَبى خولة [الأَنطاكى .

٧٧٣ — عبد العزيز المقدسى :

أَبو بكر بن شاذان قال : سمعت عبد العزيز المقدسى يقول ، وكان من الأَبدال[٢] : لما بلغت الحُلم أَخذت على نفسى أَن أُروضَهَا وأَمنعها من الآثام واسْتَوْفَقْتُ الله تعالى[٣] فوفَّقنى ، واستعنتُ به فأَعانى . ولقد حاسبتُ نفسى من يوم بلوغى إلى يومى هذا فإِذا زلَّاتى لا تجاوز ستةً وثلاثين زلَّة . ولقد استغفرت الله عز وجل لكل زلَّة مائة أَلف مرّة ، وصلَّيت لكل زلَّة أَلف ركعة ، ختمت فى كل ركعةٍ منها ختمةً ، وإنِّى مع ذلك غير آمنٍ سطوةَ ربى عز وجل أَن يأْخذنى بها وأَنا على خطر قبول التوبة .

---

(١) ق : رجل . وأثبت ما فى ط .

(٢) الأبدال : قوم من الصالحين ، قيل لا تخلو الدنيا منهم ، إذا مات واحد أبدل الله مكانه آخر . والمفرد : بديل .

(٣) طلبت منه التوفيق .

ذكر المصطفين من العباد المقدسيين المجهولين الأسماء

٧٧٤ ـــ عباد ثلاثة :

بشر بن بشّار المجاشعي ، وكان من العابدين ، قال : لقيت عُبَّادًا ثلاثة ببيت المقدس ، فقلت لأَحدهم : أَوصِني قال : أَلقِ نفسك مع الْقَدَر حيث أَلقاك ، فهو أَحرى أَن يُفرِغ قلبك ويُقِلّ همَّك ، وإيَّاك أَن تَسخط. ذلك فيحلّ بك السّخط. وأَنت منه فى غفلة لاتشعر به. وقلت [١] للآخر : أَوصِني ، قال : ما أَنا بمستَوصٍ فأُوصيك ـ قلت : على ذاك عسى الله عز وجل أَن ينفع بوصيّتك. قال : أَمَا إِذْ أَبيت إِلَّا الوصية فاحفظ. عنى : التمس رضوانه فى تَرك مناهِيه فهو أَوصَل لك إلى الزُّلْفَى لديه . قال : فقلت للآخر : أَوصِني فبكى واستحرّ سفحًا للدّموع ثم قال : أَىْ أَخى لا تَبْتَغِ مِن أَمْرِكَ[٢] تدبيرًا غير تدبيره فتَهلِك فيمن هَلَك ، وتَضِلّ فيمن ضلّ .

٧٧٥ ـــ عباد سبعة :

أَحمد بن محمد الصوفى قال : قال لى أُستاذى أَبوعبد الله بن أَبي شَيْبة[٣] : كنت ببيت المقدِس وكنت أحبّ أَن أَبيت فى المسجد وما كنت أترك . فلما كان فى بعض الأَيام بَصُرتُ فى الرِّواق بحُصْرٍ قائمة . فلما أَن صَلَّيْت العتَمةَ وراءَ الإمام أَتيت الحُصْرَ فاختبأْتُ وراءَها . وانصرف الناس والقُوّام . ثم خرجت إلى الصَّحن فلما سمعت غلقَ الأَبواب وقعَتْ عيني على المحراب فنظرتُ إليه وقد انشقَّ ودخَل منه رجل وثانى [٤] وثالث إلى أَن تمَّ سبعة واصْطَفَّ القوم وزال عقلى ،

---

(١) ق : فقلت .

(٢) ط : لا تتبع فى أمورك .

(٣) ط : بن شيبة .

(٤) أثبتت الياء فى النسخ .

فلم أَزل واقفًا فى موضعى شَاخِصًا زائلَ العقل إلى أَن انفجر الصبح فخَرج القوم على الطريق الذى دخلوا .

٧٧٦ — عابد آخر :

كلاب بن جُرىّ قال : رأيت شابًا ببيت المقدس قد عَمِش من طول البكاءِ ، فقلت له : يافتى كم تكون العين سليمةً على هذا البكاء؟ قال : فبكى ثم قال : كما شاءَ ربى فلتكن(١) ، وَإِذا شاءَ(٢) سيدى فلتذْهب فليست أَكرم علىّ من بَدنى ، إِنما أَبكى رجاءَ السرور والفرح فى الآخرة ، وإِنْ تكن الأُخرى فهو والله شَقاءُ الدهر وحُزن الأَبد والأَمر الذى كنت أَخافه وأَحذره على نفسى ، وإِنِّى احتسبتُ(٣) على الله عز وجلّ غفلتى عن نفسى وتقصيرى عن حظى . ثم غُشِىَ عليه .

٧٧٧ — عابد آخر :

عَبَّاد بن عَبَّاد ، أَبوعُتبة الخوّاص ، قال : رأَيت شيخًا فى مسجد بيت المقدس كأَنه قد احترق بالنار ، عليه مِدْرَعة سوداءُ ، وعِمامة سَوْداءُ ، طويلَ الصَّمت ، كَريهَ المنظرِ ، كثير الشَّعر ، شديدَ الكآبةِ. فقلت : رَحِمَكَ اللهَ لو غَيَّرْتَ لباسُك هذا ، فقد علمْتَ ما فى البَياض. فبكى ثم قال : هذا أَشبه بلباس أَهل المصيبة ، فإِنما أَنا وأَنت فى الدنيا فى حِداد ، وكأَنى بى وبِك قد دُعينا . قال : فما تمَّ كلامُه حتى غُشِىَ عليه .

٧٧٨ — عابد آخر :

أَبو مُدرك عثمان بن وكيع العبدى قال : جاءَ رجل إلى بيت المقدس فمدّ كِسَاءَه فى ناحية المسجد فكان فيه اللَّيل والنهار ، طُعَيِّمه(٤)

---

(١) ق : فليكن .

(٢) ط : فإذا شاء .

(٣) ط : أحتسب .

(٤) تصغير طعام .

خلف ذلِك الكساءِ [١] الذى قد مدّه . قال : فيبيت ليلَه أَجمع يصلِّى فإذا طلع الفجر مدّ بصوتٍ له : (عِنْد الصَّباح يَغْبِط القومُ السُّرى) [٢]. قال : وكان يقال له : أَلا تَرفُق بنفسك ؟ فيقول : إنما هى نفسى أُبادِرها أَن تخرج .

٧٧٩ — عابد آخر :

ذو النون قال : نظرت إلى رجل فى بيت المقدس قد استفرغَه الوَلَهُ فقلت له : ما الذى أَثار منك ما أَرى ؟ قال : ذهب الزهّاد والعبّاد بصفو الإخلاص وبقيت فى كَدر الانتقاص ، فهل من دليلٍ مُرشِدٍ أَومن حكيمٍ مُوقِظٍ ؟

٧٨٠ — عابد آخر :

سمنون قال : كنت ببيت المقدس فى بَرد شديد ، وعلىّ جبّة وكساءٌ ، وأَنا أَجد البَرد والثلج يَسْقط ، فرأَيت شابًا عليه خِرْقَتان فى الصّحن يمشى ، فقلت : يا حبيبى لو اسْتَتَرْتَ ببعض هذه الأَرْوِقة فيكنَّك من البَرد . فقال لى : يا أَخى سمنون :

ويُحْسِن ظَنِّى أَننِى فى فِنائه وهل أَحدٌ فى كنِّه يجد البَرْدا [٣]

ومن عقلاء المجانين ببيت المقدس

٧٨١ — شاب [٤] :

بلغنا عن أَبى الجوّال المغربى قال : كنتُ ببيت المقدس جالسًا مع رجل صالحٍ وإذا قد طلع علينا شابٌ والصِّبْيان حوله يَقذِفونه

---

(١) ط : ذاك الكساء .

(٢) السرى : السير ليلا . يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة . والرواية « يحمد » بدل « يغبط » . وهو عجز بيت لخالد بن الوليد (انظر مجمع الأمثال ٢ / ٣) .

(٣) ط : « القرا » بدل « البردا » . وهى كذلك فى نسخة أخرى كما فى هامش ق .

(٤) زيادة ليست فى النسخ .

بالحجارة ويقولون : مجنون فدخل المسجد وهو ينادى [١] اللهم أرِحنى من هذه الدار . فقلت له : هذا كلام حكيم فمن أين لك هذه الحِكمة ؟ فقال : مَن أخلص له فى الخدمة أورثه طَرَائف الحكمة وأيّده بأسباب العِصْمة ، وليس بى جُنون وَوَلَق ؛ بل قَلق وفرَق . ثم جعل يقول :

هَجَرتُ الوَرَى [٢] فى حُبّ من جَادَ بالنِّعَمْ ... وعِفْتُ الكَرَى شَوْقًا إليه فلم أَنَمْ

ومَوّهْتُ دَهْرِى [٣] بالجنون عن الوَرَى ... لأَكتُم ما بى من هَواه فما انْكتَمْ

فلما رأيتُ الشَّوقَ والحبّ بائحًا ... كَشَفْتُ قِنَاعى ثم قُلت :نَعم نعمْ

فإن قيل مجنونٌ فقد جَنَّنى الهوَى ... وإنْ قيل مِسقامٌ فما بِىَ مِن سَقَمْ

وحقّ [٤] الهوى والحبِّ والعهدِ بَيْنَنَا ... وحُرمة رُوح الأُنسِ فى حِندِس الظُّلَمْ

لقد لامَنِى الواشُون فيك جَهَــالةً ... فقلتُ لطَرْفى أَفصِح العُذر فَاحْتَشَمْ

فعاتَبهم طَرْفى بغير تَكلُّــم ... وأَخبَرهم أَن الهوى يُورِث السّقَمْ

فَبِالْحِلْم يا ذا المنّ لاتُبعِدَنَّنِى ... وقَرّب مَزارى منك يابارِىءَ النَّسَمْ

فقلت له : أَحسنت لقد غلطَ من سمَّاك مجنونًا . فنظر إلىّ وبكَى وقال : أَوَ لا تسأَلنى عن القوم كيف وصَلوا فاتَّصلوا ؟ فقلت . بلى أخبرنى . فقال : طهَّروا له الأَخلاق ، ورضُوا منه بيسير الأَرزاق ، وهاموا من محبَّته فى الآفاق ، وائتزرُوا بالصّدق ، وارتدَوا بالإِشفاق ، وباعُوا العاجل الفانى بالآجل الباقى ، وركَضوا فى ميدان السباق ، وشمَّروا تشمير الجهابذة الحُذَّاق ، حتى اتصلوا بالواحد الرزَّاق ، فشرّدهم فى الشَّواهِق وغيَّبهم عن الخلائق ، لاتُؤويهم دارٌ ولا يُقرِّهم [٥]

---

(١) ط : يقول .

(٢) ب : الكرى .

(٣) قط : ذكرى .

(٤) من هنا ساقط من ب .

(٥) أقره : ثبته وسكنه .

قَرار ، فالنَّظر إليهم اعتبار ، ومحبَّتهم افتخار ، وهم صفوة الأَبرار ، ورهبان أَخيار ، مدَحهم الجبَّار ووصفَهم النبيّ المختار ، إن حضَروا لم يُعرفوا ، وإن غابوا لم يُفتقَدوا ، وإن ماتوا لم يُشهَدوا . ثم أَنشأَ يقول :

كُن من جميع الخلق مُسْتوحشًا … من الوَرَى تسري[١] إلى الحق

واصبِر فبِالصَّبر تَنال المُنى … وارضَ بما يجرى من الرِّزْقِ

واحذَرْ من النَّطق وآفاته … فآفَةُ المُؤمنِ فى النُّطْقِ

وجِـدَّ فى السَّير مُمِرًّا[٢] كَمَا … شَمَّر أَهلُ السَّبق لِلسَّبقِ[٣]

أُولئك الصَّفْوَة ممَّن سَمَا … وخيرةُ الله منَ الخَلْقِ

قال : فأُنسِيت الدنيا عند حديثه . ثم ولَّى هاربًا فأَنا متأَسِّف عليه .

ذكر المصطفيات من عابدات بيت المقدس

٧٨٢ ـــ طافية[٤] :

عن عطاءٍ الخراسانى قال : كانت امرأَة عابدة يقال لها طافية تأْتى بيت المقدس تتعبّد فيه . وكان وَهْب بن منبّه يقول : ياطافية ما أَشدّ العمل عليك . فتقول ما أَجِدُنى أَجِد شيئًا أَشدّ علىّ من طُول الفكر . قال : وكيف ذلك ؟ قالت : إنِّى إذا تفكَّرت فى عَظَمةِ الله عزَّ وجل وأَمْر الآخرة طاشَ عَقْلى وأَظْلَم علىَّ بَصرِى ، واسْتَرْخَت لذلك مَفَاصِلى . فقال لها وَهْب بن منبه : إذا أَنتِ وجدتِ ذاك فافزَعى إلى قِراءَة القرآنِ فى المصحف .

---

(١) قط : تسر ، خطأ .

(٢) اسم فاعل من قولهم : أمر فلان الحبل : فتله فتلا شديداً . وفلان ذو نقض وإمرار ، أى صاحب حل وعقد . ق : مجداً . وأثبت ما فى نسخة قط .

(٣) قط : فى السبق .

(٤) سقط اسمها من قط .

٧٨٣ — لبابة :

محمد بن روح قال : قالت لُبابة المتعبّدة فى بيت المقدس : إنىّ لأَستحى منه أَن يَرانى مشتغلة بغيره(١) .

محمد بن روح قال : قالت لُبابة المتعبّدة : مازلتُ مُجْتهدةً فى العبادة حَتَّى صِرْتُ أَستَرْوِح بها ، وإذا تعبتُ من لقاءِ الخَلْق آنسنى بذِكْره ، وإذا أَعيانى الخَلق رَوّحنى التفرّغ لعبادة الله عز وجل والقيامُ إلى خدمته . وقال لها رجل : هو ذا أُريد الحج فماذا أَدعو بالمَوْسِم ؟ فقالت : سَل الله تعالى شيئين : أَن يرضَى عنك ويُبَلِّغك منزِل الرّاضين عنه ، وأَن يَجعل ذِكْرك فيما بين أَوْليائه .

ذكر المصطفيات من المجهولات الأسماء

٧٨٤ — عابدة (٢) :

عن أَبى جعفر السّائح قال : رأَيت عجوزاً فى بيت المقدس تقول : حَجَجْتُ ماشية إثنتى عشرة حَجّة ما ركبتُ فيها ، أَشتَرى كل سنة (٣) بأَربعة دراهم سقطاً فيكون ذلك زادى فى ذهابى ومُنْصَرفى . قال : فقلت لها : فى بيت المقدس مثلك من المتعبدات ؟ [قال] فَذَكَرَتْ نسوةً يفعلن مثل ما تفعل . قالت : فإذا رجعنا حملنا مَغَازِلنا إلى المسجد فلا نخرج منه إلاّ لحدث أَو لحاجة . قلت : وكم بقى اليوم من هذه الصّفة ؟ قالت : نحوٌ مِن عشرة . قلت : فمن أَعبدُكُنّ ؟ قالت : امرأَة من قريش ما نراها تكلِّم أَحداً إنما هى فى الصلاة قائمة وراكعة وساجدة يأْتيها أَهلها بما يُصلحها .

---

(١) انتهى الساقط من ب .
(٢) ق ، ب : منهن عابدة .
(٣) قط : فى كل حجة .

٧٨٥ — عابدة اخرى :

عن أبي سليمان الدّارانى قال : حدثنى سعيد الافريقى قال : كنت ببيت المقدس مع أصحاب لى فى المسجد فإذا أنا بجارية عليها دِرْع شعر وخمارٌ من صوف ، فإذا هى تقول : إلٓهى وسيدى ما أَضْيق الطَّريق على مَن لم تكن دليله وأوحش خلوةَ من لم تكن أنيسه . فقلت : يا جارية ما قطع الخلقَ عن الله عز وجل ؟ قالت حب الدنيا إلا أن الله عز وجل عباداً أسقاهم من حبه شربةً فولَهَت قلوبهم فلم يُحبّوا مع الله عز وجل غيره . ثم قالت «تنشد» :

تَزوَّد قَريناً من فِعَالك إنّما قَرين الفتى فى القبر ما كان يَعْملُ
أَلا إنما الانسان ضيفٌ لأَهلِهِ يُقيم قليلا عندهم ثم يرحل

٧٨٦ — عابدة اخرى :

عن أبي جعفر السائح قال : رأيت امرأة فى بيت المقدس فى متعبد لها عليها مدرعةٌ من شعر وخمارٌ من شعر ، وسوار من حديد . وكان لها سلسلة تعلق بها نفسها بالليل . فقلت لها : منذ متى أخذت فيما أنت فيه ؟ قالت منذ ثمانى سنين . قال : ورأيت نسوة كثيرة ، عليهن مدارع صوف وخمر ، معتكفات فى المسجد لا يتكلّمن بالنهار .

٧٨٧ — عابدة اخرى :

عثمان الرجانى[١] قال : خرجت من بيت المقدس أريد بعض القُرى فى حاجة فلقيتْنى عجوز عليها جبة صوف وخمار صوف . فسلمت عليها فردّت على السلام . ثم قالت : يا فتى من أين أقبلت ؟ فقلت : من هذه القرية . قالت : وأين تريد ؟ قلت : إلى بعض القرى فى حاجة . قالت : كم بينك وبين أهلك ومنزلك ؟ قلت : ثمانية عشر

(١) الرحانى .

ميلاً . قالت ثمانية عشر ميلاً فى حاجة ؟ إن هذه لحاجة مُهِمة ، قلت : أجل . قالت : فما اسمك ؟ قلت : عثمان . فقالت : يا عثمان ألا سألت صاحب القرية أن يوجّه إليك بحاجتك ولا تتعنّى ؟ قال : ولم أعلم الذى أرادت . قلت : ياعجوز ليس بينى وبين صاحب القرية معرفة . قالت : يا عثمان وما الذى أوحش بينك وبين معرفته وقطع بينك وبين الاتصال به ؟ فعرفت الذى أرادت فبكيت . فقالت : من أى شىءٍ تبكى ؟ من شىءٍ كنت فعلته ونسيته أو من شىءٍ أنسيته وذكرته ؟ قلت : لا بل من شىءٍ كنت أُنسيته وذكرته . قالت : يا عثمان احمد الله عز وجل الذى لم يتركك فى حيرتك ، أتحب الله عز وجل ؟ قلت : نعم . قالت : فاصدقنى . قلت : إى والله إنّى لأحب الله عز وجل . قالت : فما الذى أفادك من طرائف حكمته إذ أوصلك إلى محبته ؟ قال : فبقيت لا أدرى ما أقول ؟ قالت : يا عثمان لعالك ممن يحب أن يكتم المحبة . قال : فبقيت بين يديها لا أدرى ما أقول ؟ فقالت : يأْبى الله عز وجل أن يدنس طرائف حكمته وخفىَّ معرفته ومكنونَ محبّته بممارسة قلوب البطالين . قلت : رحمك الله او دَعَوْت الله عز وجل أن يشغلنى من محبته . فنفضتْ يديها فى وجهى . فاعدت القول أقتضى [1] الدعاء . فقالت : يا عبد الله امض لحاجتك ، فقد علم المحبوب ما ناجاه الضمير من أجلك . ثم ولت وقالت : لولا خوفُ السلب لبحت بالعجب . ثم قالت أوَّهْ [2] من شوق لا يبرأ إلا بك ، ومن حنين لا يسكن إلا

---

(١) أطلب وأسأل .

(٢) بفتح الهمزة وتشديد الواو المفتوحة وسكون الهاء . وقد تسكن الواو وتكسر الهاء : وهى كلمة تقال عند الشكوى أو التوجع وما إلى ذلك . وهى اسم فعل مضارع .

إليك ، فأَين لوجهى الحياءُ منك ؟ وأَين لعقلى الرّجوع إليك ؟
قال عثمان : فوالله ما ذكرتُ ذلك إلا بكيت وغُشِىَ علىّ .

ذكر المصطفين من أهل جبلة[١]

٧٨٨ — مالك بن القاسم الجبلى :

عبد العزير الأَهوازى قال : قال لى سهل بن عبد الله : مخالطةُ الولىّ للناس ذلّ . وتفرُّده عز ، قلَّما رأَيت ولياً لله إلا منفرداً . إن عبد الله بن صالح كان رجلاً له سَابِقة جَلِيلة ومَوْهِبة جزيلة وكان يفر من الناس من بلد إلى بلد حتّى أَتى مكة فطال مُقامه فيها . فقلت له : لقد طال مُقامك بها . فقال لى : لِمَ لا أَقيم بها ولم أَر بلداً ينزل فيه من الرحمة والبركة أَكثر من هذا البلد ؟ فاحببتُ أَن أَكون فيه مقيماً والملائكة تغدو فيه وتروح وإنى أَرى فيه أَعاجيب كبيرة وأَرى الملائكة يطوفون به على صور شتى لا يقطعون ذلك . ولو قلت : كل ما رأَيت لصغرت عنه عقول قوم ليسوا بمؤْمنين . فقلت له : أَسأَلك إلا خبرتنى بشىءٍ من ذلك ؟ فقال : ما من ولى لله تعالى صحت وِلايته إلا وهو يحضر فى هذا البلد فى كل ليلة جمعة لا يتأَخر عنه ، فمقامى ها هنا لأَجل من أَراه منهم ، ولقد رأَيت رجلاً يقال له : مالك بن القاسم ، جبلىّ ، وقد جاءَ ويده غَمِرة ، فقلت له : إنك قريب عهد بالأَكل ؟ فقال لى : أَستغفر الله فإننى منذ أُسبوع لم آكل ، ولكن أَطعمت والدتى وأَسرعت لأَلحق صلاة الفجر . وبينه وبين الموضع الذى جاءَ منه سبعمائة فرسخ ؛ فهل أَنت مؤمن بذلك ؟ فقلت : نعم . فقال : الحمد لله الذى أَرانى مؤمناً موقناً .

---

(١) بفتح الجيم والباء . وهى مدينة ساحلية معروفة جنوبى اللاذقية ، فى سورية .

٧٨٩ — ابراهيم الجبلى :

عبد الواحد بن محمد بن ابان الفارسى قال : لقيت إبراهيم الجبلى بمكة بعد رجوعه إلى وطنه وتزويجه بابنة عمه وكان قد قطع البادية حافياً . فحدثنى أنه لما رجع إلى بلده وتزوج شغف بابنة عمه شغفاً شديداً حتى ما كان يفارقها لحظة . قال : فتفكرت ليلة فى كثرة ميلى إليها وشغفى بها فقلت : ما يحسن بى أن أرد القيامة وفى قلبى هذه . فتطهرت وصليت ركعتين وقلت : سيدى رد قلبى إلى ما هو أولى . فلما كان من الغد أَخذَتْها الحمى وتوفيت يوم الثالث [1] ونويت الخروج حافياً من وقتى إلى مكة .

ذكر المصطفين من أهل العواصم والثغور

٧٩٠ — ابو عمر والأوزاعى واسمه عبد الرحمن بن عمرو[2] :

والأَوزاع بطن من هَمْدان . كذلك ذكره محمد بن سعد . وقال البخارى فى تاريخه : الأَوزاع : قرية بدمشق إذا خرجت من باب الفراديس . ولد سنة ثمانٍ وثمانين وسكن بيروت وبها مات .

يحيى بن عبد الملك بن أَبى عتبة ، قال : كتب الأَوزاعى إلى أَخ له : أَما بعد ، فإنه قد أُحيط بك من كل جانب ، واعلم أنه يُسارُبك فى كل يوم وليلة فاحذر الله والمقامَ بين يديه ، وأَن يكون آخر عهدك به والسلام .

عباس بن الوليد قال . أَخبرنى أَبى قال . سمعت الأَوزاعى يقول . ليس ساعة من ساعات الدنيا إلا وهى معروضة على العبد يوم القيامة يوماً فيوماً وساعة فساعة ، ولا تمر به ساعة لم يذكر الله فيها إلا

---

(١) كذا فى ط . وفى ق : الثلثا .

(٢) بن عمرو : ساقط من ط .

وتَقَطَعَتْ نفسه عليها حَسَرات ، فكيف إذا مرت به ساعة مع ساعة ويومٌ إلى يوم ؟

عن ضمرة عن الأوزاعى قال : الناس عندنا أهل العلم .

عن الهقل بن زياد ، عن الأوزاعى أنه وعظ. فقال فى موعظته : أيها الناس تقوَّوْا بهذه النعم التى أَصْبَحْتُم فيها على الهرب من نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة ، فإنكم فى دارِ الثواءُ فيها قليل وأنتم فيها مُؤَجّلون خلائف من بعد القرون الذين اسْتَقْبَلوا من الدنيا أنفها وزهرتها فهم كانوا أَطول منكم أَعماراً وأمدّ أَجساماً وأَعظم آثاراً فخددُوا الجبال وجابوا الصخور ونقبوا فى البلاد مؤيَّدين ببطش شديد وأجسام كالعماد فما لبثت الأَيام والليالى أن طَوت مُددهم وعفت آثارهم وأَخْوَت منازلهم وأنست ذكرهم ، فما تحس منهم من أَحد ولا تسمع لهم ركزًا [١] ، كانوا بِلَهْوِ الأَمل آمنين لبيات قوم غافلين أَو لصباح قوم نادمين ، ثم إنكم قد علمتم الذى نزل بِسَاحتهم بياتاً من عقوبة الله عز وجل فأصبح كثير منهم فى ديارهم جاثمين وأَصبح الباقون ينظرون فى آثار [٢] نِقْمة وزوال نعمة ومساكن خاوية فيها آية للذين يخافون العذاب الأَليم وعبرةٌ لمن يخشى ، وأَصبحتم من بعدهم فى أَجَل منقوص ودينا مقبوضة فى زمان قد ولى عفوه وذهب رخاؤه فلم تبق منه إلا حمة [٣] شر وصبابة [٤]

---

(١) اقتباس من قوله تعالى فى الآية (٩٨) من مريم : « هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً ؟ » .

(٢) قط : الآثار .

(٣) الحمة (بضم الحاء وتخفيف الميم المفتوحة) : السم ، أو إبرة الزنبور والعقرب ونحو ذلك مما يلدغ .

(٤) الصبابة : البقية .

كدر ، وأهاويل[١] عبر ، وعقوبات غير وأرسال[٢] فتن ، وتتابع زلازل ورذالة خلف بهم ظهر الفساد فى البرّ والبحر ، فلا تكونوا أشباهاً لمن خدعه الأمل وغر بطول الأجل وتبلّغ بالأمانى . نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن وعى نذره وانتهى ، وعقل سُرّاه فمهد لنفسه .

عن موسى بن أعين قال : قال لى الأوزاعى : يا أبا سعيد كنا نمزح ونضحك فأما إذ صرنا يهتدى بنا ما أرى يسعنا التبسم .

بشر بن الوليد قال : رأيت الأوزاعى كأنه أعمى من الخشوع .

عبد الملك بن محمد قال : كان الأوزاعى لا يكلم أحداً بعد صلاة الفجر حتى يذكر الله فإن كلمه أحدٌ أجابه

أحمد بن أبى الحوارى قال : بلغنى أن نصرانياً أهدى إلى الأوزاعى جرّة عسلٍ وقال له يا أبا عمرو ، تكتب لى والى بعلبك : فقال : إن شئت رددْت الجرة وكتبت لك وإلا قبلت الجرّة ولم نكتب لك . قال : فردَّ الجرة وكتب له فوضع عنه ثلاثين ديناراً .

عن أبى أيوب الزيادى ، عن الأوزاعى . قال : العافية عشرة أجزاءٍ ، تِسْعَةٌ منها صَمْتٌ ، وجزءٌ منها الهرب[٣] من الناس .

مروان بن محمد قال : قال الأوزاعى : من أطال قيام الليل هُوِّن عليه موقفه يوم القيامة .

قال أحمد : قال لى مروان : ما أحسب الأوزاعى أخذه إلا من

---

(١) الأهاويل : جمع الجمع لأهوال . وهذه مفردها هول .
(٢) الأرسال : الجماعات ، مفردها : رسل (بفتح الراء والسين) .
(٣) ط : هرب .

هذه الآية : « ومن اللَّيل فاسجُد له وسبِّحْه ليلاً طويلاً » إلى قوله «يوماً ثقيلاً »[١] .

أَبو حفص عمرو بن أَبي سلمة ، عن الأَوزاعي قال : من أَكثر ذكر الموْتِ كفاهُ اليسير ، ومن علم أَن منطقه من عمله قلَّ كلامُه .

يوسف بن موسى القطان يحدّث أَن الأَوزاعي قال : رأَيت ربّ العزة فى المنام ، فقال لى : يا عبد الرحمن أَنت الذى تأْمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ قلت : بفضلك يا رب . فقلت : يارب أَمِتْنى على الإِسلام . فقال : وعلى السّنة .

المعافى بن عمران ، عن الأَوزاعي قال : كان يقال يأْتى على الناس زمان أَقلُّ شيءٍ فى ذلك الزمان أَخٌ مؤنس أَو دِرهم من حلال أَو عملٌ فى سُنّة[٢] .

مَسلمة بن على ، عن الأَوزاعي قال : كان السلف إذا صدع الفجر أَو قبله بشيءٍ كأَنما على رءُوسهم الطير مقبلين على أَنفسهم حتى لوأَنّ حميمًا[٣] لأَحدهم غاب عنه حيناً ثم قدم ماالتفت اليه . فلايزالون كذلك حتى يكون قريباً من طلوع الشمس ثم يقوم بعضهم إلى بعض فيتحلقون ، وأَول ما يفيضون فيه أَمر معادهم وما هم صائرون إليه ثم يَتَحَلَّقون إلى الفِقْه والقرآن .

أَسند الأَوزاعي عن محمد بن على بن الحُسَيْن ، ويحيى بن أَبى كثير ، والزهريّ ، ومحمد بن المنكدر وأَبى الزّبير وغيرهم . وتوفى ببيروت سنة سبع وخمسين ومائة فى خلافة أَبى جعفر وهو ابن

---

(١) سورة الإنسان : (٢٦ - ٢٧) .

(٢) ط : السنة .

(٣) أى صديقاً أو قريباً تهم بأمره .

سبعين سنة . كذلك قال محمد بن سعد . وقال على بن المدينىّ وتوفى[١] الأوزاعىُّ سنة إحدى وخمسين ومائة .

عن يزيد بن مذكور قال : رأيت الأوزاعى فى منامى فقلت : يا أبا عمرٍ ودُلَّنى على أمر أتقرّب به إلى الله تعالى . فقال لى : ما رأيت هناك درجة أرفع من درجة العلم . فقلت : ثم من بعدها ؟ قال : درجة المحزونين .

٧٩١ — ابو اسحاق الفزارى :

واسمه إبراهيم بن محمد بن الحارث . كان صاحب سُنَّةٍ وغزوٍ .

الفضيل بن عياض قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وإلى جنبه فُرجة . فذهبت لأجلس فيها . فقال : هذا مَجْلِس أبى إسحاق الفَزارىّ . فقلت لأبى أُسامة : أيهما [كان][٢] أفضل ؟ فقال : كان فُضَيل رجل نفسِه وكان أبو إسحاق رجل عامّةٍ .

محمد بن هارون ، أبو نشيط ، قال : قال أبو صالح ، يعنى الفرّاء : لقيت الفُضَيل بن عياض فعزّانى فى أبى إسحاق وقال : لربما اشتقت إلى المَصّيصة ما بى فضل الرّباط إلا أرى أبا إسحاق .

أبو صالح قال : سمعت أبا إسحاق الفزارى يقول : إن من الناس من يَحْسُن عليه الثناءُ ، وما يُساوى عند الله جَنَاح بَعوضة .

عبّاد الغَنَوِىّ عن أبى إسحاق الفَزارى قال : من قال : الحمد لله على كل حال فإن كانت نعْمة كان لها كِفاءُ وإنْ كانت مُصيبة كان لها عَزاء .

---

(١) ط : وتوفى .

(٢) زيادة من ط . وكانت مثبتة فى ق ثم محيت وكتب مكانها العلامة : صح .

أبو يحيى قال : سمعت أبا عُبيد يقول لمّا مات أبو إسحاق الفزارى بكى عطاء ثم قال : ما دخل على الاسلام من موت أحدٍ ما دخل عليه من أبي إسحاق .

أسند الفزارى عن عبد الملك بن عمير ، وإسماعيل بن أبي خالد ، وعطاء بن السّائب ، والأعمش، وهشام بن عُرْوة فى خلق كثير من التابعين .

وحدّث عن الفَزارى سفيان الثورى والأوزاعى .

وتوفىّ بالمَصّيصة سنة ثمانٍ وثمانين ومائة ، وقيل خمس وثمانين .

٧٩٢ — عيسى بن يونس بن ابى اسحاق السبيعى(١) :

من همْدان . يكنى أبا عمرو وهو من الكوفة تحوّل إلى الثغر فنزل الحديث .

عن جعفر بن يحيى بن خالد(٢) قال : ما رأينا فى القرّاء [أحداً] مثل عيسى بن يونس ، أرسلنا إليه فأتانا بالرقة فاعتل قبل أن يرجع . فقلت : يا أبا عمرو قد أمِر لَكَ بعشرة آلاف فقال : هيَ (٣) ، فقلت : هى خمسون ألفاً . قال : لا حاجة لى فيها . فقلت : لِمَ ؟ أما والله لأهنئنكها(٤) هى والله مائة ألف . قال : لا والله لا يتحدّث أهْل العلم أنى أكَلْتُ للسُنّة ثمناً ، ألا كان هذا قبل أن تُرْسلوا إلىّ ؟ فأمّا على الحديث فلا والله ولا شربة ماء ولا هَليلجة(٥) .

---

(١) السبيعى : بفتح السين وكسر الباء . ذكر عيسى فى تقريب التهذيب ٢/١٠٣ .

(٢) هو البرمكى .

(٣) فى ق فراغ بمقدار كلمة أو كلمتين بين (فقال) و (هى) .

(٤) قط : لأهنئنكم .

(٥) كذا فى النسخ . وفى أقرب الموارد : « الإهليلج ، وزان افعيلل بفتح اللام الأولى و(هليلج) بلا همزة أيضاً ، خلافاً لقوم : عقير من الأدوية معرب هليلة » .

أبو بكر المرْوزِى قال سمعت أبا عبد الله أَحْمَد بن حنبل ، وذكر ورَع عيسى بن يونس ، قال : قدِم فأُمِر له بمائة ألف، أو قال بمال ، فلم يقبل وتدرى ابنَ كَمْ كان عيسى ؟ أراد أنه كان حَدَثَ السن .

محمد بن المنكدر قال : حجّ الرشيد فدخل الكوفة فركب الأمين والمأمون إلى عيسى بن يونس فحدّثهما . فأمر له المأمون بعشرة آلاف درهم . فأبى أن يَقبَلها فَظَنّ أنه استقلّها . فأمر له بعشرين ألفاً . فقال عيسى : لا والله ولا إهليلجة[١] ولا شربة ماء على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ملأْتَ لى هذا المسجد ذهباً إلى السّقف .

الحُدّانى[٢] قال : قال ابن المبارك لرجل : اكتب نَفَسَ هذا الشيخ ، يعنى عيسى بن يونس .

رأى عيسى بن يونس جدّه أبا إسحاق إلا أنه لَمْ يَسْمَع منه شيئاً . وسمع من إسمعيل بن أبى خالد ، وهشام بن عُروة ، والأعمش وخلقٍ كثير . وتوفى بالحدَث من أرض الثّغر فى شعبان سنة سبع وثمانين ، وقيل ثمان وثمانين ومائة . وقيل إحدى وتسعين .

٧٩٣ — يوسف بن اسباط من قرية يقال لها شيح :

عبد الله بن حُبَيق قال : قال لى يوسف بن أسباط : عجبت كيف تنام عين مع المخافة ، أو يغفل قلبٌ مع اليقين بالمحاسبة ؟ من عَرف وُجوب حق الله عز وجل على عباده لم تستحل[٣] عيناه أبداً إلا باعطاء المجهود من نفسه ، خَلق الله تعالى القلوب مساكن الذكرْ فصارت مَسَاكن للشهوات ، الشهواتُ مَفسَدةٌ للقلوب وتَلَفٌ

(١) كذا وردت هنا بهمزة مكسورة فى أ، ط . (راجع الحاشية السابقة) .
(٢) قط : الحنائى .
(٣) قط : لم تسابل .

للأموال ، وإخلاق للوجوه ، ولا يمحو الشهوات من القلوب إلا خوفٌ مُزْعِج أو شوقٌ مُقْلِق .

شعيب بن حرب قال : سمعت يوسف بن أسباط يقول : الزهد في الرياسة أشد من الزّهد في الدنيا .

موسى بن طريف قال : سمعت يوسف بن أسباط يقول : لى أربعون سنة ما حكَّ في صدرى شيءٌ[1] إلا تركته .

قال ابن خُبَيق : وقال ابن بشار : قال لى يوسف بن أسباط : تعلَّموا صحة العمل من سَقَمه فانٍّ تعلمته في اثنتين وعشرين سنة .

قال ابن حبيق : وقال يوسف : خرجت من شِيح راجلاً حتّى أتيت المَصيّصة ، وجِرَابى على عُنقى . فقام ذا من حانوته يُسَلم علىّ ، وذا يسلِّم . فطرحتُ جِرابى ودخلت المسجِد أصلِّى ركعتين فأَخَذَ قُوابِى ، واطَّلع رجل في وَجْهى . فقلت في نفسى : كم بقاءُ قلبى على هذا ؟ فأَخذتُ جِرابى ورجعتُ بعَرَق وعَنائى إلى شِيح فما رجع إلىّ قلبى إلى سنَتين .

عبد الله بن خُبيق قال : قال يوسف بن أسباط : إنى أخاف أن يعذب الله الناس بذنوب العلماء . وقال : الأشياءُ ثلاثة ، حلال بيّن ، وحرام بيّن ، وشُبهات بَيْن ذلك ، فالمؤمن إذا لم يجد الحلال تَنَاول من الشّبهات مايُقِيمُه .

قال ابن خُبيق : وسمعت يوسف بن أسباط يقول : كان يقال : اعمَلْ عَمَل رجلٍ لايُنجيه إلّا عَملُه ، وتوكَّل توكُّل رجل لا يُصيبه إلا ما كُتب له .

(١) يقال : (ما حك في صدرى كذا) أى لم أنشرح له .

وسمعت يوسف يقول : لى أربعون سنة ماملكتُ قميصَين .
وسمعته يقول : لا يَقبل الله عز وجلّ عملاً فيه مثقالُ حبةٍ من رِئاءٍ[١] .
وكان يوسف يقول : اللهم عرّفنى نفسى ، ولاتقطَع رَجَاءك من قلبى .

قال ابن حُبيق : وقال أبوجعفر الحذّاء : كتبت إلى يوسف بن أَسباط. أشاوره فى التّحْويل إلى الحجاز . فكتب إلىّ : أمّا ماذكرتَ من تحويلك[٢] إلى الحجاز فليكن همّك خُبزك ، وما أرى مَوْضِعك إلّا أضبط. للخُبْز من غيره ، وما أحسب أحدًا يفرّ من شرّ إلا وقَع فى أشرّ منه ، وإنما يَطِيب الموضع بأهله ، فقد ذهب من يؤنَس به ويُستراح إليه ، وإذا علم الله منك الصّدق رَجَوْتُ أن لايُضيع لك ، وإن كان الصدق قد رُفع من الأرض .

قال حذيفة المَرعَشى : كتب إلىّ يوسف بن أسباط. : أمّا بَعد فإنّى أُوصيك بتقوى الله ، والعمل بما علّمك الله عز وجل ، والمراقبة حيث لايراك أحدٌ إلّا الله عز وجل ، والاستعدادِ لما ليس لأحدٍ فيه حيلة ، ولا تنفع النّدامة عند نُزوله ، فاحسِر عن رأسك قِناع الغافلين ، وانتبِه من رَقْدة الموتى ، وشمّر للسّباق غدًا فإن الدنيا ميدان المسابقين ، ولاتغترَّ بمن أظهر النُّسك ، وتَشاغَل بالوصف ، وتَرك العمل بالموصوف واعلم يا أخى أنه لابدّ لى ولك من المقام بين يدى الله عز وجل ، يسألنا فيه عن الدقيق الخفىّ وعن الجليل الجافى[٣] ، ولست آمن أن يسألنى وإياك عن وَسَاوس الصّدور ، ولحظات العيون ، وإصغاء الأسماع ،

---

(١) يقال : (فعل ذلك رئاء) : أى تظاهراً بخلاف ما فى باطنه . ق : رياء .
(٢) ب : من التحول .
(٣) الثقيل الغليظ . ق : الخافى .

وماعسى أن يَعْجز مثلى عن صِفته ، واعلم أنه مما وُصف به منافقو هذه الأُمة أنهم خالَطوا أهل الدنيا بأَبدانِهم وطابَقوهم عليها بأَهْوائهم ، وخَضَعوا لِما طَمِعوا من نائلهم ، وداهَن بعضُهم [بعضًا] فى القول والفعل ، فأَشِرٌ وبَطِرٌ قولُهم ،ومُرٌّ(١) خبيثٌ فِعلُهم ، تَركوا باطِنَ العمل بالتَّصْحِيح(٢) فحرَمهم الله تعالى بذلك الثمنَ الرَّبيح . واعلم يا أَخى أنه (٣) لايَجزى من العمل القولُ ، ولا من البَذل العِدَةُ ، ولا من التَّقوى ولامن التوقّى التَّلاوُم ، وقد صِرْنا فى زَمانٍ هذه صفة أَهله فمن كان كذلك فقد تعرّض للمقْت وصُدّ عن سَوَاءِ السبيل . وفقنا الله عزَّ وجلّ وإياك لما يحب ويرضى .

عبد الله بن حُبيق قال : سمعت يُوسُف بن أَسباط يَقول : يُرزَق الصّادقُ ثلاثَ خصال : الحلاوة والمَلاحة والمَهابة .

المسيّب بن واضح قال : قدم ابن المبارك فَاسْتأْذَن على يوسف فلم يأْذَن له . فقلت له : مالكَ لم تأْذَنْ له ؟ قال : إنِّى إن أَذِنتُ له أَردت أن أَقوم بحقِّه ولا أَفِيَ به .

ابن حُبيق قال : قال يوسف بن أَسباط : إذا رأَيت الرجل قد أَشِرَ وَبطِرَ فلاتَعِظْه فليس للعِظَة فيه موضع .

القَرقَسانى قال : أُتِيَ يوسف بن أَسْباط بباكورة ثمرةٍ فقبّلها ثم وضعها بين يديه وقال : إنَّ الدنيا لم تُخلق ليُنظَر إليها وإنما خُلقت ليُنظر بها إلى الآخرة .

---

(١) ط ومن ، تحريف .

(٢) ط : بالصحيح .

(٣) ق : أنه يا أخى .

أَبوجعفر الحذَّاءِ قال : سأَلت شُعيب بن حرب عن يوسف بن أَسباط. فقال : ما أُقدِّم عليه أَحدًا من هذه الأُمة . البِرُّ عشرة أَجزاءٍ تسعةٌ منها فى طلب الحلال وسائر البِرّ فى جُزءٍ واحدٍ ، وقد أَخذ يوسف التِّسعة وشَركَ النَّاسَ فى العاشر .

تميم بن سَلْم قال : قلت ليوسف بن أَسباط. : ماغاية الزّهد ؟ قال : لا تَفْرح بما أَقبل . ولاتأْسف على ما أَدبر . قلت : فما غاية التواضع؟ قال : أَن تخرج مِن بيتك فلا تلقَى أَحدًا إِلا رأَيت أَنه خير منك .

عبدالله بن حُبيق عن أَبيه قال : قال لى يُوسُف بن أَسْباط. : خرجْت سَحرًا لأُؤَذِّن ، فإِذا علىّ ليلٌ(١) . فقعدت فإِذا أَسودُ مقبِلٌ وفى يده حجَرٌ يريد أَن يَضْربَنى ووراءَهُ شَىْءٌ أَبْيَضُ ، بيده حجَر يريد أَن يَصرفه عنى فصَرفه . فقلت : هذان شَيْطانان يُريدان أَن يُريانى أَنِّى رجل صالح . فقلت : كلاكما شيطانان . فَطارا .

أَدرك يوسف بن أَسباط. حبيب بن حسّان ومُحلّ بن خليفة ، والسّرىّ بن إِسماعيل ، وعابد بن شُريح والثَّورى فى آخرين . وقالت زَوْجته : كان يقول : أَشتَهى من رَبى ثلاثَ خصالٍ . قلت : وما هُنَّ ؟ قال : أَشتَهى أَن أَموتَ حين أَموتُ وليس فى مِلْكى درهم ، ولا يكون علىّ دَيْن ، ولا على عَظمِى لحم . قالت : فأُعطِىَ ذلك كلَّه . ولَقَدْ قالَ لى فى مرضه : أَبقَى عندكِ نَفقة ؟ فقلت : لا. قال : فماذا تَرَيْن ؟ قلت : أَخرِج هذه الخابية للبيع . فقال : يعلم الناس بحالنا ويقولون ماباعوها إِلَّا وثَمَّ حاجة شديدة . فأَخرَجَ إِلىّ شيئًا كان أَهداه إِليه

---

(١) أى لم يحن موعد أذان الفجر بعد ، وبقيت قطعة من الليل .

بعض إخوانه فباعه بعشرة دراهم ، وقال : اعزِلِى منها درهمًا لِحنُوطِى ، وأَنْفِقى باقيها . فمات وما بقىَ غيرُ الدرهم .

وتوفى يوسف بن أسباط قبل المائتين بسنة .

٧٩٤ — مخلد (١) بن الحسين :

يكنى أبا محمد . كان من أهل البصرة فتحوّل فنزل المصّيصة .

عبدَة[٢] بن عبد الله قال : قال مخلَد بن الحسين : ما تكلَّمت بكلمة أُريد أن أعتذر منها ، منذ خمسين سنة .

محمد بن بشير الدّعاء قال : ذُكر عِندَ مَخلَد بن الحسين أخلاقٌ من[٣] أخلاق الصالحين فقال :

لاتَعرِضنّ لذِكْرنا فى ذِكْرهم ليس الصَّحِيحُ إذا مشى كالمُقْعَد

سنيد بن داو قال : ثنا مَخلَد بن الحسين قال : ما نَدب الله تعالى[٤] العباد إلى شىءٍ إلّا اعترض فيه إبليس بأَمْرين ما يُبالى بأَيّهما ظفِر : إمَّا غلُوًّا فيه وإما تقصيرًا عنه .

أسند مَخلدٌ عن هشام بن حسّان وتوفّى بالمَصّيصة سنة إحدى وتسعين ومائة . (والله أعلم) .

٧٩٥ — على بن بكار البصرى :

يكنى أبا الحسَن[٥] . سكن المَصّيصة مرابطًا وكان فقيهًا .

موسى بن طَريف قال : كانت الجارية تَفرشُ لعلىّ بن بكار ، فيلمسُه بيده ويقول : والله إنك لطيّب ، والله إنّك لبارِد ، والله لاعلَوْتُك الليلة . فكان يصلِّى الغداة بوضوءِ العتمة .

---

(١) بفتح الميم واللام ، وسكون الخاء .

(٢) قط : عبيدة .

(٣) العبارة فى ط محرفة تحريفاً شديداً .

(٤) ق : عز وجل .

(٥) ط : أبا الحسين .

أبو الحسن بن أبي الورد قال : قال رجل : أتينا عليّ بن بَكَّار فقلنا له : حُذيفة المرعَشى يقرأُ عليك السلام . فقال : عليكم وعليه السلام ، إنِّى لأَعرفه يأْكل الحلال منذ ثلاثين سنة ، ولأَنْ أَلقَى الشَّيطان أَحبّ إلىّ من أَن أَلقاه . قلت له فى ذلك[١] ، فقال : أَخاف أَن أَتصنَّع له فأَتزيّن لغير الله فأَسقُطَ مِن عَين الله عزّ وجل .

يوسف بن مسلم قال : بكَى علىّ بن بكار حتّى عَمِىَ . وكان قد أَثّرت الدموع فى خدّيه[٢] .

فيض بن إسحاق قال : جئت إلى علىٍّ بن بكار وأنا أُريد الخروج فقلت : أَوصِنى فقال : اتّق الله وَالْزَم بيتك ، وأَمسِك لِسَانك ، واترُك مخالطةَ الناس تنزِلْ عليك الحِكْمة من فَوْقك .

يحيي زكريا قال : كنَّا عند علىّ بن بكار فمرّت سحابة . فسأَلْتُه عن شىءٍ ؟ فقال اسكت أَما تَخْشَى أَن تكون فيها حجارة .

أَبوعبدالله قال : خرج أَبوإسحاق الفَزارى وعلىّ بن بكاريَحْتَطِبَان . فأَبطأَ علىّ بن بكَّار على أَبى إسحاق فدَار أَبوإسحاق فى الجبل خلفه فجاءَ فنظر إليه وهو مُتَربّع وفى حجْره رأْس سَبْعٍ وهو نائم يذبّ عنه . فقال له أَبوإسحاق : ماقُعودك ههنا ؟ فقال : لجأَ إلىّ فرحمتُه فأَنا أَنتظره لِيَنْتَبِهَ فأَلْحَقَك .

وقد بلغنا عن على بن بكار أَنه طُعِن فى بعض مَغَازِيه فخرجتْ أَمعاؤُه على قَرَبوس سَرجه فردَّها إلى بَطْنه وَشَدّها بالعمامة وقاتل حتّى قَتل ثلاثة عشر علْجًا .

---

(١) راجعته واستوضحته الأمر .
(٢) ط : على خديه .

أسند عليّ بن بكار عن هشام بن حسان وأبي إسحاق الفزارى ، وأبى خلدة فى آخرين .

وصحب إبراهيم بن أدهم . وتوفى بالمَصيصة سنة تسع وتسعين ومائة .

٧٩٦ — حذيفة بن قتادة المرعشى :

عبد الله بن خُبيق قال : قال حذيفة : إن لم تخش أن يعذّبك الله على أفضل عملك فأنت هَالِكٌ .

وقال حذيفة : لو نزل عليَّ ملَكٌ من السماء يخبرنى أنى لاأرى النّار بعينى ، وأنى أصير إلى الجنة إلّا أنىّ أقف بين يدَىْ ربِّى تعالى [(١)] يسائلنى [(٢)] ثم أصير إلى الجنة ، لقلتُ [(٣)] : لاأُريد الجنَّة ولاأقف ذلك ذلك الموقف ، ولوجاءَنى رجل فقال لى : والله الذى لاإله إلّا هو ، ماعَملُك عَملُ مَن يؤمن بيوم الحساب لقلت له : ياهذا لاتكفّر عن يَمينك فإنك لم تَحنث .

وسمعت حذيفة يقول : إنى لأَستغفر الله من كَلامكم إذا خَرَجْتُم من عِنْدى خمسين مرة .

قال ابن خُبيق : وقال لى حذيفة : إنّما هى أربعة ، عَيناك ، ولسانك ، وهَوَاك ، وقلبك . فانظر عَيْنيك لاتنظر بهما إلى مالايحلّ لك ، وانظُر لسانك لاتقُل به شيئًا يعلم الله خلافه من قلبك ، وانظر قلبك لايكُن فيه غِلّ ولا دغل على أحد من المسلمين ، وانظر هواك لاتهوى شيئًا ، فما لم تكن فيك هذه الأَربع [(٤)] الخصال فالرّماد على رأسك .

---

(١) ق : يدى الله عز وجل .

(٢) ط : يسألنى .

(٣) جواب لو .

(٤) ط : الأربعة .

موسى بن المعلّى قال : قال حذيفة : ياموسى ، ثلاث خِصَال إن كُنّ فيك لم ينزل من السماء خيرٌ إلّا كان لك فيه نصيب : يكون عَملك لله عز وجل وتحبّ للناس ماتحب لنفسك ، وهذه الكِسْرةُ تَحرٌّ فيها ما قَدرت(١) .

عن عبد الله بن عيسى الرقّى قال : قال لى حذيفة : هل لك أن أَجمع لك الخير كلَّه فى حرفين ؟ قلت : ومَن لى بذلك ؟ قال : مُدَاراة الخبز من حِلّه وإخلاص العمل لله عز وجل حسبُك .

يوسف بن أسباط قال : سمعت حذيفة بن قتادة المرعشى يقول : لو أَصبت من يَبْغَضُنى على حقيقةٍ فى الله لأَوْجَبْتُ على نفسى حُبَّه.

يوسف بن أسباط قال : قال لى حذيفة المرعشى : ما أُصيب أحد بمصيبةٍ أعظم من قَسَاوة قلبه .

قال يوسف : وقال حذيفة : كان يقال : إذا رأيتم الرجل قد جلس وحده فَانْظُروا لأَىّ شىء جلس ؟ فإن كان جلس ليُجلَس إليه فلا تجلِسوا إليه .

عن بشر بن الحارث قال : سمعت المعافَى بن عمران يقول : كان عشرة ممن مضى من أَهْل العلم ينظُرون فى الحَلال النظرَ الشديدَ لا يُدخلون بُطونهم إلّا ما يَعْرِفون من الحلال ، وإلّا اسْتَفّوْا التراب ، منهم حُذيفة المرعشى .

الفيْض بن إسحاق قال : ذُكِر عند حذيفة المرعشى الوحدةُ وما يُكرهُ منها . فقال : إنما يُكره ذلك للجاهل ، فأَما عالمٌ يَعرف ما يأْتى

(١) يريد بالكسرة : الطعام أو الخبز ، أى فليكن طعامك حلالا ، ولا تدخل جوفك ما ليس كذلك .

فلا . وقال : ماأعلم من أعمال البر أفضل من لزومك بيتكَ ، ولو كانت لك حيلة لهذه الفرائض لكان يَنْبغى لك أن تحتال لها .

عبد الله بن حبيق قال : قال حذيفة المرعشى إياكم وهدايا الفجّار والسّفهاء فإنكم إن قَبِلْتُمُوها ظنّوا أنكم قد رَضِيتم فِعلهم .

بشر بن الحارث قال : كتب حذيفة إلى يوسف بن أسباط : يا أخى إنى أخاف أن يكون بعض مَحاسننا أضرّ علينا فى القيامة من مساوئنا[١] .

قال : وكتب إليه أيضًا : لاحتّى تكون فى موضع إذا جئت إلى البقّال فقلتَ أعطنى مِطَهرَتك[٢] قال : هات كساءك .

ابن أبى الدرداء قال : قلت لحذيفة : أوْصنى . قال : انظر خُبزك من أيْن تأْكل ، ولا تجالس مَن يُرخص لك ويُعْطيك ، ثم قال : إنْ أطَعْت الله فى السرّ أصلح قلبك ، شِئتَ أو أبيتَ .

نبهان بن المغلّس قال : أخبرنى حذيفة بن قتادة المرعشى قال : كنت فى المركب فكُسِربنا ، فوقعتُ أنا وامرأة على لوح من ألواح المركب فمكثْنا سبعة أيام . فقالت المرأة : أنا عطشى . فسألت الله تعالى أن يسقينا . فنزلت علينا من السماء سلسلة فيها كُوز معلّق فيه ماءٌ . فشربت . فرفعتُ رأسى إلى السّلسلة فرأيت رجلاً جالسًا فى الهواء متربعًا فقلت : مَن أنت ؟ قال : من الإنس . قلت : فما الذى بلّغك هذه المنزلة ؟ قال : آثرت مُرادَ الله عز وجل على هَوايَ فأجلسنى كما تَرانى . لانحفظ لحذيفة مسندًا ، وكان مشغولاً بالرّعاية عن الرّوَاية . وقد صَحب الثورى . وتوفى سنة سبع ومائتين .

---

(١) فى النسخ : مساوينا .

(٢) إناء يتطهر به . وهو بفتح الميم وكسرها . والفتح أجود .

٧٩٧ ــ ابو معاوية الأسود :

واسمه اليمان . نزل طرَسُوس.أحمد بن وديع قال : قال أبومعاوية الأسود : إخوانى كلُّهم خيرٌ منى . قيل له : وكيف ذلك يا أبا معاوية؟ قال : كلّهم يرى الفضل لى على نفسه ، ومن فضّلنى على نفسه فهو خير منى .

أحمد بن فضيل العتكى قال : غزا أبومعاوية الأسود . فحصرَ المسلمون حِصنًا فيه عِلْج لايَرمِى بحجَر ولانشّاب إلا أصاب . فشكَوا إلى أبى معاوية فقرأ «وما رَمَيْتَ إذ رَمَيْتَ ولكنّ اللهَ رَمَى»[1] . ثم قال : اسْتُرونى منه . فلما وقف قال : أيْن تريدون بإذن الله ؟ قالوا : المذاكير[2] قال : يارب[3] سمعتَ ماسَألونى فأَعطِنى ماسألونى . بسم الله . ثم رمَى فمرّ السهم حتى إذا قَرُبَ مِنَ الحائطِ. ارْتَفَعَ حتى أخذ العِلج مَذاكيره فوقَع . فقال : شأنُكم به .

جعفر بن محمد بن الحسين بن زيد بن مسلم الرامَهُرْمُزِى قال : سمعت أبى يقول : سمعت أبامعاوية الأسود يقول ، وهو على سُور طرَسوس ، من جوف الليل ، يبكى ويقول : ألا مَن كانت الدنيا مِن أكبر همِّه طال فى القيامة غدًا همّه . ومن خاف مابين يديه ضاق فى الدنيا[4] ذَرعُه . ومن خاف الوعيد، لَهِيَ[5] من الدنيا عمّا يريد ، يامِسْكين إن كنت تريد لنفسك الجزيل ، فأَقلِلْ نومَك بالليل إلا القليل ، اقبَل من اللَّبيب الناصح ، إذا أتاك بأَمر وَاضِح ، لاتَهتَمّن بأَرْزاق من تخلّف ، فلستَ أرزاقَهم تُكلَّف ، وَطِّن نفسك للمقال ،

---

(١) الأنفال : ١٧ .

(٢) قط : مذاكيره .

(٣) ق : أى رب .

(٤) ب : القيامة .

(٥) لهى عن الشيء (بفتح فكسر فياء مفتوحة) : سلا وغفل وترك ذكره وأعرض عنه . وهو فى معنى (لها) أيضاً .

إذا وقَفْتَ بين يدى ربّ العزة للسؤال ، قَدِّم صالحَ الأعمال ، ودَع عنك كثرة الأشغال ، بادِرْ ثم بادر ، قبل نزول ما تُحَاذِر ، إذا بلغ رُوحك التَّراق ، وانقطَع عنك من أحببت أن تُلاقِى ، كأنى بها وقد بلغَت الحُلقوم ، وأنت فى سَكَراتِ الموْت مَغْموم ، وقد انْقَطَعت حاجتُك إلى أهلك ، وأنت تَراهم حولك . وبقيت مُرتَهِنًا بعملك ، الصبر مِلاك الأمر ، وفيه أعظم الأجر ، فاجعل ذِكْر الله مِن جُلِّ شأْنك ، واملِك فيما سوَى ذلك لِسانَك . ثم بكى أبومعاوية بكاءً شديدًا . ثم قال : أَوَّه من يومٍ يتغيَّر فيه لونى ، ويتلجلَج فيه لسانى ، ويجفّ فيه ريقى ، ويَقِلّ فيه زَادِى . فقيل له : يا أبا معاوية مَن قال هذا الكلام؟ فقال لحكيمٍ[١] .

أبو حمزة ، نصير بن الفرج الأَسْلمى ، وكانَ خادمًا[٢] لأبى معاوية الأَسْود . قال : كان أبومعاوية قد ذهب بصره ، فكان إذا أراد أن يقرأ فَتَّش المُصحف وفتحه فيردّ الله عليه بصره ، وإذا أطبق المصحف ذَهَب بَصره .

عن أَبى الزاهريّة قال : قدِمت طَرسوس ، فدخلت على أبى مُعاوية الأَسْود وهو مكفوف البصر ، وفى منزله مُصْحف معلَّق . فقلْت : رَحِمك الله مُصحَفٌ وأنت[٣]لاتُبصر ؟ قال : تكتُم علىّ يا أخى حتى أموت ؟ قال : قلت . نعم . قال : إنِّى إذا أردْت أن أقرأ القرآن فُتِح لى بَصَرِى .

---

(١) ط : الحكيم .

(٢) ب : خدناً .

(٣) يرحمك الله مصحف أنت .

عبد الرحمن بن عبد الله قال: استطال رجل على أبي معاوية الأسود فقال له رجل: مَهْ. فقال أبو معاوية: دعه يَشْتَفِى. ثم قال: اللهم اغفِر الذنب الذى سلّطتَ علىَّ به هذا.

أبو موسى المَغَازلى قال: كنت أسمع أبا معاوية الأسود إذا قامَ مِنَ اللّيل يَستقى الماء، يقول: ما ضرّهم ما أصابهم فى الدنيا. جَبَرَ الله لهم كلَّ مصيبة بالجنّة.

يحيى بن معين قال: رأيت معاوية الأسود وهو يلتقط الخِرَق من المَزَابل، فيلفقها ويغسلها. فقيل له: ياأبا معاوية إنك تكسى. فقال: ما ضرّهم ما أصابهم فى الدنيا، جَبر الله عز وجل لهم بالجنة كلّ مصيبة. قال أبو علىّ فرأيت يحيي يبكى - . لانعرف[1] لأبى معاوية مسندا.

٧٩٨ — سليمان الخواص:

مَضاء بن عيسى قال: منّ سليمان الخوّاص بابراهيم بن أدْهَم، وهُوَ عِنْدَ قَوْمٍ قد أضافوه وأكرموه فقال. نعم الشّيء هذا ياأبَراهيم إن لم تكن تكرمةً على دِين.

أحمد بن وديع قال: قال سليمان الخوّاص. من وَعظ أخاه فيما بينه وبينه فهى نصيحة. ومن وعظه على رءوس الناس فإنما وبّخه.

يزيد بن سعيد قال: دخل سعيد بن عبد العزيز على سليمان الخوّاص فقال له: أراك فى ظُلمة. قال: ظُلمة القبر أشدّ من هذا، قال: أراك وحدك. قال: إن للصّاحب على الصاحب حَقًّا فخِفتُ أن لا أقوم بحقّ صاحبى. قال: فأخرج سعيد صُرّة فيها شيءٌ، فقال له: تُنفق هذا وأنا أحلف لك بين يدى الله تعالى أنه حَلال. قال: لا حاجة

(١) ق: لا يعرف.

لى فيها . فقال له يَرحمك الله[١] ما ترى ما الناس فيه دَعْوَة ! قال : فصرخ سليْمان صرخة ثم قال : مالَك ياسعيد فَتَنْتَنِى بالدنيا وتَفتِننِى بالدّين ؟ مالى والدعاء ؟ من أنا ؟ فَخَرَجَ سعيد فأَخبرَ بما كان الأَوزاعى. فقال الأَوزاعى : دعُوا سليمان ، لو كان سليمان من الصّحابة كان مثلًا .

لا نعلم لسليمان مسندًا ، كان مشغولاً بالعبادة .

٧٩٩ — سلم بن ميمون الخواص :

من أهل طبرية . وبها مات .

إسماعيل بن أَبى سلَمة قال : رأَيتُ فى المنام كأَن القيامة قد قامت ، وكأَن مناديًا ينادى : أَلا لِيقُم السّابقون . فقام سفيان الثورى ثم نادى الثانية : أَلا لَيقُم السابقون فقام سَلم الخواص . ثم نادى الثالثة : أَلا لِيقُم السابقون . فقام إِبْراهيم بن أَدْهَم .

أَحمد بن ثعلبة قال : سَمِعْتُ سَلمًا الخوّاص يقول : كُنْتُ أَقرأُ القُرْآن فلا أَجدُ لَهُ حَلاوة . فقلت لنفسى : اقْرئِيه كأَنك سَمعتِه[٢] من رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فجاءَت حلاوةٌ قليلة . ثم قلت لنفسى : اقرئِيه كأَنك سمعتِه[٢] من جبريل[٣] يخبر به النبىَّ صلى الله عليه وسلم . فَازْدَدت الحلاوة . قال : ثم قلت لها اقرئية كأَنك سمعتِه[٤] منه حين يتكلم به . فجاءَت الحلاوة كلّها .

قاسم الجوعى قال : جئت سلمًا الخوّاص فقدّم إِلَىَّ نصف بطيّخة ونصف رغيفٍ وقال لى : كُل ياقاسم ، نزلَت على أَخ لى فقدّم لى

---

(١) ط : رحمك الله .

(٢) فى النسخ : سمعتيه . والصواب ما أثبت .

(٣) ط : جبرئيل .

(٤) فى النسخ : سمعتيه .

نصف خيارة ونصفَ رغيف وقال لى : كُل ياسَلم فإنّ الحلال لا يَحتمل السّرَف ، ومن دَرى من أيْنَ يكسِب دَرى كيف يُنفق .

أسند سَلم عن مالك بن أنس وابن عُيينة وأقرانهما .

٨٠٠ — أبو عبيدة الخواص واسمه عباد بن عباد :

وقد اشتهر بأبى عَبيدة وإنما هو أبو عُتبة. كذلك ذكره البخارى وغيره .

أبو موسى الصّورى قال كتَب عّباد بن عبّاد الخوّاص إلى إخوانه يَعظُهم : إنكّم فى زمانٍ قد رَقّ فيه الْوَرَع وقلّ فيه الخُشُوع ، وحَمَلَ العِلمَ مَفُسدوه فأَحبوّا أَن يُعرفوا بحَمْله ، وكرهوا أن يُعرفوا بإضَاعِة العمل به ، فَنَطَقُوا فيه بالهوى ليزيِّنوا ما دخلوا فيه من الخطرٌ ، فذنوبهم ذنوبٌ لا يُستغْفَرُ منها ، وتَقصيرُهم تقصيرٌ لا يعترَف به . أحبّو الدنيا وكرهوا منزلة أهلها فشاركوهم فى العيش وزايلوهم[١] بالقول .

أبو عبيد العَسقلانى قال : رأيت أبا عبيدة الساحلى لم يَضْحك أرْبعين سنة . فقيل له : لِم لا تَضحك ؟ فقال : كيف أضحك أنا وفى أيدى المشركين من المسلمين أحد .

عبد الأعلى بن سليمان قال : رأيت أبا عبيدة الخوّاص على سُرّته خِرقة ، وعلى رقبته خِرقة وهو يَمشى فى طريق البصرة . وهو يقول وَاشَوْقاه إلى مَن يَرَانى ولا أراه .

أحمد بن الحَوارىّ قال : دخل عبّاد الخوّاص على إبراهيم بن صالح وهو أمير فلسطين ، فقال له : ياشيخ عِظْنى . فقال : بما[٢] أعظك

---

(١) فارقوهم وابتعدوا عنهم .

(٢) كذا ، وينبغى حذف ألف (ما) الاستفهامية (بم ؟) .

أصلحك الله ؟ بلغنى أن أعمال الأحياء تُعرض على أقاربهم من الموتى ، فانظُر ما يُعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عَملك . فَبكَى[١] حتى سالت الدّموع على لِحْيَتِه .

عن بشر بن الحارث قال : رأيت على جبَال عرَفة رجلاً قد وَلِع به الولَهُ وهو يقول .

سُبحانَ مَن سَجَدْنا بالعُيون له ... على شَبَا الشّوك والمُحْمَى منَ الإبر
لم نَبلغ العُشرَ من مِعْشَار نِعْمَته ... ولا العُشَير[٢] ولا عُشْرًا من العُشَر
هـو الرفيعُ فَـلا الأبْصَارُ تُدركه ... سُبحانَهُ من مليكٍ نَافِذ القـدَر
سُبحان مَن هو أُنسى إذْ خلَوتُ به ... فى جَوْف ليلى ، وفى الظّلماء والسحر[٣]
أنت الحَبيب وأنت الحِبّ[٤] ياأمَلِى ... مَن لى سِواك ومن أرجُوه ياذُخَرى

ثم أنشد أيضاً :

كم قد زَلَلتُ فلم أذْكُرْك فى زَلِلى ... وأنت ياسيّدى فى الغيْب تَذكُرنى
كم أكشِفُ السّترجَهْلاً عند مَعْصِيَتى ... وأنتَ تَلْطُفُ بى حَقّاً وتستُرنى
لأبْكِيَنّ بدمْع العين مِنْ أسَفٍ ... لأبْكينّ بُكَاءَ الْوَلِهِ الحَزِنِ

قال : ثم غاص فى خلال الناس فلم أره فسألت عنه فقيل : هذا أبو عبيدة الخوّاص منذ سبعين سنةً لم يَرفع رأسه إلى السماءِ حياءً من الله عز وجل .

عُقبة بن فُضالة قال : سمعت أبا عبيدة الخواص بعدَ ما كبروا هو آخِذٌ بلحْيته يَبْكى ويقول : قد كبرتُ فأعتقنى .

---

(١) ق ، ب : فبكى .

(٢) ضبطت فى ق بفتح العين وكسر الشين ، فتكون بمعنى العشر (بضم فسكون) وكلاهما جزء من عشرة . والأحسن أن تكون تصغير العشر كما شكلناها .

(٣) ط : فى السحر .

(٤) بكسر الحاء : المحبوب .

أسند عبّاد الأوزاعى ، وأبى بكر بن أبى مريم ، وغيرهما .

٨٠١ — ابو يوسف الغسولى (١) :

جُنيد قال : سمعت سَرِيّاً يذكر أن أبا يوسف الغَسولىّ كان يلزم الثّغر ويغزو ، وكان إذا غزا مع الناس ودخلوا بلاَد الروم أَكَل أصحابه من ذبائح الروم ومن فَوَاكههم ، وكان أبو يوسف لا يأْكل فيقال له : يا أبا يوسف تشكّ أنه حَلال ؟ فيقول هو حلال . فيقال له : فكُلْ من الحلال . فيقولُ : إنما الزُّهد فى الحلال .

حَرَمّى بن يونس قال : سمعت أبا يوسف الغَسولى يقولُ : أنا أتفقّه فى مَطعمى من ستّين سنة .

قال المَرْوزى : وسمعت بعض المَشْيَخة يقول : سمعت أبا يوسف الغَسولىّ يقول : إنه ليكفينى فى السنة إثنا عشر درهمًا . فى كل شَهْرٍ دِرْهِمٌ . وما يُحْملنى على العَمل إلا أَلسِنة هؤلاء القرّاء . يقولون : أبو يوسف من أين يأْكل ؟

قال المروزى : وسمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول : أبو يوسف الغَسولى قد خَلفَ ابنَ إدريس (٢) . يعنى فى الورَع .

٨٠٢ — احمد بن عاصم الانطاكى :

يكنى أبا علىّ . ويقال أبا عبد الله . من مُتَقَدّمى مشائخ الثّغور وكان يقال له جاسوس القلوب .

أحمد بن أبى الحَوارىّ قال : أنا أحمد بن عاصم الأَنطاكى قال : إذا صارت المعاملة إلى القلب اسْتَرَاحت الجوارح .

---

(١) بعدها فى ط : رضى الله عنه . والغسولى : نسبة إلى (الغسولة) ، بلدة قرب حمص ، أو قرية من قرى دمشق . وقد ضبطها صاحب القاموس بكسر الغين وسكون السين وفتح الواو وتشديد اللام . أما فى معجم البلدان فقد شكلت بفتح الغين وضم السين . وفى ق شكلت (الغسولى) بفتح الغين وتشديد السين .

(٢) هو الإمام الشافعى ، محمد بن إدريس .

قال : وسمعته يقول : هاه غنيمة باردة أصلح فيما بقى يُغفَر لك ما قد مضى .

وسمعته يقول : ما أغبط أحدًا إلا من عَرف مولاه وأشتهى أن لا أموت حتى أعرفه معرفَة العارفين الذين يَسْتَحِيُّونه لا معرفة التصديق .

أحمد بن عبد الله قال : سمعت أبي يقول : سمعت خالى عثمان ابن محمد بن يوسف يقول : سمعت أبي يقول : قال أحمد ابن عاصم : أنفعُ اليقين ما عَظَّمَ فى عَيْنَيْك ما به أيقنتَ وأنفعُ الخوفِ ما حجَزَك عن المعاصى ، وأطال منك الحزن على ما فات ، وألزمك الفِكْرَ فى بقيّة عُمرك وخاتمة أمرك ، وأنفعُ الصّدقِ أن تُقر لله عز وجل بعيوب نفسك ، وأنفعُ الحياءِ أن تَسْتَحيي أن تسأله ما تحِبّ وتأتى ما يكره ، وأنفعُ الصبر ما قوّاك على خلاف هَوَاك وأفضلُ الجهادِ مُجاهَدتُك نفسَك لتردّها إلى قبول الحق ، وأوجَبُ الأعداءِ منك مجاهدةً أقربهُم منك دُنُوًّا وأخفاهم عنك شخصاً وأعظم لك عداوة وهو أبليس . قلت : فما ترى فى الأُنس بالناس ؟ قال : إن وجدت عاقلا مأمونًا فأْنَسْ به واهرُب من سائرهم كهرَبك من السّباع . قلت : فما أفضل ما أتقرّب به إلى الله عزّ وجل ؟ قال : تركُ معاصيه الباطنة - قلت : فما بال الباطنة أولى من الظاهرة ؟ قال : لأنك إذا أجتنبتَ الباطنة بَطَلَتْ الظاهرة والباطنة ، قلت : فما أضَرُّ الطاعاتِ لى ؟ قال : ما نسِيتَ بها مَسَاوئك (١) ، وجعلتها نُصبَ عينيك إدْلالاً بها وأمنًا .

قال : وسمعته يقول : استكثر من الله عزّ وجلّ لنفسك قليلَ الرزق تخلُّصًا إلى الشكر ، واستقلِل من نفسك لله عزّ وجلّ كثير الطاعة إزراءً على

(١) فى النسخ : مساويك .

النفس وتعرّضاً للعفو ، واستجلِب شدّة التيقظ. بشدّة الخوف ؛ وادفَع عَظِيم الحِرص بإيثار القناعة ، واقطع أسباب الطمع بصِحّة اليأْس ؛ وسُدّ سَبيل[١] العجب بمعرفة النفس ، واطلب راحة البَدن باجْمام القلب ، وتخلص إلى إجمام القلب بقلّة الخُلطاء ، وتعرض لرقّة القلب بدوام مجالسة أهل الذكر ، وبادِر بانتهاز البُغية عِندَ إمكان الفرصة ، وأحذّرك « سوفَ »[٢] .

قلت : لأحمد بن عاصم كلام كثيرٌ انتخبنا منه[٣] ما ذكرنا ولا نعلم له مسنداً .

٨٠٣ — أبو عبد الله النباجي واسمه سعيد بن يزيد :

قال محمد بن أَبِي الوَرد : قال أَبو عبد الله النَباجى من خطرت الدنيا بباله لغير القيام بأَمر الله حُجِبَ عن الله[٤] .

وقال[٥] ابن أَبِي الورد صلَّى أَبو عبد الله[٦] النِباجى يومًا بأَهل طَرْسوس فَصِيح النّفير[٧] ، فلم يخفّف الصلاة . فلما فرغوا قالوا : أَنت جاسوس . قال : ولمَ ؟ قالوا : صيح بالنفير وأَنت فى الصلاة فلم تخفّف . قال : ما حسبت أَن أَحَدًا يكونُ فى الصَلاة فيقع فى سمعه غيرُ ما يخاطبه الله عز وجل .

الحسين بن عبد الرحمن ، عن أَبِى عبد الله النِباجى قال : قال لى قائل فى منامى : أَو يحسن بالحُرّ المُريد ، أَن يتذّلل للعبيد ، وهو واجدٌ عند مولاه كلّ ما يريد ؟ .

---

(١) ب : سبل .

(٢) أى أحذرك التسويف و التأخير إذا أمكنتك الفرصة .

(٣) ب : له .

(٤) فى ق زيادة « عز و جل » فى الموضعين بعد لفظ الجلالة .

(٥) ق : قال .

(٦) ط : أبو عبيدة ، خطأ .

(٧) القوم ينفرون إلى الجهاد .

أحمد بن أبى الحَوارىّ عن أبى عبد الله النِباجى قال : إن فى خلق الله عز وجل خَلْقًا يَسْتَحْيُون من الصّبر لو يعلمون أقداره تلقّفوها تلقّفًا .

أحمد بن محمد بن بكر القرشى قال : سمعت أبا عبد الله النباجى يقول : اطلبوا النظر فى الرّضا عن الله عز وجل وتَسَاءَلُوا عنه بينكم إنكم إن ظفرتم منه بشىء عَلَوْتُم به الأعمال كلها .

قال : وسمعته يقول ، لا تَستكثروا الجنة للمؤمن ، فإنّه قَدْ وافى بأعظم قدرٍ عنده من الجنة : معرفة الله والإيمان به . وسمعته يقول : الذى جعل الله عز وجل المعرفةَ عنده يتنعّم مع الله عز وجل فى كل أحواله .

أبو عُبيد الله[١] الإمام قال : سمعت أبا عبد الله النِباجِى يقول : إذا كان عندك [٢] ما أعطى الله عز وجل نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً صلى الله عليهم لا تراه شيئاً وإنما[٣] تريد ما أعطى الله نمرودَ[٤] وفِرْعَون وهامان فمتى تُفلح ؟ .

لا نعرفْ[٥] للنِباجِى مُسنداً ، وإنما كان مشغولاً بالزّهد والتعبّد . وقد حكى عن الثّورِىّ والفُضيل وغيرهما .

٨٠٤ — عبد الله بن خبيق (٦) بن سابق :

أبو محمد . أصله من الكوفة . ثم سكن أنطاكيّة واستفاد من يوسف ابن أسباط .

محمد بن المسيّب الارغيانى قال : أنا عبد الله بن خُبيق قال : أنت لا تُطيع من يُحسن إليك فكيف تُحسن إلى من يسىء إليك .

---

(١) ط : أبو عبد الله .
(٢) أى فى نظرك واعتقادك أو ظنك .
(٣) ق : إنما . وأثبت ما فى ط .
(٤) جبار من القدماء .
(٥) ط : ولا نعرف .
(٦) بضم الخاء وفتح الباء . ط : خبيق ، تصحيف .

عمر بن عبد الله الهجرى قال : سمعت عبد الله بن خُبيق يقول : لا تَغتمّ إلاّ من شيء يضرّك غدا . ولا تفرح بشيء لاَ يَسُرك غداً ، وأنفعُ الخوفِ ماحَجَزَك عن المعاصى وأطال منك الحزن على ما فاتك ، وألزَمك الفكرة فى بقية عَمُرك . أسند ابن خُبيق عن يوسف بن أسباط وغيره .

٨٠٥ — ابو الحارس الاولاسى (١) :

واسمه فيض بن الخَضِر (٢) كان شاباً يغنى فى أول أمره (٣) وقال : بينا أنا فى غَفْلتى رأيت عَلِيلاً مطروحاً على قَارعة الطريق ، فدنوت منه فقلت : هل تَشتَهِى شيئاً ؟ قال : نعم رمّاناً . فجِئْته برمّان فلما وضعتُه بين يديه رفع بَصره وقال : تاب الله عليك . فما أَمسيتُ حتى تغيّر قلبى عما كنت عليه ، وخرجتُ إلى الحج وأنا أسير بالليل إذا بقوم يشربون . فلما رَأَوْنى ذُهِلوا فأجلسونى وعرَضوا علىّ الطعام والشراب . فقلت : أَحتاج إلى البول فذهبتُ فوقعتُ فى غابة فإذا سَبُعٌ . فقلت : اللهم إنك تَعْلم ما تركْتُ ومماذا خرجتُ (وفيماذا خرجت (٤)) فاصرف عنى شرّ هذا السَّبُع . فولىّ السبع ودخلتُ مكة فلقِيت بها من انتفعتُ به ، منهم إبراهيم بن سَعد العَلوىّ .

الحسن بن خلَف قال : قال لى أبو الحارث الأَوْلاسى فَيْض بن الخضر : رأيت إبليس له جُمّة شَعرٍ فأقبلت أَتملقّه وأقول : ويحك ما أنا فى هذا الخَلق ؟ خلّنى وربّى . فقال : هيهات هيهات ، كيف أُخلّيك وفيك

---

(١) نسبة إلى (أولاس) بفتح أوله : وهو حصن على ساحل بحر الشام من نواحى طرسوس . ط : الأولاشى ، تصحيف .

(٢) قط : خضر . ب : بن أبى الخضر .

(٣) قط : عمره .

(٤) من ب .

وفى أبيك[١] هلَكت ؟ لا أوْ تَهلِكوا معى . قال : فأخذتُ برأسه فجعلتُه على حجَر وأخذت بحلقِه أخنقه ثم قلت : كيف أقدر على قتله وقد أخرّه الله عز وجل إلى يوم القيامة ؟ ولكن أرفُق به فجعلت أتملقه وهو يأْبى . فقلت له : دُلّنِى على ما ينفعنى . فقال : أدلّك على السكرّ والحُملان والجُوذابات [٢] والدنانير والدراهم أن تُكثر منها . فقلت له : يا ملعون أنا أسألك أن تدلنى على شىء ينفعنى فى أمر آخرتى ، تدلّنى على الدنيا وما أصنع أنا بهذا وما حاجتى إليه ؟ فقال : من ههنا صار رَأْسى وحَلْقى فى يدِك تُقلّبه كيف شِئت وتلعب به . قلت : أفدتَنى علماً ، لا جرَم إنى لأرجو أن لا أنال منها شيئاً إلّا ما لا غِنى بى عنه فقال إن تركتُك فاصعَد العقَبة وسأستعين عليك بولد جِنسك الذين زيّنتَ فى أعينهم ما قَبُح فى عينِك فأجابُونى إليه فَبِهِمْ أَسْتَعين عليك فيأْتوك من من مأْمَنك .

توفى أبو الحارث بطرسوس سنة سبع وتسعين ومائتين .

٨٠٦ — ابو الخير التيناتى (٣) :

أصله من المغرِب[٤] وسكن تِينات ، وهى قرية من قرى أنطاكيّة . ويقال له الأَقطَع ، لأنه كان مَقْطوع اليد . وكان سبب ذلك أنه كان فى جبال أنطاكِيّة وحواليها يَطلب المباح وينام بين الجبال وأنه عاهد الله تعالى أن لا يأْكل من ثَمَر الجبال إلّا ما طَرَحَتْه الريح . فبقى أياماً

---

(١) أى بسببك وسبب أبيك .

(٢) الحملان (بضم الحاء) : ما يحمل عليه من الدواب . والجوذابات : مفردها (جوذاب) بضم الجيم ، وهو طعام يصنع من سكر ورز ولحم .

(٣) نسبة إلى تينات (بكسر التاء) وهو مرفأ على بحر الشام قرب المصيصة تجهز منه المراكب بالخشب إلى مصر .

(٤) ط : الغرب .

لم تَطْرَحْ إليه الريح شيئًا . فرأى يومًا شجرةَ كُمَّثرى فاشتَهَى منها فلم يفعل . فأَمَالَتْها الرِّيح إليه فأَخذ واحدةً . واتفق أن لصوصًا قطعوا هنالك الطريق وجلَسوا يقتسمون . فوقع عليهم السْلطان فأَخذَهم وأُخِذ معهم فقُطعت أَيديهم وأَرجلُهم وقُطِعتْ يده . فلما همّوا بقطع رِجله عَرَفه رجل فقال(١) للأَمير : أَهلكتَ نفسك ، هذا أَبو الخَير . فبكى الأَمير وسأَله أَن يَجْعَلَه فى حِلٍّ . ففعل وقال : أَنا أَعرِف ذَنبِى .

منصور بن عبد الله قال : قال أَبوالخير : الدعوى رُعونة لا يحتمل القلب إمساكها ، فليُلقِها إلى اللسان فتنْطِقَ بها أَلسنةُ الحمقى.
قال : وسمعته يقول : دخلت مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وأَنا بفاقةٍ . فأَقمت خمسة أيام ما ذقت ذوَقًا(٢) . فتقدّمت إلى القبر فسلَّمت على النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلى أَبى بكر وعمر ، وقلت : أَنا ضيفك الليلةَ يارسول الله . وتنحيّتُ فَنِمت خَلْف المنبر . فرأَيت فى النوم النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وأَبو بكر عن يمينه ، وعمر عن شماله ، وعلى ابن أَبى طالب بين يديه . فحرّكنى علىّ وقال لى : قُم قد جاءَ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقمت إليه وقَبَّلت بين عَيْنَيْه . فدفع إلىّ رغيفًا فأَكلتُ نصفه وانْتَبَهْت وإذا فى يدِى نصفُ رغيف .

إبراهيم بن محمد المرَاغِى قال : سمعت أَبا الخير التيناتى يقول : بقيت بمكة سنةً فأَصابنى ضرٌّ وفاقَة . فكلّما أَردت أَن أَخرج إلى المسْأَلة هَتَفَ بى هاتِفٌ يقول : الوجهُ الذى يَسْجد لى تَبْذُلُه لغيرى؟

أَخبرنا المحمدان ابن عبد الملك وابن ناصر قال انبأَ أَحمد بن

(١) ط : وقال :

(٢) الذواق : طعم الشىء ، أى لم يذق شيئاً من الطعام أو الشراب .

الحسن بن خيرون قال : قرأت على أبي الحسين على بن محمود الصوفى أخبركم على بن المثنى . وأخبرنا أبو بكر العامرى قال : أنبأ علىّ ابن أبي صادق قال : أنا ابن باكُويَه قال : أخبرنى ابراهيم بن أحمد[1] المراغى قالا : سمعنا أبا الخير التّيناتى الأقْطع يقول : ما بلغ أحد إلى حالةِ شريفةِ إلّا بِمُلازمة الموافَقة ومُعَانَقَة الأدَب وأداءِ الفرائض وصُحْبة الصّالحين وخِدْمة الفقراءِ الصّادقين .

محمد بن الفضل قال : خرجت من أنطاكِيَّة ودخلت تِينات ودخلت على أبي الخير الأقطع على غفلةِ منه بغير إذْنِ فإذا هو ينسُج زِنْبيلاً بيديه[2] . فتعجّبت . فنظرَ إلىّ وقال : يا عدوّ نَفْسه ، ما الذى حَمَلَك على هذا ؟ فقلت : هَيَجَان الوجْدِ لِما بى من الشوق إليك . فَضحك ثم قال لى : اقعُد لاتَعُدْ إلى شيءٍ من هذا بعد اليوم . ثم قال : استُر علىَّ فى حياتى . ففعلت .

قال ابن باكويه : وسمعت إبراهيم بن محمد السبّاك بِرُها[3] يقول : كنا نطَّلِع على أبي الخير التيناتى من الخَوْخة وهو يَسُفُّ الخُوص[4] بيديه فإذا خرج رأيناه أقطَعَ .

أبو الحسن البَغْراسى[5] قال : قال لى أبوالخير التيناتى : إيَّاك وكَثرةَ السَّفر فإنَّه يُقسِّى القلب ويَذهب بالدِّين .

---

(١) قط : أحمد بن المراغى .

(٢) ق : بيده . وأثبت ما فى ط .

(٣) الرها ، والرهاء (بضم الراء فيهما) : مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام .

(٤) ينسج ورق النخيل . والخوخة : الباب الصغير فى الباب الكبير .

(٥) بفتح الباء وسكون الغين ، نسبة إلى بغراس وهى مدينة قرب أنطاكية . ق : البغراشى ، تصحيف .

أبوبكر المِصرى قال : سمعت بعض أصحابنا فقيرًا يُعرف بالأنصارى يقول : دخلت على أبى الخير فناولنى تفّاحتين فجعلتهما فى جَيبِى وقلت : لا أتناولهما وأتبرّك بهما لِموضع الشيخ عندى فكانت تَجرى علىَّ فاقاتٌ لاأتناولُهما فأجهَدْتنِى الفاقة فأَخرجتُ واحدةً فأكلتها وأدخلتُ يدِى لأخرج الثانية فإذا التفّاحتان مكانَهما ، فمازلت آكل منهما حتى دخلتُ المَوْصل فجُزتُ على خرابٍ وإذا بِعايلٍ يُنادى من الخراب[1] : ياناس أشْتَهى تفاحةً . ولم يكن وَقْتَ التفَّاح . فأَخرجت التفاحتين فناولتهما إياه فأكل وخرجَت روحُه من وقته . فعلمت أن الشَّيْخَ أعطانى من أَجْلِ ذلك العليل .

صحب أبوالخير التيناتى أباعبد الله بن الجلَّاءِ وغَيْره من المشايخ. ولانعلمه أسْنَدَ شيئًا من الحديث . وتوفى بعد الأربعين وثلاث مائة .

ذكر المصطفين من عباد الثغور المجهولى الأسماء

٨٠٧ ــ عابد طرسوسى :

أبوسليمان المغربى قال : كنت أَحمِل الحطب من الجبل وأتَقَوّت منه ، وكان طريقى فيه التوقّى[2] والتحرّى . قال فرأيت جماعةً من البصريين فى النوم ، منهم الحسن ومالك بن دينار وفَرقد السَّبخِيّ ، فسألتهم عن عِلم حالِى فقلت : أنتم أئمة المسلمين دُلُّونى على الحلال الذى ليس لله فيه تَبعة ولالِلْمَخْلق فيه مِنّة . فأخذوا بيدى فأخرَجونى من طرَسوس إلى مَرج فيه خُبَّازَى فقالوا لى : هذا الحلال الذى ليس لله عز وجل فيه تَبعة ولا للمخلوق فيه مِنَّة . قال : فمكثتُ[3] آكل

(١) ب : بين الخراب .

(٢) ق ، ب : التقوى . وأثبت ما فى قط .

(٣) قط : فكنت .

منه نصف سنة ، ثلاثة أشهر فى دار السبيل، وكنت آكله نِيًّا[١] ومطبوخًا فصار لى حديثٌ ، فقلت : هذه فتنة . فخرجت من دار السبيل فكنت آكله ثلاثة أشهر أُخَر . فأوجدنى الله عزّ وجل قلبًا طيبًا حتى قلت إن كان أهل الجنة بهذا القلب الذى لِى فهُم واللهِ فى شىء طيِّب ، وما كنت آنسُ بكلام الناس ، فخرجت يومًا من باب قَلَمْيَة [٢] إلى صِهْريج[٣] يُعرف بالمدنِف فجَلست عنده فإذاأنا بفتًى قد أَقبل من ناحية لامِش[٤] يريدطرسوس وقد بقى معى قطيعات[٥] من ثمن الحطب الذى كنت أَجىءُ به من الجبل فقلت أنا قد قنعت بهذا الخُبَّازَى ، أُعطِى هذه القِطع[٦] هذا الفقير ، إذا دخَل طرَسوس اشتَرَى بها شيئًا وأكله . فلما دَنا منى أدخلت يدى إلى جيبى حتى أخرِج الخِرْقة فإذا أنا بالفقير قد حرّك شفتيه وإذا كلّ ماحولى من الأرض ذَهبٌ يَتَّقِد حتى كاد يَخْطف بَصرى ، ولِبسنى منه هيبةٌ فجازو لم أُسلِّم عليه من هَيْبته . قال الشيخ أبو بكر : وزادنى أبوالفرج بن أبان فى هذه الحكاية قال : فقلت له : فرأيته بعد ذلك ؟ فقال : نعم .، خرجت يومًا خارج طَرْسوس فإذا بالفتى جالس تحت بُرجٍ من الأبرجة وبين يديه رَكوةٌ فيها ماءٌ فسلَّمت عليه ثم اسْتَدَعَيْت منه موعظةً فمدّ رجله فقلَب الماءَ ، ثم قال لى : كَثْرَةُ الكلام تُنشِّف الحسنات كما أنشفَت الأَرضُ هذا الماءَ . قم يكفيك .

---

(١) النى (بكسر النون وتشديد الياء) لغة فى (النىء) على الإبدال والإدغام ، وهو الذى لم تمسه النار ولم يعالج بطبخ .

(٢) قلمية (بفتحتين وسكون الميم) . كورة من بلاد الروم قرب طرسوس .

(٣) حوض الماء .

(٤) من قرى فرغانة .

(٥) قطع قليلة من الدراهم .

(٦) ط : القطعة .

٨٠٨ — عابد آخر :

علىّ بن الحسن بن موسى قال : قال رجل : لأَمْتَحِنَنّ أهل البلاء . قال : فدخلت على رجل بطرَسوس وقد أكلت الآكِلةُ[(١)] أطرافه . فقلت له : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحتُ والله وكلّ عِرْق وكلّ عضوٍ يألم على حِدَتِه من الوجع ، وإنّ ذلك لَبِعَيْن الله أَحبُّه إلىّ أحبُّه إلى الله ، وما قَدْرُ ما أخذ ربِّى منى؟ وددت أنّ ربِّى قطَع منى الأَعضاءَ التى اكتسبت بها الإثم ، وأنّه لم يُبق منى إلا لسانى يكون له ذاكرًا . قال : فقال له رجل : متى بدأَتْ بِكَ هذه العلَّة ؟ فقال : الخَلْق كلُّهم عَبيدُ الله وعِيالُه ، فإذا نزلَت بالعباد علَّة فالشكوى إلى الله ليس يُشتكى إلى العِباد .

٨٠٩ — عابد مصيصى :

علىّ بن الحسن قال : كان رجل بالمصيِّصة ذاهبٌ نِصفُه الأَسفل لم يَبق منه إلَّا روحُه فى بعض جَسده ، ضريرٌ على سرير مَثْقُوب فَدَخل عَلَيْه داخِل فقال له : كيف أصبحتَ يا أبا محمد ؟ قال : مَلِك الدنيا ، منقطع إلى الله عزوجل مالى إليه من حاجة إلَّا أن يتوفَّانى على الإسلام .

٨١٠ — عابد من اهل بيروت :

أَبو عبد الرحمن الأَزدى قال : كنت أدور على حائط بيروت فمررت برجلٍ متدلىّ الرجلين فى البحر وهو يكبّر . فاتكأْتُ على الشُرّافة[(٢)] التى إلى جنبه فقلت : ياشاب مالكَ جالسًا وحدك ؟ قال : اتّق الله ولا تَقُل لى إلَّا حقًا ، ماكنتُ قطّ وحدِى منذ ولدَتْنى أُمّى ، إنّ معى ربِّى حيث ماكنتُ ، ومعى مَلَكان يَحْفَظَان علىّ ، وشيطان

(١) الآكلة : (بكسر الكاف) داء فى العضو يأتكل منه .

(٢) كذا فى النسخ ، وضبطت فى ق بضم الشين وتشديد الراء . ولم تذكرها المعاجم . ولعلها (الشرفة) بلا ألف ، وهى أعلى الشىء . ويقال للمكان العالى : الشرف (بفتحتين) .

ما يفارقنى فإذا عرضَت لى حاجة إلى ربِّى عز وجل سألته إيَّاها ولم أسأله بلسانى ، فجاءنى بها .

ومن المصطفيات من عابدات الثغور

٨١١ — زينب الطبرية :

هارون بن الحسن قال : سمعت سَلمًا الخوّاص يقول : كانت عندنا جارية يقال لها زينب ، وكانت تُحسن خدمةَ مَوْلاها . فذَهَبْت أُسلِّم عليها . فقالت : يا أبا محمد كنتُ منذ ليالِ[1] قائمة أَخدم مولاى فغلَبَتنى عينى فسمعتُ[2] قائلاً يقول :

صلاتُك نورٌ والعبادُ رُقودُ قومى فصَلِّى للغفورِ الوَدود[3]

قال : وخرجَتْ يومًا فى حاجة فعثَرتْ فانقطَع إصبَع من أصابعها قال : فاجتمعنا رجالاً ونساءً نعزِّيها فى إصبعها . فقالت : يا إخوتى وأخواتى أنسانى لذةَ ثوابها وجَعُها فوهَب الله لى ولكم الرِّضا والعفْو عمَّا مضى ، قُوموا[4] حتى نخدم من الطريقُ عليه غدًا .

ذكر المصطفين من عباد أهل الشام المجهولى الأسماء

٨١٢ — عابد يقال له الديلمى (٥) :

محمد بن المبارك الصّورى قال : سمعت الوليدبن مسلم يقول : غزا المسلمون غَزوةً فيهم الديلمى . فأسرَته الروم وصلَبوه على الدَّقَل[6] . فلما رآه المسلمون مَصْلوبًا حملوا على الروم حملةً فأخذوا المركب الذى

---

(١) ط : ليالى . (٢) ط : سمعت .

(٣) كذا عجز البيت بخرم تفعيلته الأولى (عولن) . وهو من البحر الطويل . والبيت مصرع فينبغى رفع (الورود) فتكون نعتاً مقطوعاً . وجرها هو الأصل نعتاً للغفور

(٤) قط : قومى .

(٥) ق : المجهولين الأسماء . وأثبته ما فى ط .

(٦) الدقل (بفتحتين) : خشيبة طويلة تشد فى وسط السفينة ويمد عليها الشراع .

فيه الشيخ فأنزلوه عن الدَّقَل . فقال لهم : أعطونى ماءً أصبّ علىّ . فقالوا : لمَ تصُبّ عليك ؟ فقال : إنى جُنُبٌ ، لأنهم لمَّا صلَبونى أخذَتْنى نعسةٌ فرأيتُ نفسى كأنى عَلى نهر فيه وَصائف(١) فمددتُ يَدى إلى واحدة منهن فافترَعتُها(٢) فَأَصابَتْنى جَنابةٌ .

٨١٣ ـــ عابد آخر :

عن معروف الكَرْخىّ قال . رَأَيْتُ رَجُلاً فى البادية شابًا حَسَنَ الوَجْهِ ، له ذُؤابتان حسنتان ، وعلى رَأْسِهِ رِداءُ قصَبٍ وعَلَيْهِ قَميصُ كتَّان ، وفى رِجْله نعلُ طاق(٣) . قال معروف : فتعجَّبت منه فى مثل ذلك المكان ومن زِيّه فقلت : السلام عليك ورحمة الله وبركاته . فقال : وعليك السلام ورحمة الله ياعم . فقلت : الفتى من أين ؟ فقال(٤) : من مدينة دمشق . قلت : ومتى خرجت منها ؟ قال : ضَحوةَ النهار . قال معروف : فتعجَّبت وكان بينه وبين الموضع الذى رأيته فيه مراحِلَ كثيرة(٥) فقلت لَهُ : وأَيْنَ المقصِد ؟ فقال : مكة . فعلمت أنه محمولٌ فودّعته ومضى ولم أره . حتّى مضت ثلاث سنين . فلما كان ذات يوم وأنا جالس فى منزلى أتفكَّر فى أمره وماكان منه إذا بإنسان يدقّ الباب فخرجتُ إليه فإذا أنا بصاحبى فَسَلَّمت عليه وقُلت : مرحبًا وأَهْلاً . وأدخلتُه المنزل فرأيته مُنْقَطعاً والهاً تَالِفًا(٦) عليه زُرْمانقة(٧) حافيًا حاسِرًا فقلت : هِيهِ أىّ شىءٍ الخبرُ ؟ فقال : يا أُستاذ لاطَفنى حتّى

(١) ج وصيفة وهى الفتاة فى مقتبل العمر .
(٢) أزال بكارتها .
(٣) نوع من النعال .
(٤) ط : قال .
(٥) بعدها فى ط : فقال ، ولا محل لها هنا .
(٦) ط : قالقاً ، تحريف .
(٧) الزرمانقة (بضم الزاى وسكون الراء) : جبة من صوف . والكلمة معربة .

أدخَلنى الشَّبكة وَرَمَانى ، فمرّةً يلاطفنى ومرّةً يُهدِّدنى[١] ، ويُجيعنى مرةً ويُكرمنى أخرى . فليته وقَفنى على بعض أَسرار أَوليائه ثم[٢] ليفعل بى ماشاء . قال معروف : فأَبْكانى كلامه فقلت له : فحدّثنى ببعض ماجرى عليك منذ فَارَقْتَنى . فقال : هيهات[٣] أن أبديه وهو يريد أن نخفيه[٤] ، ولكن بَدِيًّا[٥] مافعل ، فى طريقى إليك ، مولاىَ وسيِّدِى . ثم استفرغه البكاء[٦] فقلت : وما فَعل بك ؟ قال : جوّعَنِى ثلاثين يومًا ثم جئت إلى قرية فيها مَقشأَة[٧] قد نُبذ منها المُدوِّد وطُرح ، فقعدت آكل منه فبصر بى صاحب المَقشأَة فأَقبل إلىّ يضرب ظَهْرى وبَطنى ، ويقول : يالصّ ما خرّبَ مَقشأَتِى غيرُك ، منذ كَم أنا أَرصدك[٨] حتى وقعتُ عليك ؟ فبينا هو يضربنى إذْ أَقبل فارسٌ نحوه مُسرعًا إليه وقلب السوط فى رأسه وقال : تعمَدُ إلى ولىّ من أَولياء الله عزَّ وجلّ فتقول له : يالصّ ؟ فأَخذ صاحب المقشأَة بيدى فذهَب بى إلى منزله[٩] فما أَبقى من الكرامة شيئًا إلَّا عمله واسْتَحَلَّنى وجعل مَقشأَته لله عز وجل ولأَصحاب مَعْروف فقلت له : صِفْ لى معروفًا . فوَصف لى فعرفتُك بما قد كنتُ شاهدتُه من صِفتك . قال معروف : فما استتم كلامَه حتى دقَّ صاحب المَقشأَة البابَ ودخل إلىّ وكان مُوسِرًا فأَخرج جميع ماله وأَنفقَه على الفقراء وصحِب الشابَّ سنةً وخرَجا إلى الحجّ فماتا بالرَّبذَة[١٠]

---

(١) ط : يتهددنى .

(٢) ثم : ساقطة من ط .

(٣) قط وحدها : هيهات ما إن .

(٤) ق : يخفيه . وأثبت ما فى ط .

(٥) كذا . والبدىء : العجيب البديع .

(٦) بكى كثيراً حتى نفد دمعه .

(٧) موضع القثاء ومنبته .

(٨) ب : أحرصك .

(٩) ط : منزل له .

(١٠) من قرى المدينة على ثلاثة أيام .

٨١٤ — عابد آخر :

داود بن رُشَيد[١] قال : حدثنى الصَّبيح والمليح ، شابان كانا يتعبَّدان بالشام ، سُمِّيا الصَّبيحَ والمَليحَ لحُسن عبادتهما ، قالا : جُعنا أياماً ، فقلت لصاحبي ، أو قال لى : أخرج بنا إلى الصحراء ، لعلَّنا[٢] نرى رجلاً نعلِّمه بعضَ دينه ، لعل الله عز وجل أن ينفعنا به . فلما أصحرنا استقبانا أسودُ على رأسه حزمةُ حطب . فَدَنَوْنا منه فقلنا له : ياهذا — مَن ربُّك ؟ فرمىَ الحُزْمة عن[٣] رأسه وجلس عليها وقال : لا تَقُولا لى مَن ربُّك ؟ ولكن قولا لى : أين محل الإيمان من قلبك فنظرتُ إلى صاحبي ونظر إلىّ صاحبي ، ثم قال : سلا ، سلاَ ، فإنَّ المريد لا تَنْقَطِع مَسائله . فلما رآنا لا نَحير جواباً قال : اللهم إن كنت تَعلم أنَّ لك عباداً كلَّما سألوك أعْطيتَهم فحوّل حُزْمتى هذه ذهباً . فرأيناها قُضبانَ ذهب تلتمع . ثم قال : اللهم إن كنتَ تَعلم أن لك عباداً الإخمالُ[٤] أحبّ إليهم من الشّهرة فرُدَّها حطباً . فرجعَت واللهِ حطباً . ثم حملها على رأسه ومضَى فلم نجترِئ أن نَتْبَعه[٥] .

٨١٥ — عابد آخر :

عن عبد السلام بن حرب قال : ذكر الحسن بن حَيّ رجلاً من أهل الشام فذكر عبادته ، فقال له خلف بن حَوشب : فكيف كانت رقَّته ؟ قال : ذهبَت رِقَّته ، أما رأيت[٦] الثَّكلى تَكْمد؟ .

---

(١) بالتصغير . وتوفى داود ٢٣٩ ﻫ .
(٢) ط : لعلنا .
(٣) ط : من .
(٤) عدم الشهرة .
(٥) ط : فلم نجتَر أن نتبعه .
(٦) ب : أما ترى .

٨١٦ — عابد آخر :

بَكْر العابد قال : كان عابدٌ من أهل الشام قد حَمل على نفسه فى العبادة . فقَالت له أُمّه : يابنىّ عملتَ مالم يعمل الناسُ أما تريد أنْ تَهْجَع ؟ فأَقْبَل يُردِّد عليها ويقول : ليتكِ كُنْتَ لِى عقيمًا ، إنَّ ابنيك فى القبر حَبْسًا طويلاً .

٨١٧ — عابد آخر :

أبوبكر الكتَّانى وجماعة مِنَ المشايخ قالوا : كان لأَبى جَعْفر الدِّيَنَورِّى(١) أخٌ يكون بالشام ، وكان لا يقيم فى قرية ولا بمدينة أَكْثَر مِنْ لَيْلَةٍ أو يوم ثم يخرج . فدخل إلى قرية فاعْتلّ فيها سبعة أيام لم يأْكل ولم يشرب ولم يكلِّمه أحد . فمات فأَصبح القوم فى اليوم الثامن فوجدوه ميتًا فَغَسلوه وحنَّطوه وكفَّنوه وصلَّوا عليه ، وحملوه ليدْفِنُوه ، فجاء الناس من كلّ قرية إليهم وقالوا : سمعنا صائحًا يَصيح : مَن أراد أن يحضر جنازةَ ولىّ من أولياءِ الله عزَّ وجل فليحضر قرية كذا وكذا . قال : فصلَّوا عليه ودفَنوه . فلما كان من الغد وجَدُوا الكفن والحَنُوط(٢) مَصرُورًا فى محْرابهم(٣) ومعه كتاب فيه مكتوب : لاحاجة لنا فى كفنكم هذا ، يُقيم بين أظهركم ولىّ من أولياء الله عز وجل سبعة أيام ، لا عُدتُموه ولا علَّلتُموه ولا أطعمْتموه ولا سقيتُموه ولا كلَّمتموه؟ قال الكتَّانى : فجعل أهل تلك القرية فيها بيتًا للضيافة .

ومن عقلاء مجانين الشام

٨١٨ — عابد (٤) :

عبد الواحد بن زيد قال . خَرَجْتُ إلى الشَّام فى طَلَبِ العبَّاد

---

(١) مرت ترجمته فى هذا الجزء برقم ٦٦١ .

(٢) الحنوط (بفتح الحاء) . : ما يجعل على الميت من ذريرة أو مسك أو عنبر وغيره .

(٣) ب : كتابهم (!) .

(٤) التسمية إضافة من عندنا .

فَجَعَلْتُ أَجِدُ الرَّجُلَ بعد الرجل شديدَ الاجتهاد حتّى قال لى رَجُلٌ : قد كان هاهنا رجلٌ من النحو الذى تُريد ، ولكننا فَقدنا من عقله ، فلا ندرى . يُريد أن يحتَجب مِنَ النَّاس بذلك أم هو شئٌ أصابَهُ؟[١] قلت : وما أنْكَرْتُم مِنْه ؟ قال . إذا كلّمه أحَدٌ قال . الوليد وعاتكة ، لايَزيده عليه . قال : قلتُ فكيفَ[٢] لى به؟ قال : هذه مَدرَجته[٣] . فانتظرته فإذا برجل واله ، كريهِ الوجه ، كريه المنظر ، وافرِ الشَّعر ، متغيّر اللون وإذا[٤] الصبيان حوله وخلفَه وهو ساكت يمشى ، وهُم خلفه سكوتٌ يَمْشون وعليه أطمار دَنِسة[٥] . قال : فتقدّمت إليه فسلّمت[٦] عليه ، فالتفتَ إلىّ فردّ علىّ السلام . فقلت : يرحمك الله إنى أُريد أن أُكلّمك . فقال : الوليد وعاتكة . قلت : قد أُخبِرت بقصتك . فقال الوليد وعاتكة .

ثم مضى حتّى دخل المسجد ورجع الصبيان الذين كانوا يَتْبعونه فاعْتَزَل إلى سَارِية فركع فأطال الركوع ثم سجَد . فدنوتُ منه فقلت : رحمك الله ، رجلٌ غريب يريد أن يكلّمك ويسألك عن شئ ، فإن شئتَ فَأَطِلْ وإن شئتَ فَأَقْصِر ، فلستُ ببارح حتى تكلّمنى. قال.[٧] وهو فى سجوده ، يدعو ويتضرّع ، ففهمتُ عنه ، وهو يقول : سِترك سِترك . قال : فأطال السّجود حتى سئمتُ فدنوت منه فلم أسمع له نفسًا ولا حركة . قال : فحرّكته فإذا هو ميّت كأنه قد ماتَ من دهر طويل .

---

(١) قط : أم هو إصابة .
(٢) ط : وكيف .
(٣) طريقه الذى يمشى فيه .
(٤) ط : فإذا .
(٥) ثياب بالية قذرة .
(٦) ط : وسلمت .
(٧) ط : فقال .

قال فخرجتُ إلى صاحبي الذى دلّنى عليه فقلت : تعالَ فانظر إلى الذى زعمتَ أنك أنكرتَ من عقله . وقصصتُ عليه قصّته . قال فهيّأناه ودفنّاه .

ذكر المصطفيات من عابدات الشام

٨١٩ — أم الدرداء :

واعلم أن أمّ الدرداء اثنتان . فالكبرى تُسمَّى خَيْرة بنت أبى حَدْرَد ، زوجة أبى الدرداء ، لها صحبة ورواية عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ويقال إنها ماتت قبل أبى الدرداء . وأم الدرداء الصغرى : اسمها[1] هُجَيمة بنت حُيَىّ الوصابية[2] ، قبيلة من حِمْيَر ، وهى زوجة أبى الدرداء أيضاً . ويقال فيها جُهَيْمة وهىَ التى خَطَبها معاوية بعد موت أبى الدَّرْداء فأَبَت أن تتزوّجه .

قال عبد الرحمن بن أبى حاتم : الكبرى لها صحبة ، ورَوَت عن النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة أحاديث ، والصغرى لا صحبة لها ، روَت عن أبى الدرداء وكِلْتاهما زوجةُ أبى الدرداء .

وقال أبو القاسم الطَّبرى : يَروِى عن الصغرى : اسماعيلُ بن عبد الله بن أبى المهاجر ، وزيد بن أسلم ، وطلحة بن عبد الله بن كُرَيز ، وصفوان بن عبد الله بن صفوان ، وعثمان بن حيّان الدمشقى ، وسالم ابن أبى الجَعْد ، ويونس بن مَيسرة بن حَلْبَس[3] .

قلت : وكان لأبى الدرداء بنت تُسمى الدّرداء ، وليست من هذه ولا من هذه ، بل من امرأة أخرى على ما ذكر محمد بن سعد . وقد

---

(١) ب : يقال لها .

(٢) كذا . وفى تقريب التهذيب (٢/٦٢١) : «الأوصابية» . وقال : «وأما الكبرى فاسمها خيرة ولا رواية لها فى هذه الكتب . والصغرى ثقة فقيهة ... مات سنة [مائة] وإحدى وثمانين» .

(٣) هؤلاء كلهم رووا عن أم الدرداء الصغرى .

أخرج مسلم فى صحيحه من حديث صفوان بن عبد الرحمن قال : قدمتُ الشام فأتيت أبا الدَّرْداء فى منزله فلم أجده ووجدتُ أم الدرداء فقالت : أتريد الحجّ العامَ ؟ فقلت : نعم .قالت : فادعُ لنا بخير فإنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول « دعوةُ المرءِ المسلم لأخيه بظَهر الغيب مستجابةٌ ،عند رأسه مَالكٌ موكَّل كلّما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكّل به : آمين ولك بمثل [١] » . قال : فخرجت إلى السوق فلقيت أبا الدرداء فقال لى مثل ذلك يَرويه [٢] عن النبيّ صلى الله عليه وسلم . أخرجه مسلم فى كتاب الدعاء . وأخرَج متّصلاً به ليدل على أن الحديث من روايتها عن أبى الدرداء ، من حديث طلحة بن عبد الله بن كُريز ، قال : حدثتنى أم الدرداء قالت : حدثنى سيدى ، يعنى أبا الدرداء ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «من دَعا لأخيه بظَهر الغيب قال الملَك الموكَّل به : ولَك بمثل [٣] . قال أبو عبد الله محمد بن أبى نَصر الحميدى : قال أبو بكر البرقانى : وهذه أم الدرداء الصغرى التى روَت هذا الحديث وليس لها صحبة ولا سَماع من النبى صلى الله عايه وسلم ، وإنما هو من مسند أبى الدرداء . فأما أم الدرداء الكبرى فلَها صحبة وليس لها فى الكتابين حديث والله أعلم . قلت : فإذ قد كشفنا عن هاتين الكُنيتَين على ما يوُجبه النظر فى النقل فالأَخْبار التى نُوردُها عن الصغرى [٤] لا عن الكبرى والله أعلم.

عبد الله بن أحْمد قال : حدّثتنى خَديجة أم محمد ، وكانت تجىءُ

---

(١) الحديث صحيح أخرجه مسلم (٨٦/٨) وهو برقم ١٨٨٢ فى مختصر مسلم للمنذرى ، وأخرجه أيضاً الدارقطنى فى العلل بلفظ « لا ترد » .

(٢) ب : برواية .

(٣) الحديث صحيح أخرجه مسلم فى كتاب الدعاء ، باب دعاء المؤمن بظهر الغيب . وأخرجه البزار برجال ثقات .

(٤) الجار والمجرور فى موضع الخبر للمبتدأ « الأخبار » .

إلى أبي تَسْمَعُ مِنْه ويحدّثها ، قالت : حدّثنا إسحاق الأزرق قال : حدثنا المسعودى عن عَون بن عبد الله قال : كنّا نجلس إلى أم الدرداء فنذكر الله عندها فقالوا : لعلّنا قد أمْلَلناكِ قالت : تزعمون أنكم قد أمللتمونى؟ فقد طلبتُ العبادة فى كل شيء فما وجَدت شيئاً أشفى لصدرى ولا أحرى أن أصيب به الذى أريد من مجالس الذِكْر .

عن عون بن عبد الله قال كنا نأتى أم الدرداء فنذكر الله عندها . قال : فاتكأت ذات يوم . فقيل لها لعلّنا أن نكون قد أمْلَلْنَاكِ ياأم الدرداء . فجلست فقالت : زعمتم أنكم قد أمللتُمونى ؟ فقد طلبت العبادة بكلّ شيء فما وجدتُ أشفى لصدرى ولا أحْرى أن أدرك منه ما أريد من مجالسة [أهل] الذكر .

عن إبراهيم بن أبي عبلة قال : قُلت لأُم الدرداء ادعى لنا : قالت أَو بَلغتُ أنا ذلك ؟ .

عن ميمون بن مهران قال : مادخلت على أُم الدرداء فى ساعة صلاة إلا وجدتها مصلّية .

يونس بن ميسرة بن حَلْبَس (١) قال : كنا نحضر أُم الدرداء وتحضرها نساءٌ متعبدات يقمن الليل كلّه حتى إن أقدامهنّ قد انْتَفَخَتْ من طول القيام .

شيخ من بنى تميم قال : حدّثنى هِزّان قال : قالت لى أُم الدرداء : ياهِزّان هل تدرى ما يقول الميت على سريره ؟ فقلت : لا . قالت (٢) : فإنّه يقول (٣) ياأهلاه وياجِيرانان وياحملةَ سَريراه ، لا تغرّنّكم الدنيا كما غرّتْنى ، ولا تَلْعَبن بكم الدنيا كما لعبَت بى فإنّ أهلى لا يَحملون عنّى من وزرى شيئاً ، ولو حاجّونى عند الجبّار لحجّونى (٤) . ثم قالت

(١) بفتح الحاء والباء وسكون اللام . ويونس هذا ثقة عابد من المعمرين مات سنة ١٣٢هـ .
(٢) ط : فقالت . (٣) قط : ينادى . (٤) غلبونى بحجتهم .

أم الدرداء الدنيا أسحر لقلوب العابدين من هاروت وماروت ، وما آثرَها عبدٌ قَطُّ إلا أَضْرَعَتْ خدّه [١] .

عن أبي عمران الأنصارى قال : كنت أَقودُ دابّة أُم الدرداء فيما بين بيت المقدس ودمشق فقالت لى : ياسليمان أسمع الجبال وما وعَدها الله عز وجل [٢] فأرفع صَوتى بهذه الآية « ويومَ نسيّر الجبال »[٣].

سعيد بن عبد العزيز قال : أشرفت أُم الدرداء على وادى جهنم ومعها إسماعيل بن عُبيد الله [٤] فقالت : ياإسماعيل اقرأْ فقرأَ « أَفحَسِبْتُم أَنَّما خَلَقْناكُمَ عَبَثاً وأَنَّكُمْ إلينا لا تُرجَعون [٥] » فخرَّت أُم الدرداء على وجهها وخر إسماعيل على وجهه فما رفَعا رؤُوسَهما حتى ابتلّ ما تحتَ وجوههما من دموعهما .

عن خالد بن ذكوان قال : أخبرتنى أُمىّ أن ابنةً لأبى الدرداء توفيت فصلّت عليها أُم الدرداء ثم رجعت فدعت بالمِجْمَر [٦] فوضعته تحت ثيابها ثم ناولَتْنِيه .

وقال يحيى بن معين : ماتت الدرداءُ قبل أُم الدرداء ، فلما دفَنْتها قالت : اذهبِى إلى رّبك وأَذهبُ إلى ربى . فدخلَت المسجد .

عن ميمون بن مهران قال : خَطَبَ مُعاوية أُم الدرداء فأَبَتْ أَن تَزوَّجه وقالت سمعت أَبا الدرداءِ يقول : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم « المرأة فى آخر أَزواجها » أَو قال « لآخر أَزواجها »[٧] وكما قال[٨] ولست أُريد بأَبى الدرداء بدلاً .

---

(١) جعلته ذليلا . (٢) ما وعدها الله تعالى .

(٣) الكهف : ٤٧ . (٤) قط : عبد الله . (٥) المؤمنون : ١١٥ .

(٦) ما يجعل فيه الجمر .

(٧) الحديث ضعيف أخرجه الطبرانى فى الأوسط عن أبى الدرداء والخطيب فى تاريخ بغداد عن عائشة . (٨) ق : قالت . صوابه ما أثبتناه من ط .

عن شَهْر بن حَوْشب ، عن أُم الدرداء قالت : إنّما الوجَل فى قلب ابن آدم كَاحْتِراق السَّعَفة [١] ، أَما تجد لها قُشَعريرة ؟ قال : بلى : قالت : فادعُ الله إذا وجدتَ ذلك ، فإن الدعاء يُسْتَجَاب عند ذلك .

٨٢٠ — عثــامة [٢] :

عن محمد بن سليمان أن عَثّامة كُفَّ بصرها . وكانت متعبّدة .

قال الجرَوىُّ : حدثنا عمرو بن أَبى سلمة عن سعيد بن عبد العزيز قال : ما نعلم أَحدًا أَحنثَ فى مَشْىٍ فمشَى إلاَّ عثامة فإنّها حنثَت فمشت إلى مكة فأَنفقَت خمسمائة دينار .

محمد بن سليمان بن بلال بن أَبى الدرداء أن أُمّه عثامة كُفَّ بصرها فدخل عليها ابنها يومًا وقد صلَّى . فقالت : أَصلّيتُم أَىْ بنّى ؟ قال نعم . فقالت :

عَثّامَ مالَكِ لاهِيَهْ [٣] حلّت بدارك داهِيَهْ
ابكِى الصَّلاة لِوَقْتها إنْ كنِت يَوماً باكيَه
وابكِى القُران [٤] إذا تُلِى قَدْ كنت يوماً تاليَهْ
تَتْلِينــه بِتفكّرٍ ودموع عينكِ جاريهْ
فاليوم لا تتلينه إلا وعندك تاليهْ
لهَفِى عليكِ صَبــابةً ما عشتِ طول حياتِيَهْ

٨٢١ — ام البنين بنت عبد العزيز بن مروان اخت عمر :

عن على بن أَبِى جُملة قال : سمعت أُمّ البنين ابنةَ عبد العزيز بن مروان تقول : أفٌّ للبخل ، لو كان قميصاً مالبستُه ، ولو كان طريقاً ماسلكتُه .

---

(١) ورقة النخل وأكثر ما يقال إذا كانت يابسة . ج : سعف (بفتحتين) .
(٢) بفتح العين وتشديد الثاء . (٣) قط : ساهية .
(٤) أى : القرآن ، خففت همزته بسبب الوزن .

سعيد بن مَسلمة بن هشام الأُموى قال : كانت أُمّ البنين ابنةُ عبد العزيز بن مروان تَبْعث إلى نِسَائها فيجْتَمِعْن ويتحدّثن عندها وهى قائمة تصلّى . ثم تنصرف إليهن فتقول : أحبّ حديثكم فإذا قمتُ فى صلاتى لَهَوْتُ عنكنّ ونسيتكنّ . قال : وكانت تَكسُوهنّ الثياب الحسنة وتُعْطِيهنّ الدّنانير وتقول : الكسوة لكُنّ والدنانير اقسِمْنَها بين فقرائكُنّ . وكانت تقول : جُعل لكل قوم نَهمةٌ فى [1] شىء ، وجعلت نهمتى فى البذْل والإعطاء ، والله لَلصّلةُ والمواساةُ أَحبّ إلىّ من الطعام الطيّب على الجوع ، ومن الشراب البارد على الظمإ . وكانت تقول : وهل يُنال الخير إلاّ باصطناعه ؟ وكانت تقول : ما حسدت أَحدًا قطّ على شىء ، إلاّ أَنْ يكون ذا معروف فإنّى كُنْتُ أُحِبُّ أَن أَشركه فى ذلك .

أحمد بن سهل قال : حَدَّثنى مَنْصور ، مَوْلى بنى أُمية ، قال : كانت أُمُّ البنين تُعتق فى كل جُمعة رقبةً ، وتَحْمل على فرس فى سبيل الله عزَّ وجل .

قال محمد : وحدثنى يوسف بن الحكم قال حدثنى مروان بن محمد بن عبد الملك بن مروان قال : دخلَت عزّة على أُمّ البنين . فقالت لها : يقول[2] كثير :

قَضَى كلّ ذى دَيْن علمتُ غَرِيمه ... وعزَّةُ مَمطولٌ مُعنًّى غَرِيمُها

ما كان هذا الدَّين ياعزة ؟ فاستَحْيَت . فقالت : علىّ ذلك . قالت : كنت وعدْته قُبْلة فتحرّجْت منها . فقالت أمّ البنين أنجزِيها له وإثْمُها علىّ[3] .

(١) النهمة : (بفتح النون وسكون الهاء) : الشهوة والرغبة .

(٢) ط : ما يقول .

(٣) الخبر فى الشعر والشعراء (٢/٥١٠ ط ٢) . وأم البنين هى بنت عبد العزيز بن مروان .

قال محمد : وقال لى يوسف بن الحكَم : حدثنى رجل من بنى أمية يكنى أبا سعيد قال : بلغنى أن أمّ البنين أعتقت لكلمتها هذه أربعين رَقَبةً وكانت إذا ذكرتها بكت وقالت : ليتنى خرِستُ ولم أتكلم بها .

قال يوسف : وحدثنى سعيد بن مسلمة بن هشام بن عبد الملك قال : حدثتنى امرأة من أهلى قالت : سمعت أم البنين تقول : ما تَحَلّى المُتَحَلّون بشىء أحسن عليهم من عِظم مَهابة الله فى صُدورهم .

٨٢٢ — عبدة اخت ابى سليمان الداراني :

أبو سليمان قال : وَصفتُ لأُختى عَبْدة قنطرةً من قناطر جهنم ، فأقامت يوماً وليلةً فى صيحة واحدة ما تسكت . ثم انقطع عنها بعدُ . فكلما ذُكِرت لها صاحَت . قلتُ : من أىّ شىء كان صِياحُها ؟ قال : مثّلت نفسَها على القنطرة وهى تُكَفأ بها (١) .

وقد روى أحمد بن الحَوارِىّ عن أبى سليمان أنه قال : سمعت أختى تقول : الفقراءُ كلّهم أموات إلا مَن أحياه الله تعالى بعزّ القناعة والرّضا بفقره .

وذكر أبوعبد الرحمن السُلَمى أنه كان لأبى سليمان أختان(٢) : عَبدَة وآمِنَة(٣) قال : وكانتا من العقل والدين بمحلٍّ عظيم .

٨٢٣ — رابعة بنت اسماعيل زوجة احمد بن ابى الحوارى :

كذا نسَبها أبوبكر بن أبى الدنيا . وقد ذكر أبوعبد الرحمن السُلَمي أن رابعة العدوية تُشارك هذه فى اسمها واسم أبيها وعُموم مايأتى فى الحديث عن زَوْجة أحمد أنها رابعة بالباء ، والعدَوِيّة بَصرية وهذه شامية .

---

(١) كفأ الشىء : قلبه وكبه .

(٢) ق : أختين . وهى صواب فى ط .

(٣) قط : وأمية .

وقد أخبرنا[١] ابن ناصر قال : أنبأ أبوالغنائم بن النَّرْسي[٢] قال : رابعة بالباء بنقطة من تحتها بصريّة ، ورابعة بالياء باثنتين من تحتها شامية .

أحمد بن أبي الحَوارِيّ قال : قلت لرابعة ، وهي امرأتي وقد قامت بليلٍ : قد رأينا أبا سليمان وتعبّدنا معه ، ما رأينا مَن يقوم من أول الليل . فقالت : سبحان الله مِثْلك يتكلّم بهذا ؟. إنما أقوم إذا نُوديت . قال : وجلست آكل وجعلَت تذكّرني . فقلت لها : دَعينا يَهنينا طعامُنا . قالت : ليس أنا وأنت ممن يَتَنغّص عليه الطعام عند ذِكر الآخرة .

أحمد بن أبي الحَوارِيّ قال : قالت لي رابعة : أيْ أخي أعَلِمتَ أن العبد إذا عمل بطاعة الله أطلعه الجبّار على مساوىء عمله فيَتَشاغَل به دون خَلْقه ؟ .

عن أحمد بن أبي الحَوارِيّ قال : كانت لرابعة أحوالٌ شتى فمرّةً يغلب عليها الحبّ ، ومرةً يغلب عليها الأُنس ، ومرة يغلب عليها الخوف فسمعتُها تقول في حال الحبّ :

حَبيبٌ ليس يَعْدِلُه حَبيبُ ... ولا لِسواهُ في قَلبي نَصيبُ
حَبيبٌ غاب عن بصَري وشَخصي ... ولكن عن فؤادي ما يَغيبُ

وسمعتُها في حال الأُنس تقول :

ولقد جعلتُك في الفؤاد محدّثي ... وأبحْتُ جسْمي مَن أرادَ جُلوسي

---

(١) قط : أنباء .

(٢) قط : الفوسي . تحريف . والنرسي : نسبة إلى النرس (بفتح النون وسكون الراء) : بلدة بالعراق منها الثياب النرسية .

فالجسمُ منى لِلْجَليس مُؤانِسٌ وحَبيبُ قَلْبى فى الفؤاد أنيسي

وسمعتُها فى حال الخوف تقول :

وَزَادى قليلٌ ما أراه مُبلِّغى أَلِلزّاد أبكى أم لِطُول مَسافتى؟

أَتحرقنى بالنار يا غايةَ المُنى فأين رَجائى فيك؟أين محبّتى[1]؟

أحمد بن أبى الحَوراىّ قال : سمعت رابعة تقول : إنّى لأَضِنّ باللُّقمة الطيبة أن أطعمها نفسى ، وإنى لأرى ذراعى قد سَمِنَ فأحزن. قال : وربّما قلت لها : أصائمةٌ أنتِ اليوم ؟ فتقول : ما مثلى يُفطر فى الدنيا . قال : وربّما نظرت إلى وجهها ورَقبتها فيتحرّك قلبى على رؤيتها مالا يتحرّك مع مذاكراتى أصحابنا من أثر العبادة . وقالت لى : لست أحبك حُبّ الأزواج إنما أحبك حبّ الإخوان ، وإنما رغبت فيك رغبةً فى خِدْمتك ، وإنما كنت أُحِبّ وأتمنى أن يأكل [مِلْكِى و] مالى مِثْلُك ومثلُ إخوانك .

قال أحمد : وكانت لها سبعة آلاف درهم فأَنْفَقْتها علىّ . فكانت إذا طبخت قِدْرًا قالت : كُلْها ياسيّدى فما نضِجت إلا بالتّسْبيح . وقالت لى : لست أَستَحِلّ أن أمنعَك نفسى وغيرى ، اذهبْ فتزوّج . قال : فتزوّجتُ ثلاثًا ، وكانت تُطعِمُنى اللحم وتقول : اذهب بقوّتك إلى أهلك . وكنت إذا أردتُ جِماعها نهارًا قالت : أسألك بالله لاتُفطِّرنى اليوم ، وإذا أردتُها بالليل قالت : أسألك بالله لما وهبتَنى لله الليلةَ .

أحمد بن أبى الحَوارِىّ قال : سَمِعْتُ رابعةَ تقول : ما سَمِعْتُ الأذان إلّا ذكرتُ مُنادىَ القيامة ، ولا رأيْت الثّلج إلّا رأيْت تَطايُر الصّحف ، ولا رأيت جَرادًا إلّا ذَكرتُ الحَشر .

---

(١) قط : مخافتى .

أحمد بن أبي الحَوارِيّ قال : قالت لنا رابعة نَحُّوا عنّي ذلك الطَّسْت (١) ، فإنَّما عليه مكتوب : مات أمير المؤمنين هارون الرشيد . قال أحمد : فنظروا(٢) فإذا هو مات ذلك اليومَ .

أحمد بن أبي الحَوارِيّ قال : سمعت رابعةَ تقول : ربَّما رأيت الجنّ يذهبون ويَجيئون ، وربما رأيت الحُور العِينَ يستَتِرْنَ منّي بأكمامهنّ . وقالَت(٣) بيدها على رأسها .

قال أحمد : ودعوت رابعةَ فلم تُجبني . فلما كان بعد ساعةٍ أجابتني وقالت : إنَّما مَنعني من أن أجيبك أن قلبي قد كان امتلأ فرحًا بالله ، فلم أقدِر أن أُجيبك .

٨٢٤ — ام هارون :

عبد العزيز بن عمير قال : قالت أُم هارون ، وكانت من الخائفين العابدين : قد أنزلتُ الدنيا منزلَتها . وكانت تأكل الخبز وحده . قالت : بأبي الليلُ ما أطيبه ، إنّي لاغتمّ(٤) بالنّهار حتى يجيء الليل ، فإذا جاءَ الليْلُ قُمتُ أوَّلَه ، فإذَا جاءَ السَّحَر دَخَلَ الرّوح قَلْبي .

قال أحْمد بن أبي الحَواريّ : وخَرَجَتْ أمُّ هارون مِنْ قَرْيَتها تُريدُ مَوْضِعَهَا . فصاحَ صبيّ بصبيّ خذوه . فسقطتْ أمُّ هارون فَوَقَعَتْ على حَجَرٍ فدَميَت ، فظَهر الدم من مِقنَعتها(٥) .

---

(١) الطست (بفتح فسكون السين) : إناء من نحاس لغسل اليد ، مؤنثة أعجمية . إلا أن المؤلف أشار إليها بالمذكر . ط : الطشت ، بالشين ، وقد حكى ذلك أيضاً ، كما قيل « الطس » فتكون التاء مبدلة من السين .

(٢) قط : فنظرت .

(٣) أشارت وحركت يدها .

(٤) قط : أهتم .

(٥) المقنعة ، والمقنع : (بكسرهما) : ما تستر به المرأة رأسها وتغطيه .

قال : وقال أبوسليمان : من أراد أن ينظر إلى صَعْقٍ[١] صحيح فلينظر إلى أمّ هارون . وقال أبوسليمان : ماكنت أرى أنه يكون بالشام مثلها .

قال أحمد بن أبي الحَوارِيّ : وقالت لى رابعة : ما دهَنت أمّ هارون رَأسِها مُنْذُ عِشرين سنة . فإذا كشَفْنا رؤوسنا كان شعرها أحسنَ من شعورنا .

وبالإسناد قال أبوبكر القرشي : وبلغني عن القاسم الجُوعى قال : مرضَتِ أمّ هارون فأتينا نعودها أنا وصاحِبٌ لى ، فدخلنا عليها وهى على طَرف الدّرجَة فسألناها عن حالها . فقلت لها : أمّ هارون أيكون من العبّاد مَن يَشْغَله خوفُ النيران عن الشّوْقِ إلى الجِنان ؟ فقالت : آه وَسَقَطَتْ عن الدَّرجة مغشيًا عليها . قال قاسم : وكانت أمّ هارون تأتى بيت المقدس من دمشق كلّ شهر مرة على رجليها . فدخلتُ عليها فقالت : ياقاسم كُنْتُ أَمْشى ببَيْسان[٢] فإذا قد عَرَض لى هذه الكابُ الأَسدُ فمشَى نَحوِى . فلما قَرُبَ مِنّى نَظَرْتُ إليه فَقُلْتُ : تعالَ ياكلب ، إن كان لك رِزْقٌ فكُلْ . فلمّا سمع كلامى أقعىٰ ثم ولىّ راجعًا .

أحمد بن أبي الحَوارِيّ قال : قلت لأُمّ هارون : أتحبِّين الموْت ؟ قالت : لا . قلت : ولِمَ ؟ قالت : لو عصيتُ آدميًا ما أحببتُ لقاءه ، فكيف أحبّ لقاء الله وقد عَصَيتُه .

---

(١) صعق الرجل (بكسر العين وفتح الصاد) صعقاً (بفتح الصاد وسكون العين أو فتحها) : غشى عليه أو ذهب عقله من صوت يسمعه .

(٢) بيسان (بفتح فسكون) : قرية فى فلسطين جنوبى طبرية .

٨٢٥ — ثويبة بنت بهلول (١) :

ابن أَبى الحَوارِىّ قال : سمعت ثُوَيبة بنت بُهاول . وكانت زاهدةَ دمشق ، تقول قُرَّةَ عَينِى ماطابت الدنيا والآخرة إلَّا بك فلا تجمع علىّ فقدَك والعذابَ .

٨٢٦ — حمادة(٢) الصوفية :

علىّ(٣) بن أَبِى الحُرّ قال : دخلت أَنا وخُشَيش الموصلى من باب الجابية وفى يدى كتابٌ جاءَنى من حمادة الصّوفية . فَقَرأْت فيه : أَبلِغْ كلَّ مخزونٍ بالشام عَنِّى السّلام . فانتحب خُشيش على رؤُوس الناس .

٨٢٧ — البيضاء بنت المفضل :

أَحْمد بن أَبى الحوارىّ قال : سمعت أَسماء الرملية ، وكانت من العابدات ، تقول : سأَلت البيضاء بنت المفضَّل . فقلت : يا أُختى هل للمحبّ لله دلائلُ يُعرَف بها ؟ قالت : يا أُختى والمحبُّ للسيد يخفى ؟ لو جهدَ المحبّ للسيد أَن يخفى ما خَفِىَ . قلت : صِفيه لى . قالت : لورأَيت المحبّ لله عز وجل لرأَيتِ عجبًا عجيبًا من والهٍ ما يقرّ على الأَرض ، طائر مُسْتَوْحش أُنسُه فى الوحدة ، قد مُنع الراحةَ ، طعامُه الحُبّ عند الجوع ، وشُربه الحُبّ عِنْد الظمأ ، لايمل من طُول الخدمة لله تعالى .

٨٢٨ — آمنة الرملية :

جعفر بن محمد ، صاحب بشر ، قال : اعتلّ بشر بن الحارث فعادتَه آمنة الرملية من الرّملة(٤) . فإنها لَعِندَه إذْ دخل أَحمد بن حنبل

---

(١) ثويبة : بضم الثاء وفتح الواو . وبهلول : بضم الباء . ق : توينة . والتصويب من ط .
(٢) حمادة : بفتح الحاء وتشديد الميم .
(٣) ق : «أحمد» بدل «على» وأثبت ما فى ط .
(٤) مدينة مشهورة فى فلسطين .

يعوده . فقال : من هذه ؟ فقال هذه آمنة الرملية . بلغها علّتى فجاءت من الرّملة تعودنى . قال : فَسْلها تَدعُو لنا . فقالت : اللهم إن بِشْر بن الحارث وأحمد بن حنبل يستجيرانك من النار فأَجِرْهما . قال أحمد : فانصرفْتُ فلما كان من الليل طُرِحَت إلىّ رقعةٌ مكتوبٌ فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم
«قد فَعلْنا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ»

ذكر المصطفيات من عابدات الشام المجهولات الأسماء

٨٢٩ — مولاة لأبى أمامة ـ شامية (١) :

عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال : حدّثتنى مولاة أبى أمامة قالت : كان أبوأمامة يحب الصّدقة ويجمع لها ، ولا يردّ سائلاً ولو ببيضة ، ولو بتمرة أوبشىء مما يؤكل . فأتاه سائل ذات يوم وقد أَقْفَرَ من ذلك كلّه وما عنده إلّا ثلاثة دنانير . فسأله فأعطاه دينارًا . [ثم أتاه سائل فأعطاه دينارًا . ثم أتاه سائل فأعطاه دينارًا] . قالت : فغضبتُ وقلت : لم تترك لنا شيئًا . قالت : فوضَع رأسه للقائِلة(٢) . قالت : فلما نُودِىَ الظُّهر أيقظتُه فتوضّأَ ثم راح إلى مَسجده . قالت : فرقَقتُ عليه وكان صائمًا ، فاقْتَرَضْتُ ماجعلت له عَشاءً وسَرَجْتُ له سِراجًا وجئت إلى فراشه لأُمهِّد له فإذا بذَهَبٍ فعددتُها فإذا ثلثمائة دينار . قالت قلت : ماصَنع الذى صَنع إلّا ولقد وَثِق بما خلّف. فأَقبل بعد العِشاءِ فلما رأى المائدة والسّراج تبسّم وقال : هذا خيرٌ من غيره . قالت : فقمت على رأسه حتى تعشّى . فقلت : رحمك الله خلّفت هذه النفقة فى سبيل مَضْيعةٍ ولم تُخبرنى فأَرفعَها ؟ قال : وأىّ نفقة؟

(١) ق : الشامية ، وأثبت ما فى ط .
(٢) نوم القيلولة .

ما خلَّفت شيئًا . قالت : فرفعتُ الفراش فلمّا أن رآه فَرح واشتدّ تعجبه . قالت : فقمت فقطَعت زنّاري وأسلمت . قال ابن جابر : فأدْرَكتها فى مسجد حمص وهى تُعلِّم النِّساءَ القرآن والسُّنن والفرائض وتُفقِّههنّ فى الدِّين .

٨٣٠ — عابدة اخرى :

أحمد بن أبِي الحَوارىّ يقول : بينا أنا ذات يَوْم فى بلادِ الشّام فى قُبَّة مِنْ قُباب المقابر ليس عليها باب ، إلّا كساءٌ قد أسبلته . فإذا أنا بامرأة تدقّ الحائط ، فقلتُ : مَن هذا ؟ قالت : امرأة ضالَّة ، دُلَّنى على الطريق رحمك الله . قالت : عن أىّ الطريق تَسْألين ؟ فبكت ثم قالت : عن طريق النجاة . قلت هيهات ، إن بيننا وبين طريق النجاة عقابًا[1] وتلك العقاب لا تنقطع إلّا بالسير الحثيث ، وتَصحيح المعاملة ، وحَذف العلائق الشاغلة من أمر الدنيا والآخرة. قال : فبكَت بكاءً شديدًا ثم قالت : يا أحمد سبحان من أمْسكَ عليك جَوَارحك فلم تنقطع ، وحفظَ عليك فُؤادك فلم يتصدّع . ثم خرّت مَغْشيًا عليها . فقلت لبعض النساءِ : انظُرن أىُّ شىءٍ حال هذه الجارية ؟ فقُمن إليها ففتَّشنها فإذا وصيّتها فى جَيبها : كفّنونى فى أثوابى هذه فإنْ كان لى عند الله خَير فهو أسعَد لِي ، وإن كان غير ذلك فبُعدًا لنفسى . وحرّكوها فإذا هى ميتة . فقلت : لمن هذه الجارية ؟ قالوا جارية قُرَشّية كانت تشكو إلينا وجعًا بجَوفها فكنّا نَصِفها لمتَطَبّبى الشام ، فكانت تقول : خَلُّوا بينى وبين الطبيب الراهب ، تعنى أحمد بن أبِي الحَوارىّ ، أشكو إليه بعض ما أجد من بلائى ، لعله يكون عنده شِفائى .

---

(١) أى عقبات ومشقات . ج : عقبة .

٨٣١ — عابدة أخرى :

محمد بن سعد التيمي قال : رأيت جاريةً سوداء فى بعض مدن الشام وبيدها خُوصٌ تَسفُّه(١) ، وهى تقول مع سَفِّها :

لكَ عِلْمٌ بما يُجنّ فؤادِي فارحَم اليومَ ذِلَّتى وانفِرادي

فقلت : ياسوداء ماعلامة المحبّ ؟ فإذا رجلٌ قد صُرع بالقرب منها . فنظَرت إلىّ وإلى الرجل وقالت : يا بَطَّال ، علامة المحبّ الصادق لله فى حبه أن يقول لهذا المجنون قُم فيقوم . فإذا الرجل قد قام وإذا الجنيّة تقول لها على لسانه : وحَقّ صدق حُبّك لربك لارجعتُ إليه أبَدًا .

انتهى ذكر أهل الشام بحمد الله ومنّه(٢) .

ومن المصطفين من أهل عسقلان(٣)

٨٣٢ — آدم بن أبى اياس العسقلانى (٤) :

واسم أبى إياس ناهيَة . وقال البخارى : هو آدم بن عبد الرحمن ابن محمد . ويكنى أبا الحسن ، مُولًى . أَصله من خراسان ومَنْشَؤه ببغداد وبها طلَب العلم ، وكتب عن شيوخها ثم رحل إلى الكوفة والبصرة والحجاز والشام واسْتَوْطن عَسقلان فعرف بالعَسقلانى ، وكان من الصالحين متمسّكًا بالسُّنّة .

أَبو على المقدسى قال : لما حضَرت آدمَ بنَ أَبى إياسٍ الوفاةُ ختم القرآن وهو مُسَجًّى . ثم قال : بحبِّ لك إلَّا رفقتَ بى فى هذا المصرع كنتُ آمُلك لهذا اليوم كنت أَرجوك . ثم قال : لاإله إلا الله . ثم قَضَى [نحبه] .

---

(١) تنسجه . والخوص : ورق النخل . ج : خوصة .

(٢) الكلمات الثلاث ليست فى ط .

(٣) من أعمال فلسطين ، على ساحل البحر ، بين غزة وبيت جبرين .

(٤) العسقلانى : ليست فى ط .

أسند آدم عن شعبة والليث بن سعد وخلقٍ كثيرٍ ، وتوفى سنة عشرين ومائتين .

ذكر المصطفين من اهل مصر

٨٣٣ ــ حيوة بن شريح ، ابو يزيد التجيبى :

وقال أبو زُرْعة : سَمع من عقبة بن مسلم ، ورَوى عنه الليث .

خالد بن الفزر قال : كان حَيْوة بن شُرَيح دعّاءً ، من البكّائين ، وكان ضَيّق الحال جدًا . فجلستُ إليه ذات يوم وهو مُتَخلٍّ وَحْدَه يدعو . فقلت : رحمك الله لو دعوتَ الله عز وجل فوسّع عليك فى مَعيشَتِك . قال : فالتفتَ يمينًا وشمالاً فلم يَر أَحدًا فأَخذ حَصَاةً من الأَرض فقال : اللهم اجعلها ذهبًا . قال : فإذا هىَ والله تبْرَة[1] فى كفِّه ، ما رأيت أحسن منها . قال : فرمى بها إلىّ وقال : ما خَيرٌ فى الدنيا إلّا الآخرة . ثم التفت إلىّ فقال : هو أعلم بما يُصلح عبادَه . فقلت : ما أَصنع بهذه ؟ قال : اسْتَنفِقْها . فهبْتُه والله أن أُرادَّه[2] .

٨٣٤ ــ سليم (٣) ابن عتر :

عن الحارث بن يزيد أن سُلَيم بن عِتْرٍ كان يقرأ القرآن كلّ ليلةٍ ثلاث مرّات .

٨٣٥ ــ الليث بن سعد يكنى ابا الحارث ، مولى لقيس :

ولد سنة ثلاثٍ وتسعين ، واستقل بالفَتوى والكرَم بمصر .

أَبو صالح قال : كنا على باب مالك بن أنس فامتَنعْ علينا . فقلنا : ليس يُشبه صَاحِبَنا قال : فسمع مالك كلامَنا فأَدخلنا عليه

---

(١) قطعة ذهبية . (٢) راده الشىء (بتشديد الدال) مرادة : رده عليه . وراده فى القول : راجعه إياه . (٣) قط : سليمان (!) تحريف . وفى القاموس المحيط : «سليم (بالتصغير) بن عتر التجيبى قاضى مصر» .

فقال لنا : مَن صَاحبكم؟ فقلنا : الليث بن سعد . فقال : تُشبِّهونى برجلٍ كَتبنا إليه فى قليل عُصفُرٍ نَصْبغ به ثيابَ صبيانِنا وثيابَ جيراننا فأَنفذَ إلينا ما صَبغْنا به ثيابَنا وثيابَ صبياننا وثيابَ جيراننا وبعْنا الفَضْلة بأَلف دينار ؟

محمد بن موسى الصّائغ قال : سمعت منصور بن عمار يقول : تكلمت فى جامع مصر يومًا فإذا رجلان قد وقَفا على الحلَقة فقالا : أجب اللَّيث . فدخلت عليه فقال : أَنت المتكلِّم فى المسجد ؟ قلت : نعم : قال رُدَّ علىّ الكلامَ الذى تكلَّمتَ(١) به . فأَخذتُ فى ذالك المجلس بعينه . فرقَّ وبكى حتى رحمتُه . ثم قال : ما اسمك؟ قلتُ منصور . قال : ابن مَن؟ قلت : ابن عمَّار . قال : أَنت أَبوالسَّرىّ ؟ قلت : نعم . قال : الحمد لله الذى لم يُمتْنى حتى رأَيتك . ثم قال : ياجارية . فجاءَت فوقَفَت بين يديه فقال لها : جيئى بكيس كذا وكذا . فجاءَت بكيسٍ فيه أَلف دينار فقال : يا أَبا السرِّىّ خذ هذا إليك وصُنْ هذا الكلام أَن تَقِف به على أَبواب السَّلاطين ، ولا تَمْدَحنّ أَحدًا من المخلوقين بعد مدْحَتِك لربّ العالمين ، ولك علىّ فى كل سنة مِثلها . فقلت : رحمك الله إن الله قد أَحسنَ إلىّ وأَنعمَ . قال : لاتردّ علىّ شيئًا أَصِلُك به ، فَقَبَضْتُها وخرجت . قال : لاتُبطىء علىّ . فلما كان فى الجمعة الثانية أَتيته فقال لى : اذكُر شيئًا فتكلَّمت . فبكَا وكثُر بكاؤه فلما أَردت أَن أَقوم قال : انظُر ما فى ثِنْيِ هذه الوسادة وإذا خمسمائة دينار . فقلت : عَهدى بصِلَتك بالأَمس(٢) . قال : لا تردَّنَّ علىّ شيئًا أَصِلُك به . متى رأَيتك ؟ قلت : الجُمعة الداخلة .

(١) طلب منه إعادة الحديث الذى تكلم به فى جامع مصر .

(٢) أى قريب .

قال : كأنك فَتَتَّ عضواً من أعضائى . فلما كانت الجُمعة الداخلة أتيته مُوَدِّعًا فقال لى : خذ فى شيءٍ[١] أَذكُرك به . فتكلَّمت فبكا وكثُر بكاؤه . ثم قال لى يامنصور انظُر ما فى ثِنْىِ الوسادة . فإذا ثلثمائة دينار قد أعدَّها للحج . ثم قال : ياجارية هاتى ثيابَ إحرام منصورٍ . فجاءت بإزارٍ فيه أربعون ثوبًا . قلت : رحمك الله أكتفِى بثوبين . فقال لى : أنت رجل كريم ويَصحبك قومٌ فأَعطِهم . وقال للجارية التى تحمل الثياب معه : وهذه الجارية لك .

سليم بن منصور قال : سمعت أبى يقول : دخلت على الليث بن سعد يوماً فإذا على رأسه خادِم . فغمَزه فخرج . ثم ضرب الليث بيده إلى مُصَلاَّه فاستخرجَ من تحته كيساً فيه ألف دينار ، ثم رَمى بها إلىّ . ثم قال : يا أَبا السّرىّ لا تُعلِم ابنى فتَهون عليه .

الحسن بن عبد العزيز قال : قال لى الحارث بن مسكين اشتَرى قوم من الليث بن سعد ثمرةً فاستغلَوْها[٢] فاستَقَالوه فأَقالهم . ثم دعا بخريطةٍ [٣] فيها أَكياسٌ فأَمر لهم بخمسين ديناراً ، فقال له الحارث ابنُه فى ذلك ، فقال : اللهلم غُفْرًا إنهم كانوا قد أَمّلُوا فيها[٤] أملاً فأَحببت أن أُعوّضهم عن أملهم بهذا .

سعيدٌ الآدمُ قال مَرَرْت بالليث بن سعد فتنحنَح لى فرجعتُ إليه ، فقال لى ياسعيد خُذ هذا الفُنْداق [٥] ، (فاكتب لى

(١) أى باشر وابدأ بما تريد من الموعظة والكلام .

(٢) قط : فاستقلوها .

(٣) وعاء من أدم وغيره يشرج على مافيه أى يشد ويجمع .

(٤) قط : فى ذلك .

(٥) الفنداق (بضم الفاء وسكون النون) : صحيفة الحساب . ج فناديق . ط : القيذاق ، تحريف . وكذا فى موضعها التالى .

فيه مَن يلزم المسجدَ ممن لا بضاعة له ولا غَلّة . قال : فقلت : جَزاك الله خيراً يا أبا الحارث . وأخذت منه الفُنداق ثم صِرُتُ إلى المنزل ، فلما صلّيت أوقدتُ السِّراج وكتبت بسم الله الرحمن الرحيم . ثم قلت : فلان بن فلان . ثم قلت : فلان . فبينا أنا على ذلك إذْ أتانى آتٍ فقال : ها الله[1] ياسعيد تأْتى إلى قوم عامَلوا الله عز وجل سِرّاً فتكَشِفُهم لآدمّى؟ مات الليث ومات شُعيب بن الليث ، أليس مَرجِعهم إلى الله الذى عامَلوه ؟ قال فقمتُ ولم أكتب شيئًا . فلما أصبحت أتيت الليث ابن سعد ـ [2]) فلما رآنى تَهَلّل وجهه فناولته الفنداق فنشَره فأصاب فيه [3] بسم الله الرحمن الرحيم . ثم ذهبَ ينشره[4] . فقلت له : ما فيه غير ما كتبت فقال لى : ياسعيد وما الخَبر ؟ فأخبرته بصدق عما كان . فصاح صيحةً ، فاجتَمَعَ عليه الخَلقْ فقالوا : يا أبا الحارث أليس خيراً ؟ فقال : ليس إلّا خيرٌ . ثم أقبل علىّ فقال : ياسعيد تَبَيَّنتَها[5] وحُرِمتُها صَدقت ـ مات الليث أليس مَرجِعُهم إلى الله ؟

قال علىّ بن محمد : سمعت مِقدام بن داود يقول : سعيدٌ الآدَم هذا يقال إنّه من الأَبدال ، وقد كان رآه مِقدامٌ .

عبد الملك بن يحيى بن بكير قال : سمعت أبى يقول : وصَل الليثُ بنُ سعد ثلاثةَ أنفس بثلاثة آلاف دينار : احترقت دارُ ابن لهيعَة فبعث إليه بألف دينار ، وحَجّ فأَهدَى إليه مالك بن أنس رُطَباً

---

(١) ط : والله .

(٢) سقط ما بين القوسين من ب وألحقها بالهامش بلفظ (فقال لى خذ هذا القيذاق (كذا) وأحص إلى فيه المنقطعين بالمسجد . فأخذته وجئت إليهم فوجدت فى المسجد جماعة فقلت : هاتوا أسماءكم لتجرى عليهم النفقة ... الليث بن سعد فقالوا : لا سبيل إلى هذا ... مات) وبعده محو .

(٣) وجد .

(٤) يفتحه .

(٥) ط : بينتها .

على طَبقٍ فردٌ إليه على الطبق ألفَ دينار ، ووصَل منصورُ بن عمّار بألف دينار ، وقال : لا يَسمُع بهذا ابنى فتَهُون عليه . فبلغ ذلك شُعيب ابن الليث فوصَله بألف دينار إلاّ ديناراً ، وقال : إنما نقصتُك هذا الدينار لئلا أُساوِى الشيخَ فى الْعَطِيّة .

محمد بن رُمح قال : كان دخْلُ الليث بن سعد فى كل سنة ثمانين ألف دينارٍ وما وجَب لله تعالى عليه زكاةٌ قَطّ .

سليم بن منصور قال : سمعت أبي يقول: كان الليث بن سعدَ يسْتغِل فى كل سنة خمسين ألف دينار فيَحُول عليه الحَوْل وعليه دَيْن .

أَسند الليث عن خلق كثير من التابعين كعَطاء ، ونافع ، وأبى الزّبير ، والزُهْرىّ . وقيل إنه أدْرك نيّفاً وخمسين تابعياً .

وَتُوفّى يوم الجمعة لأربع عشرة ليلةً بقيت من شَعْبان من سنة خمس وسبعين ومائة ودفن بعدَ الجُمعة .

٨٣٦ — المفضل بن فضالة القتبانى (١) :

وقِتْبان من اليمن . قاضى مصر سمع عقيل بن خالد ـ كذا (٢) ذكره البخارى .

ابن رغبَة قال كان مفضّل بن فُضالة قاضياً علينا ، وكان مجابَ الدعوة ، وكان مع ضعفه طويل القيام ، وحدثنى مَن أثِق به أنه دعا الله عز وجل أنْ يَذهب عَنْه الأمل ، فذهب عنه فلم يَصبر فَدعا الله أن يردّه عليه .

ومن الطبقة التى تلى هؤلاء

٨٣٧ — عبد الله بن وهب مولى لقريش :

أحمد بن سعيد الهمدانى قال : دَخَل ابن وَهْب الحمّام فَسَمِعَ قارئاً

---

(١) نسبته إلى قتبان (بكسر القاف وسكون التاء) : وهو موضع فى نواحى عدن .
(٢) ط : كذلك .

يَقْرأ : « وإذ يتَحاجُّون فى النَّارِ [١] » فسقطَ مغشيّاً عليه فغسلت عنه النُورة [٢] وهو لا يَعْقل .

خالد بن خِداش قال : قرئ على عبد الله بن وهب كتابُ أهْوال القيامة فخرّ مغشياً عليه . فلم يتكلم بكلمة حتى مات بعد ذلك بأيام ، وذلك بمصر سنة سبع وتسعين ومائة .

أسند ابن وهب عن الأئمةّ كالثورى ومالك وشُعبة .

٨٣٨ — أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطى :

أبو الوليد بن أبى الجارود قال : كان أبو يعقوب البوَيْطى جَارِى . قال : فما كنت أنتبه ساعةً من الليل إلا سمعته يقرأ ويصلىّ .

قال الربيع : كان أبو يعقوب أبداً يحرّك شفتيه ، يَذكر الله عز وجل أو نَحْوَ ما قال .

الربيع بن سليمان قال : رأيت البُوَيطِى على بَغل فى عُنقهُ غُلٌّ ، وفى رجليه قَيْد ، وبين الغُلّ والقَيد سلسلةُ حديدٍ فيها طُوبة [٣] وزنها أربعون رطلًا ، وهو يَقول : والله لأموتنّ فى حَديدى هذا حتى يأتى مِن بعدِى قومٌ يعلمون أنه قد مات فى هذا الشأن قومٌ فى حَدِيدهم ، ولئن أُدْخِلت إليه لأَصْدُقنّه . يعنى الواثق .

أسند البويطى عن عبد الله بن وَهب والشافعى وغيرهما . وكان قد جَمع بين الفقه والتقوى وامتُحن فلم [٤] يُجب .

على بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعْلى المصْرى قال : حدثنا أبى قال : حُمل البويطى من مصر أيام الفتنة والمحنةِ

---

(١) غافر : ٤٧ .

(٢) بضم النون : حجر الكلس ممزوجاً بأخلاط أخرى ، تستعمل لإزالة الشعر .

(٣) آجرة ، ج طوب . وهى بلغة أهل مصر .

(٤) إشارة إلى المحنة بالقرآن وخلقه فى العراق .

بالقرآن إلى العراق فأَرَادوه على الفِتْنة فامتَنع فسُجن ببغداد وقُيِّد وأَقام مسجوناً إلى أَن توفىّ فى السجن والقيدِ ببغداد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين — وقال غيره : سنة احدى وثلاثين .

٨٣٩ — ذو النون المصرى ابن ابراهيم ، أبو الفيض :

أَصله من النوبة (١) وكان من قرية من قرى صعيد مصر يقال لها إخميم(٢) . فنزل مصر ويقال اسمه الفيض . ويقال ثَوْبان ، وذو النون لقب . وكان أَبوه إبراهيم مولىً لإِسحاق بن محمد الأَنصارى ، وكان له أَربعة بنين : ذو النون ، وذو الكِفْل ، وعَبد البارى ، والهميْسَع .

ابن الجلاَّء قال : لقيت ستمائة شيخ ما لقيتُ فيهم مثل أَربعة : أَحدهم ذُو النون .

أَبو بكر محمد بن خلف المؤَدِّب قال : رأَيت ذا النون المصرى على ساحل البحر فلما جُنّ الليل خرج فنظر إلى السماءِ والماءِ فقال : سبحان الله ما أَعظم شأْنكما . بل شأْنُ خالقِكما أَعظمُ منكما ومن شأْنكما . فلما تهوّر الليل(٣) لم يزلُ ينشد هذه الأَبيات إلى أَن طَلع عَمودُ الصباح(٤) :

اطلبُوا لِأَنفُسِكُمْ مثلَ ما وَجَدْتُ أَنا
قد وجدتُ لى سكَناً ليسَ فى هَواهُ عَنـا(٥)
إن بَعُدْتُ قرّبَنى أَو قَرُبْتُ مِنه دَنا

يوسف بن الحسن يقول : سمعت ذا النون يقول : بصحبة

---

(١) بضم النون : بلاد واسعة من السودان ، جنوبى مصر ، بعد أسوان .
(٢) بكسر أوله : على شاطىء النيل .
(٣) تهور الليل : ذهب . وقيل : ولى أكثره وانكسر ظلامه .
(٤) ط : الصبح . (٥) تعب .

الصالحين تطيب الحياة والخير مجموع فى القرين الصّالح إن نسيتَ ذكّرك ، وإن ذكَرتَ أعانك .

إسرافيل قال : حضرتُ ذا النون فى الحبس ، وقد دخل الجِلْواز[(١)] بطعامٍ له فقام ذو النون فنفض [(٢)] يده فقيل له : إن أخاك جاء به . فقال : إنّه على يدى ظالم . قال : وسمعت رجلاً سأل ذا النون فقال : رحمك الله ما الذى أنصبَ العباد وأضْنَاهم ؟ فقال له : ذِكْر المقام ، وقلّة الزّاد ، وخوفُ الحساب . ولَم لا تَذوب أبدان العمّال وتَذهل عقولُهم ، والعَرْضُ على الله أمَامَهم وقِراءَةُ كتبهم بين أيْديهم ، والملائِكة وقوف بين يَدى الجبّار يَنْتظِرون أمره فى الأَخيَار والأَشْرار؟ ثم قال : مثّلوا هذا [(٣)] فى نفوسهم وجَعلوه نَصب أعينهم . قال : وسمعت رجلاً يسأل ذا النون : متى تصحّ عُزلة الخلق ؟ فقال : إذا قَويتَ على عُزلة النفس .

يوسف بن الحسين قال : قلت لذى النون فى وقت مَفَارقتى له : من أُجَالس ؟ قال : عليك بصحْبة مَن تُذكّرك الله عزّ وجل رؤْيتُه ، وتقع هيبتُه على باطنك ، ويزيدفى عملك مَنطِقُه ، ويزهّدك فى الدنيا عَملُه ، ولا تَعصى الله ما دمتَ فى قُربه ، يَعظُكَ بلسانِ فِعْله ، ولا يَعظك بلسان قَوله .

وسمعت ذا النون يقول سَقَمُ الجسد فى الأَوْجاع ، وسَقَمُ القلوب فى الذّنوب ، فكما لا يجد الجسَد لذّة الطعام عند سَقَمِه ، كذلك لا يَجد القلب حلاوةَ العِبادة مع الذنوب . وسمعته يقول : من لم يَعرف قَدر النّعم سُلبَها من حيث لا يَعلم .

---

(١) الجلواز : (بكسر الجيم) الشرطى . ج . جلاوزة .

(٢) ب : فقبض . (٣) ط : هذه ، خطأ .

يوسف بن الحسين قال : سمعت ذا النون يقول : ما خلع الله عزّ وجلّ على عبدٍ من عَبِيده خِلْعةً من العَقل، ولا قلّده قِلادةً أجملَ من العِلم ، ولا زيّنه بزينةٍ أفضلَ من الحِلْم ، وكمالُ ذلك كلّه التقوى .

عبد القدوس بن عبد الرحمن قال : سمعت ذا النون يقول : إلهى لو أصبتُ مَوْئِلاً فى الشدائد غيرَك ، أو ملجأً فى النَّوَازِل سِوَاك لحقّ لى أن لا أعرِض إليه بوجهى عنك ، ولا أختاره عليك لقديم إحسانك إلىّ وحديثِهِ ، وظاهر مِنّتك علىّ وباطِنها ، ولو تقطّعت فى البلاءِ إرْبا إرْباً أو انْصَبّت علىّ الشّدائد صَبّاً صَبّاً ولا أجد مُشتكى لبثّى غيرَك ولا مُفرّجاً لِما بِى سِواك ، فياوارث الأرض ومَن عليها ، وياباعث جميع مَن فيها وَرّث آمِلى فيك مني أملى ، وبلغ هِمّتى فيك مُنتهى وَسائلى .

محمد بن أحمد بن سَلمة النيسابورى قال : سمعت ذا النون يقول احذَرْ أن تنقطع عنه[1] فتكونَ مخدوعًا . قلت : فكيف ذلك؟ قال : لأن المخْدوع مَن ينظر إلى عَطَاياه فينقطع عن النظر[2] إليه بالنظر إلى عطاياه . ثم قال : تعلّق الناسُ بالأسباب وتعلّق الصّدّيقون بِوَلىّ الأسباب .

ثم قال : علامةُ تعلّق قلوبهم بالعطايا طَلبُهم منه العطايا ، ومن علامة تَعَلُّق قلبِ الصديق بولىّ العطايا انْصِبَابُ العطايا عليه وشُغله عَنها به . ثم قال : ليكن اعْتِمَادك على الله عز وجل فى الحال ، لا على الحال مع الله . ثم قال : اعقِل فإنّ هذا من صفة التوحيد .

محمد بن أحمد بن سلمة قال : سمعت ذا النون يقول ، وقد سألْتُه عند الفراق أن يُوصيَنى فقال : لايَشْغَلنّك عيوبُ الناس عن

---

(١) أى عن الله تعالى .

(٢) ب : عن الله . وهذه الجملة الأخيرة ليست فى قط .

عَيْب نفسك ، لستَ عليهم برقيب . ثم قال : إن أَحبّ عباد الله إلى الله عز وجل أَعقلُهم عنه ، وإنما يُستدَلّ على تمام عقل الرجل وتواضُعه فى عقله بحُسن استماعه المحدِّث إن كان به عالماً وسرعة قبوله للحق وإن كان ممن هو دونه ، وإقراره على نفسه بالخطأ إذا جاء منه .

سعيد بن عثمان قال : سمعت ذا النون يقول : من ذكر الله على حقيقةٍ نَسى فى جنبه كلّ شىءٍ ، ومن نَسِىَ فى جَنْب الله كلّ شىءٍ حفظ الله عزوجل عليه كلّ شىءٍ ،وكان له عِوضًا من كلّ شىءٍ . قال : وسمعته يقول : أكثر الناس إشارةً إلى الله فى الظاهر أبعَدُهم من الله .

قال : وسمعته يقول : إلٰهى إن كان صغُر فى جنب طاعتك عَملى فقد كَبُر فى جَنب رجائك أَملِي .

وسُئل عن الآفة التى يُخدع بها المريد عن الله عز وجل؟ فقال : برؤية الكرامات . قيل[١] فبمَ يُخدع قبل وصوله إلى هذه الدرجة؟ قال : بِوَطْءِ[٢] الأَعقاب وتعظيمِ الناس له . قال : وسمعته يقول : من ذَبح حَنْجَرة الطَّمع بسيف اليأْس ، ورَدم خَنْدقَ الحِرص ؛ ظفِر بكيمياءِ الخدمة ، ومن استقى بحبل الزّهد على دَلْو المعروف ؛ استقَى من جُبّ الحكمة ، ومن سلَك أَودية الكَمد جَنَى حياة الأَبد ، ومن حَصد عشب الذنوب بِمِنْجَل الورَع أَضاءَت له رَوْضة الاسْتِقَامة ، ومن قطَع لسانه بشَفْرة الصَّمْت وجَد عذوبة الراحة ، ومن تَدَرّع دِرْعَ الصّدق قوِىَ على مُجاهَدَة عسكر الْبَاطل ، ومن فرح بِمِدْحَةِ الجاهلِ أَلْبَسَه الشيطان ثَوب الحماقة .

---

(١) ط : فقيل .　　(٢) ط : بوطىء .

أبوعثمان ، سعيد بن عثمان ، قال : سمعت ذا النون يقول : ماطابت الدنيا إلّا بذكره[١] ، ولاطابت الآخرة إلّا بِعَفْوه ، ولا طابت الجنة إلّا برؤْيته .

يوسف بن الحسين قال : سمعت ذا النون يقول : دَوام الفقر إلى الله تعالى مع التَّخْليط أَحبّ إلىّ من دوام الصفاءِ مع العُجب[٢] .

محمد بن عبد الملك قال : سمعت ذا النون يقول ما أعزَّ الله عز وجل عبدًا بعزٍّ هو[٣] أعزُّ له من أن يَدُلَّه على ذلّ نفسه ،وما أَذلّ الله عز وجل عبدًا بذُلٍّ هو أذلّ له من أن يحجبه عن ذلّ نفسه .

هلال بن العلاءِ قال : قال ذو النّون : من تَطأْطأَ لَقط رُطَبًا ومن تَعالى لقِىَ عطَبًا .

سعيد بن عثمان قال : سمعت ذا النون يقول : لا تثِقنّ بمودّة مَن لا يحبّك إلّا معصومًا . وقال : من صحبك ووافقكْ على ماتحبّ ، وخالفك فيما تكره فإنما يَصْحَب هواه ، ومن صحب هَواه فإنَّما هو طالبُ راحة الدنيا .

وسمعته يقول : كلّ مطيعٍ مُسْتَأْنس ، وكل عاصٍ مستوحش ، وكلّ محبٌّ ذليلٌ ، وكل خائفٍ هاربٌ ، وكلّ راج طالبٌ .

يوسف بن الحسين قال : سمعت ذا النون يقول : أَنت مَالكٌ مقتدر وأنا عبدٌ مفتقر ، أَسأَلك العفو تذلُّلاً فأَعطِنيه تفضُّلاً . وسمعْته يقول : مِن المُحال أَن يَحسُن منك الظن ولايَحسن منه المنّ .

أَبوعثمان ، سعيد بن عثْمان الخيَّاط ، يَقول : سمعت ذا النون يقول : لم أَرَ شَيْئًا أَبعث لطلب الإخلاص مثلَ الوحدة ، لأَنه إذا خلا

---

(١) أى بذكر الله .

(٢) التيه والكبرياء .

(٣) ق : وهو ، وأثبت ما فى ط .

لم يَرَ غير الله ، فإذا لم يرَ غير الله لم يحرّكه إلّا حُكم الله ، ومن أحبّ الخُلْوة فقد تعلّق بعَمود الإخلاص .

قال فتح بن شَخْرَف(١) : دخلت على ذى النون عند موته فقلت له : كيف تَجدك ؟ فقال :

أموت وَمَا مَاتَتْ إليك صَبابَتى ولا رَوِيَتْ من صِدْق حُبّك أوْطَارِى

مُناىَ المُنى كلّ المنى أَنت لى مُنًى وأَنت الغِنَى كلُّ الغِنى عند إقْتارِى

وأَنت مَدَى سُؤْلى(٢) وغايةُ رغبتى ومَوْضِع آمالى وَمَكْنونُ إضْمارِى

تضمَّن قلبى منك مالَك قد بَدَا وإن طال سِرِّى فيك أوطال إظهارِى

وبينَ ضُلوعى منكَ مَا لا أَبثُّه ولم أُبدِ باديه لأَهلٍ ولاجارِ

سَرائرُ لايَخفَى عليك خَفيُّها وإن لم أَبُح حتى التَّنادِى بأَسرارِى

فهَب لى نَسيمًا منك أَحْيَا بِرُوحه وجُدلى بيُسر منك يطرُدُ إعسارِى

أَنرتَ الهُدى للمهتدين ولم يكن من العلم فى أَيديهمُ عُشرَ مِعشار

وعَلّمتهم عِلْمًا فباتُوا بنوره وبانت(٣) لهم منه مَعالِمُ أسرارِ

مُعَاينةً للغيب حتى كأَنهـــا لِما غاب عنها منه حاضِرةُ الدار

وأَبْصَارهم مَحْجوبة وقلوبُهم تراكَ بأَوهامٍ حَديداتِ أَبصار

جمعتَ لها الهمّ المفرّق والتقَى على قدرٍ والهمّ يَجرى بمقدار

أَلستَ دليل القوم(٤) إنهم تحيَّروا؟ وعصمةَ من أَمسى على جُرُفٍ هارِ

---

(١) بفتح الشين والراء . كان أحد العباد السياحين . ثم سكن بغداد . وكان قليل المسانيد كثير الحكايات توفى سنة ٢٧٣ هـ .

(٢) ق : سولى ، وهو مخفف (سؤلى) .

(٣) وضحت وظهرت . ط : وباتت ، تصحيف .

(٤) ط : الركب ، وهى رواية نسخة أخرى كما فى هامش ق .

قال الفتح بن شَخرَف : فلما ثقل قلت له : كيف تجدك ؟ فقال :

ومالى سوى الإطراق والصَّمتِ حيلةٌ ووَضعى على خدِّى يَدِى عندَ تذكارى
وانْ طرقَتْنِى عبرةٌ بعد عَبرةٍ تجرَّعتها حتى إذا عِيلَ تَصْبارى
أفضت دموعًا جَمَّةً مستهِلَّةً أطفِّى بها حَرًّا تضمَّن أسرارى
فيا منتَهى سُؤْلِ[1] المحبِّين كلِّهم أبِحنِى محلّ الأُنس مَعْ كُلّ زَوّارِ
ولستُ أُبالى فائتًا بعد فائتٍ إذا كنتَ فى الدارين ياواحدِى[2] جارِى

أسند ذو النون أحاديث كثيرة من مالك والليث بن سعد وسفيان ابن عُيَيْنَة والفُضيل بن عياض وابن لهيعة وغيرهم . وتوفى بالجِيزة وحُمل فى مركب إلى الفسطاط. خوفًا عليه من زَحمة الناس على الجِسر ، ودُفن فى مقابر أهل المَعافر[3] ، وذلك فى يوم الاثنين لليلتين خَلَتا من ذى القعدة من سنة ست وأربعين ومائتين[4] .

٨٤٠ — الحسن بن الخليل بن مرة (٥) :

أحمد بن صالح قال : سمعت عبد الله بن وهب ، وذكر الحسن ابن الخليل بن مُرَّه ، فقال : ذاك رجلُ صِدقٍ قد شغلته العبادة .

قال الحسن بن محمد بن باذا : وثنا عبد الله بن صالح قال : ما رأيت بمصر مَن أُفضِّله على الحسن بن الخليل فى زهده وورعه ، ولقد رأيته يحمل دقيقًا فى جِرَاب للناس بأُجرةٍ يتقوّت بها فى كل جمعة يحمل يومًا ، ثم زاد أمره فلم يكن يدّخر لوقتٍ يأْتى ، وعليه مِدْرَعة قيمتها أقلّ من درهم ، وأجمع أهل مصر أنه مستجاب الدعوة .

---

(١) ق : سول . (٢) قط : يا أوحدى .
(٣) المعافر (بفتح الميم) : اسم بلد فى اليمن ، تسكنه قبيلة بهذا الاسم أيضاً . فلعل بعضهم نزح إلى مصر . (٤) بعدها فى ط : والسلام .
(٥) مرة : بضم الميم وتشديد الراء .

قال الحسين : وسمعت محمد بن رمح يقول : أتيت الحسن بن الخليل لأسمع منه شيئًا فإذا هو يقرأ سورة (ق) ويبكى . ثم غُشِيَ عليه . فتركْتُه وقُمت وكان قد شَغَلَتْه العبادة عن الحديث . وعُدت إليه غير مَرّة فلم يكن فيه فضل ، وكان مصفرّ اللون كثير البكاء .

قال الحسين : وحدثنا يحيى بن بكير قال : اعتلّ الحسن بن الخليل فجاء الليث بن سعد يعوده ونحن معه فقرأ على رأسه ثم قمنا من عنده فقال هذا أعبدُ مَن رأيت .

موسى بن هارون قال : رأيت الحسن بن الخليل بن مرّةً بعرفات وكلَّمته . ثم رأيته يطوف بالبيت فقلت : ادعُ الله لى أن يقبل حجِّى . فبكى ودعا لِى . ثم أتيت مصر فقلت : إن الحسن كان معنا بمكة . فقالوا : ما حجّ العام . وقد كان يبلغنى أنه يمرّ إلى مكة فى كل ليلة ، فما كنتُ أُصدّق ، حتى رأيته فعاتبنى وقال : شَهَّرتَنى ، ما كنت أُحبّ أن تحدِّث بها عنِّى ، فلا تَعُد بحقِّى عليك .

٨٤١ — محمد بن عمرو الغزى (١) :

أَبو زُرعة قال : كان يأْتى على محمد بن عَمْرو الغزِّى ثمانية عشر يومًا لايذوق فيها ذَواقًا ولاطعامًا ولاشرابًا . ما رأيت بمصر أصلح منه .

ابراهيم بن أَبى أيوب قال : حدثنا محمد بن عَمرو الغَزِّى ، وكان يأْكل فى (كل) شهر رمضان أَكلتين من غير تكلّف ، يأْكل فى كلّ خمسة عشر يومًا مرّة .

أَسند الغَزِّى عن الوليد بن مسلم وعثمان بن سعيد وعطّاف بن خالد فى آخرين .

---

(١) نسبة إلى مدينة (غزة) بفتح الغين .

٨٤٢ — ابو على الحسن بن احمد المعروف بابن الكاتب من كبار الصالحين (١) من مشايخ المصريين :

أحمد بن على بن جعفر قال : سمعت أبا علىّ الكاتب يقول : إذا انْقُطَع العبدُ إلى الله تعالى(٢) بالكُلّيّة فأول مايُفيده الله عز وجل الاستغناء به عمّن سِوَاه . وكان يقول : قال الله عزّ وجل : من صَبر علينا وصَل إلينا .

وكان يقول : إذا سكَن الخوف فى القلب لم ينطق اللسان إلّا بما يَعنيه .

أبوالقاسم المصرى قال : قال أبوعلىّ ابن الكاتب ان الله عز وجل يرزق العبد حلاوةَ ذِكْرِه فإن فرحَ به وشكَره آنَسه بقربه ، وإنْ قصّر فى الشّكر أجرى الذِّكْر على لسانه وسلَبه حلاوته .

صحب أبوعلىّ ابن الكاتب أباعلى الرّوذَبارِى وغيره وتوفى بعد الأربعين والثلثمائة (والله أعلم) .

ذكر المصطفين من عباد مصر المجهولى الأسماء

٨٤٣ — عابد :

يوسف بن الحسين قال : كنت قاعدًا بين يدى ذى النون وحوله ناس ، وهو يتكلّم عليهم ، والناس يَبْكون ، وشابٌ يضحك . فقال له ذو النون : مالك أيها الشابّ ؟ الناس يبكون وأنت تضحك . فأنشأ يقول :

كلّهم يَعْبدون مِنْ خَوْفِ نار ويَرون النَّجَاة حظًّا جزيلا
ليس لى فى الجِنان والنارِ رَأْىٌ أنسالا أبتغِى بحبِّى بَديلا

(١) كذا فى ط . وفى ق : «من كتاب مشايخ المصريين» .
(٢) ق : عز وجل ، وأثبت ما فى ط .

فقيل له : فإنْ طَرَدَك فماذا تفعل ؟ فأَنشأَ يقول :

فإذا لم أَجِد من الحبِّ[١]وَصْلاً رُمتُ فى النار مَنزلاً ومَقِيلا
ثم أَزعجتُ أَهلَهَا ببكائى بُكرةً فى ضِرامِها[٢] وأَصيلا
مَعْشَر المشْرِكين نُوحوا علىّ[٣] أَنا عبدٌ أَحببْتُ مَوْلىً جليلا
لم أَكن فى الذى ادّعيتُ مُحِقًّا فجَزانى به العذابَ الطَّويلا

يوسف بن الحسين قال : كان شابٌّ يحضر مجلس ذى النون ابن ابراهيم المصرى مدةً . ثم انقطع عنه زمانًا . ثم حضر عنده وقد اصفرّ لونه ونحلَ جسمه وظهرت آثار العبادة والاجتهاد عليه فقال له ذو النون : يافتى ، ما الذى أَكسَبتك خدمةُ مولاك واجتهادك من المواهب التى منحك بها فوهبها لك واختَصّك بها ؟ فقال الفتى : يا أُستاذ وهل رأَيت عبدًا اصْطَنَعه مولاه من بين عبيده واصطفاه وأَعطاه مفاتيح الخزائن ثم أَسرّ إِليه سِرًّا أَيَحسن أَن يُفشى ذلك السرّ؟ ثم أَنشأَ يقول :

مَن شاوَرُوه فأَبدَى السرّ مجتهدًا لم يَأْمَنوه على الأَسْرار مَاعَاشا
وَبَاعَدوهُ فلم يَسْعَد بقُربهم وأَبدَلوه من الإِيناس إِيحاشا
لايصطَفُون مُذيعًا بعضَ سرّهِم حاشا وِدادَهُم مِن ذالِكُمْ حاشا[٤]

٨٤٤ — عابد آخر :

عبد الملك بن هاشم قال : قلت لذى النون صف لنا مِن خيارِ مَن رأَيت فذرفَت عيناه وقال : ركبنا مرةً البحر نريد جُدّةَ[٥] ، معنا

---

(١) الحب : المحبوب (بكسر الحاء) . وضبطت فى ق بضم الحاء .
(٢) كذا فى ط . وفى ق : صريمها .
(٣) كذا رسمت فى النسخ ، وإنما الصوب (عليا) لتكون التفعيلة ساكنة الآخر (فاعلا متن) .
(٤) ط : « ذاكم » بدل « ذلكم » .
(٥) مدينة مشهورة على ساحل البحر الأحمر فى الحجاز .

فتى من أبناء نيِّفٍ وعشرين سنة قد أُلبِس ثوبًا من الهيبة . فكنت أُحبّ أُكلِّمه فلم أستطع فبينا نراه مُصلِّياً نراه قارئًا ونراه مسبّحًا . إلى أن رقد ذات يوم ووقعت فى المركب تُهمة فجعل الناس يفتِّش بعضُهم بعضًا إلى أن بلغوا إلى الفتى النائم . فقال صاحب الصُرّة : لم يكن أحدٌ أقربَ إلىّ من هذا الفتى النائم .

فلما سمعتُ ذلك قمتُ فَأَيْقَظْته ، فما كلَّمنى حتى توضأ للصلاة وصلَّى أربع ركعات ، ثم قال : يا فتى ما نَشاءُ ؟ فقلتُ : إن تُهمةً وقعت فى المركب وإنَّ الناس لم يَزل يُفتِّش بَعْضُهم بعْضًا حتى بلغوا إليك فالتفتَ إلى صاحب الصرّة فقال : أكما يقول؟ فقال : نعم لم يكن أحدٌ أقربَ إلىّ منك . فرفع الفتى يديه يدعو وخفتُ على أهل المركب من دعائه فخُيِّل إلينا أن كل حُوتٍ فى البحر ، قد خرجت فى فم كلّ حوت دُرّة . فقام الفتى إلى جوهرة فى فِي[1] حوت فأخذها فَأَلْقَاهَا إلى صاحب الصُرّة وقال : فى هذه عِوَضٌ مما ذهب منك وأنت فى حِلٍّ .

وقد رُويت لنا هذه الحكاية على وجه آخر :

يوسف بن الحسين قال لما اسْتأْنستُ بذى النون المصرىّ قلت : أيها الشيخ ماكان بَدْو شأْنك وما أنت فيه؟ قال : كنت شابًّا صاحب لَهو ولعب ، ثم إنِّى تبتُ وتركتُ ذلك كله وخَرَجْتُ حاجًّا إلى بيت الله الحرام ومعى بُضَيّعة[2] فركبت فى المركب مع تُجّار من مصر ، وركب معنا شابٌ صَبِيحٌ كأنه يُشْرق وجهه . فلما توسّطنا فَقَد صاحبُ

(١) أى فى فم حوت . ط : « جوهر » بدل « جوهرة » .
(٢) تصغير بضاعة .

المركب كيسًا فيه مال . فأمر بحبس المركب وفتَّش مَن فيه وأتعَبهم . فلما وصلوا إلى الشابّ ليُفتش ، وثب وثبةً من المركب حتى جلس على موج من أمواج البحر ، وقام له الموج سريرٍ على مثال وهو جالس عليه ننظر إليه[١] من المركب . ثم قال : يامولاى إن هؤلاءِ اتّهمونى وإنّى أُقسم ياحبيبَ قلبى أن تأمر كل دابَّة فى هذا المكان أن تُخرج رءُوسها وفى أفواهها جَوهر . قال ذوالنون ، فما تَمَّ كلامهُ حتى رَأَيْنا دَوَابّ البحر أمام المركب وحَواليه قد أخرجت رءُوسها وفى فم كل واحدةٍ منها جوهرٌ مضىءٌ يتلألأُ ويلمع . ثم وثب الشابّ من الموج إلى البحر وجعل يَتَبَخْتَر على مَتن الماءِ ويقول (إيَّاك نَعبد وإيَّاك نَستعينُ[٢] حتى غاب عن عينى[٣] .

٨٤٥ — عابد آخر :

حكيم من الحكماءِ قالَ : مَرَرْت بعَريش مِصر وأنا أُريد الرِّباط[٤] ، فإذا أنا بِرَجُلٍ فى مِظَلَّة[٥] قد ذهبت عيناه ويَداه ورجلاه ، وبه أنواع البلاءِ وهو يقول : الحمدلله حمدًا يُوافى مَحامِدَ خَلقِك[٦] بما أَنْعمْتَ عَلىَّ وفَضَّلتنى على كَثيرٍ ممن خَلَقْتَ تفضيلاً . فقلت : لأَنظرنَّ أَشىءٌ عَلِمه أم أَلهمه الله إلهامًا ؟ فقلت : على أىّ نعمة من نِعَمه تحمده ؟ أم على أىّ فضيلة تشكره ؟ فوالله ما أرى شيئًا من البلاءِ إلَّا وهو بك . فقالَ : أَلا ترى ما قد صنع بِي؟ فوالله لوأَرسل السّماءَ علىّ نارًا فأَحْرَقتنى ، وأمر

---

(١) ب : عليه .
(٢) الفاتحة : (٤ — ٥) .
(٣) ط : بصرى .
(٤) عريش مصر : بلدة على البحر المتوسط بين مصر وفلسطين . والرباط : بالكسر ، مدينة قديمة على الأطلسى وعاصمة المغرب اليوم .
(٥) خباء ، خيمة .
(٦) التفات من الغيبة إلى الخطاب .

الجبال فَدَكْدَكَتْنى(١) ، وأمر البحار فغرّقتنى(٢) ما ازددتُ له إلّا حمدًا وشكرًا وإن لى إليك حاجة : بُنيَّةٌ لى كانت تخدمنى وتَتَعاهَدُنى عند إفطارى انظر هل تُحِسّ بها ؟ .

وقال عبد الوهاب بُنَىٌّ كان لى فقلت : والله إنّى لأرجو أن يكون لى فى قضاءِ حاجةِ هذا العبد الصالح قُربةٌ إلى الله عزّوجل . فخرجت أطلبها بين تلك الرمال فإذا السُّبع قد أكلها . فقلت : إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ، من أين آتِى هذا العبد الصالح فأُخبره بموت ابنته؟ فأتيته فقلت له : أنت أعظم عند الله منزلةً أم أيّوب عليه السلام(٣) ؟ ابتلاه الله فى ماله وولده وأهله وبدَنه حتى صار عَرَضًا للناس ؟ فقال : لابل أيوب. قلت : فإنّ ابنتك التى أمرتَنى أن أطلبها أصبتُها وإذا السَّبعُ قد أكلها . فقال : الحمدلله الذى لم يُخرجنى من الدنيا وفى قلبى منها شىءٌ . فَشَهق شَهْقة فماتَ . فقلت : إنالله وإنَّا إليه راجعون ، مَن يُعيننى على غَسله ودفنه؟ فإذا أنا بركب يُريدون الرّباط . فأشرت إليهم فأَقبَلوا إلىّ فأَخبرتُهم بالذى كان من أمره فغسلناه وكفّنّاه ودفنّاه فى مِظَلَّته تلك . ومضى القوم . وبتّ ليلتى فى مظلته آنسًا به حتى إذا مضى من الليل قدرُ ثُلثِه إذا أنابه فى روضة خضراءَ ، وإذا عليه حُلَّتان خَضراوان ، وهو قائم يتلو القرآن . فقلت : أَلَسْتَ صاحبى بالأَمس؟ فقال : بلى . فقلت : فما صَيَّرك إلى ما أرى؟ قال : وردتُ من الصابرين على درجةٍ لم ينالوها إلّا بالصّبر عند البلاء ، والشّكر عند الرخاءِ .

---

(١) دكدك الحفرة : ملأها تراباً . وتدكدكت الجبال : تهدمت .

(٢) ط : فأغرقتنى .

(٣) كذا فى ط . وفى ق : «أنت أعظم منزلة عند الله عز وجل من أيوب عليه السلام» .

٨٤٦ — عابد آخر :

عمرو بن عثمان المكى قال : لقيت رجلاً بين قرى مصر يَدور . فقلت : مالى أَراك لا تَقرّ بمكان ؟ فقال : وكيف يَقرُّ مطلوب ؟ فقلت له : أَوليسَ أَنت فى قبضته فى كلّ مكان ؟ قال : بلى ، ولكن أَخاف أَن استوطِن الأَوطان فيأْخذَنى على غِرّة الاسْتيطانِ مع المغرورين .

٨٤٧ — عابد آخر :

أَبو بكر المصرى قال : خرجت من عَيْنونة[١] أُريد الرَّملة[٢] . فبينا أَنا أَمشى إذا بفقير يمشى حافىَ القدمين حاسر[٣] الرأس ، وعليه خِرقتان متَّزِرٌ بإِحْداهما[٤] مُرْتَدٍ بالأُخرى ليس معه زاد ولا رَكْوة . فقلت فى نفسى : لوكان مع هذا ركْوة وحَبل ، فإذا ورد الماءَ توضَّأَ وصلَّى كان خيرًا له .

فلحِقْت به وقد اشتدّت الهاجرة فقلت له . يافتى لو جعلتَ هذه الخِراقة التى على كتفيك على رأسك تَتَوَقَّى بها الشمس كان خيرًا لك . فسكت ومشى . فلما كان بعد ساعة قلت له : أَنت حافٍ ، أَىّ شىءٍ ترى فى نعل تلبسها ساعةً وأَنا ساعة ؟ فقال : أَراك كثير الفضول لَمْ تكتب الحديث ؟ قلت : بلى . قال : فلَم تكتُب عن النبىّ صلى الله عليه وسلم « إنَّ من حُسن إسلام المرءِ تَرْكُه مالا يَعنيه »[٥] فسكت ومشَى . وعطشت وأَنا على ساحل البحر فالتفتَ إلىّ فقال :

---

(١) كذا فى النسخ . والذى ذكره ياقوت والبكرى : « عينون » بلا هاء . وهى قرية من قرى بيت المقدس . وقيل غير ذلك .

(٢) الرملة : بلدة مشهورة فى فلسطين شمال شرق القدس .

(٣) قط : مكشوف .

(٤) ط : بأحدهما ، خطأ .

(٥) الحديث صحيح . وقد مر فى ترجمة أبى داود السجستانى . وأخرجه الترمذى برقم ٢٣١٧ وابن ماجة وأحمد والطبرانى فى الأوسط .

أنت عطشان ؟ فقلت : لا . فمشى ساعة وقد كظّنى العطش[١] ثم التفتَ إلىّ فقال أنت عطشان؟ فقلت : نعم ، وماتَقدِر أن تعمل فى مثل هذا الموضع؟ فأخذ الرّكوة منى ودخل البحر وغرفَ الماءَ وجاءَنى به ، وقال : اشربْ . فشربت ماءً أعذب من ماءِ النيلِ وأصفى لونًا وفيه حَشيش . فقلت فى نفسى هذا ولىّ الله ولكنى أَدَعه حتى إذا وافَينا المنزل سأَلتُه الصّحبة . فوقف وقال : أيّما أحبّ إليك تَمشى أَوْ أَمشى؟ فقلت : إن تقدّم فاتَنى ولكن أَتقدّم أنا وأَجلس فى بعضِ المواضع ، فإذا جاءَ سأَلتُه الصّحبة . فقال : يا أبابكر إن شئتَ تقدّم وأَجلس وإن شئتَ تأَخر فإنك لاتصحَبُنى . ومضى وتركنى . فدخلت المنزل وكان لى به صديق وعندهم عليل فقلت لهم : رُشّوا عليه من هذا الماءِ . فرَشّوا عليه فَبرأَ وسأَلتُهم عن الشخص فقالوا : ما رأَيناه .

٨٤٨ ـــ عابد آخر :

عبد العزيز بن عُمير قال : كان فى خَرابات[٢] القبائل بمصر رجلٌ مَجذوم وكان شابٌّ من أَهل مصر يختلف إليه ويَتَعَاهَدُه ويغسِل خِرَقه ويخدمه . فَتقرّأَ[٣] فتى من أَهل مصر فقال للذى كان يخدمه : إنه بلغنى أَنه يَعرف اسم الله الأَعظم فأَنا أحبّ أَن أَجىءَ معك إليه فأَتاه فَسَلّم عليه وقال : ياعَمّ إنه بلغنى أَنك تعرف اسم الله الأَعظم فلو سأَلته أَن يكْشِف مابك؟ فقال : يابن أَخى ، هو الذى أَبلانى فأَنا أَكره أَن أُرادَّهُ .

(١) أى جهده وبهظه وكربه وغمه .

(٢) كذا فى النسخ . وهى عامية والصواب حذف الألف الأولى . والمفرد : خربة (بكسر الخاء) أو (خربة) بفتح فكسر : موضع الخراب . ولعله جمع (الخراب) وهو نقيض العمار . إلا أنه لا يجمع إلا على خراب (بكسر الخاء) وأخربة .

(٣) تنسك وتزهد . .

ومن عقلاء المجانين بمصر

٨٤٩ — رجل من اصحاب ذى النون (١) :

أبو الحسَن الفارسى قال : بلغنا أن رجلاً من أصحاب ذى النون أُصيب بعقله فكان يطوف ويقول : آهٍ أين قلبى؟ أين قلبى؟ من وجَد قلبى؟ من وجَد قلبى؟ والصبيان قد أُولعوا به يَرمونه من كل جانب.

فقُضِىَ(٢) أنه دخل يومًا بعضَ سِكَكِ مصر(٣) وقد هرب من الصبيان فجلس يستريح ساعةً إذسمع بكاءَ صبىٍّ تَضْربه والدته ثم أخرجَته من الدار وأَغلقت(٤) دونه البابَ . فجعل الصبى يلتفت يميناً وشمالاً لايَدرِى أين يذهب ؟ وإلى أين يقصد؟ فلما سكَن مابه عَادَ نَاكِصًا على عقبيه حتى رجع إلى باب دار والدته فوضع رأْسه على عَتَبة(٥) الدار فذهبَ به النوم . ثم انتبه فجعل يبكى ويقول : يا أُمَّاه مَن يفتح لى الباب إذا أَغلقتِ عنِّى بابك؟ ومَن يُدنِينى من نفسه إذا طردتِنى من نفسِك؟ ومَن الذى يُربِّينى بعد أن غضبتِ علىّ ؟

قال : فرحمتْه أُمه فقامت فنظرت مِن خَلل الباب فوجدت ولدَها تَجرى الدموع على خدّيه متمعكًا(٦) فى التراب . ففتحَت الباب وأَخذته(٧) حتى وضعته(٨) فى حِجْرها وجعلت تقبِّله وتقول : يا قُرَّة عَينى ويا عزيزَ نفسى ، أنت الذى حملتَنى على نفسك ، وأنت الذى تعرّضت لما حلّ بك ، لو كنتَ أَطعتَنى لم تلقَ منِّى مكروهًا .

---

(١) العنوان إضافة من عندنا .

(٢) اتفق وصادف .

(٣) السكة : الطريق .

(٤) ط : وغلقت ، وهى لغة رديئة .

(٥) ط : عقبة ، تحريف .

(٦) متمرغاً ومتدلكاً .

(٧) ط : فأخذته .

(٨) قط : جعلته .

قال : فتواجَد الفتى وصاح حتى اجتمع عليه الخَلْق فقالوا : ما الذى أَصابك؟ فقال : قد وجدتُ قلبى ، قد وجدتُ قلبى . فلمَّا بصُر بذى النون قال : يا أَبا الفيض قد وجدتُ قلبى فى سِكَّة كَذا وكذا عندفلانة . وسمَّاها . ثم لم يزل إذا تواجَد يقول ذلك .

ذكر المصطفيات من عابدات مصر

٨٥٠ — فاطمة بنت عبد الرحمن بن عبد الغفار الحرانى :

علىّ بن أَبى سعيد عبد الرحمن بن أَحمد بن يونس بن عبد الأَعلى المصرى قال : أَنبأَ أَبى قال : فاطمة بنت عبد الرحمن تُكْنى أُم محمد ، مولدها ببغداد ، وقدمَ بها إلى مصر وهى حَدَثة[1] . سمعتْ من أَبيها وطال عمرها حتى جاوزت الثمانين ، وكانت تُعرف بالصّوفية لأَنها أَقامت تلَبس الصوف ولا تنام إلَّا فى مُصلَّاها بلاوطاءٍ فوق ستين سنة .

توفيت سنة اثنتى عشرة وثلثمائة .

٨٥١ — ام ايمن بنت على امرأة ابى على الروذبارى ، واسمها عزيزة :

أَبوعبد الرحمن محمد بن الحسين قال : سمعت بعض أَصحابنا يقول : كانت عزيزة امرأَةُ أَبى علىّ تقول : كيف لا أَرغب فى تحصيل ما عندَك وإليكَ مرجعى؟ وكيف لاأُحبّك وما لقيت خيرًا إلَّا منك؟ وكيف لاأَشتاق إليك وقد شوّقتنى إليك؟ . وحُكِىَ عنها أَنها قالت : لاينتفع العبد بشىءٍ من أَفعاله كما ينتفع بطلب قُوتِه من حَلال . . قال : وخرجت يومًا من مصر وقت خروج الحاجّ والجِمالُ تمرّ بها وهى تبكى وتقول : واضَعفاه . وتُنشد على أَثره وتقول .

فقلتُ : دَعُونى واتّباعى رِكابَكم ... أَكُنْ طوعَ أَيديكُم كمايفعل العبدُ
وما بالُ رغمِى لا يَهون عليهمُ ... وقد عَلموا أَنْ ليس لى منهُم بُدُّ

---

(١) فى مقتبل العمر .

وتقول : هذه حَسْرةُ مَن انْقَطع عن الوصول إلى البيت ، فكيف ترى حسرة من نقطع عن الوصول إلى ربّ البيت ؟

٨٥٢ — تحية النوبية (١) :

أبوعبد الرحمن محمد بن الحسين السُلَمى قال : سمعت المالِينى (٢) الصّوفى يقول : دخلت على تحيةَ زائرًا فسمعتُها من داخل البيت وهى تُناجى وتقول فى مُنَاجاتها : يا من يُحبّنى وأُحبّه .

فدخلتُ إليها وسلّمت عليها وقلت : يا تحيّةهَى أنك تحبّين الله تعالى فمن أين تعلَمين أنّه يحبّك ؟ فقالت : نعم إنّى كنت فى بلد النُّوبة وأَبوايَ كانا نَصرانيّين . وكانت أُمى تحملنى إلى الكنيسة وتجىءُ بى عند الصّليب وتقول : قبّلى الصّليب ، فإذا هممتُ بذلك أَرى كفًّا تخرج فتردّ وجهى حتى لاأُقبّله . فعلمتُ أَن عِنَايته بى قديمة (٣)

ومن المجهولات الأسماء

٨٥٣ — عابدة :

أَبو عبد الله ، محمد بن شجاع الصوفى قال : كنت بمصر أيام سِياحتى فَتَاقَت نفسى إلى النساءِ فذكرت ذلك لبعض إخوانى فقال لى : ههنا امرأة صوفية لها ابنة مثلها جميلة قد ناهزت البلوغ . قال : فخطبتها وتزوّجتها . فلما دخلت إليها وجدتها مستقبلةً القبلة تصلى. قال : فاسْتَحْيَيْت أَن تكون صبيّةٌ فى مثل سنّها تصلّى وأَنا لا أُصلّى .

---

(١) نسبة إلى (النوبة) بضم النون : وهى بلاد واسعة من السودان جنوبى مصر ، بعد أسوان .

(٢) بكسر اللام . وهو أبو سعد أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الأنصارى ، كان أحد الرحالين فى طلب الحديث . مات بمصر سنة ٤١٢ هـ . ونسبته إلى (مالين) : قرية على شط جيحون . ق : الماليني ، تحريف .

(٣) بعدها فى ط : والسلام .

فاستقبلتُ القبلة وصلّيت ماقُدّر لى حتى غلبَتنى عَينى فنِمْت فى مُصلّاىَ ونامت فى مُصَلّاها . فلما كان فى اليوم الثانى كان مثلُ ذلك أيضًا . فلما طال علىّ قلت : ياهذه ألا جمّاعِنا معنًى؟ قال : فقالت لى : أنا فى خدمة مولاىَ ومَن له حَقّ فما أمنعه . قال : فاسْتَحْيَيْت من كلامها وتماديت على أمرى نحو الشهر . ثم بدالى[1] فى السفر ، فقلت لها : ياهذه . قالت : لبيّك . قلت : إنّى قد أردت السفر . قالت مُصاحَبا بالعافية . فقمت فلما صِرتُ عند الباب قامت فقالت لى : ياسيدى كان بيننا فى الدنيا عهدٌ لم يُقضَ بِتَمامه عَسَى فى الجنة إن شاء الله . فقلت لها : عسى . فقالت : لى أستودعك الله خيرَ مستودَع . قال : فتودّعتُ منها وخرجتُ .

قال : ثم عدت إلى مصر بعد سنين فسألت عنها ؟ فقيل لى : هى على أفضل مما تركتها عليه من العبادة والاجتهاد . انتهى ذكر أهل مصر .

ذكر المصطفين من عباد الاسكندرية

٨٥٤ — اسلم بن زيد الجهنى (٢) :

ابراهيم بن أدهم قال : لقيت رجلاً بالاسكندرية يقال له أسلم ابن زيد الجهنى . فقال : من أنت ياغلام؟ فقلت : شابٌ من أهل خراسان . قال : ماحملك على الخروج من الدنيا ؟ فقلت : زهدًا فيها ورجاءَ ثواب الله تعالى . فقال : إن العبد لايتم رجاؤه لثواب الله تعالى حتى يَحمِل نفسه على الصّبر . فقال له رجل ممن كان معه : وأىُّ شىء الصبرُ ؟ فقال : إنّ أدنى منازل الصّبر أن يَروضَ العبدُ نفسه على

(١) أى بدا لى بداء ، أو خاطر .

(٢) بضم الجيم وفتح الهاء ، نسبة إلى جهينه .

احْتِمال مَكارِهِ الأَنفس . قال : قلت ثُم مَه(١) ؟ قال : إذا كان محتملاً للمكاره أورث اللهعزوجل قلبه نورًا ، قلت : فماذا النور؟ قال : سِراج يكون فى قابه يَفرُق بين الحق والباطل والمتشابه . ثم قال : ياغلام إياك إذا صحبتَ الأَخيار وجاريت الأَبرار أَن تُغضبهم ، عليك ، لأَن الله تعالى يَغضب لغضبهم ويَرضى ارضاهم ، وذلك أَن الحكماءَ هُم العلماءُ ، هُم الراضون عن الله إذا سخِط الناس . ياغلام احفظ عنّى واعقِل واحتمل ، ولاتعجَل ، إيَّاك والبُخل . قلت : وما البُخل ؟ قال : أَما البخل عند أَهل الدنيا فهو أَن يكون الرجل ضَنينًا بماله ، وأَما عند أَهل الآخرة فهو الذى يضنّ بنفسه عن الله . أَلا وإن العبد إذا جَادَ بنفْسه لله أَوْرَثَ الله قلبه الهُدى والتُّقى ، وأُعطىَ السّكينة والوَقار والحِلم الراجح والعقل الكامل .

٨٥٥ — عابد آخر :

العبّاس بن يوسف الشُّكلى قال : دخلت الإِسكندرية فسأَلت : اهل بها أَحد من الزّهّاد؟ فقالوا : فتًى قد كان يصوم النهار ويقوم الليل فإذا أَفطر أَفطر على الشهوات ، فرأَى روًيا هالَته فأَخذ فى التقلّل وصار فِطره فى كل خمسة عشر يومًا مرّة . فقلت فعلى أَىّ شىءٍ يُفطر إذا أَفطر؟ فقيل لى : على شىءٍ من الكُسْب(٢) وتمرات يَعجنها فهى فِطره من الوقت إلى الوَقْت . فقلت : فما الرؤْيا التى رآها ؟ قالوا : رأَى فتىً وقف عليه فقال له .

تَجوّعْ فإِنْ الجوع يُورث أَهلَه مَصادِرَ بِرٍّ خيرُها الدهرَ دائمُ

---

(١) أى ثم ماذا ؟ وقد استبدلت بالألف هاء السكت .

(٢) بضم الكاف وسكون السين : ثفل الدهن وعصارته .

ولاتكُ ذا بَطنٍ[١] رغيبٍ وشهوةٍ   فتُصبحَ فى الدنيا · وقلبُك هائمُ

٨٥٦ — عابدة :

عن حجّاج بن ريّان قال : دخلت أنا وابن أبى رِفاعة مسجد الاسكندريّة فإذا أنا بامرأة قد اعتزلت عن النساء وجَعَلَتْ حَوْلَها حظيرةً مِنْ حجارة ، فتقدَّم إليها ابن أَبى رفاعَة فقال لها : مالى أَراك قد اعتزلت النساءَ وجعلتِ حَوْلك هذهِ الحِجَارة؟ فقالَتْ : يا أَبا عَبْدَ الرحمن كلمةً من هذه ، وكلمةً من هذه ، وقد ذَهَبَ الصيام[٢] قال : فالتفتَ إلىّ ابن أَبى رفاعة فقال : أَترى[٣] هذه سَمِعْتُ مِنْ مالِك بن أَنس شيئًا ؟ يعنى أَن الله تعالى هو الذى بصّرها

ومن المصطفين من أهل أبلة [٤]

٨٥٧ — ابو صخر يزيد بن ابى سمية الأيلى :

محمد بن عُمَر قال : كان أَبوصخر من العبّاد . وكانَ يُصَلِّى ليْلَةَ أَجمعَ وَيَبْكى . وكانت مَعَهُ فى الدارِ امْرَأَة يهودية ساكنَة تبكى رحمةً له ، فَقالَ ليلةً[٥] فى دُعائِهِ : اللهُم إنَّ هَذهِ اليَهودية قد بكَت[٦] رحمةً لى ودِينها مخالفٌ لدينى فأَنتَ أَولى بِرَحْمتى . وكان يُوَافى المَوْسِم عَامٍ مع محمد بن المُنْذِر وصَفْوانُ بن سَليم ويَزيدُ بن خُصيفة وأَبى حازم ، فيلقَوْن عمر بن ذرّ فيقُصّ عَلَيْهِمْ ويذكِّرُهم أَمْرَ الآخرة . فلايَزَالُون كذلِك حتى يَنقضِىَ الموسم ثم لايلتقُون بعدُ إلّا فى كل موسم

(١) قط : نطق . وفى ق : « رغبت » بدل « رغيب » والتصويب من ط .
(٢) أى أن ما تتكلم به هذه أو تلك من النساء ، يذهب بالصيام .
(٣) ق : ترى . وأثبت ما فى ط .
(٤) بفتح فسكون : مدينة على ساحل بحر القلزم . وقيل هى آخر الحجاز وأول الشام .
(٥) ب : يوماً .
(٦) ب : تبكى .

ذكر المصطفين من أهل المغرب

٨٥٨ — ابو عبد الله المغربى واسمه محمد بن اسمعيل :

ابراهيم بن شيبان قال : سمعت أَبا عَبْدَ الله المَغْربى يقول : مارَأَيْتُ ظُلمةً مِنْذُ سنين كَثيرةً . قال إبراهيم : وذلك أَنه كان يَتَقَدَّمُنا بالليل المُظْلم ونحنُ نَتْبعهُ وهو حافٍ حاسر ، وكان إذا عَثر أَحدُنا[١] يقولُ يميناً وشمالاً[٢] ، ونحن لانرى مابين أيدينا . فإذا أَصْبَحْنَا نظرنا إلى رِجْله كَأَنَّها رِجْلُ عَروس خرجَتْ من خدرها . وكَانَ يَقْعُدُ لأَصْحابه يتكلَّم عَلَيْهم فما رَأَيْتُهُ انزعج إلَّا يومًا واحدًا : كنا على الطُّور[٣] وهو قد اسْتَنَدَ إلى شَجرةِ خرّوب[٤] وهو يتكلَّم علينا . فقال فى كَلامِهِ لاينالُ العبدُ مُرَادَه حتى ينفرِدَ فردًا بفَرد . فانزعَجَ واضْطَرب ورأَيتُ الصّخورَ قد تَدَكْدَكَت[٥] ، وبقِىَ فى ذلِكَ ساعاتٍ فلما أَفاقَ كَأَنَّهُ نُشِرَ من تبر .

ابراهيم بن شيبان قال سمعت أَباعبدالله المغربى يقول : أَفْضَلُ الأَعمال عمارَةَ الأَوقاتِ فى الموافَقات . وقال : أَعظم الناسِ ذُلاً فقيرٌ داهَنَ غَنيًّا وتَواضَع له .

أَسندَ أَبوعبد الله المغْربى الحديثَ عن عَمروبن أَبى غَيلان وتُوفِّىَ على جَبَلِ الطُّور فى سنة تسع وتسعين ، وقيل تِسْعٍ وسبعين ومائتين ، وأَوْصَى أَن يُدفن إلى جانب أَسْتاذِهِ علىّ بن رَزَين . وعاش كل واحدٍ منهما عشرين ومائة سنة . فهما على جَبَلِ الطُّور .

وكان المغربى أُستاذُ إبراهيم الخوّاص .

---

(١) زل وسقط بسبب الظلام .

(٢) هو جبل الطور المشهور .

(٣) أى خذوا يميناأو سيروا شمالا ...

(٤) شجر معروف ، وهو بفتح الخاء وتشديد الراء . وفى ط : خرنوب) بضم الخاء) وهو لغة فيه .

(٥) تحطمت وتهدمت أو تفتتت .

ذكر المصطفين من عباد المغرب المجهولي[١] الأسماء

٨٥٩ — عابد[٢]

سعيد بن عثمان قال : سمعت ذا النّون قال : بينا أنا سائر فى بلاد المغرب إذا أنا بِرَجُلٍ على عَريش من البلُّوط. وعنده عَيْنُ مَاءٍ تجرِى فأَقَمْتُ عَلَيْهِ يومًا وليلةً أُريد أن أَسمع كلامَهَ . فأَشْرف علىّ بوجهه ، فسمِعْته يقول : شهِدَ قلْبِى لله بالنّوازلِ ، وكيفَ لايشْهَدُ قلبى بذلك؟ هيهات هيهات لقد خابَ لديْكَ المقصِّرُون ، سيدى ما أَحلى ذِكرك ، أَليسَ قَصدكَ مُؤمِّلُوكَ فنالوا ما أَمَّلُوا ، وَجُدْتَ لهم بالزيادةِ على ماطلبوا؟ فقلتُ له : ياحبيبى إنى مقيمٌ عليكَ منذ يومٍ وليلةٍ أُريد أن أَسمع مِنْ كلامِكِ . فقال لى : قد رأَيتُكَ يابطَّالُ حين أَقبلتَ ، ولكن ما ذهبَ رَوعك من قلبى إلى الآن . فقلت له : ولِمَ ذلك؟ وما الذى أفزعكَ منِّى فقال : بِطالتُك يومَ عَمَلِكَ ، وتركُك الزَّاد ليومِ مَعَادِك ، ومُقامُك على المظنون . فقلت له : ياحبيبى ماهاهنا فِتيةٌ تستأْنِس بهم ، فقال : بلى ، هاهنا فِتْيةٌ متفرّقونَ فى رؤُوسِ الجبالِ . قلتُ : فما طَعَامُهم فى هذا المكان ؟ قال : أَكلُهم الفِلَقُ[٣] من خُبز البلُّوط ، ولباسُهم الخِرَق من الثِّياب ، قد يَئِسوا مِنَ الدُّنيا ويَئِسَتِ الدنيا منهم ، أَعْطَوا المجهودَ من أَنفسهم ، فلما دَبِرت المفاصل[٤] من الركوع وقرِحَت الجِباه من السجود وتغيَّرت الأَلوانُ من السفر ضجُّوا إلى الله عز وجل بالاستغاثة[٥] .

---

(١) ق : المجهولين . وأثبت ما فى ط .

(٢) بعده فى ط : رضى الله عنه .

(٣) بكسر الفاء وفتح اللام : ج . فلقة : القطعة . وما فلق أو شق من الشىء .

(٤) كان فيها قرحة أو ما يشبه الجراحة التى تحدث من الرحل أو طول الركوع ونحوه .

(٥) ب : بالاستعاذة .

٨٦٠ ــ عابد آخر :

يوسُفُ بن الحسين قال : قال ذو النون : وُصف لى رجلٌ بالمغرب وذُكر لى من حِكْمتهِ وكلامه ما حَملنى على لقائه . فرَحلت[١] إليه إلى المغرب فأَقَمْت على بابه أربعين صباحاً على أن يَخْرُجَ من منزله إلى المسجد ويَتَعَهَّدَ . فكان يخرُجُ وقْتَ كل صلاةٍ يُصلىّ ويَرْجِعُ كَالْوَالِهِ لا يُكلّمُ أحدًا فقلت له يوماً : ياهذا إنّى مُقِيمٌ ها هنا منذُ أربعين صَباحاً لا أَراكَ تُكلِّمنى . فقال لى : ياهذا لسانى سَبُعٌ إن أَطْلقته أَكلَنى . فقلتُ : له عِظْنِى رحمك الله بموعظةٍ أحفظها عنك . قال : وتفعل ؟ قلت : نعم إن شاءَ الله ، قال : لاتحب الدنيا وعدّ الفقر غنى والبلاءَ من الله نِعْمةً ، والمنعَ من الله عطاءً ، والوحْدة مع الله أُنساً ، والذلَّ عِزًّا والطاعةَ حِرفةً والتوكّل معاشاً والله تعالى لكلِّ شديدةٍ عُدّة .

ثم مكث بعد ذلك شهرا لا يكلِّمنى . فقلتُ له رَحِمَكَ الله إنى أُريد الرجوع إلى بَلَدِى فإنْ رأَيتَ أَن تَزيدَنى فى الموعظة فقال : اعْلَم أَنَّ الزاهِدَ فى الدنيا قُوتُه ما وَجد ومسكَنه حيثُ أَدرك ولِبَاسُهُ ما سَتَر[٢] الخلوةُ مجلِسه ، والقرانُ حديثه ، والله الجبَّارُ العزيز أَنيسه والذِّكر رَفيقه ، والصَّمْتُ جُنّته[٣] والخوفُ سَجِيَّته ، والشوْقُ مطيته ، والنصيحة نَهْمَته[٤] والصبر وِساده ، والصدِّيقون إخوانه والحكمة كَلامَه ، والعقلُ دَلِيله ، والجوعُ أُدْمُه[٥] والبكاءُ دأْبه ، والله عز وجل عُدَّته . قلت بما[٦] تتبيَّنُ الزيادةُ من النُقْصان ؟ قال : عند المحاسَبة للنفوس[٧] .

---

(١) ط : فدخلت ، تحريف شديد .
(٢) ط : ما ستره .
(٣) وقايته . ويجوز قراءتها بفتح الجيم .
(٤) شهوته ورغبته .
(٥) ما يؤتدم به .
(٦) كذا باثبات الألف .
(٧) بعدها فى ط : « رضي الله عنه » .

٨٦١ ــ عابدة(١) من أهل افريقية :

محمد بن حفص قال : مررتُ على أَخ لى من أَهل مصر ونحن بالثغر ، فأَخرجَ إلى شِكالاً . فقال(٢) : انظُرْ مِنْ أَىّ شىءٍ هذا الشِّكَال ؟ فنظرت فإذا شِكالٌ من شَعرٍ ، كأَنه مِنْ صَفائِه وشِدّةِ سَوادِهِ قد دُهِنَ بالدُّهِن . فقلت : هذا عندى من أَعرافِ الخيْلِ العِتاق الكِرام . فقال : لا . والله ، ولكنه من شَعر امرأَةٍ من أَهل إفريقيَّة جعلت منه شِكالًا ، ثم أَرسلتْ به إلَّى فقالت : اجعَله شِكالَ فَرسٍ غازٍ فى سبيل الله عز وجل فأَنِّى طالَما تمتَّعْتُ به فى غَيْر طاعةِ الله قلت : إنما يُنظر(٣) إلى ذلٍّ هذه المرأَةِ لله تعالى وقَصدِها لا إلى صورة فِعلها لأَنها جهِلت أَن هذا الفعل لا يجوز .

ذكر المصطفين من عباد الجبال(٤)

الجبال على ضربين : جبال مسمّاة معروفة ، وجبال غيرُ مسمَّاةٍ . فنبدأُ بالمعرفة .

ذكر المصطفين من عباد جبل اللكام(٥)

وهم قِسْمَانِ : من يُعرف اسمه ، ومن لا يُعرف ــ فمن المعرفين :

٨٦٢ ــ اسحاق بن ابراهيم الجمال :

كان ينزل جبل اللُّكَّام عبد الله بن محمد الزنجانى قال : دخلت جبل اللُّكّام فَغَلِطتُ فوقعتُ على شيخٍ متَّزِرٍ بجلدٍ مُتَّشِحٍ بمِسْح . فقال :

---

(١) ب : عابدة أخرى .

(٢) حبل تشد به قوائم الدابة . أو : وثاق بين يد الدابة ورجلها .

(٣) ط : ننظر.

(٤) بعدها فى ط : رضى الله عنهم .

(٥) بضم اللام وتشديد الكاف ويجوز تخفيفها : جبل مشرف على أنطاكية وما حولها من الثغور .

الله أكبر ، جِنِّيٌّ أَمْ إنسيّ ؟ قلتُ : بل إنْسِيٌّ . قال : ضلَلْتَ الطريق ؟ قلت : نعم . قال : فعلِّمْني كُلَيمات . ودَفع إليَّ عصًا وقال : خذ هذه العصا فإنَّها تدلُّكَ على الطريق فاذا بلغت مُرادَكَ فأَلقِ العَصا . فمشيتُ قليلا فإذا أنا على باب أَنْطَاكِيَةَ فأَلقيتُ العَصَا . فلا أَدْرى كيف كان ذلك ؟ فرآنِي قومٌ فقالوا : من أَينَ ؟ قلت : من اللُّكَّام ، ضاللتُ الطريق فوقعتُ على شيخ فدلَّنى وعلَّمَنِي كلمات وقال لى : منذُ ثلاثين سنة ما رأَيتُ إنْسِيًّا . قالوا : نعم ، كان ها هنا أَخَوان يَقْطَعان الطريق فوقعا على هذا الشيخ فدعا لهما فتابا فليسَ اليوْمَ فى هذه النواحى أَصْلَحَ مِنْهما . وهذا الشيخ إسحاقُ بن إبراهيم الجمَّال .

القسم الثانى : من لايعرف اسمه من عبّاد جبل اللكَّام

٨٦٣ — عابد :

أَبو سليمان الدَّارانى قال : مَرَرْتُ فى جَبَلِ اللُّكّامِ فى جَوْفِ اللّيلِ فسمعتُ رجُلاً يقولُ فى دُعائه : ياسيِّدى وأَملى ومُؤَمِّلى ومَن به تمَّ عملى أَعوذُ بِكَ من بدَنٍ لا يَنْتَصِبُ بين يديك ، وأَعوذ بك من قلبٍ لا يشتاق إليكَ ، وأَعوذُ بك من دعاءٍ لا يصل إليك ، وأَعوذ بك من عينٍ لا تبكى عليك فعلمت أَنَّهُ عَارِفٌ فقلتُ له : يافَتى إن للعارفين مقامات ، وللمشتاقين علامات . قال : وما هيَ ؟ قلت : كِتْمان المصيبات ، وصيانات الكرامات . . فقال لى : عِظْنى . فقلت : اذهَب ولا تُرِد غيره ولا تَرُدّ خيره ولا تبخل بشيئِه عنه . قال : زِدنى . قلت : اذهب فلا تُرِد الدنيا ، واتَّخِذ الفقر غِنيً ، والبلاءَ من الله عز وجل شفاءً ، والتوكل معاشاً ، والجوع حِرفة ، واتخِذ الله لكل شِدّةٍ عُدّة فصَعِق صعقة فتركته .

٨٦٤ — عابد آخر :

جعفرُ بن محمد سَهل السامِرىُّ قال : سمعتُ ذا النّون يقول : بينا أنا سائر فى جبل اللُّكّام مَرَرْتُ على وادٍ كثير الأَشجار والنباتِ . فبينا أنا واقف أتعجَّب من حُسن زهرته ومن خُضرةِ العُشبْ فى جَنَبَاته إذ سمعت صوتاً أهطَل مدامِعى وهيَّج بلابِل حزنى(١) . فاتَّبعت الصوتَ حتى وَقَفَنى بباب مغارٍ فى سفح ذلك الوادى ، فإذا الكلام يخرج من جَوف المغار فأطَّلعْتُ فيه فإذا أنا برجلٍ من أهل التعبد والاجْتهادِ. فسمعته يقول : سُبحَان من أَخرج قلوبَ المشتاقين فى رياضِ الطاعة بين يديه ، سبحان من أَوْصَلَ الفَهْمَ إلى عُقول ذوى البصائر فهى لا تعْتَمدُ إلا عليه ، سُبْحَانَ من أَوْرَد حِيَاض المودّة نفوسَ أهل المحبة فهى لا تحنّ إلّا إليه . ثم أمسك فقلت السّلام عَلَيْكَ ياحَليفَ الأَحزان وقرينَ الأَشْجان . فقال : وعليك السلام ، ما الذى أوصلك إلى مَن قد أفرده خَوف المَسأَلة عن الأَنام ، واشتغل بمحاسبة نفسه من التَّنطُّعِ فى الكلام ؟ قلت : أَوصَلنى إليك الرغبة فى التصفح والاعتبار . فقال : يافتى إن الله عزَّ وجلَّ عبَّادًا قَدَحَ فى قلوبهم زَندَا الشغَف نارُ الوَمْق(٢) فأَرواحهم لشدة الاشتياق تَسْرَح فى الملكوت ، وتنظر إلى ما ذُخِر لها فى حُجب الجَبروت.

قلت : صِفْهُم لى . قال : أولئك قومٌ آوَوْا إلى كَنَفِ رحمته . ثم قال : ياسيّدى(٣) بهم فأَلحِقنى ، ولأَعمالهم فوفقنى . قلت : أَلا تُوصينى(٤) بوصيّة ؟ قال : أَحب الله عز وجل شوقاً إلى لقائه فإنّ له يوماً يتجلّى فيه لأَوليائه . وأنشأ يقول :

---

(١) قط : بلابلى . و البلابل : مفردها بلبال ، وهو شدة الهم .

(٢) الومق بفتح فسكون : الحب . (٣) ق : سيدى . وأثبت ما فى ط .

(٤) ق : ألا توصينى .

قد كان لى دَمْعٌ فأَفنيتَهُ وكان لى جَفْنٌ فأَدْمَيتَهُ
وكانَ لى جِسْمٌ فأَبْلَيتَه وكان لى قَلْبٌ فأَضنَيْتَه
وكان لى ياسيِّدى نَاظرٌ أَرى به الجوّ فأَعْمَيْتَه
عَبدُك أَضحى سيِّدى مُوثَقاً لو شئتَ قبل اليوم دَاوَيْتَه

٨٦٥ — عابد آخر :

يوسف[١] بن الحسين قال : سمعت ذا النّون يقول : مَرَرْتُ برجلٍ بجبل اللُّكام وهو ساجد يقول فى سجوده : إلّهى ، بك عرفتُك فما حاجَتى إلى غيرك .

٨٦٦ — عابد آخر :

أَبو إبراهيم الزَهْرى قال : كنت جائياً من المَصِّيصة . فمررت باللُّكّام فأَحببت أَن أَراهم ، يعنى المتعبِّدين ، هناك فقصدتُهم ووافيت صلاة الظهر ، وأَحسبه رآنى فيهم إنسان عرفنى : فقلت له : فيكم رجل تدلُّونى عليه؟ فقالوا اهذا الشيخ الذى يصلِّى بنا . فحضرت معهم صلاةَ الظُهْرِ والعصر . فقال له ذلك الرجل هذا رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف وجدُّهُ أَبو أُمه سَعْدُ بن معاذ . قال : فبشَّ بى وسلَّم علىّ كأَنه قد[٢] كان يعرفنى قال : فقلت له : من أَين تأْكُلْ ؟ فقال لى : أَنت مقيم عندنا قلت : أَما الليلة فأَنا عندكم . قال : ثم مضيْتُ معه فجعل يحدِّثُنِى ويُؤانسنى حتى جاءَ إلى كهف جبل فقعدتُ[٣] ودخل فأَخرج قَعباً يسع[٤]

(١) من هنا إلى قبيل نهاية الترجمة (٨٦٨) هو فى صفحتى الورقة (١٦٨) التى وضعت فى ق قبيل الآخر ، خطأ . وإنما مكانها هنا بين الورقة (١١٩) والورقة (١٢٠) وقد أدى الخطأ فى التجليد إلى خطأ فى الترقيم .

(٢) ق : مذ . وأثبت ما فى ط .

(٣) ط : فقعد .

(٤) إناء ضخم .

رطلاً ونصفاً ، قد أتى عليه الدُهورُ . فوضَعَهُ وقَعد يحدِّثُنى حتى إذا كادت الشمس تَغْرُبُ اجتمعت حواليه ظباءٌ فاعتقل منْها ظبية فحلبها حتى ملأ ذلك القَدح ، ثم أرسلها . فلما سقط القُرص حَساه[1] . ثم قال : ما هو غير ما ترى ، وربما احتجتُ إلى الشيء من هذا فتَجْتَمِعُ حَوْلى هذه الظباءُ فآخذُ حاجتى وأرسلها . قلت : أبو إبراهيم اسمه أحمد ابن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، معروفٌ بالعلم والزُهْدِ ، وكان أحمد بن حنبل إذا رآه قام قائماً .

٨٦٧ — عابد آخر :

أبو صالح الدِمَشْقى قال : كنت أدورُ فى جبل اللُّكّام أطلب الزهّاد والعبّاد فرأيت رجلا عليه مُرَقَّعةٌ جالساً على حجَر مُطرِقاً إلى الأَرض ، فقلت له : ياشيخ ما تَصْنع ها هنا ؟ قال أنظر وأرعَى . فقلت له : ما أرى بين يديك إلا الحجارة ، فما الذى تنظُر وتَرعى . قال : فتغير لونه ثم نظر إلىَّ مُغْضَبًا وقال : أنظر خواطر قلبى ، وأرعى أوَامِر ربى وبحقِّ الذى أظهرك علىّ إلّا جُزتَ عنّى . فقلت : كلّمنى بشىء أنتفع به حتى أمضى . فقال : من لزم الباب أُثبت فى الخدم ، ومن أكثر ذِكر الذنوب أكثر من الندم ، ومن استغنى بالله أَمِنَ العَدَم[2] . ثم تركنى ومضى .

٨٦٨ — عابد آخر :

سَرِىٌّ السَّقطى قال : مكثتُ أربعين سنة أسأل الله عز وجل أن يُرينى ولياً من أوليائه ، قال : فلم أَرَ أحَدا . فخرجْتُ إلى الثَّغرِ وصَعدْتُ جَبَل اللّكام فبينما أنا أمشى فى المحجّة إذ رأيت قوماً جُلُوساً نحو ثلاثين

(١) أى لما غابت الشمس شرب الحليب .

(٢) العدم (بفتحتين أو بضم فسكون) : الفقر ، الفقدان .

نفساً ، مَرْضَى ، عليهم ثيابٌ خُلْقان . فسلّمت عليهم ووقفتُ فقلت : لأَىِّ شىءٍ أنتم جلوسٌ فى هذا القفر ؟ قالوا : نحن من هذه المدينة التى (فى) أَسْفَل الجَبَلِ ، إذ كان رأْس[1] كلِّ شَهْرٍ فى مثلِ هذا اليوم ، فى مثلِ هذا الموضع[2] نَجلس ، فإذا كان الظهر أَقبلَ علينا رجلٌ من هذا الموضع فنقومُ إليه فيدعُو الله لنا . فقعدتُ معهم . قال : فلما أن كان الظهر أَقبل رجلٌ أسمرُ شديدُ السُمْرَةِ عليه مِئزر صوف ، فقرأ على كل واحد قال : فلحقته فقلتُ له قف علىّ[3] يرحمك الله أكلِّمك . فالتفت إلىَّ وقال : ياسَرِىّ لا تُعامِلْ غيره فتسقط من عَينه .

٨٦٩ — عابد آخر :

بلغنا عن بعض السلف أنه قال : مَضَيْتُ إلى جبل اللُّكام فما رأيت أَعبدَ من شابٍّ أَصفرَ اللون ، كان يصفُّ قدميه فيصلِّى ركعتين من أَولِ الليل إلى آخره فيختم فيها القرآن ثم يجلس فيعْتَذِرُ إلى الصباح .

٨٧٠ — ومن عقلاء المجانين بجبل اللكام :

بلغنا عن ذى النون المصرى قال : وُصِف لى رجل من أَهل المعرفة فى جبل اللّكَّام ، فقصدته . فلَقِيَنِى جماعةٌ من المتعبِّدين فسأَلتُهم عنه؟ فقالوا : ياذا النون تسأَل عن المجانين؟ فقلت : وما الذي رأَيتم من جُنُونِه؟ قالوا : نراه فى أَكثر أَوقاتِه هائمًا ساهيًا يُكلَّم فلا يُجيب ، ويتكلَّم فلا نَفْقه مايقول ، وينوح فى أَكثر أَوقاته على نفسه ويبكى فقلت فى نفسى : ما أَحسن أَوصاف هذا المجنون . ثم قلت لهم :

---

(١) ق : « فى » بدل « رأس » . وأثبت ما فى ط .

(٢) فى مثل هذا الموضع : هذه العبارة سقطت من ب .

(٣) إلى هنا نهاية الورقة (١٦٨) التى وضعت فى غير مكانها من نسخة ق ، كما ذكرنا فى أول الترجمة (٨٦٥) .

دلّونى عليه . فقالوا : إنَّه يأْوِى فى الوادى الفلانى . فانطلقت إلى الوادى فأَشرفتُ[١] على وادٍ وَعِرٍ ، فجعلت أَنظر يمينًا وشمالاً فإذا أَنا بصوت محزون شَجٍ من وَجْد قلبٍ وهو يقول :

ياذا الذى أَنِسَ الفؤاد بذكره　　أَنت الذى ما إن سواه[٢] أُريدُ
تَفنَى الليالى والزَّمانُ بأَسره　　وَهَواك غضٌّ فى الفؤاد جديدُ

قال ذو النون : فاتبعث الصوت فإذا أَنا بفتًى حسن الوجه حسن الصوت ، وقد ذهبت تلك المحاسن وبقيت رسومُها ، نحيل قد اصفرّ واحترق[٣] وهو شبيهٌ بالوالِه الحيران . فسلمت عليه فردّ السلام وبقى شاخصًا يقول :

أَعميتَ عينى عن الدنيا وزينتِها　　فأَنت والرّوح شىءٌ غيرُ مفترِق
إذا ذكرتُك وافىَ مقلتى أَرَقٌ　　من أَول الليل حتى مطلعِ الفَلق
وما تَطَابقَتِ الأَجفانُ عن سِنةٍ　　إلَّا رأَيتك بين الجَفن والحدَق

ثم قال : ياذا النون مالَك وطلبَ المجانين؟ : قلت . أَوَ مجنون أَنت ؟ قال . قد سُميّتُ به . فقلت . مسأَلة ؟ فقال . سل . قلت : أَخبرنى . ما الذى حبّب إليك الانفراد وقطَعك عن المؤانسين وَهَيّمك فى الأَوْدية؟ فقال : حبِّى له هيّمنى ، وشوقى إليه هيّجنى ، ووجدى به أَفردنى . ثم قال : ياليت شعرى يافتى إلى متى تَترُكنى مُقَلْقَلاً فى محبّتى؟ فقلت : أَخبرنى أَين محل الحبّ منك؟ وأَين مَسْكن الشّوق فيك؟ فقال : مسكن الحبِّ سَوادُ الفؤاد . قُلتُ : فَما الذِى[٤] تجد فى خَلوتك؟ قال : الحقَّ سبحانه . قلت : كيف تجده ؟ قال :

---

(١) ط : وأشرفت .
(٢) ب : سواك .
(٣) قط : قد احترق .
(٤) ط : « فقلت : ما الذى » .

بحيث لاحيث . ثم قال : ياذا النون أعجبَك كلام المجانين؟ قلت : إي والله وأشْجاني . ثم قلت له : ما صِدْقُ وِجدانك للحقِّ تعالى ؟[١] فصرخ صَرْخة ارتجَّ لها الجبل . ثم قال : ياذا النون هكذا موت الصَّادقين[٢] . ثم سقط إلى الأَرض ميتًا فتحيَّرتُ فى أمره ، لاأدرى ما أصنع به ، وإذا به قد غاب عنِّى فلا أدرى أين ذهب .

ذكر المصطفين من عباد جبل لبنان

وهم على ضربين : معروف ومجهول فنبدأُ بالمعروف

٨٧١ — على الجرجرائى (٣) :

كان من أُستاذِى[٤] بشر الحافى . وكان ينزل جبل لبنان

القاسم بن القاسم قال : بلغنى أن بِشرًا[٥] الحافِى لقىَ عليًا الجرجرائى[٦] بجبل لبنان على عين ماءٍ . قال : فلما أبصرنى قال : بذَنْبٍ منِّى لقيتُ اليوم إنسيًّا . فعدَوتُ خلفه وقلت : أَوصنى . فالتفت إلىّ وقال : أَمُسْتَوْصٍ أنتَ؟ عانقِ الفقر ، وعاشِر الصّبر ، وعادِ الهوى ، وعاف[٧] الشهوات ، واجعل بيتَك أَحلى من لَحدِك يوم تُنقل إليه ، على هذا طاب المسير إلى الله عز وجل .

ذكر المصطفين من المجهولين الأسماء من عباد جبل لبنان

٨٧٢ — عابد (٨) :

محمد بن حسان قال : بَينا أَنا أَدور فى جبل لبنان إذ خرج علىَّ شابٌّ قد أَحرقته السّموم والرياح ، عليه طِمْرٌ رَثٌّ ، وقد سقط شعر

---

(١) قط : الحق تعالى . ب : لله تعالى .　　(٢) ب : الصالحين .

(٣) بفتح الجيمين وسكون الراء ، نسبة إلى جرجرايا : بلد بين واسط وبغداد من الجانب الشرقى ، خرج منها جماعة من العلماء والشعراء والكتاب والوزراء . ق : الجرجراى . ط : الجرجانى .　　(٤) جمع مذكر مفرده : أستاذ .

(٥) فى النسخ : بشر . والصواب ما أثبت .　　(٦) ق : الجرجراى . ق ط : الجرجانى .

(٧) كذا فى النسخ جميعاً .　　(٨) ط : رضى الله عنه .

رأسه على حاجبيه . فلما نظر إلىّ ولىَّ هاربًا مستوحشًا . فقلت له : يا أخى ، موعظةً[١] لعل الله عز وجل أن ينفعنى بها . فالتفت إلىّ وهو مارٌ فقال : يا أخى ، احذر الحق[٢] فإنَّه غَيور ، ولايحبّ أن يرى فى قلب عَبدِهِ سِواه .

٨٧٣ — عابد آخر :

ابراهيم بن الجُنَيد قال : حدثنى أبوفروة السائح قال : بينا أنا أَسِيح فى جبل لبنان إذ جَنَّ الليل علىّ وأنا فى بعض أوديته ، فإذا بصوت محزون وهو يقول : يامَن آنَسَنِى بقربه ، وأوحشنى من خَلْقه ، وكان عند مَسَرّتِى[٣] ارحَم اليومَ عَبْرتى . فدنوت منه فإذا شيخ قد سَقَط حاجباه على عينيه . فلما أحسّ بِى نفَر وقال : إنسيٌّ أنت ؟ قلت : إنسيٌّ . قال : إليك عنِّى ، فمنكم فَررتُ .

٨٧٤ — عابد آخر :

يوسف بن الحسين قال : سمعت ذا النون يقول : بينا أنا أسير على جبل لبنان فى جوف الليل إذا أنا بعَريش[٤] من وَرَق البلّوط ، وإذا شاب قد أخرج رأسه من العَريش بوجه أحسن من القمر . فقال : شهِدلكَ قلبى فى النَّوازل بمعرفة درجة الفضل[٥] لك ، وكيف لا يشهدُلك قلبى بذلك ولايَحْسُنُ بقلبى[٦] أن يأْلف غيرك؟ هيهات لقد خاب لديك المقصّرون عنك . ثم أدخل رأسه فى عَريشه وفاتنى كلامه ، فلم أزل واقفا إلى أن طلع الفجر ثم أخرج رأسه فنظر إلى القمر فقال إلهى أشرقت[٧]

---

(١) أى أسألك موعظة .
(٢) كلمة « الحق » ساقطة من ط .
(٣) ط : مسيرى .
(٤) العريش : البيت الذى يستظل به أو شبه الخيمة من خشب ونحوه مما ينصب ويظلل عليه .
(٥) ق : التفضيل ، وأثبت ما فى ط .
(٦) ط : ولا يحس قلبى .
(٧) كلمة « الهى » ساقطة من ط .

بنورك السموات ، وأنارَت بنورك الظُّلمات ، وحَجبتَ جَلالَكَ عن العيون فوصلتَ بهِ معارف القلوب . ثم قال : بالْتِجائى إليكَ فى حزنى[١] انظُر[٢] إلىّ نظرةَ مَن ناديتَه فأَجاب . فوثبتُ إليه فسلَّمت عليه فرد علىّ السلام . فقلت : رحمك الله أسأَلك عن مسأَلة ؟ قال : لا . قلت : ولمَ ذاك؟ قال : ماخرج رَوعُك من قلبى . قلت : حبيبى وما الذى أفزعك منّى؟ قال : بَطالتك فى يوم شُغلك ، وتركُك الزادَ ليوم مَعادك ، ووقوفك على الظَّنون ياذا النون . فوقعتُ مغشيًا علىّ . فما أَفقت إلَّا بحرّ الشمس . ثم رفعت رأسى فلم أَره ولا العَريشَ . فقمت فسِرتُ وفىّ[٣] منه منه حَسْرة[٤] .

٨٧٥ ــ عابد آخر :

عن أَبى الحارث الأَولاسى[٥] قال : بلغنى أَن بجبل لبنان رجلاً تُطوى له الأَرض من يومه[٦] إلى بيت المقدس . ووُصِف لى مكانه فصِرت إليه فإذا هو رجل قد أُلبِس ملامة . فسأَلته من أَين المطعَم؟ فَدَعا بظِبْيَة كانت قريبًا منه فى الجبل فجاءَ بها إلى صخرةٍ فيها نُقرة[٧] فحلبها وسَقانى من اللبن[٨]

ومن عقلاء المجانين بجبل لبنان

٨٧٦ ــ شيبان المصاب (٩) :

محمد بن أَحمد بن سلَمة قال : حدّثنى سالم قال : بينا أَنا سائر مع ذى النون فى جبل لبنان إذ قال لى : مكانك ياسالم حتى أَعود إليك.

---

(١) قط : وحزنى .

(٢) ق : «لتنظر» مضارع مقرون بلام الأمر . وأثبت ما فى ط .

(٣) قط : وبق . ب : وبقلبى .

(٤) بعدها فى ط : والسلام .

(٥) سبقت ترجمته فى هذا الجزء برقم (٨٠٥) . وفى ط : الأولاشى ، تصحيف .

(٦) ب : فوقه .

(٧) حفيرة .

(٨) ط : والسلام .

(٩) بعدها فى ط : رضى الله عنه .

فغاب عنِّى فى الجبل ثلاثة أيام وأنا أنتظره ، إذا هاجت علىّ النفس أطعمتُها من نبات الأرض وسقيتُها من ماءِ[١] الغُدْران . فلما كان بعد الثالث رجع إلىَّ متغيِّر اللون ذاهبِ العقل . فقلت له بعد أن رجعَت إليه نفسُه : يا أبا الفيض أسَبُعٌ عارضَك؟ فقال : لا ، دَعنِى من تخويف البشرية ، إنى دخلت كهفًا من كهوف هذا الجبل فرأيْتُ رجلاً أبيض الرأس واللحية أشْعث أغْبر نَحِيفًا نحيلاً كأنما أُخرِج من قبره ، ذا منظرٍ مهولٍ وهو يصلِّى . فسلَّمت عليه بعد ما سلَّم . فردَّ علىَّ السلام وقام إلى الصلاة فمازال راكعًا وساجدًا حتى صلَّى العصر واستَند إلى حَجرٍ حذاءَ المحراب يسبّح ، لايكلِّمنى . فبدأْته بالكلام فقلت له : رحمك الله توصينى بشىءٍ؟ ادعُ الله عزَّوجل لى بدَعْوة . فقال : يا بنىّ آنسك الله تعالى بقُربه . ثم سكتَ . فقلت : زِدنى : فقال : يا بنىَّ مَن آنسه الله بقُربه أعطاه أربعَ خِصَال : عزًّا من غير عَشِيرة ، وعلمًا من غير طلَب ، وغِنًى من غير مال ، وأُنسًا من غير جماعة .

ثم شهق شهقة فلم يفق إلا بعد ثلاثة أيام حتى توهمت أنه مَيّت . فلما كان بعد ثلاثة أيام قام فتَوَضَّأَ من عين ماءٍ إلى جنب الكهف وقال لى : يابنى كم فاتنى من الفرائض؟ صلاةٌ أوصَلاتان أو ثلاث؟ قلت : قد فَاتَتْك صلاة ثلاثة أيام بلياليهنّ فقال :

إنَّ ذِكْر الحبيب هيَّجَ شَوقِى ثم حب الحَبيبِ أذهبَ[٢] عَقْلِى

وقد استوحشتُ من ملاقاة المخلوقين ، وقد أَنست بذِكْر رب العالمين ، انصرِف عنى بسلام . فقلت له : يرحمك الله وقفت عليك

---

(١) ط : وسقيتها ماء .

(٢) ب : أذهل .

ثلاثةً أيام رجاءَ الزيادة . وبكيت فقال : أَحِبِ مولاك ولا تُرد بحبّه بدلاً ، فالمحبّون لله تعالى هُم تِيجان العبّاد وعَلَم الزهّاد ، وهم أَصفياءُ الله وأَحبّاوُه .

ثم صرخ صرخةً فحرّكته فإذا هو قد فارق الدنيا . فما كان إلاهُنَيَّةً وإذا بجماعة من العبّاد مُنحدِرين من الجبل حتى وارَوْهُ تحت التراب. فسأَلتُ : ما اسم هذا الشيخ ؟ قالوا : شَيبانُ المُصابُ . قال سالم : فسأَلت أَهل الشام عنه فقالوا : كان مجنونًا خرج من أَذى الصبْيان . قلت : تعرفون من كلامه شيئًا ؟ قالوا نعم ، كلمةً واحدةً كان يغنّى بها إذا ضَجِر : (إذا بك لم أُجَنّ ياحَبيبى فبمَن[1] ؟) قال سالم : فقلت عُمِّىَ والله عليكم . .

٨٧٧ — عباس المجنون :

عن ابن المبارك قال : صعدت جبل لبنان فإذا برجل عليه جُبَّةُ صوفٍ مفتَّقَةُ الأَكمام ، عليها مكتوبٌ ، (لاتُباع ولاتُشتَرى) ، قد ائتزَر بمِئزر الخشوع ، واتَّشَحَ برداءِ القنوع . فلما رآنى اختفى وراءَ شجرةٍ . فناشدْتُهُ بالله فظهر فقلت : إنكم معاشرَ العبَّاد تصبرون على الوحدة ، وتُقاسُون هذه القِفَار المُوحشة . فضحك ووضع كُمَّهُ على رأْسِهِ وأَنشأَ يقول :

ياحَبِيبَ القلوب مَن لى سِوَاكا ؟ ارحَمِ اليومَ مُذنبًا قد أَتاكا
أَنت سؤلى ومُنْيتى وسُرورى قد أَبى القلب أَن يحبّ سِواكا
ليس سُؤْلى من الجِنان نَعيمٌ غيرَ أَنّى أُريدُها لِأَراكا

قال : ثم غاب عنِّى فتعاهدت ذلك الموضع سنةً لِأَقعَ عليه فلم

---

(١) ط : فن .

أَره . فالقِيَنِى غلامُ أَبى سليمان الدارانى فسأَلته عنه وأَعطيتُه صِفته فبكى وقال : واشوقاه إلى نظرةٍ أُخرى منه . فقلت : مَن هو؟ قال : ذاك عبَّاس المجنون ، يأْكل فى كل شهرٍ أَكلَتِيْن[1] من ثمار الشجر ونبات الأَرض ، يتعبد منذ ستين سنة .

ومن عباد جبل الطور

٨٧٨ — عابد :

سهل بن عيسى الجبلى قال : كنت عند إبراهيم بن شيبان فَسَأَلُوه عن وصْفِ العارف؟ فقال : كنت على جبل الطُّور مع شيخى أَبى عبد الله المغربى ومَعنا نحو من سبعين رجلاً ، أَقلّ أَو أَكثر . فأَتانا ذاتَ يوم شابٌّ علية أَثَرُ الخشوع فكنا إذا صَلَّينا قام فصلَّى معنا ، وإذا تَجَارَيْنا العِلم قعد يستمع إلينا فبينا نحن ذات يوم قُعودٌ تحت شجرة فى مكان فيه عُشب ، وكانت أَيام الربيع ، فتكلم الشيخ علينا فى عُلُوم المعارف فرأَيتُ الشاب يتنفَّس ، فاحترقَ مابين يديه من العشب . ثم غاب فلم أَره بعد ذلك . فقال الشيخ : هذا هو العارف ، وهذا وَصفه .

ومن عباد جبال بيت المقدس

٨٧٩ — عابد :

محمد بن أَحمد النيسابورى قال : سمعت ذالنون يقول : بينا أَنا فى بعض جبال بيت المقدس سمعت صوتًا وهو يقول : ذَهَبَتْ الآلام عن أَبدان الخُدّام وَوَلِهَتْ بالطاعة عن الشراب والطعام ، وأَلِفت أَبدانهم طُول القيام بين يدىْ المِلك العلَّام . فتبعت الصوت فإذا شابٌّ أَمْرَدُ قد علا وجهَه اصفرارٌ يميل مَيل الغصن إذا ميَّلته الريح ، وعليه شَمْلة قد اتَّزر[2] بها ، وأُخرى قد اتَّشح بها . فلما رآنى تَوارَى عنى بالشجر

(١) قط : مرتين .

(٢) ق : ايتزر . وأثبت ما فى ط .

فقلت له : أيها العالِمُ ، الجَفاءُ ليس من أخلاق المؤمنين . فكلِّمنى وأوصنى . فخرّ ساجدًا وجعل يقول : هذا مقامُ من لاذَ بك واستجارَ بمعرفتك ، وأَلِفَ محبّتك فيا إلٓه القلوب وما تَحويه من جَلال عظمتِك احجُبنى عن القاطِعين لى عنك . قال ذو النون : ثمَّ غاب عنِّى فلم أره .

ومن عابدات جبال بيت المقدس

٨٨٠ — عابدة :

محمد المبارك الصورى[١] قال : بينما أنا أجُولُ فى بعضِ جِبالِ بيت المقدسِ إذا أنا بشخصٍ مُنْحدر من جبلٍ ، فإذا هى امرأةٌ عليها مِدْرعة من صوف وخِمارٌ من صوف . فسلَّمْتُ فردَّت فقالت : ياهذا من أين أَقبلت؟ فقلت : رَجُلٌ غريبٌ . قالت : ياسبحان الله ، وهل تَجِدُ مع سيِّدك وَحْشَةَ الغُربَةِ وهو مُؤنِسُ الغُرباءِ ومحدِّث الفقراءِ؟ فبكيت . فقالت مِمَّ بكاؤُك؟ ما أسرع ما وَجدت طَعم الدواءِ؟ فقلت أولا يبكى العليل إذا وَجد طَعْم العافية؟ قالت : لا قلت : لم ؟ قالت لأنه ماخَدم القلبَ خادمٌ هو أحبَّ إليه من البكاءِ ، ولاخَدم البكاءَ خادمٌ هو أحبَّ إليه من الشَّهيق والزفير فى البكاءِ . قلت : علِّمينى رحمك الله فإنِّى أَراك حكيمةً . فأَنشأَتْ تقول :

دُنياك غَرَّارةٌ فذَرْها ... فإنَّها مَركبٌ جَمـوحُ
دون بُلوغ الجَهولِ منها ... مُنْيَتَه ، نَفسُه تَطيحُ
لاتَركب الشرَّ واجتَنبهُ ... فإنَّه فاحشٌ قَبيـحُ
والخيرَ فاقْدم عليه تَرشُدْ ... فإنَّه واسـع فَسيحُ

---

(١) قط : الصوفى . تحريف . والصورى هذا يعرف أيضاً بالقلانسى القرشى . كان نزيل دمشق ، ثقة . مات سنة (٢١٥) هـ وله أثنان وستون عاماً . (تقريب التهذيب ٢/٢٠٤) .

فقلت : زيديني . فقالت : أَحِبْ ربَّك شوقًا إلى اقائه ، فإنَّ له يومًا يتجلَّى فيه لأَوليائِه(١) .

٨٨١ — زهراء الوالهة (٢) :

ومن عقلاء المجانين مجنونة فى جبل من جبال بيت المقدس يقال لها زهراء الوالهة (٣)

محمد بن سلَمة قال : سمعت ذالنون المِصرىّ يقول : بينا أنا فى بعض أَودية بيت المقدس إذ سمعت صوتًا يقول : يا ذا الأَيادِى التى لاتُحصى ، ويا ذا الجُودِ والبقاءِ مَتِّعْ بصَر قلبى من(٤) الجَوَلان فى بساتين جَبروتك ، واجْعَلْ هِمَّتى(٥) متصلةً بِجُودِ لُطْفِكَ ياالطيف ، وأَعِذْنى من مَسَالك المتحيِّرين بجلال بَهَائِك يارءوف ، واجعلنى لك فى جميع الحالات خادمًا وطالبًا ، وكن لى يا مُنوِّرَ قَلْبى وغايَةَ طلَبى فى الفضل صاحبًا . قال ذو النون : فطلبت الصَوْتَ حتى ظهرلى ، فإذا امْرَأَةٌ كأَنَّها العُود المحترق ، وعليها دِرع من الصوف ، وخِمار من الشعر أَسود(٦) قد أَضناها الجهد وأَفناها(٧) الكَمد وذَوَّبها الحبّ ، وقتلها الوَجد . فقات لها : السلام عايك . فقالت : وعليك السلام ياذا النون فقلت : لاإله إلا الله كيف عرفت اسمِى ولم تَرَيْنِى؟ قالت : كَشف عن سرِّى الحبيبُ فرفع عن قلبى حجابَ العمى فعرَّفْنِى اسْمك . فقلت : ارجعى إلى مُناجاتك . فقالت : أَسأَلك ياذا البهاءِ أَن تَصرف عنِّى

(١) بعدها فى ط : والسلام .
(٢) العنوان زيادة من عندنا وليست فى النسخ .
(٣) بعدها فى ط : رضى الله عنها .
(٤) ق : فى ، وأثبت ما فى ط .
(٥) قط : ثقتى .
(٦) أسود : ساقطة من ط .
(٧) قط : وقتلها .

شرّ ما أجد فقد اسْتَوْحشتُ من الحياة . ثم خرّت ميتةً . فبقيتُ مُتَحَيّرًا متفكِّرًا . فأقبلت عجوزٌ كالوالِهة فنظرت إليها ثم قالت : الحمدُ لله الذى كرمها . قلت : مَن هذه ؟ فقالت : ألم تَسمع بزَهراءَ الوالِهة ؟ هذه ابنتى تَوهَّم الناس منذ عشرين سنة أنها مجنونة وإنما قتلها الشوق إلى ربِّها .

ومن عباد جبال المغرب

٨٨٢ — عابد :

عن ذى الكِفل أخى ذى النون قال : سمعت ذا النون يقول : بينا أنا فى جبال المغرب إذوقعتُ على رَجل عابدٍ فى رأس جبل ، فَسَلَّمْتُ عليه ، فأطرقَ إلى الأرض ثم رفع رأسه وقال : وعليكم السلام . قال ذو النون : فقلت له : مامَقَامُك فى هذا المكان ؟ فقال : معى بُضَيِّعة[1] قد هرَبتُ بها من الأسواق وقد جئت بها لأدفنَها فى هذا المكان . قلت : وما بِضاعَتُكَ هذه؟ قال : عِقدُ توحيدى وخالِصُ ضميرِ مكنونى قلتُ : اوأنِستَ بالناس . قال : منهم هربت ، وقد قصَدتُ إلى مَن قَصده غَيرِى من الرّاجين . فوجدوه مؤنساً . ثم رفع طَرْفه نحو السماءِ ثم قال : أَنت أَنت . قال ذو النون : فرفعت طَرْفِى فى موضعِ رَفْع طَرفِه ورَدَدتُ طَرْفى فلم أره .

ومن عباد جبال الاسكندرية

٨٨٣ — عابد :

جعفر بن النعمان الرّازى قال : قال ابراهيم بن أدهم ذات يوم : يا أهل الشام تعجَبون منِّى؟ وإنما العجَب من الرّجل الإسكندَرانى ، فإنِّى طلبته فى جبال الاسكندرية حتّى وقعتُ عليه بعد ثمانية أيام وهو

---

(١) بضم الباء وتشديد الياء : مصغر بضاعة .

يصلِّى كأنه مَدْهوش . ثم حانت منه التفاتَةٌ إلىَّ فقال لى : مَن أنت ؟ قلت : رجل أعرابى . قال : هلْ عندك حديث تحدِّثنابه ؟ قال فحدَّثْته بخمسةِ أَحْرُفٍ فَغُشِىَ عليه وأنا أنظُرُ . ثم أفاق فقال : خُذ أنت هاهنا حتى آخذَ أنا ههنا . فطلبته بعدُ فلم أقدر عليه .

ومن عباد جبل المقطم[1]

٨٨٤ — عابد :

يوسف بن الحسين قال : سمعت ذا النون المصرىّ يقول : وُصِف لى رجل فى جبل المقطَّم فقصدتُه فرأيت رجلاً متعبِّدًا فمكثت معه أربعين يومًا لا أُكلِّمه . ثم استخرت[2] الله تعالى يومًا فى كلامه ، وسأَلت الله أن يوفقه لى . فقلت أيها الشيخ فيمَ النجاة ؟ فقال : فى التقوى والمراقبة . فقلت : زِدْنى . فقال : فِرّ من الخَلق ولاتستأْنِس بهم . فقلت له : زِدنى . فقال : إنَّ لله عِبادًا نظَروا إلى باطن الدنيا لما نظر الخَلْقُ إلى ظاهرها ، فأَماتُوا منها ماخَشُوا أن يُميتَهم ؟ إنهم قوم صافَوْه بالعقول ودقّقوا له الفِطَن فسَقاهم كأْسًا من محبَّته فهم فى عطَشهم أَروِياءُ ، وفى رِيِّهم عِطاش . قال : فقلت له : زدْنى . فقال إنَّهُمْ أقوياءُ فى توكُّلهم .

ومن عباد جبل الأقرع[3]

٨٨٥ — عابد :

قال بِشر بن الحارث : كنت مارًّا فى جبال الشام فأَتيتُ على يقال له الأَقرع ، فإذا أنا بشابٍّ قد نَحُلَ جسمه ورقَّ جلده ، وعليه ثوب من صوف ، فسلَّمت عليه فردّ علىّ . فقلت فى نفسى : أَقول له

---

(١) جبل يشرف على مقبرة مدينة القاهرة فى مصر . ط : المقطن ، هنا وفى الموضع الآتى بعد قليل ، وهو تحريف .

(٢) ق : فاستخرت . وأثبت ما فى ط .

(٣) جبل فى بلاد الشام .

عِظْنى وأَبلِغْ . فقال لى ، قبل أن أُكلِّمه فأَجاب عن سرّى : عِظْ نفسك بنفسك ، وفُكَّ نفسك من حَبسك ، ولاتَشتغل بموعظةِ غيرك من جنسك ، واذكر الله فى الخَلوات يَقِكَ السَّيِّئات ، وعايك بالجد والاجتهاد . ثم بكى وجعل يقول : شُغلت النفوس بالقايل الفانى ونحَبت[١] الأَبدان بالتسويف والأَمانى . ثم قال : يابشر ، وما[٢] رآنى وماعَرفنى قبل ذالك ، إنَّ لله عبادًا خالَط قاوبَهم الحزنُ ، فأَسهر[٣] ليلَهم وأظمأَ نهارَهم ، وأَبكى عيونَهم ، كما وصَفهم ربُّهم فى كتابه (كانُوا قايلاً من الليلِ ما يَهجعُون . وبالأَسحارِ هُم يَستغفِرون[٤]

ذكر المصطفين من عباد جبال الشام المجهولة [٥] الأسماء

٨٨٦ — حميد [٦] بن جابر ، الأمير الشامى :

ابراهيم بن بشار قال : كنت يومًا مارًّا مع ابراهيم بن أَدهم فى صحراءٍ إذْ أتينا على قبر مُسَنَّم[٧] . فترحَّم عَلَيْهِ وبكى . فقلت :مَن هذا ؟ فقال : هذا قبرُ حميد بن جابر أَمير هذه المدن كلِّها ، كان غَرِقًا فى بحار الدنيا ثم أَخرجه الله عزَّ وجلَّ منها فاستنقذَه . لقد بلغنى أَنه سُرّ ذات يوم بشيءٍ من مَلاهى مُلكِه ودُنْياه وغُروره وفِتْنته . قال : ثم نام فى مجلسه ذالك مع من يخصُّه من أَهله . قال : فرأى رجلا

---

(١) نحب القوم فى سيرهم : جدوا . ونحبه السير : أجهده .
(٢) كذا ، ولعل الواو زائدة .
(٣) ط : وأسهر .
(٤) الذاريات : ١٧ — ١٨ .
(٥) ط : المجهولين .
(٦) بضم الحاء ، مصغراً .
(٧) مرتفع فوق الأرض ، عكس مسطح .

واقفًا على سريره وبيده كتاب فناولَه فَفَتحه فإذا فيه كتاب بالذَّهب مكتوب : لا تؤثرنَّ فانيًا على باقٍ ، ولا تغترّنَّ بملكك وقُدرتك وسلطانك وخدَمك وعَبيدك ولذَّاتك وشَهواتك ، فإنَّ الذى أَنت فيه جسيم لولا أَنه عديم ، وهو مُلْك لولا أَنَّ بعده هُلْكٌ[1] وهو فَرَح وسُرور لولا أَنه لَهوٌ وغُرور ، وهو يومٌ لوكان[2] يُوثَق له بغدٍ ، فسارِعْ إِلى أَمر الله عزّ وجل فإنَّ الله قال : (وسارِعُوا إِلى مَغفرةٍ من ربِّكم وجَنَّةٍ عَرضُها السّمواتُ والأَرضُ أُعِدَّت للمُتَّقِين)[3] . قال : فانتبه فزعًا وقال : هذا تَنْبيهٌ من الله عز وجل وموعِظة . فخرج من مُلكه لا يُعلَم به ، وقصَد هذا الجبلَ فتعبّد فيه . فلمَّا بلغَتنى قصته وحُدِّثت بأَمره قَصَدْتُه فسأَلته فحدّثنى ببَدْوِ[4] أَمره وحدّثته ببَدْوِ أَمرِى ، فمازلت أَقصِده حتى مات ودفن ههنا . فهذا قَبره رحمه الله .

٨٨٧ — عابد آخر :

بِشْرُ بن الحارث قال : استقبلنى رجلٌ فى طريق الشام وعليهِ عَبَاءَةٌ قد عَقَدَها مُسْتَوْفرًا كأَنه وحشىّ . فقلت له : رحِمَكَ الله من أَين جئت ؟ قال لى : جئت من عنده . فقلت وإِلى أَين تذهب ؟ فقال : إِليه فقلت له : ففيم النجاةُ رَحِمَك الله ؟ قال : فى التقوى والمراقبة لمن أَنت لهُ مبتغ . قلت : فأَوصِنى . قال : لاأَراك تَقبَل . قلت : أَرجو أَن أَقبَل إِن شاءَ الله . قال : فِرَّ منهم ولاتـأْنس بهم واستوحش من

---

(١) كذا بالرفع فى النسخ جميعاً . وكان ينبغى نصب (هلكاً) اسما لأن . إلا إذا جعلنا اسمها ضمير شأن محذوفاً وخبرها الجملة الاسمية (بعده هلك) ليلتئم السجع .

(٢) لو : حرف للتمنى .

(٣) آل عمران : ١٣٣ .

(٤) يقال : بدا الأمر بدواً (بفتح فسكون) وبدواً (بضمتين وتشديد الواو) وبداء وبداءة (بفتح الباء فيهما) : أى ظهر .

الدنيا فإنها تُعرِّضُكَ للعَطَبِ . ثم قال : من عرَف الدنيا لم يَطْمَئِنَّ إليها ومَنْ أَبصر ضررها أعدَّ لها دواءها ، ومن عرف الآخرة ألحّ فى طابها ، ومن تَوَهَّمها اشتاق إلى ما فيها فهان عليه العمل .

ثم قال : فكيف او توهَّمت من يَملكها ومن زَخرفها ومن قال لها : كُونى فكانت وتزّينى فتزيّنت ؟ والتشوّقُ إلى مالكها أولى بقلوب المشتاقين ، وأَطيب لعيش المستأْنسين .

ثم قال : قد أَنِسوا بربّهم فالأَمر فيما بينهم وبينه سليم ، صافَوْهُ بالعقول ، ودقَّقوا له الفِطَن ، فسقاهم من كأْس حبَّة شَربةً فظلوا فى عطَشهم أروِياءَ ، وفى ريّهم عِطاشًا .

ثم قال : ياهذا أتفهم ما أَقول وإلَّا فلا تتبعنى ؟ قلت : بلى رحمك الله إنى أَفهم جميع ماقلت . قال : الحمد لله الذى فهَّمك . قال[١] : ورأَيت فى وجهه السرور ثم قال : خذ إليك[٢] نعم هم الذين لا يملون كاسَاتِه من تُحفِه ، فالحكمة إلى قلوبهم سائلة[٣] متواصلة ، لأَنهم الأَكياس[٤] الذين لم تدنسهم المطامع ولم تقطعهم عن الله عز وجل القواطع ، ليوث فى تَعزُّزهم ، أَغنياءُ فى توكُّلهم ، أَقوياءُ فى تقلبهم ، قد قطعتهم الخشية وولهتهم الغربه[٥] ، نَعيمهم اليقينُ ، ورُوحهم السكون . أَلْين الخلقِ عريكةً وأَشده حياءً ، وأَشرفه مطلبًا . لايركَنون إلى الدنيا جزعًا . ولا يتطاولون ولايتماوَتون ، فهم صفوة الله عزوجل من خلقه ، وضنائن[٦] من خالص عباده . ثم قال لى ان القلوب

---

(١) قال : سقطت من ط .

(٢) أى اسمع ما ألقيه على أذنك من القول ، وخذه منى .

(٣) ط : مائلة .

(٤) المتصفون بالكياسة وهى الفطانة .

(٥) قط : العزة .

(٦) الضنائن : الأشياء التى يضن بها لنفاستها ، وضنائن الله : خواص خلقه .

الحيّة من دون هذا لها مَقْنَع . نفعنا الله وإيَّاك بما علَّمنا وسلَّمنا وإيَّاك بما علمنا ، السلام عليك ورحمة الله . قال بشر : فطابتُ[1] إليه . فأَبى علىّ وقال : لستُ أنساك فلا تَنسَنِى . ثم مضى وتركَنى . قال بشر : فلقيت عيسى بن يونس فحدّثته بقصته فقال[2] لى : لقد أَنس بك ذلك الرجل الصالح ، إنه رجل من خِيَار الناس يَأْوى فى الجبل وإنما يدخل إلى المدينة فى كلّ جُمعة لصلاة الجمعة ويبيع فى ذلك اليوم حَطَبًا يكفيه إلى الجمعة الأُخرى ، وعجبًا له كيف كلَّمك؟ لقد حفِظتَ عنه كلامًا حسنًا .

٨٨٨ — عابد آخر :

ابن مسروق قال : سمعت سرّيًا يقول : بينا نحن نسير فى بلاد الشام مِلنا عن الطريق ناحيةَ جبلٍ عليه عابد ، فقال رجل من القوم : إنَّا قد مِلنا عن الطريق ، وهاهنا عابد فمِيلوا بنا إليه نَسأَله ، لعل الله عز وجل يوفقه يكلمنا . فملنا إليه فوجدناه يبكى . قال سَرِى : فقلت له ما أَبكى العابدَ ؟ قال : مالى لا أَبكى ؟ وقد توعَّرت الطريق وقلَّ السّالكون فيها ، وهُجِرت الأَعمال وقلَّ الراغبون فيها ، وقلَّ الحق ودرَس هذا الأَمرُ فلا أَراه إلَّا فى لسان كلِّ بطَّال ينطق بالحكمة ، ويفارق الأَعمال ، قد افترش الرُّخصة ، وتمهَّد التأْويل ، واعتلَّ بزَلل العاصين . ثم صاح صيحة وقال : كيف سكَنت قلوبهم إلى روح الدنيا ، وانقطعتْ عن روح مَلَكوت السماءِ ؟ ثم جعل يقول : واغمَّاه من فتنة العلماءِ ، واكَرباه من حَيْرة الأَدِلَّاءِ . وجال جولةً ثم قال : أَين الأَبرار من العلماءِ ؟ بل أَين الأَخيار من الزهاد ؟ ثم بكى وقال : شغَلهم والله

---

(١) طلبت المزيد من مواعظه .

(٢) ق : وقال : وأثبت ما فى ط .

ذِكْرُ طولِ الوقوف ، وهَمُّ الجوابِ عن ذِكْر الجنة والنار والثواب . ثم قال : أنا أستغفر الله من شهوة الكلام . تَنَحَّوْا عنِّى . فخلَّيناه يبكى وقد مُلئنا منه غمًّا وهمًّا .

٨٨٩ — عابد آخر :

محمد بن أحمد الشَّمشاطِىّ قال : سمعت ذا النون يقول : بينا أنا سائر بين جبال الشام إذا بشيخٍ على تَلْعةٍ من الأَرض قد تساقطت[١] حاجباه على عينيه كِبَرًا . فتقدمت إليه فسلمت عليه فرد علىّ السلام ثم جعل يقول : يا من دَعَاه المذنبون فوَجدوه قريبًا ، ويامن قَصَدَه الزَّاهدون فوجدوه حَبِيبًا ، ويامَن استأْنس به المجتهدون فوجدوه مُجيبًا ثم أنشأ يقول :

وله خَصَائص مُصْطَفَوْنَ لحبّه اختارهُم فى سالفِ الأَزمانِ
اختارهم من قَبل فِطرة خَلْقِهِ فهمُ ودَائعُ حكمةٍ وبيَانِ

٨٩٠ — عابد آخر :

أبوعثمان سَعيد[٢] بن الحكم قال : سمعت ذا النون يقول : بينا أنا أسير فى بلاد الشام فإذا أنا بعابدٍ قد خرج من بعض الكهوف فلما نظر إلىَّ اسْتَتَر بَيْنَ تلك الأَشجار . ثم قال : أعوذ بك سيدى ممن يشغَلنى عنك ، ياحبيب التوَّابين ، ومعين الصادقين ، وغاية أمل المحبّين . ثم صاح : واغمَّاه من طول البكاءِ [وطُول الحزن][٣] واكَرْباه من طول المكثِ فى الدنيا . ثم قال : سبحانَ من أذاق قلوب العارفين به حَلاوة الانقطاع إليه ، فلا شىء أَلَذَّ عندهم[٤] من ذِكره

(١) كذا جاء الفعل فى النسخ جميعاً .
(٢) ط : سعد .
(٣) زيادة من ب .
(٤) ط : عندهم ألذ .

والخلوة بمناجاته . ثم مضى وهو يقول : قُدُّوس قُدُّوس قُدُّوس . فناديتُه : أيها العابد قِف لى . فوقف وهو يقول : اقطع [١] عن قلبى كلَّ علاقة ، واجعل شُغله بك دون خَلقِك . فسلمت عليه ثم سالته أن يدعو الله لى فقال خفَّف[٢] الله عليك مُؤَن نَصَبِ السَّير إليه ، وأدَّاك إلى رضاه حتى لايكونَ بَيْنَكَ وبينه علاقة . ثم سعَى بين [٣] يدىّ كالهارب من السَّبع [٤] .

ومن عابدات جبال الشام

٨٩١ — عابدة (٥) :

عبد الملك بن هاشم قالَ : سمعت ذا النون يقول : كُنْتُ سائرًا فى بعض جِبال الشام فإذا أنا بكوخٍ فَقَصِدْتُهُ فإذا أنا بعجوزٍ قد عَمِيت من البكاءِ . فدنوت منها فسلَّمتُ وقلت : ياعجوز حدثينى ما الغِنى ؟ قالت : الزّهد فى الدنيا . قلت : فما الزهد فى الدنيا ؟ قالت تركُ طلبِ المفقود حتى يُفقد الموجود .

ذكر المصطفين من عباد جبال غير معروفة المكان

٨٩٢ — عابد فى جبل :

عن مِسعَرٍ أن عابدًا كان يتعبدُ فى جبلٍ ، يُؤتى بقُوتِه كلّ يوم قرصَيْن . قال سفيان : وقال غيرُ مِسعر : كان يأْتيه طير أبيض . قال فأتاه ذات يوم بقُوتِه فجاءَه سائل فأَعطاه أحد القُرْصين . ثم أتاه سائل آخر فكسَر القرص الثانى نِصْفين فأعطاه النصف وبقى النِّصْفُ

---

(١) يناجى ربه .

(٢) ط : خفت ، تحريف .

(٣) ق : من بين ، وأثبت ما فى ط .

(٤) بعده فى ط : والسلام .

(٥) من ط .

لنفسه ، ثم قال والله : ما هذا النّصف بالذى يُغنى عن هذا شيئًا ، ولا هذا النصف بالذى يكفينى ، ولأن يشبَع واحد خيرٌ من أن يجوع اثنان . فسلَّم القرص كله للسائل وبات طاويًا . فأُتِىَ فى منامه فقيل له : سل . فقال : أسأَل المغفرة . فقيل له : هذا شىء قد أُعطِيته فسل . قال أسأَل(١) أن يغاث الناس . قال : وكان عامَ جدبٍ فأُغِيثوا .

٨٩٣ — عابد آخر على جبل :

أَبو الهيثم عن عبد الله بن غالب أنه حدّثه قال : خرجتُ إلى الجزيرة فركبت(٢) السّفينة فأَرْفت(٣) بنا إلى ناحِية قريةٍ عادية فى سَفْح جبلٍ خراب ليس فيها أَحد . قال : فخرجت فَطَوّفت فى ذلك الخراب أتـأَمل آثارهم وما كانوا فيه إذ دخلت بيتًا يُشبه أَن يكون مأْهولاً . قال فقلت : إن لهذا البيت لشأْنًا . قال : فرجعت إلى أَصحابى فقلت : إن لى إليكم حاجةً . قالوا : وماهى؟ قلت : تُقيمون علىّ ليلةً . قالوا : نعم . قال : فدخلت ذلك البيت فقلت إن يكن له أَهل فَسَيَأْوون إليه إذا جاءَ الليل . فلما أَن جاءَ الليلُ سمعتُ صوتًا قد انْحطَّ من رأْس الجبل ، يسبِّحُ الله ويحمده ويكبّره . فلم يزل الصوت يدنو كذلك حتى دخل البيت . قال : ولم أَر فى ذلك البيت شيئًا إلا جَرّةً ليس فيها شىء ، ووعاءً ليس فيه طعام . فصلَّى ماشاءَ الله أَن يصلى . ثم انْصَرفَ إلى ذلك الوِعاءَ فأَكَلَ منه طعامًا ، ثم حمد الله تعالى . ثم أَتى تِلْكَ الجرَّة فشرب منها شرابًا . ثم قام فصلَّى حتى أَصبح .

فلما أَصبح أَقام الصلاة فصلَّيتُ معه فقال : رحِمَكَ الله دخلتَ

(١) أسأل : ساقطة من ط .

(٢) ط : فركبنا .

(٣) أرفى إليه : لجأ .

بيتى بغير إذنى؟ قال : قلت رحمك الله لم أُرِد إلّا الخير . وقلت[١] : رأيتك أَتيتَ هذا الوعاء فأَكلتَ منه طعامًا وقد نظرتُ قبل ذلك فلم أَرفيه شيئًا ، وأَتيتَ تلك الجرّة فشربتَ منها شرابًا وقد نظرت قبل ذلك فلم أَرفيها شيئًا . قال : أَجل ما من طعامٍ أُريده من طعام الناس إلّا أَكلته من هذا الوعاء ، ولاشرابٍ أُريده من شراب الناس إلّا شربته من هذه الجرّة . قال : قلت : وإن أَردتَ السّمك الطرىّ ؟ قال : وإن أَردتُ السمك الطرِىّ . فقلت : رحمك الله إن هذه الأُمة لم تؤمر بالذى صنعتَ ، أُمِرَتْ بالصلاة فى الجماعة[٢] وعيادة المريض[٣] ، واتِّباع الجنائز . فقال : ههنا قرية فيها كل ماذكرت وأَنا منتقل إليها . قال : فكاتبنى حينًا ثم انقطع عنّى كتابُه فَظَنَنْتُ أَنه مات . وكان عبدالله بن غالب لما مات وُجِد من قبره ريحُ المسك .

٨٩٤ ـــ عابد آخر على جبل :

قال محمد بن الحسين : حدثنى أَحمد بن سهل قال : حدثنى أَبو فروة السائح ، وكان والله من العاملين لله عز وجل بمحبته ، قال : بينا أَنا أَطوف فى بعض الجبال إذ سمعت صَدَى[٤] جبل فقلت : إن هاهنا لأَمرًا ما . فاتَّبعت الصوت فإذا أَنا بهاتف يهتف : يا من آنَسنى بذِكره وأَوحشنى من خَلقه ، وكان لى عند مسرّتى . ارْحم اليوم عَبرتى وهَب لى من معرفتك ما أَزداد به[٥] تقربًا إليك . ياعظيم الصّنيعة إلى أَوْليائه اجعلنى اليوم من أَوليائك المتقين .

---

(١) ط : قلت .
(٢) ق ، ب : «أمرت بالجماعة والمساجد لفضل الصلوات فى الجماعة» . وأثبت ما فى قط .
(٣) ط : المرضى .
(٤) ط : صداء . ورسمت فى ق هكذا : صدا . والصدى : ما يرده الجبل أو غيره إلى المصوت مثل صوته . ويطلق الصدى أيضاً على طائر يصر بالليل يقفز قفزاً . ج أصداء .
(٥) ق : ما أتقرب وأثبت ما فى ط .

قال . ثم سمعت صرْخةً ولم أر أحدًا . فأقبلت نحوها فإذا أنا بشيخ مَغشيٌّ عليه قد بدا بعض جسده . فغطَّيته ثم لم أزل عنده حتى أفاق. فقال : من أنت رحمك الله ؟ قلت : رجل من بنى آدم . قال : إإيكم عنِّى فمنكم هَرَبْت . قال : ثم بكى وقام ، فانطلق وتَركَنِى . فقلت : رحمك الله دلَّنى على الطريق . فأومأ(١) بيده إلى السماء .

٨٩٥ — عابد آخر على جبل :

محمد بن أبى عبد الله الخُزاعى قال : حدَّثنى رجلٌ من أهل الشام أنه دخل كهف جبلٍ فى ناحية عن طريق الناس . فإذا هو بشيخ مَكْبوبٍ على وجهه ، وإذا هو يقول : إن كنت تُطيل جُهدى فى دار الدنيا وتُطيل شَقَائى فى الآخرة فلقد أهملتَنى وأسْقَطْتَنى من عينك أيها الكريم . قال : فسلَّمت فرفع رأسه فإذا دموعه قد بلَّت الأرض. فقال : ألم تكن الدنيا لكم واسعة وأهلها لكم أُناسًا ؟ . فلما رأيت من عقله ما رأيت قلت له : رحمك الله اعتزلتَ الناس واغتربتَ فى هذا الموضع ؟ فقال : وأنت يا أخى(٢) ، فحيثما(٣) ظننتَ أنه أقرب لك إلى الله عز وجل فابتغ إلى ذلك سبيلاً فلن يجد مبتغوه من غيره عِوضًا . قال : قلت فالمَطعَم ؟ قال : أقلُّ ذلك عند الحاجة إليه إذا أَرَدْنا ذلك : فنبت الأرض وقلوب الشجر . قال فقلت : ألا أُخرجك من هذا الموضِع فآتِى بك أرض الرِّيف والخِصْب ؟ قال : فبكى ثم قال : إنما الرِّيف والخِصْب حيث يُطاع الله عز وجل ، وأنا شيخ كبير أموت الآن ، لا حاجة لى بالناس .

---

(١) ط : فأومى .
(٢) أى افعل أنت مثلى أيضاً .
(٣) ق : فجئت ما . ورسمت فى ط : فحيث ما .

٨٩٦ — عابد آخر فى جبل :

أبو حفص عمر بن عبد الله المؤذن قال : قال قاسم الجرعن : خَرَجْتُ حَاجًّا على طريق الشام . فبينا أنا أسير فى الليل إذ غلطتُ الطريقَ فسمعت صيحةً فإذا أنا بجماعة قد مسّهم من الغلَط مثل الذى مسّنى ، وقد وقفوا على رجل من المتعبّدين فى جبل وهو يبكى ويقول فى بكائه : أَتُرى بكائى نافعِى عِنْدك ومُنقذَ رَقَبَتِى من حُكمك ؟ أَتُراك آخذًا من نفسى بحقِّك وموبِّخَها على رؤوس الأَشهاد بما ضيَّعتْ من أمرك؟ ثم صاح : آوَّهْ[1] لكشفِ سترك عنى ، آوَّهْ اوقوفى بين يديك ياسيّداه . فقال له بعض القوم : إنَّا غلطنا الطريق . فقال : وأنا أيضًا قد غلطت الطريق ، فمَن لِى ولكم بالاستقامة على وجهها؟ ثمّ قال : يادليل الأَدِلَّاءِ دُلَّنى ودُلَّهم ولا تُحيّرنى وإيَّاهم .

قال : فكُشف لنا عن الطريق فَسَلَكناها وتركناه واقفًا فى صَوْمعته .

٨٩٧ — عابد آخر فى جبل :

بلغنا عن أبى الحارث أحمد بن الحارث الأَولاشى أنه قال : رأيتُ رَجُلاً على رأسِ جَبلٍ كأنه شَنٌّ[2] بالٍ شاخصًا ببصره نحو السَّماءِ لا يفتُر عن الذكر . فسأَلته المُقامَ معه . فقال : إن أَطقتَ ما طُوّقتُ فأَقم وإلَّا فامض عنى . قلت : وماهو؟ قال : يكون الذهب والفضة عندك كالحَصى والمَدر ، والسِّباع والهَوامَّ كالطير والأَنعام ، وخوفُك من جِنْسك كخوفك من السّباع ، وخوفُك من صُحْبَتهم على دِينك كخوفك من الشَّيطان ، فلعلك تنال ماتريد ، ومتى كان الذهب والفضة أكبر فى

---

(١) أوه : بمد أوله وتشديد الواو المفتوحة وسكون الهاء : كلمة معناها التحزن . وهى اسم فعل مضارع . وفيه لغات (انظر اللسان : أوه) . ط : أوه .

(٢) الشن : القرية القديمة البالية الصغيرة .

قلبك فإنك ستميل إلى الأكبر ، ومتى هِبتَ السباع أَوشك[١] أن تبعدَ إلى الأَمن ، ومتى أَنِسْتَ بالمخلوقين أَوْشك أَن تَهرُب من الوحشة .
وثلاثة أَشياءٍ هنَّ تمام الأَمر : أَنْ تعلم أَنك مُبتلى لا محالة وأَن لك رزقًا مقسومًا وكذلك أَجل معلوم ؛ والثالث : أَن تقصر الأَمل . فهنالك لا تُبالى أَين حَلَلْتَ من البلاد ؟ ولا مَن شاهدت من العباد؟ فتقدم إن شئت على بصيرة وإلَّا فتأَخر على علمٍ بضعفٍ وعجز . قلت : صف لى ما يَزيد فى[٢] صبرى . قال : تعلم[٣] أَن الله عز وجل ناظرٌ إليك ، فقد رُوى فى بعض الأَخبار : «بعينى ما يتحمَّل المتحمّلون من أَجلى ، وما يكابد المكابدون فى طلب مَرْضاتى» فإذا علمت أَن صَبْرك يُرضى مولاك صبرتَ .
قلت : فما السّبيل إلى الرّضاء ؟ قال : عِلْم القلب بأَن المولى عادل فى قَضَائه غير متَّهم فيما حكم . قلت : فما معنى الرضاء ؟ قال : سُرور القلب بِمُرّ القضاء ؟ . ثم قال : لا تنم إلَّا نوم يقظان ، وكيف يأْمن مَن لم يأْتِه الأَمان ؟ وبادِرْ قبل الفوت ، واستعِن على تَصْفية الطِّعمة[٤] بالقلِّة والتمس الصّمت بقلّة الخُلَطاء ، واتّبع قول الرسول صلى الله عليه وسلم وقول السلف ، ولا تميلنَّ إلى مُحدَثات الأُمور ، فكلّ مُحدثة بدعة ، واعلم أَن الله يراك فاتّقِه ، وقُم له بالقِسْط على نفسك ، وتفرّد بالفردِ إذ[٥] كنت له عبدًا ، وتجردّ من الهموم الشّاغلة ، واجعل الهمّ واحدًا تروَّح[٦] فى العاجلة والآجلة .

---

(١) كذا فى ط . وكانت فى ق (أوشكت) ثم أزيلت التاء .
(٢) ط : ما تريد من تصحيف .
(٣) أى اعلم .
(٤) الطعمة (بكسر الطاء) : جهة الارتزاق والمكسب .
(٥) ط : إذا .
(٦) روحه : أراحه . وروح قلبه : أنعشه .

٨٩٨ ــ عابد آخر فى جبل :

بلغنا عن بعض السلف أنه قال : رأيت فى بعض الجبال شاباً أصفر االون غائر العينين ، مرتعش الأعضاء ، لا يستقرّ على الأرض ، كان به وَخزَ الأسِنَّة ، ودموعُه تَتَحادر . فقلت : له : من أنت ؟ فقال : آبِقٌ [١] من مولاه . قلت : فَتَعُود وتعتذر . فقال : العذر يحتاج إلى إقامةِ حُجّة فكيف يَعتذر المقصّر؟ فقلت : تتعلق بمن يشفع فيك . فقال : كلّ الشُفعاء يخافون منه ؟ قلت : فمن هو قال : مولاى ربّانى صغيراً فَعَصَيْتُه كبيراً ، شرَط لى فوفّانى ، وضمِن لى فأعطانى ، فخُنته فى ضَمانى ، وعَصَيْتُه وهو يرانى ، فَوَاحَيَائى من حُسن صُنعه وقَبيح فِعلى . فقلت : أَين هذا المولى؟ فقال : أَين توجّهت لقيتَ أعوانه ، وأين استقرّت قدمُك فنى دارِه . فقلت : ارفُق بنفسك فربما أَحْرَقَك هذا الخوفُ . فقال : الحريق بنار خوفه ــ لعله يرضى ــ أَحقّ وأولى . ثم أنشأ يقول :

لم يُبق خَوْفُك لى دَمْعًا ولا جَلَدًا ... لاشكّ أَنى بهذا ميّتٌ كَمَدا
عبدٌ كئيبٌ أَتَى بالعَجز مُعْتَرِفًا ... ونارُه تَحرِقُ الأَحْشاءَ والكَبدا
ضاقتْ مَسَاكنه فى الأَرض من وَجَلٍ ... فَهَبْ له منك لُطفًا إن لَقِيك[٢] غدًا

فقلت : ياغلام ، الأمر أسهل مما تظن . فقال : هذا من فتنة[٣] البطّالين ، هَبْهُ تجاوزَ وعفا ، أين آثار[٤] الإخلاص والصفاء ؟ ثم صاح صيحةً ، فخرجت عجوز من كهف الجبل ، عليها ثيابٌ رثّة .

---

(١) أى هارب .
(٢) سكنت الياء لضرورة الوزن .
(٣) ط : فتاوى . وتقرأ فى ق على وجهين : (فتن) و (فتنة) والثانية أقرب فأثبتناها .
(٤) آثار : ليست فى ط .

فقالت : من أعان على البائس الحَيران ؟ فقلت : يا أَمة الله دعوته إلى الرجاء ؟ فقالت : قد دعوتُه إلى ذلك فقال : الرجاء بلا صفاء شِرْك . قلت : مَن أنتِ منه؟ قالت : والدته . فقلت : أُقيم عندك أعينك عليه ؟ فقالت : خَلّه ذايلاً بين يدىْ قاتِله عساه يَراه بعينِ مُعين فيرحمه . فلم أدر مما ذا أعجب ؟ من صدق الغلام فى خوفه أو من قول العجوز وصِدقها . انتهى ذِكر عبّاد الجبال بحمد الله ومنّه [١] .

ذكر المصطفين من عباد الجزائر

٨٩٩ — عابد :

عبيد الله بن أَبى نوح قال : لقيت رجلاً من العبّاد فى بعض الجزائر [٢] منفردًا فقلت : يا أَخى ما تصنع هاهنا وحدك ؟ أَما تستوحش ؟ قال : الوحشة فى غير هذا الموضع أَعمّ . قلت : مذكم أَنت هاهنا؟ قال : منذ ثلاثون سنة . قلت : فمن أَين المطعَم؟ قال : من عند المُنعِم . قلت : فهاهنا فى القرب منك شىء [٣] تعوّل عليه إذا احتجت إليه من المطعَم رجعتَ إليه . قال : ما أَكرثَك [٤] بما قد كُفيتَه وضُمِن لك . قلت : أَخبرنى بأَمرك . قال : مالِى أَمر غير ماترى ، غير أَنى أَظل فى هذا الليل والنهار متّكلا على كرَم من لاتأْخذه سِنة ولانوم .

قال : ثم صاح صيحةً أَفزعنى فوثبتُ وسقط مغشيًّا عليه . فتركته على تلك الحال ومضيت .

---

(١) الكلمات الثلاث الأخيرة ليست فى ط .

(٢) ق : السواحل . وأثبت ما فى ط .

(٣) ط : بالقرب شىء .

(٤) أى ما أشد إهتمامك وغمك . وفى هامش ق : (فى نسخة : أما أكرمك) .

٩٠٠ ــ عابد آخر :

بلغنا عن عبد الواحد بن زيد أنه قال : ركبنا فى مركبٍ فطرحَتْنا الرّيح إلى جزيرة ، فإذا فيها رجل يعبد صنمًا . فقلنا له : مَن تعبد ؟ فأَومأَ[١] إلى الصنم . فقلنا : إن معنا فى المركب من يُسَوِّى مثل هذا . ليس هذا بإلٓه يُعبد . قال : فأَنتم لمن تعبدون؟ قلنا : الله عز وجل[٢] قال : وما الله ؟ قلنا . الذى فى السماءِ عرشُه ، وفى الأَرض سلطانُه ، وفى الأَحياءِ والأَموات قَضاؤه .فقال ، كيف علمتم به؟ قلنا : وجّه هذا الملِك إلينا رسولاً كريماً فأَخبرَنا بذلك . قال : فما فعل الرسول ؟ قلنا : لمَّا أَدّى الرسالة قبضهُ الله . قال : فما ترك عندكم علامة؟ قلنا : بلى ترك عندنا كتابَ الملِك . قال : أَرُونى كتابَ الملك ، فينبغى أَن تكون كتب الملوك[٣] حِسانًا . فأَتيناه بالمصحف فقال : ما أَعرف هذا . فقرأْنا عليه سورة من القرآن فلم نزل نقرأُ ويبكى حتى ختمنا السورة . فقال : ينبغى لصاحب هذا الكلام أَن لا يُعصى . ثم أَسلم وحملناه معنا وعلَّمناه شرائع الإِسلام وسُوَرًا من القرآن . فلما جَنَّ علينا الليل وصلَّينا العِشاءَ أَخذنا مضاجعنا . فقال لنا : ياقوم هذا الإِلٓه الذى دَللتمونى عليه إذا جَنَّ عليه الليل ينام؟ قلنا لايا عبد الله ، هو عظيمٌ قيّومٌ لاينام . قال : بئس العبيد أنتم ، تنامون ومولاكم لاينام . فأَعجبنا كلامه . فلما قدِمنا عَبَّادان[٤] قلت لأَصحابى : هذا قريب عهدٍ بالإِسلام فجمعنا له دراهم وأَعطيناه فقال : ماهذه؟ قلنا : تُنفِقها . قال لاإلٓه إلَّا الله ، دَللتُمونى على طريق ما سَلَكْتُموها ، أَنا

---

(١) ط : فأومى . (٢) ط : لله .

(٣) ق : الملك . وأثبت ما فى ط .

(٤) مدينة على الخليج العربى . وهى اليوم مركز تكرير النفط الإيرانى ومرفأ تصديره .

كنت فى جزائر البحر أعبدُ صنمًا من دونه ولم يضيّعنى - يضيّعنى وأنا أعرفه . فلما كان بعد أيام قيل لى : إنه فى الموت . فأتيته فقلت : هل من حاجة؟ فقال : قَضى حوائجِى من جاءَ بكم إلى جزيرتى . قال عبد الواحد : فحملَتنى عينى فنمتُ عنده . فرأيت مقابر عَبّادان روضةً وفيها قبة وفى القبة سَرير عليه جارية لم نر أحْسنَ منها . فقالت : سألتك بالله إلَّا ماعجَّلت به فقد اشتدَّ شوقى إليه . فانتبهتُ فإذا به قد فارق الدنيا فغسّلتُه وكفَّنته وَوَارَيتُه . فلما جَنَّ الليل نمتُ فرأيته فى القبة مع الجارية وهو يقرأ «والملائكةُ يَدخُلون عليهم من كل بابٍ . سلامٌ عليكم بما صَبَرْتُم فنِعمَ عُقبَى الدَّار»(١) .

ذكر المصطفين من عباد السواحل

٩٠١ — عابد بسيراف (٢) :

سعيد بن ثَعْلَبَةَ الورَّاق قال : بينا أنا ذاتَ ايلةٍ مع رجلٍ من العابدينَ على الساحل بسيراف فأخذ فى البكاءِ ، فلم يَزَلْ يبكى حتى خِفنا طُلوعَ الفجر ، ولم يتكلم بشيء . ثم قال : جُرمى عظيم ، وعفوكَ كَثيرٌ ، فاجمع بين جُرمِى وعفوك ياكريم . قال : فتصارخ الناس من كل ناحية .

٩٠٢ — عابد آخر :

أحمد بن فارس قال : حدّثنى أبو بَكْر الكَتّانى قال : كنت أنا وأبو سعيد الخرّاز ، وعباسُ بن المهتدى ، وآخر ، نَسير بالشام على ساحل البحر . إذا شابٌّ يمشى معه مِحبَرةٌ ظننّا أنه من أصحاب الحديث.

---

(١) الرعد : ٢٣ - ٢٤ .

(٢) سيراف (بكسر السين) : مدينة عظيمة تبعد عن البصرة سبعة أيام ، وتقع على ساحل بحر فارس .

فقال له أبو سعيد : يافتىً على أىّ طريقٍ تَسير؟ فقال : ليس[1] أعرِف إلا طريقين : طريقَ الخاصّة وطريقَ العامّة . فأما طريق العامة الذى أنتم عليه . وأما طريقُ الخاصة فباسْم الله . وتقدم إلى البَحْرِ ومَشَى حِيالَنا على الماء فلم نَزَل نَراه حتى غاب عَنْ أبصارنا .

٩٠٣ — عابد آخر :

عبّاد ، أبو عتبة الخوّاص ، قال : حدثنى رجل من الزهّاد ممن يَسيحُ فى الجبال قال : لم تكن لى همّة فى شئ من الدنيا ولا لِذَّةٌ إلا فى لُقياهم ، يعنى الأَبْدال والزّهّاد . قال فبينا أنا ذات يوم على ساحل من سواحل البحرِ ليس يَسْكنه الناس ولا تَرْقَى إليه السّفنَ إذا أنا برجلٍ قد خرجَ من تِلْكَ الجبال . فلمّا رآنى هَرَبَ وجعل يسعى واتّبعته أسعى خلفه فسقط على وجهه وأدركته ، فقلت . ممن تَهرب رحمك الله ؟ فلَم يكلّمنى . فقلت : إنّى أُريد الخير فعلّمنى . فقال : عليك بلزوم الحقّ حيث كنتُ ، فوالله ما أنا بحامد لنفسى فأدعوك إلى مثلِ عملها . ثم صاح صيحةً فسقط ميتاً فمكثْتُ لا أدرى كيف أصنع به ؟ قال : وهجَمَ الليل علينا فتنحَّيتُ فنِمْتُ ناحيةً عنه . فرأيت [2] فى منامِى أربعةَ نفر هبَطوا عليه من السماء على خيلٍ فحفروا له وكَفّنوه وصلّوا عليه ثم دفنوه . فاسْتَيَقَظْت فَزِعاً للذى رأيت . فذهبت عنى وَسْنة النوم [4] بقيّةَ الليل . فلما أصبحتُ انطلقت إلى موضِعه فلم

---

(١) ليس : هنا حرف نفى بمعنى (لا) . أى لا أعرف .

(٢) ط : فأريت . وأشير إلى هذه الرواية فى هامش ق على أنها فى نسخة أخرى .

(٣) كذا فى ط . وأشير فى هامش ق إلى أنها كذلك فى نسخة أخرى . والمثبت فى ق : هبوط .

(٤) الوسنة (بفتح فسكون) : شدة النوم وثقله . وقد جاءت كذلك فى طبعة حيدر آباد . إلا أن أصحابها ذهبوا فى جدول الخطأ والصواب إلى أنها (سنة) بكسر السين ، وهما بمعنى . فلا ندرى أهى كذلك فى الأصلين اللذين اعتمدوا عليهما أم وهموا فى أن (الوسنة) لا وجود لها فى اللغة ؟ ! .

أَره فيه . فلم أَزل أَطلب أَثره وأَنظره [١] حتى رأَيت قبرًا جديداً فظننت أَنه القبر الذى رأَيت فى منامى .

٩٠٤ ــ عابد آخر :

أَبو عبد الرحمن المغازلى قال : قال رجل ببلاد الشام فى بعض تلك السواحل : لو بَكَى العابدون على الإشفاق حتى لم يبقَ فى أَجْسادهم جارحةٌ إلا أَدّت ما فيها من الدّم والودَك [٢] دموعاً جارية ، وبقيَت الأَبدان يُبَّساً [٣] خالية تتردَّد فيها الأَرواح إشفاقاً ووَجلاً من يومٍ تَذهل كلُّ مرضعةٍ عما أَرضعت . لكانوا مَحقُوقين بذلك . ثم غُشِىَ عليه .

٩٠٥ ــ عابد آخر :

إسرافيل قال سمعتُ ذا النون يقول : سمعت بعض المتعبِّدين بساحل بحر الشام يقول : إن الله تعالى عِبادًا عَرَفوه بِيقِين من معرفتِه فَشَمروا وقَصْدًا إليه ، احتماوا فيه المصائب لِما يَرْجون عنده من الرّغائب ، صحِبوا الدنيا بالأَشجان ، وتنعّموا فيها بطول الأَحزان ، فما نظروا إليها بعينِ راغبٍ ، ولا تزوّدوا منها إلاّ كزادِ الراكب ، خافوا البَيات فأَسرعوا ، ورجَوْا النجاة فأَزمَعوا ، بذلوا مُهَج أَنفسهم فى رضا سيِّدهم ، نَصبوا الآخرة نُصْبَ أَعينهم ، واصغوا إليها بآذان قلوبهم ، فلو رأَيتهم رأَيت قوماً ذُبلاً شِفاهُهم ، خُمْصاً بطونُهم ، حَزِينةً قلوبُهم ، ناحِلةً أَجسامهم ، باكيةً أَعينهم ، لم يَصْحبوا التعليل والتسويف وقنعوا من الدنيا بقُوتٍ طفيف ، لبسوا من اللّباس أَطمارًا بالية ،

---

(١) ط : وانظر .

(٢) الودك (بفتحتين) : الدسم من اللحم والشحم .

(٣) بضم الياء وتشديد الباء المفتوحة . أو بفتح الياء وسكون الباء ; جمع ، ومفرده يابس .

وسكنوا من البلاد قُفرا خالية ، وهَربوا من الأَوطان ، وَاستبدلوا (١) الوحدة من الأَخْدان ، فلو رأَيتهم لرأَيت قوماً قد ذبحهم الليل بسكاكين السّهر ، وفصل الأَعضاءَ منهم بخناجر التّعب ، خُمصًا (٢) لطُول السُّرى. شُعثاً (٣) لفقدِ الكَرى ، قد وصلوا الكلالَ بالكَلال ، وتأَهبوا للنُّقلة والارتحال .

٩٠٦ ـــ عابد آخر :

محمد بن إبراهيم الأَخرم قال : خرجت من مصر وأَنا(٤) على ساحل البحر ، فرأَيت امرأَة خرجت من بريّة . فقلت : إلى أَين يا أَمةَ الله ؟ قالت : إلى صَومعةٍ ها هنا ، لى فيها ابنٌ . فمشيت معها فسمعت صوتاً من صومعة [يقول] .

ومشتاقٍ وليس له قَرارُ نَفَورٌ ليسَ(٥) يملكُه العِذارُ(٦)

ومُؤنِسُ قلبه ليلٌ طويلٌ يلَذّ به(٧) ويُوحِشُه النّهارُ

قَضَى وَطَرًا به فَأَفادَ عِلْماً فنَهمتُه(٨) التعبّد والفِرار

أَلاَ صَبْرًا على دُنياكَ صَبْرًا فكلّ أُمورِها فيها اعِتبارُ(٩)

فقلت لها : منذ كم صار ابنك هاهنا ؟ قالت : منذ وهبته منه وقبِله منّى .

---

(١) ط : فاستبدلوا .

(٢) ق : خمص . وأثبت ما فى ط .

(٣) ق : شعث . وأثبت ما فى ط .

(٤) ق : فأنا . وأثبت ما فى ط .

(٥) ق : يفور وليس . وأثبت ما فى ط .

(٦) العذار ، فى الأصل : ما سال من اللجام على خد الفرس . يريد أنه لا يثبت على حال ولا يبالى بشيء ، كالدابة بلا رسن .

(٧) ق : (يلذذه) . أى يجعله يلتذ .

(٨) أى شهوته . ط : فهمته .

(٩) ط : اغترار .

٩٠٧ — جماعة من العباد فى ساحل :

عن عبدالرحمن بن زيد قال : لم أر مِثْلَ قومٍ رَأَيْتُهُم. هَجْمنا مرّةً على نَفر من العبّاد فى بعض سواحل البحر ، فتفرّقوا حين رأونا فبتْنا تِلْكَ الليلةِ وارفينا [١] فى تلك الجزيرة ، فما كنت أسمع عامَّةَ الليل إلاَّ الصّراخ والتعوّذ من النار . فلما أصبحنا طلبناهم واتَّبعنا آثارهم فلم نَر منهم أحدًا .

ذكر المصطفيات من عابدات السواحل

٩٠٨ — عابدة :

محمد بن جعفر القَنطرىّ قال : قال ذو النون : بينا أنا أسير على ساحل البحر إذ بَصُرتُ بجارية عليها أَطْمارُ شعرٍ وإذا هى ذابِلة ناحِلة . فَدَنَوت منها لأَسمع ما تقول . فرأيتها متّصله الأَحزان بالأَشجان ، وعصفت الرياح فاضطربت الأَمْواج فصرخت ، ثم سقطت إلى الأَرض فلما أَفاقت نحَبتْ [٢] ثم قالت : ياسيدّى بك تفرّد المتفرّدون فى الخلَوات ، ولعظمتك سبّحت النينانُ [٣] فى البحار الزاخرات ، ولجلال قُدْسك اصْطَفَقَتْ الأَمواج المتلاطمات ، أَنت الذى سجَد لك سوادُ الليل وضوءُ النهار والفلكُ الدّوار ، والبحر الزخّار ، والقمر النّوار ، وكل شىء عندك بمقدار .

يامؤنسَ الأَبْرَار فى خَلْوتهم   ياخَيْر من حَطّت به النُّزالُ

فقلت : زيدينا من هذا . فقالت : إليك عنى . ثم رفعت طرفها نحو السماء وقالت :

---

(١) يقال : أرفى إلى كذا : التجأ . .
(٢) نحب الرجل : بكى أشد البكاء ، أو رفع صوته بالبكاء .
(٣) مفردها (نون) وهو الحوت .

أُحبك حُبَّينْ حُبَّ الوِدادِ ... وحبًّا لأنك أهلٌ لِذَاكا

فأَمَّا الذى هو حُبّ الوِدادِ ... فحبٌّ شُغلتُ به عن سِواكا

وأَمَّا الذى أنْتَ أَهلٌ لَهُ ... فَكَشْفُكَ للحُجْب حتى أراكا

فما الحمدُ فى ذا ولا ذاك لى ... ولكنْ لكَ الحمدُ فى ذا وَذاكا

ثم شهقَت شهقةً فإذا هى قد فارقت الدنيا .فبقيتُ أَتعجَّبُ مما رأيت منها فإذا أنا بِنِسْوَةٍ قد أَقبلن عليهن مَدَارِع الشَّعر فاحتَملْنَها فغَيَّبنَها عنى فغسلنَها ثم أَقبلن بها فى أكفانها فقلن لى : تقدَّم فصِّل عليها . فتقدّمْتفصلَّيت عليها وهنَّ خلفى ثم احتملْنها ومضَيْن .

٩٠٩ — عابدة اخرى :

محمد بن أحمد [السَّوسىِ] الشمشاطى . قال : سمعت ذا النون المصرى يقول : بينما أنا أسير على شاطىء النيل إذا أنا بجاريةٍ تَدْعُو وتقول : يامَنْ هُوَ عِنْدَ أَلْسَن النّاطِقين . ويامَن هُوَ عِنْدَ قُلوبِ الذاكرين ، ويامَنْ هو عِنْدَ فِكر الجامدين ، قد علمتَ ما كان منّى يا أَمَلَ المؤمّلين . ثم صرخت وخرَّت مغشِيّاً عليها .

ذكر المصطفين من عباد البوادى والفلوات

٩١٠ — ابو حبيب البدوى :

عن الثورى قال : أَتيت أبا حَبيب البدوى أُسلِّم عليه ، ولم أكن رأيته ، فقال لى أَنت سفيان الثوريّ الذى يقال [١] ؟ قال : قلت نعم نسأَل الله تعالى [٢] بركةَ ما يُقال . قال : فقال لى : ياسفيان ما رأينا خيرًا قطّ. إلّا من ربنا . قلت : أَجل . قال : فما لنا نكره لقاء من لم نَر خيرًا قط. إلا [٣] منه . ثم قال : ياسفيان مَنْعُ الله عز وجل إيّاك

---

(١) أى يقال عنه ما يقال . (٢) ق : عزوجل .

(٣) قط : ساقطة من ط .

عطاءٌ منه لك ، وذاك أنه لم يمنعك من بُخل ولا عَدم ، وإنما منعُه نظرٌ منه واختبار [١] . ياسفيان إنَّ فيك لأُنْساً ومَعَك شُغل .

قال : ثم أقبل على غُنَيمتهِ [٢] وتركنى .

٩١١ — شيبان الراعى :

عن محمد بن حَمَزَةَ الرَبضى قال : كان شَيْبَان الرّاعى إذا أَجْنب وليس عنده ماءٌ دَعَا ربَّه فجاءَت سحابةٌ فأَظَلَّتْهُ فاغتسل منها . وكان يذهب إلى الجُمعة فيخُط على غَنَمِهِ فيجِيءُ فيجدها على حالتها لم تتحرك .

زيد بن العباس قال : لما حجّ هارون الرشيد قيل له : ياأمير المؤمنين قد حج شيبانُ العامَ . قال : اطلبُوه لى . فطلبوه فأتوه به فقال له : ياشيبان عِظنى . قال : ياأمير المؤمِنين أنا رجل أَلْكَنُ لا أُفصِح بالعربية فجئنى بمنَ يَفهم كلامى حتى أُكلّمه . فأُتِيَ برجلٍ يَفهم كلامه فقال له بالنّبطية : قل له : ياأمير المؤمنين إنّ الذِى يخوّفك قبل أن تبلغ المأْمَنَ أنصحُ لك من الذى يؤمّنك قبل أن تبلغ الخوف .

فقال : قل له : أىّ شيءٍ تفسير هذا ؟ قال : قل له : الذى يقول لك : ياهذا اتّق الله عز وجل فإنك رجل من هذه الأُمة ، استَرْعاك الله عليها وقلّدك أُمُورها وأنت مسئول عنها فاعْدِل فى الرّعية واقسِم بالسويّة ، وانفرْ [٣] فى السَّرية ، واتّقِ الله فى نفسك . هذا الذى يخوّفك فإذا بلغت المأْمَنَ أمنت ، هو أنصح الك ممن يقول : أنتم أهل بيتٍ مغفورٌ لكم ، وأنتم قَرابةُ نبيّكم وفى شفاعته ، فلا يزال يؤمّنك حتى إذا بلغت

---

(١) ط : نظراً منه واختباراً .

(٢) مصغر غنمة .

(٣) ط : وانفر ، تصحيف .

الخوف عَطِبْتَ . قال : فبكى هارونُ حتى رحمه مَن حوله . ثم قال : زِدنى . قال : حسبك . ثم خرج .

عبد الله بن عبد الرحمن قال : حج سفيان الثورىّ مع شيبان الراعى فعرض لهم سَبُع . فقال له سفيان الثورى : أَما ترى هذا السَّبُع ؟ قال : فقال : لا تخف . قال : فلما سمع السبُع كلام شيبان بَصْبَصَ[١] . فأَخذَ شيبانُ أُذُنه فعرَكها فَبصْبَصَ وَحَرك ذَنَبَه .

قال سفيان : ما هذه الشهرة ؟ قال : أَوَهذِهِ شُهرة ؟ لولا مكان الشهرة ما وضعتُ زادِى إلا على ظهره .

سيّار قال : قرأَ رجل على شيْبان الراعى : « فمن يَعملْ مِثقالَ ذرةٍ خيراً يَرهُ ومن يَعملْ مثقالَ ذرّةٍ شراً يَرهُ »[٢] قال : فذهب على وجهه فلم يُرَ سنةً . فلما كان بعد الحَوْل لقيه رجل فقال له : من أَين ؟ فقال من ذلك الحساب الدقيق « فمنْ يَعمل مثقالَ ذرةٍ خيراً يَرَه . ومن يَعمل مثقالَ ذرّةٍ شراً يَره »[٣] .

ذكر المصطفين من عباد البوادى والفلوات المجهولين الأسماء

٩١٢ — عابد[٣] :

عن سَعيد بن أَبى عروبة قال : حجّ الحَجّاج[٤] فنزل بعض المياه بين مكة والمدينة ودعا بالغَداءِ فقال لحاجبه : انظر مَن يتغدّى معى

(١) حرك ذنبه .
(٢) الزلزلة : ٧ — ٨ .
(٣) العنوان ساقط من ط .
(٤) الحجاج بن يوسف الثقفى والى العراق ط : لما حج الحجاج

وأسأله عن بعض الأمر . فنظر نحو الجبل فإذا هو بأعرابىّ بين شملتَين من شَعرٍ ، نائم . فضربه برِجله وقال : إيت الأمير . فأتاه فقال له الحَجّاج : اغسل يدَيْكَ (١) وتغدَّ معى . فقال : إنه دعَانى من هو خيرٌ منك فأجبتُه . قال : ومَن هو ؟ قال : الله تبارك وتعالى ، دعانى إلى الصوم فصُمت . قال : فى هذا الحرّ الشديد ؟ قال : نعم صُمت ليومٍ أشدّ حرًا من هذا اليوم . قال : فأفطِر وصُمْ (٢) غدًا . قال : إن ضَمِنتَ لى البقاء إلى غدٍ . قال : ليس ذاك إلىَّ . قال : فكيف تسألنى عاجلاً بآجل لا تقدِر عليه ؟ قال : إنه طعام طيّب قال : لم تطيّبه أنت ولا الطباخ ، إنما طيبته العافية .

٩١٣ ــ عابد آخر :

سعيد بن سالم قال : نزل رَوْح بن زِنْباع (٣) منزلاً بين مكّة والمدينة فى حَرٍّ شديد . فانقض عليه راع من جبل . فقال : ياراعِى هلّم إلى الغداء . قال : إنى صائم . قال : وإنك لتصوم فى هذا الحرّ الشديد ؟ قال : أفأدَع أيامى تَذهب باطلا ؟ قال روح : لقد ضننت (٤) بأيّامك ياراع (٥) إذ جادَ بها رَوح بن زِنباع .

٩١٤ ــ عابد آخر :

السّرِىّ بن يحيي قال : حدثنا عبد الله بن عُبيد بن عُمير قال : خرجت مع أبى فكنا فى أرضٍ فلاة . فرُفع لنا سَواد فظنناه شَجرةَ . فلما دنونا إذا رجلٌ قائم يصلِّى . فانتظرناه لينصرِف فيرشِدنا إلى القرية التى نُريد . فلما لم ينصرف قال له أبى : إنّا نريد قرية كذا وكذا

---

(١) ط : يدك .　　(٢) ط : وتصوم .

(٣) أمير فلسطين وسيد اليمانية فى الشام وقائدها وخطيبها وشجاعها . توفى سنة ٨٤ هـ .

(٤) ق : ظننت والتصويب من ط .

(٥) ط : يا راعى .

فأَوْمِ لنا قِبَلَهَا بيدِك . قال ففعل . قال : فإذا له حوض مُحوَّض (١) يابس ليس فيه ماء وإذا قِربة يَابسة . فقال له أَبى : إنّا نراك بأَرضٍ فلاة وليس عِنْدَك ماء ، أَفنجعل فى قِربتك من هذا الماء الذى عندنا ؟ فأَومأَ أَنْ لا . فلم نبرَح حتى جاءت سحابةٌ فمطرتْ فامتلأْ حَوْضَهَ ذلك. فلما أَن دخلنا القرية ذكرناه لهم فقالوا : نَعم ذاك فلان لا يكون فى موضعٍ إلا سُقِى . قال : فقال أَبى : كم من عبدٍ (٢) لله عز وجل صالحٍ لا نعرفه .

٩١٥ ــ عابد آخر :

أَحمد بن أَبى الحَوارِىّ قال : حججت أَنا وأَبو سليمان (٣) فبينا نحن نسير إذ سقطت السَطِيحة (٤) منى . وكان بَرد عظيم . فلما افتقدتُ السطيحة قلت : بقينا بلا ماء . فأَخبرت أَبا سليمان . فقال سلّم وصلّ على محمد صلى الله عليه وسلم وقل يارادّ الضالّة وياهادياً من الضلالة رُدَّ الضالة فإذا بواحد يُنادى : مَن ذهبت له سطيحة فأَخذتها [منه] فقال لِى أَبو سليمان لا يَتركنا (٥) بلا ماء فبينا نحن نسير إذا برجلٍ (٦) عليه طِمْران رثّان وقد تَدَرعنا بالفِراءِ من شدّة البرد ، وهو يرشحُ عرقاً . فقال له أَبو سليمان : أَلا نُدثّرك ببعض ما مَعنا ؟ فقال الرجل : يادارانىّ (٧) الحرُّ والبردُ خَلْقان لله تعالى (٨) إن أَمَرهما

---

(١) صنعته يد الإنسان وأبرزت حدوده ، وليس حوضاً طبيعياً .
(٢) ط : عبد الله . والتصويب من ق .
(٣) هو أبو سليمان الدارانى ، وقد مرت ترجمته فى هذا الجزء برقم (٧٥٧) .
(٤) المزادة يشرب منها وتكون من جلدين لا غير .
(٥) أى الله تعالى . ط : لا تتركنا .
(٦) ق : إذا أنا برجل . وأثبت ما فى ط .
(٧) نسبة إلى داريا ، قرية فى محافظة دمشق .
(٨) ق : عز وجل .

أَن يغشَيانى أَصابانى وإن أَمرَهما أَن يترُكانى تَركانى ، ياداراَنّى تَصف الزهد وتَخاف من البرد ؟ أنا أَسيحُ فى [١] هذه البريّة منذ ثلاثين سنة ما انتفضتُ ولا ارتعدتُ ، يُلبِسُنى فى البَرد فَيْحاً [٢] من محبّته ، ويُلبِسُنى فى الصيف مَذاقَ بَردِ محّبته . ثم ولىّ وهو يقول : يادارانيّ تبكى وتَصيح وتَستريح إلى الترويح [٣] ؟ فكان أَبو سليمان يقول : لم يَعرفنى غيرُه .

٩١٦ — عابد آخر :

قال الأَصمعى : حدّثنا شَبيب بن شَيْبَة [٤] قال : كنّا بِطَريق مكةَ وبين أَيدينا سُفْرةٌ لنا نتغدّى فى يوم قائظٍ . فوقف علينا أَعرابىٌّ ومعه جارية له زِنجيَّةٌ . فقال : ياقوم أَفيكم أَحدٌ يقرأ كلام الله عز وجل حتى يكتبَ لنا [٥] كِتابًا ؟ قال : قلت له : أَصِب من غَدائنا حتى نكتب لك ماتُريد . قال : إنى صائم . فعجِبنا من صَومه فى البرِّيَّة . فلما فرغنا من غَدائنا دعَونا به[٦] فقلنا : ماتريد؟ فقال : أَيها الرَّجل إن الدنيا قد كانت ولم أَكُنْ فيها ، وستكون ولا أَكون فيها . وإنى أَردت أَن أُعتِق جاريتى هذه لوجه الله عز وجل ثم ليوم العقبة ، تَدرى مايومُ العقَبة؟ قول الله تعالى[٧] «فلا اقتَحم العقَبة . وما أَدراك ما العَقبة؟ فكٌّ رقَبة »[٨] اكتب ماأَقول لك ، ولاتزيدَنَّ علىَّ حرفًا : هذه فلانة خادمُ فلان قد أَعتقَها لوجه اللهعز وجل[٩] ليوم العقَبة .

---

(١) ط : وأنا شيخ لى ق .
(٢) فاح الحر فيحاً : اشتد .
(٣) الراحة .
(٤) ق : شبه ، تحريف . والتصويب من ط وتقريب التهذيب .
(٥) ط : لى .
(٦) ط : دعيناه .
(٧) ط : عز وجل .
(٨) البلد : ١١ — ١٣ .
(٩) ط : تعالى .

قال شبيب : فقدِمت البصرة وأتيت بغداد فحدَّثتُ بهذا الحديث المهدىّ فقال : مائة نسمَةُ تعتَق على عَهد الأَعرابىّ[١] .

٩١٧ ـــ عابد آخر :

بَهيم العِجلىّ قال : ركب معنا شابٌ من بنى مُرَّة من أهل البدْو فى البحر . فجعل يبكى الليلَ والنهار . فعاتَبه أهل المركب على ذلك وقالوا : ارفُق بنفسك قليلاً . فقال : إنَّ أَقلَّ ما ينْبغى أن يكون لِنفسِى عِنْدى أن أبكيَهَا وأَبكى عليها أيامَ الدنيا لِعلمِى بما يمرّ عليها غدًا . قال : فما بقِى فى المركب أَحد إلَّا بكى .

٩١٨ ـــ عابد آخر :

من بنى تَيم الله

مسكين بن دينار قال : كان فى بنى[٢] تيم الله شيخ متعبّد يجتمع إليه فتيان الحىّ ونُسّاكهم[٣]. قال : فيذكّرهم ، فإذا أرادوا أن يتفرّقوا قال : يا إخوتاه قُوموا قيامَ قومٍ قد يئسوا من المُعاودةِ لمجالسهم خوفًا من خَطَفات الموكَّل بالنفوس . قال : فيبكى واللهِ ويُبَكِّى .

٩١٩ ـــ عابد آخر :

الأَصمعى قال : كنت بالبادية أُعلِّمُ القرآنَ فإذا أَنا بأَعرابى بيدِهِ سَيْفٌ يقطع الطريق . فلما دنا منِّى ليأْخذ ثيابى قال لى : ياحَضَرِىُّ ، ما أَدخلك البدو؟ وقلت : أُعَلِّم القرآن . قال : وما القرآن ؟ قلت. كلام الله . قال : ولله كلام؟ قلت : نعم . قال : فأَنشِدنى منه بيتًا فقلت : «وفى السّماءِ رِزْقُكُمْ وماتُوعَدون »[٤]قال فرَمى بالسيف من يده وقال :

---

(١) ط : « مائة رقبة تعتق على عهدة الأعرابى » .

(٢) بنى : ساقطة من ط .

(٣) ط : ونساؤهم .

(٤) الذاريات : ٢٢ .

أَسْتغفر اللّه ، رِزقى فى السماءِ وأَنا أَطلبه فى الأَرض . ثم لقيتُه بعد سنةٍ فى الطَّواف فقال : أَلستُ صاحبك بالأَمس؟ قلت : بلى . قال : فأَنشدنى بيتًا آخر فقلت : فورَبِّ السّماءِ والأَرضِ إِنَّهُ لحَقٌّ مثلَ ما أَنَّكُمْ تَنطِقون »[1] قال : فوقف وبكَى وجعل يقول : ومَن أَلجأَه إلى اليمين؟ فلم يَزل يردّدها حتى سقط ميتًا .

٩٢٠ — عابد آخر :

الأَصمعى قال : قال أعرابى إنى لبِمَضلَّةٍ[2] من الأَرض إذ بَصُرتُ بأَعرابىٍّ قد افترس الاسدُ ابنَه ونفر به[3] بعيرُه فَدقَّ فخذَه وذلك بعد أَن نازل الأَسدَ فجدّ له[4] فسمعته يقول : للّه درّكِ من مصيبةٍ جلَّت فلطفَت وكبُرتْ فصغُرتْ . لئن كنت أَحلات قلبي ترَحًا لقد أَورثتنِى فرحًا . وكيف لا تكونين كذلك وقد زُوِىَ بك[5] عنى عظيمٌ وقد أَورثتنِى صبرًا جسيمًا؟ فقلت : اللّه يا أَعرابى ماراًيت أَربط منك جأْشًا ولا أَصعب منك مِراسًا . فقال : يا هذا إنَّ الصّبر والجزع ضِدّان أَحدهما بَصيرةٌ بنَجْدة والآخرة تهوُّر بِغِرّة ، وايس بحزم تَتبُّع ما فات تَطلُّبه وعزَّتْ[6] أَوْبَتُه . ثم أَنشأَ يقول :

وكذا أَشتَهِى لحادثِ ريبِ الدّ هر إِذْ كان أَن يكونَ عَظيما

٩٢١ — عابد آخر :

عبد الرحمن بن أَبى نوح قال : ذُكر لى عن رجل من العرب فهمٌ وخَير ، فقصدتُ له فى بعض البَوادِى حتى أَصبته يَسْنُو على بَعِير[7] له .

---

(١) الذاريات : ٢٣ .
(٢) المضلة (بفتح الميم وكسر الضاد أو فتحها) : الأرض التى يضل فيها الطريق . ط : لبضلة .
(٣) به : ليست فى ط .
(٤) رماه أرضاً . ط : فحذله ، ولم يتضح صوابها لمصححى طبعة حيدر آباد .
(٥) صرف وطوى ونحى .
(٦) ق : مطلبه وعزبت . والمثبت عن ط .
(٧) سنا الرجل على الدابة : استقى عليها .

فقلت : قل لى كلامًا أَحفظه عنك يرحمك الله . قال : لا تُطلق لسانك(١) فإنَّ الفعل أَولى بك من القول . قلت : رحمك الله إنَّ دليل العمل القولُ ومفتاحه المعرفة . فأُعْجِب بقولى . ثم أَقبل علىّ فقال : يا أَخى إنَّ الشفقة لم تزل بالمؤمن حتى أَوْفَدَتْه على خَير حالٍ ، وإنَّ الغفلة لم تزل بالفاجر حتّى أَسلمته إلى شرّ حال ؛ وما خير عمر امرىءٍ لا يَدرِى ماعاقبةُ أَمره؟ وماخير عَيْشٍ لا يكمل ماحفظ. منه ؟ ولئن كانت الرغبة فى الدنيا هى المستولية على قلوبنا كما استولت على أَبداننا لقد خِبْنا غدًا فى القيامة وخسِرنا .

٩٢٢ — عابد آخر :

يحيى بن معاذ قال : كنتُ فى سياحتى ، فبينا أنا فى بَعْضِ الفَاوات إذْلاح لِى كوخٌ من قصب ، فقصدْت نحوه فإذا أَنا بشيخ مُبتلى ، قد أَكل الدُّودُ لحمُه . فوقع له فى قلبى رحمةَ . فقلت له : ياشيخ أَتحبُّ أَن أَسأَل الله تعالى أَن يُبْرِئَكَ ؟ قال : فرفع رأْسه وهو أَعمى فنظر إلىّ وقال : يايحيى بن مَعَاذ الرّازى وإنَّ لك عندَهُ هذه الدّالة فلمَ لاتَسْأَله أَن يبغض(٢) إليكَ شهْوَةَ الرمَّان؟ قال يحيى : وكنت قد اعتقدتُ(٣) مع الله عزوجل تركَ الشهوات ماخلا الرمَّان فلم أَقدر على تركه لحبىّ له . ثم نظر إلىّ وقال [لى] يايحيى بنَ معاذ احذَر أَن تتعرّض لأَولياءِ الله(٤) فتُفتضحَ عندهم .

---

(١) ق ، ب : « انطلق لشأنك » وأثبت ما فى قط .

(٢) ينغص .

(٣) اعتقد الرجل الأمر : عقد عليه قلبه وضميره ، وتمسك به ، يريد : عاهد الله على ما ذكر .

(٤) ق : لأوليائه ، وأثبت ما فى ط .

٩٢٣ — عابد آخر :

أبو القاسم النصر آباذى قال : سمعت إبراهيم بن شيبان يقول : بقى ابراهيم(١) سنة فى البادية ما أكل ولا شرب ولا اشْتهى(٢) شيئًا . فقال : عارضَتْنى نفسى أنَّ لى عند الله عزوجل رتبةً فلم أَشعرُ أَنْ كلَّمنى رجلٌ عن يمينى فقال : يا ابراهيم تُرائِى الله فى سِرِّك؟ فنظرتُ إليه فقلت : قد كان ذلك . فقال : بحمد الله كم لِى ههنا لم آكل ولم أشرب ولم أَشتَهِ شيئًا وأنا زَمِنٌ(٣) مطروح؟ قلت : الله أعلم . قال : ثمانين يومًا وأنا أَستحيي من الله عزوجل أن يَقَعَ لى خَاطرك ، ولو أقسمتُ على الله عز وجل أن يجعل هذا الشّجر ذهبًا لجعله .

فكانت بركة رؤيته تَنْبِيهًا لى ورجوعًا إلى حالَتِى الأُولى .

٩٢٤ — عابد آخر حجازى :

أبوعبد الرحمن المَغازلِى قال : دخلت على رجل مُبتلى بالحجاز فقلت : كيف تَجِدُكَ ؟ قال : أَجِدُ عافِيَتَه أَكْثَر مما ابْتَلانى به ، وأَجد نِعَمه علىَّ أكثر من أَن أَحصيها . قلت : أَتجد لِمَا أَنت فيه أَلمًا شديدًا ؟ فبكى ثم قال : سلَّى نفسِى أَلمَ ما بى :(٤) ماوعَد عليه سيدى أَهلَ الصبر من كمال الأُجور فى شدة يومٍ عسير . قال : ثم غُشِىَ عليه . فمكث مليًا ثم أَفاق فقال : إنِّى لأَحْسب أَنَّ لأَهلِ الصبر غدًا فى القيامةِ مقامًا شريفًا لايتقدَّمُهُ من ثواب الأَعمال شىءٌ ، إلا ماكان من الرّضا عن الله تعالى .

---

(١) يعنى نفسه .

(٢) ق : وما اشتهى . والمثبت من ط .

(٣) زمن (بفتح فكسر) : مصاب باهة .

(٤) ما : اسم موصول فاعل (سلى) .

٩٢٥ — عابد آخر :

الخلدِى قال : خرجت سنة من السنين إلى البادية فبقيت أَربعةً[١] وعشرين يومًا لم أطعَم فيها طعامًا . فلما كان بعد ذلك رأيت كوخًا وفيه غلام فتَصَدْت الكوخ فرأيت الغلام قائمًا يصلِّى فقلت فى نفسى : بالعَشِيِّ يجيء إلى هذا طعام فآكل معه . فبقيت تلك الليلة والغدَ وبعدَ غدٍ ، ثلاثة أيام لم يجئْهُ أحد بطعام ولا رأيت أحدًا . فقلت : هذا شيطان ليس هذا من الناس . فتركته وانصرفت . فلما كان بعد أشهر ، أنا قاعد فى منزلى إذا داقٌّ يدقّ الباب . فقلت : من هذا ؟ ادخل . فدخل الغلام وقال لى : ياجعفر أنت كما سُمّيت ، جاعَ فرٌّ[٢] .

ذكر المصطفيات من عابدات العرب[٣] وأهل البادية

٩٢٦ — خنساء بنت عمرو النخعية :

عن عبد الرحمن بن مغراء الدّوسى ، عن رجل من خُزاعة قال : لمّا اجتمع الناس بالقادسية دعت خنساء بنت عمرو النخعية بَنِيها الأربعة فقالت : يابُنَىّ إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجَرْتم واللهِ مانَبَتْ بكم الدّار ولاأَقْحَمَتْكم السّنة[٤] ، ولا أَرْدَاكم الطمع ، واللهِ الذى لا إله إلّا هو ، إنكم لبَنو رجلٍ واحد كما أنكم بنو امرأةٍ واحدة ، ماخنتُ أباكم ولا فَضَحْت خالكم ؛ ولا غيّرت نَسَبَكم ولا أَوْطَأْت حريمكم ، ولا أَبَحتُ حماكم فإذا كان غدًا إن شاءَ الله ، فاغدُوا لقتال عدوّكم مستنصرين الله ، مستبصِرين ، فإذا رأيتم الحرب قد أبدَت

(١) فى النسخ جميعاً : أربعاً . والصواب تأنيث العدد .
(٢) بعدها فى ط : والسلام .
(٣) ط : الغرب . وكانت كذلك فى ق ثم أزيلت النقطة من فوق العين .
(٤) السنة : الجدب . يقال : أقحم القوم ، وأقحمتهم السنة : أى أجدبوا فتركوا منازلهم لغيرها مما يكون فيه الخضرة والمياه .

ساقَها وقد ضَربت رُواقها فتيمَّموا وَطِيسَها وجالِدوا خَميسها ، تظفروا بالمغنَم والسلامة ، والفوز والكرامة فى دار الخلد والْمَقَامة .

فانصرف الفِتية من عندها وهم لأَمرِها طائعون ، وبنصحها عارفون فلما لقُوا العدوّ شدّ أَوّلهم وهو يقول :

يا إخوتا إنَّ العجوز النَّاصِحَهْ   قد أَشْرَبتْنا إذ دَعتنا البارحَهْ
نصيحةً ذاتَ بيانٍ واضِحَهْ   فباكِروا الحربَ الضَروس[1] الكَالِحَهْ
فإنما تلقُون عند الصَّائحَهْ   مِنْ آلِ ساسان كِلابًا نَابِحَهْ
قد أيقنوا منكم بوقْع الجائِحَهْ   فأَنْتُمُ بينَ حياةٍ صَالِحَهْ
أوميتةٍ تُورِث غُنمًا رَابِحَهْ

ثم شدَّ الذى يليه وهو يقول :

والله لا نَعصِى العجوزَ حَرْفَــا   قد أمرَتْنا حدَبًا وعَطْفَا
منها وبِرًّا صَـادِقًا ولُطْفَـا   فَبَاكِروا الحرب الضَّروسَ زَحفَا
حتى تَكُفّوا آل كِسْرَى كفًّا[2]   وتَكْشِفُوهم عَنْ حِمَاكم كَشْفَا
إنَّا نَرَى التَّقْصِيرَ عنهمْ ضَعْفَا   والقتلَ فيهم نَجْدَةً وعُرْفَا

ثم شدّ الذى يليه وهو يقول :

لستَ لخنْساءَ ولا للأَخْـزمِ   ولا لعَمرو ذِى السَّناء الأَقْدمِ
إن لم تزُر فى آلِ جمع الأَعْجمِ   جَمْعَ أَبى ساسانَ جمع رُستم
بكلّ محمودِ اللقاءِ ضَيْغَمِ   ماضٍ على الهوْل خِضَمٍّ خضرمِ
إمَّا لقهرٍ عَاجِـلٍ أو مَغْنَم   أَو لحياة فى السَّبيل الأَكرمِ[3]
نَفوز فيها بالنَّصِيب الأَعْظَمِ

---

(١) ق : الظروس .
(٢) ق : « حتّى تلقوا آل كسرى لفا » . وأثبت ما فى ط .
(٣) هذا البيت ساقط من ب .

ثم شدّ الذى يليه وهو يقول :

إن العجوزَ ذاتُ حَزْمٍ وجلَدْ   والنَّظرِ الأَوفقِ والرَّأْىِ السَّدَدْ

قد أَمَرَتْنا بالصّواب والرَّشَدْ   نصيحةً منهـا وبِرًّا بالولَدْ

فباكِروا الحرب نماءً[١] فى العَدَدْ   إمَّا لقهرٍ واحتيازٍ[٢] للبلدْ

أو ميتةٍ تُورث خُلدًا الأَبـد   فى جنَّة الفردوس فى عيشٍ رَغَدْ[٣]

فقاتلوا جميعا حتّى فتح الله عز وجل للمسلمين ، وكانوا يُعطون ألفين[٤] فيجيئون بها فَيُصبّونها فى حُجرها فتقسم ذلك بينهم حفنةً حفنةً ، فما يغادر واحد من عطائه درهمًا .

٩٢٧ — منفوسة بنت زيد الفوارس :

الأصمعى قال : حدثنى رجل من بنى ثُعَل قال : كنت ببعض نواحى نجد فرُفِعَت لى فيه قُبَّة من أدمٍ فَقَصدتُها فإذا[٥] أصوات نساءٍ مُعْولات ، فَدَنَوْت منهنّ وسأَلتهن عن شأْنهن؟ فقلن : منفوسة بنت زيد الفوارس أُصيبتْ بابنها . وإذا هو فى حَجرها وهى تقول : والله لَتقدُّمك أَمامى أَحبّ إلىّ من تأَخرك ورائى ، ولصبرِى عنك أَجدَى من جزَعى عليك ، وماحَظٌ مصيبةٍ تحلّ من التلف[٦] محلَّك ، وتُورث من العطب مثل مضجعك؟ ولئن كان فراقك حسرة إنّ توقّع أَجرك لخِيرَة .

ثم قالت : لله درّ عَمرو بن معدِى كرب حيث يقول :

وإنا لقومٌ لا تَفيضُ دُمُوعُنا   على هالكٍ مِنَّا وإن قُصِمَ الظَّهرا

٩٢٨ — عاتكة المخزومية :

ابراهيم بن محمد المخزومى قال : بَكَتْ امرأَةٌ من بنى مخزوم يقالُ لها عاتِكَةٌ حتى ذهَبَ بَصَرُهَا . فعُوتبت فى ذلك وقيل لها :

---

(١) النماء: الزيادة . ط : بماء، تصحيف .   (٢) ط : واختيار ، تصحيف .

(٣) العيش الرغد (بفتح الراء والغين) : الذى طاب واتسع .

(٤) أى من الغنائم .   (٥) ط : قصدتها وإذا .

(٦) كذا فى ط . وفى ق : القلب .

ما بَعد ذهابِ البصرِ شيءٌ؟ فقالت : ما ينبغي للمُخوَّف بالنار أن تجفَّ له دمعةٌ حتى يُعرَفَ مَوْقِعُ الأَمانِ من ذالك . فلم تَزَلْ على ذالك البكاء حَتى ماتَتْ عليه .

٩٢٩ — منيرة السدوسية :

وبالإسناد حدثنا أبو بكر القرشي قال : حدثني محمد بن الحسين قال : حدثني عبد الله بن محمد بن حميد بن أَبي الأَسود قال : حدثني أَبوسلمة ، رجل من بني سَدوس ، قال : كانت لنا عجوز فى الحيّ لم ندركها نحن ، أَدركها أَشْيَاخُنَا يقال لها : مُنيرة . فكانت تقول إذا جاءَ الليل : قد جاءَ الهول ، قد جاءَت الظلمة ، قد جاءَ الخوف ما أَشبه هذا بيوم القيامة . ثم تقوم فلا تزال تُصَلِّي حتى تُصبِح .

٩٣٠ — طلحة العدوية :

وبالإسناد حدثنا القرشي قال : حدثنا عبد الله بن عيسى الطّفاويّ قال : أَرسلني أَبي إلى طلحة العدوية . فدخلنا عليها وبين يديها زَنْبيلان[١] أَحدهما فيه زَبيب ونَبْق وباقِلٍّ[٢] ، فقيل لى : إنها تُسَبِّح به وتأْكل منه أَحيانًا[٣] .

٩٣١ — أم سالم الراسبية :

وبالإسناد حدثنا القرشي قال : قال محمد بن الحسين : حدثني أَبوسمير ، رجل من الأَزد ، قال : أَتيت أُم سالم الراسبيَّة بين الظهر والعصر . فاستأْذنتُ عليها فأَذِنت لى . فدخَلْتُ عليها وإذا هِيَ تُصَلِّي قائمةً فلم تَنْفَتِلْ من صلاتها ولم تلتفِتْ إلىّ حتى نُودى بصلاةِ العصرِ فخرجتُ فصلَّيتُ ثم دخلتُ عليها فقالت : إذا كانت لك حاجة

---

(١) ق : زبيلان . وهما بمعنى . أى القفة أو الوعاء ، أو الجراب .
(٢) النبق (بفتح فسكون) : دقيق حلو يخرج من لب جذع النخلة . والباقلى (ويجوز المد) الفول .
(٣) ط : والسلام .

فلا تأتِنِى فى هذا الوقت فإن الذى يدَعُ الصلاةَ فى هذا الوقت فإنّما يُضَيِّعُ[١] حَظَّ نَفْسِه .

٩٣٢ ــ ام نهار العدوية :

عن عُتبة بن صالح الهلالى قال : شهدت أعرابية بالجَفر ، جَفرِ بنى عدىّ ، يقال لها أُم نهار العدويّة واقفةً على قبر رجلٍ ونحن ندفنه . فقالت : أَيها الناس إنَّكم من الله عز وجل فى نعمةِ سترٍ ، ومن الناس بمحلّ تزكية ، فإيّاكم ومصاداة زخاريف[٢] الرخاء فإنَّها ليستْ من صفة الأَلِبّاءِ[٣] فأَجْلُوا شماذير[٤] الغفلة عن قلوبكم ، وتأَمَّلوا أَهل هذه العَرصات الخُرْس والربوع الصُّموت وارجعوها[٥] صورًا بوَهْمِكم[٦] : تتنسَّمون[٧] روح الحياة فنادُوهم يسمعوا واسأَلوهم يُخبّروا . فاحيُوا بموتهم وتيقَّظوا لغفلاتهم وخُذُوا خَوْفكم من أَمنهم ، وحذركم من غُرورهم ، وانظروا بهم إلى أَثر البلى فى أَجسامكم ، والخراب فى مَسَاكنكم ، وكيف حكم فيهم التراب اذ ولىَ الحُكم فيهم ، فأَبدلَهم بالنطق خرساً وبالسمع صَمَمًا وبالحركات سكونًا . رحِمَ الله امرءًا أَبصر فتدبَّر ، واتَّعظَ فاعْتَبر ، وعَمِلَ ليومِ الحساب وخَشِيَ وقتَ العقاب . ثم قالت :

---

(١) قط : يدع .

(٢) مصاداة : مداراة . والزخاريف : كذا جمعت ، وإنما هى الزخارف ج زخرف : وهو حسن الشىء (بضم الخاء) .

(٣) ج لبيب . ط : الأولياء .

(٤) ق : شماذير . ط : فأخلوا شماذير . وكل ذلك تصحيف ، والصواب (سمادير) بالسين والدال المهملة . فى اللسان : « السمادير : هو الشىء الذى يتراءى للإنسان من ضعف بصره عند السكر من الشراب ، وغشى النعاس ، والدوار » . وظاهر أن المعنى فى النص على المجاز .

(٥) ط : فارجعوها .

(٦) ق : توهمكم . والتصويب من ط .

(٧) ط : تلمسون (بتاء واحدة) .

الموت يُفْنِى ولا يُبقِى على أَحَدٍ ما أَحْسَبُ الموتَ يُبقِى جِدَّة الأَبد

ياموتُ كم من كريم قد فَجعت به من أَقربيه ومن أَهلٍ ومن وَلد

ثم قالت : تغمّدكم الله بالرحمة وبلغ بكم شرف الهمّه .

٩٣٣ ــ عاتكة الغنوية :

وبالإسناد حدثنا القرشي قال : ذكر محمد بن الحسين قال : حدثنى عبيدالله بن محمد التيمى قال : حدَّثَنى جليسٌ لنا كان يُقَال لَهُ ضرار الطفاوىّ ، قال : لقيْتنى امرأة من غَنِىٍّ(١) عابدة يقال لها عاتكة. فقالت : ياضِرارٍ توسّل إلى مولاك بجميع ما يمكنك من الوسائل ، فإنَّك تجدُ ذلك لك موفرًا عند حلول الأُمور الجلائل ، وانقطِع إليه فى حوائجك لديه يأْت لك عليها على غير تَعب منك ولا نصَب . واعلم أنه لن ينال المطيعون فى الدنيا لذة أَحلى فى صدورهم من الازْدِياد لله فى طاعته بقربه ، ولحلاوة ساعة من مُطِيع أَلَذّ فى قلوب المريدين من جميع ما أُخرج إلى الدنيا من زهرة ولذة ، ولن يجد المريد ؟ فَقْدَ شىءٍ تركه رجاءَ ثواب الله . فجِدّ أَىْ أَخى قبل أَن لا يمكنك الجِدّ ، وبادر قبلَ فوات المبادرة فإنَّ الدنيا لا تَطيب لعارفها وإنَّما تورَّطَها أَهل الغِرّة وعما قليل فسوف يعلمون . قال : أَمسكَتْ فقامَتْ .

٩٣٤ ــ عليلة (٢) بنت الكميت :

أَبو خالد القرشى قال : استأْذنَّا على عُليلة بنت الكميت وكانت من العابدات قال : وذلك وقْتَ الظهر . فقالوا : هى تُصلِّى فلمْ تَزَلْ ننتظِرُها إلى العصر فلما صلَّت العصر أَذِنت لنا . فدخلنا عليها فقلنا : رحمك الله لم نزل قُعودًا منذ الظهر ننتظركِ . قالت : سبحان الله

(١) غنى : اسم قبيلة ، والنسبة إليها غنوى (بفتحتين) .

(٢) شكلت فى ق بضم العين هنا وفى سياق ترجمتها .

قُعودًا لمْ تُصلّوا(١) بين الظهر والعصر ؟ قلنا لا : قالت ما ظننت أن أحدًا لا يصلّى بين الظهر والعصر .

قال : وانقبضَت عنا انقباضاً شديدًا .

٩٣٥ — هنيدة (٢) :

عامر بن أسلم الباهلى ، عن أبيه قال : كانت لنا جارية فى الحىّ يقال لها هُنَيدة فكانت تقوم إذا مَضَى من الليل ثلثه أو نصفه فتُوقِظ وَلدها وزوجها وخَدَمها فتقول لهم قُوموا فتوضأوا وصلّوا فَسَتَغْتِبطون بِكَلاَمى هذا . فكان هذا دَأبَها معهم حتّى ماتت . فرأى زوجها فى منامه : إنْ كنت تحب أن تَزَوّجَهَا هناك فاخْلُفْها فى أهلها بمثل فعلها . فلم يزل دأبَ الشيخ حتى مات . فأُتى أكبر ولَده فى منامه فقيل له : إن كنت تحبُّ أن تُجَاورَ أبويك فى درجتهما من الجنة فاخلفهما فى أهلهما بمثل عَملهما . قال : فلم يزل ذلك دأبَه حتى مات . فكانُوا يُدْعَون القوّامين.

ذكر المصطفيات من عابدات العرب(٣) وأهل البادية المجهولات الأسماء

٩٣٦ — عابدة من بنى عبد القيس :

عنْ أَبى بكر الهُذَلى قال : كانت عَجُوز من بنى عبد القيس مُتَعبِّدة . فكانت تقول : عامِلوا الله على قَدر نِعَمه عليكم وإحسانِهِ إليكم ، فإن لم تُطِيقوا فَعلى قَدْرِ سَتْرِه . فإن لم تُطيقوا فعلى الحياء منه فإن لم تُطيقوا فعَلىَ الرجاء لِثَوَابه . فإن لم تطيقوا فعَلى خوف عِقَابه .

عن أَبى بكر الهُذَلى قال : كانت عجوز فى عبد القيس متعِّبدةً فكان إذا جاءَ الليل تَحَزمت ثم قامت إلى المِحْرَاب . وكانت تقولُ

(١) ط : قعود لم تصلون .

(٢) بضم الهاء ، مصغر هند .

(٣) ط : الغرب .

المحِبُ لا يَسْأَم من خِدْمَة حَبيبهِ . فإذا جاء النهار خرجتْ إلى القبور . فبلغني أنها عُوتِبَتْ فى كثرة إتيانها المقابر . فقالت : إن القلب القاسى إذا جَفَا لم يُلَيِّنه إلا رُسوم البِلَى ، وإنى لآتى القبور فكأَنِّى أنظر وقد خرجوا من بين أطْباقها ، وكأَنى أنظر إلى تلك الوجوه المتعفِّرة[1] وإلى تلك الأَجسام المتغيّرة وإلى تلك[2] الأَكفان الدّسِمة . فياله من منظر كريهٍ لو أَشْرَبه العِبادُ قلوبهم ما أَنْكَل[3] مرارته للأَنفس وأَشدّ إتلافه للأَبدان .

٩٣٧ — عابدة اخرى :

الأَصمعى قال : مات ابنٌ لاعرابية فما زالت تبكى حتى خَدّ[4] الدمعُ فى خدّها . ثم استرجَعت فقالت : اللهم إنك قد عَلِمْتَ فَرطَ حُنوّ الوالدين على ولدهما فلذلك لم تأْمرهما ببِرَه ، وقد علمت قَدْرَ عقوق الولدِ لوالديه فمن أَجْلِ ذلك حَضَضْتَه على طاعتهما ، وأَلزمَته بِرَّهما . وقد كان وَلدى من البرِّ بوالديه على ما يكون الوالدان بولدهما ، فأْجُرْه بذلك منِّى صلاةً ولقِّه سروراً ونَضْرةً . فقال لها أَعرابيٌّ : نِعْمَ ما دعوتِ له ، لولا أَنك شِبْتِه من الجزع بما لا يُجدِى عليه . فقالت : إذا وقعَت الضّرورات لم يَجْرِ عليها حكم المكتَسبات ، وجزَعى على ابنى غير ممكن فى الطّاقة صَرفُه ، ولا فى القُدرة مَنْعه ، والله وَلِيَ عُذرى بفَضله فقد قال عز وجل : « فَمَنِ اضْطُرَّ غيرَ باغٍ ولاَ عادٍ فَلاَ إِثْمَ عليْهِ إنّ الله غَفورٌ رحيم[5] » .

---

(١) ط : المتغيرة ، صوابها : المتغبرة (بالباء) .
(٢) تلك : ليست فى ط .
(٣) ق : ما أنكل . وأثبت ما فى ط .
(٤) خد : أثر .
(٥) البقرة ١٧٣ .

٩٣٨ ــ عابدة اخرى :

أبو عبد الرحمن القُرَشى ، عن رجل من بنى ثعلب ، قال : شهدت امرأة من أهل البادية تُوصِى أبنا لها وأراد سَفَراً فقالت : يابنّى أوصيك بتقوى الله ، فان قليلها أجدى عليك من كثير عقلك وإيّاك والنّمائم فانها تزرع الضّغائن وتفرِّقُ بين المحبين ، ومَثِّلْ لنفسك ما تَستحْسِنه من غَيْرِكَ مِثَالًا ثم اتخذه إماماً واعلم أنه مَن جمع بين الحياء والسخاءِ فقد استَجادَ الحُلّة إزارَها ورداءَها .

٩٣٩ ــ عابدة اخرى :

الصّلت بن حكيم قال : حَدَّثَنى ابن السماك أن نَفَراً ورَدوا على عجوز فى بعض البوادى يسألونها بَيْع شاةٍ . فقالت : ما كنتُ لأَبيع ابن السبيل شيئاً ، ولكن خُذوها على ما عندَ الله . ثم بكى أبو العباس يعنى ابن السماك ، وقال : رحمها الله فقِهَت فى بَدْوِها (١) .

٩٤٠ ــ عابدة اخرى :

أبو بكر (٢) الشيرازى قال تِهتُ فى بادية العراق أياماً كثيرة فلم أجد شيئاً أرتَفق به . فلما كان بعد أيام رأيت فى الفلا(٣) خِباءَ شعرٍ مَضْروبا فقصَدْته فإذا بيتٌ وعلَيه ستر مُسبَل . فسلَمت فردَّت علىَّ عجوزٌ من داخِلِ الخِباء وقالتْ : ياإنسانُ من أَيْنَ أَقبلتَ ؟ قلتُ : من مَكَةَ قالت : وأين تريد ؟ قلت : الشام . فقالت أرى شبح إنسان بطال ألا لزمتَ زاويةً تجلس فيها إلى أن يأتيك اليقين ؟ ثم تنظر هذه الكِسرة من اين تأكلها ؟ ثم قالت : تقرأ القرآنَ ؟ قلت : نعم فقالت : اقرأ علىَّ آخر سُورَةِ الفرقان فقرأتُها فشهقتْ وأُغمىَ عليها

---

(١) فى أول أمرها وبدء ظهورها .

(٢) ط : أبو زكرى .

(٣) الفلا : ج فلاة .

فلما أفاقت بَعد هُوِيّ قرأتْ هى الآيات فأخذت منى قراءتها (١) أخذاً شديداً . ثم قالت : ياإنسان اقرأها ثانية فقرأتها فلحِقها مثلُ ما لحقها فى الأوّل ، وصبرت أكثر من ذلك ولم تُفِق . فقلت أستكشِف حالها ماتت أم لا ؟ فتركتُ البيت على حاله ومشيت أقلَّ من نصفِ ميلٍ فأشرفتُ على وادٍ فيه أعراب فأقبل إلىّ غلامان معهما جارية ، فقال أحد الغلامين : ياإنسان أتيتَ البيت فى الفَلاة ؟ قلت نعم . قال وتقرأ القرآن ؟ قلت : نعم . قال : قتلتَ العجوز وربِّ الكعبة . فمشيت مع الغلامين حتى أتَيْنا البيتَ فدخلتُ الجارية فكشفَت عنها فإذا هى ميّتة . فأعْجَبَنى خاطِرُ الغلام فقلتُ للجارية : من هذان (٢) الغلامان ؟

فقالت : هذان جَعَافِرةٌ وهذه أختهم منذ ثلاثين سنة ما تستأْنس بكلام الناس ، إذا نزلنا نُوارِى بيتها فى الفلاة تأْكل فى كل ثلاثة أيام أكلةً وشربة (٣).

٩٤١ — عابدة اخرى :

عن هشام ، يعنى ابن حسان ، قال خرجنا حُجَّاجاً فنزلنا منزلًا فى بعض الطريق فقرأ رجلٌ كانَ مَعنا هذه الآية « لها سبعة أبوابٍ لكل بابٍ منهم جُزْءٌ مَقسومٌ » (٤) فسمعَتْ امرأةٌ فقالت أَعِدْ رحَمِكَ الله . فأَعادَها . فقالتْ : خلفتُ لى فى البيت سبعة أَعبُدٍ أُشهِدكم أنهم أحرار . لكل (٥) باب واحد منهم .

---

(١) الهوى (بضم الهاء أو فتحها مع كسر الواو وتشديد الياء) . يقال : مضى هوى من الليل ، أى هزيع أو قسم منه . والعبارة فى قط : « فلما أفاقت لقد هزنى قراءتها فى الآيات فأخذت منى أخذاً ... » وقد اعتمدها أصحاب طبعة حيدر آباد ولا معنى لها .

(٢) ط : هذا ، خطأ.

(٣) أى وتشرب شربة .

(٤) الحجر ٤٤ .

(٥) ط : كل .

٩٤٢ ـــ عابدة اخرى :

مسمع قال : قالت امرأة من العَرب (١) ذاتُ عقلٍ ودِين : سبحانك إلٓهى ، إمهالُك المذنبين أطمَعهم (٢) فى حُسن عفوك عنهم ، سبحانك إلٓهى ، لم يزل قلبى يَشهد برضاك لِمن نال (٣) عفْوَك ، سبحانك إلٓهى تفضّلًا منك وامتناناً على خلقك .

٩٤٣ ـــ عابدة اخرى :

ابن عائشة قال : نظرت أعرابية إلى فتًى حسن الوجه بضّة فقالت إنى لأرى وجهاً ما غَضَّنهَ(٤) بَدْدُ وضوءِ السَّحَر .

٩٤٤ ـــ عابدة اخرى :

الاصمعى قال : قال أعرابى : خرجتُ فى ليلة ظلماء فإذا أنا بجارية كأنها عَلَم(٥) . فأَردْتها فقالت : ويلَك أمالَك زاجِرٌ من عَقل إذا لم يكن لك ناهٍ من دين ؟ فقلت : إيها والله ما يرانا إلّا الكواكب . فقالت : وأين مُكَوكِبها (٦) ؟

٩٤٥ ـــ عابدة اخرى :

محمد بن سلّام الجمحى قال : سمعتُ خارجةَ بن زياد ، رجلاً من بنى سَليم (٧) ، يذكر قال : هويتُ امرأةً من الحىِّ فكنتُ أَتبَعُهَا إذا خرَجَت إلى المسجِد فعرِفَت ذلك منِّى فقالت لى ذات ليلة : أَلكَ حَاجَةٌ ؟ قلت : نعم . قالت : وما هى ؟ قلت : مَوَدَّتِكِ قالت : دَعْ ذلك ليوم التَّغابُن قال : فأَبكتْنى واللهِ فما عدتُ إلى ذلك .

---

(١) ط : الغرب ، تصحيف . (٢) ق : أطعمهم . والمثبت من ط .

(٣) ط : قال ، تصحيف . وقوله « لمن » كذا جاء فى النسخ فيملق بيشهد لأن الرضى يتعدى بعن .

(٤) أى ما جعده . ط : ما عضه .

(٥) العلم : المنارة .

(٦) لم يستعمل فعل (كوكب) فى المعاجم متعدياً . وإنما يقال : «كوكب الحديد كوكبة : برق وتوقد » .

(٧) يعنى أن خارجه هو رجل من بنى سليم . ف « رجلا » بدل من خارجة .

٩٤٦ ـــ عابدة اخرى :

بلَغنا عن أبان بن تغلِب (١) أنه قال : رأيت أعرابية تمرِّض ابناً لها وهو لِما (٢) به . فلما فاظ(٣) أغْمَضَتْه ثم تَنَحّت عن مَقْعدِها عند رأسه ورجعت إلى مجلسها تجاهه فقالت : يافلان ما حقّ مَن أُلبِس العافية وأُسبِغت عليه النعمة وأُطِيلت (٤) له النظرة أن يعجز عن التوثق لنفسه قبل حَلّ عُقْدته والحلول بعقوبته ، والحِيال بينه وبين نفسه

قال : فأَجابها أعرابي : إنّا لم نزل نسمع أن الجزع إنما هو للنساء فلا يَجْزَ عنّ رجل بمصيبةٍ بعدك ولقد كَرُمَ صبرك ، وما أشبهت النساء . فأَقبلَت عليه بوجهها ثم قالت : ما ميزَّ رجل بين الصَّبر والجزع إلا أصاب بينهما مَنْهجَين بعيدَي التَّفاوُت فى حاليهما ، أما الصبر فحسَنُ العلانية محمود العاقبة ، وأما الجزع فغير مُعوّض مع مأْثَمِه ، ولو كانا رجلين فى صورةٍ ، كان (٥) أولاهما بالغلبة وحسن الصورة مع كرم الطبيعة فى عاجله من الدين وآجله من الثواب ،وكفى ما وعد الله عز وجل فيه لمن ألهمه إيّاه .

انتهى ذكر أهل البَوادِى .

---

(١) قارىء لغوى ، كوفى ثقة . ويقال إنه أول من صنف فى « غريب القرآن » . توفى سنة ١٤١ ﻫ وفى ط : « ثعلب » بدل « تغلب » تصحيف .

(٢) أى أنه فى حال من الإعياء أو الكرب الشديد . وهذا التعبير شائع فى أساليب القدماء . (انظر مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج ١٧) .

(٣) فاظ : مات . ط : فاض . وهما لغتان .

(٤) قط : وأصيبت .

(٥) ظاهر العبارة يدل على أن اسم كان ضمير مستتر يعود على الصبر . و (أولاهما) خبرها .

ذكر المصطفين من العباد الذين لم يعرف لهم مستقر[١] وانما لقوا فى أماكن

ذكر المصطفين ممن لقى منهم فى طريق مكة

٩٤٧ — عابد :

أبو يوسف ، عبيد الله بن أبى نوح ، وكان من العابدين ، قال صحبتُ شيخاً فى بعض طريق مكة فأعجبتْنى هَيْئته . فقلت : إنى أحبّ أن أصحبك . قال : أنت وما أحببت . قال : فكان يَمشى بالنهار فإذَا أمْسى أقامَ فى منزلٍ كان[٢] ، أو غيرِه . قال : فيقوم الليل يصلِّى ، وكان يَصومُ فى شِدةِ ذلك الحَر فإذا أمْسَى عَمد إلى جَريبٍ معه فأخرج منه شيئاً فألقاه إلى فيه مرّتين أو ثلاثًا . وكان يدعونى فيقول هلّم فأصِبْ من هذا فأقول فى نفسى والله ما هذا بمُجزيك أنتم ، فكيف أشركُك فيه ؟ فلم يَزل على ذلك ودخلَت له فى قلبى[٣] هيبة عند ما رأيتُ من أجْتِهاده وصَبْره . قال : فبينا[٤] نحن فى بعض المنازل إذ نظر إلى رجل يَسوق حماراً فقال لى : انْطَلِق فاشتَر ذلك الحمار . فانطلقتُ وأنا أقول فى نفسى : والله ما معى ثمنه ولا أعلم معه ثمنه فكيف أشْتَريه ؟ قال : فأتيت صاحب الحمار فَساوَمْته به فأبى أن ينقصه من ثلاثين ديناراً . قال فجئت إليه وقلت : قد أبى أنْ ينقصه من ثلاثين ديناراً قال خذه . واستخِر الله قلتُ : الثَمن ؟ قال : سَمّ الله ثم أدخِل يدك فى الجِراب فخُذْ الثَمنَ فأعطِه . قال : فأخذتُ الجِراب ثم

---

(١) ب : مستقرهم . قط : أسماؤهم .

(٢) أى فى منزل كان مسكوناً أو هو قديم مهجور .

(٣) فى : ساقطة من ط .

(٤) ط : فبينما .

قلت : بسم الله وأدخَلْتُ يدِى فيه فإذا صُرّةٌ فيها ثلاثونَ ديناراً لا تزيدُ ولا تنقصُ . قال : فدفعتُها إلى الرجُلِ وأخذتُ الحِمارَ وجِئْتُ به فقال لى : اركب فقلتُ له : أنت أَضْعف منّى فاركب أنت . قال فلم يرادّنِى(١) الكلامَ . وركب فكنت أمشى(٢) مع حماره فحيثُ أدرَاكَهُ الليلُ أقامَ . فإنما هُو رَاكع وساجد حتى أتينا عُسْفان (٣) . فلقيَه شيخ فسلّم عليه ثم خلَوا فَجَعلا يبكيان . فلما أراد أن يتفرّقا قال صاحبي للشيخ : أوصِنى . قال نعم ، ألزِم التقوى قلبَك وانصب ذِكْر المَعَاد أمامك . قال : زِدْنى . قال : استقبل الآخرة بالحُسنى من عملك ، وباشِر عَوارض الدنيا بالزّهد من قلبك ، واعْلَم أن الأَكْياس هم الذين عَرفوا عَيْب الدنيا حين عَمِيَ على أهلها والسلام عليكم ورحمة الله . قال : ثم افترقا فقلت لصاحبي : مَن هذا الشيخ رحمك الله ، فما رأيت أحسن كلاماً منه ؟ فقال : عبدٌ من عبيد الله . قال فخرجنا من عُسْفان حتى أتينا مكة فلما انتهينا إلى الأَبطح(٤) نزل عن حماره وقال لى : اثبِتُ مكانك حتى أنظر إلى بيت الله نظرةً ثم أعود إليك إن شاءَ الله . قال : فانطلَق وعَرضَ لى رجل فقال : تبيع الحمار ؟ قلت : نعم قال : بكم ؟ قلت : بثلاثين ديناراَ . قال : قد أَخذته منك . قلت : ياهذا والله ما هَوَ لى وإنما هو لرفيق لى وقد ذَهب إلى المسجد ولعلّه أن يَجِيءَ الآن قال : فإنّى لأُكلّمه إذ طلع الشيخ فقمت إليه فقلت : إنّى قد بعت الحمار بثلاثين

---

(١) راده الشيء : رده عليه . وراده فى الكلام : راجعه إياه . ط : فلم يراد فى الكلام .

(٢) ط : فكنت أمشى حماره .

(٣) بضم العين : منهلة من مناهل الطريق قرب مكة .

(٤) ط : واجعل .

(٥) مسيل واسع فيه رمل ودقاق الحصى . والأبطح يضاف إلى مكة تارة وإلى منى تارة أخرى ، لأن المسافة بينه وبينهما تكاد تكون واحدة .

ديناراً . قال أما (١) إنك لو كنت استزدته لزادك إن شاء الله فأمّا إذ بعتَ فأُوْجِر . فأخذت من الرجل ثلاثين ديناراً ودفعت الحمار إليه وجئت بالدنانير فقلت : ما أصنع بها ؟ قال : هى لك فأنفقها . قلت لا حاجةَ لى بها . قال : فألقِها فى الجِراب . قال : فألقيتُها فى الجِراب . قال فطلبنا منزَلاً بالأَبطح فنزلناه فقال أبغنى دواةً(٢) وقِرطاساً . فأَتَيْتُه بدواةٍ وقرطاس . قال : فكتب كِتابين ثم شدهما إلىّ وقال : انطلِقْ به إلى عّباد بن عّباد وهو نازل فى موضع كذا وكذا فادفَعه إليه وأقرِه منّى السلام ومن المسلمين . ثم دفع الآخر إلىّ وقال : ليكن هذا معك فإذا كان يوم النّحر فاقرأه إن شاء الله . قال فأخذت الكتاب فأتيت به عبّاد بن عّباد وهو قاعد يحدّث وعنده خَلْق كثير . فَسَلَّمت ثم قلت : رحمك الله ، كتابُ بعض إخوانك إليك . فأخذ الكتاب فإذا فيه . بسم الله الرحمن الرحيم ، أمّا بعد ياعبّاد فإنى أُحذّرك الْفَقْر يوم يَحْتَاج الناس إلى الذّخر ، فانَّ فقر الآخرة لا يَسْده غِنًى وإنَّ مُصاب الآخرة لا تُجبَر مصيبتُهُ أَبداً ، وأنا رجل من إخوانك وأنا ميّت الساعة إن شاء الله فاحضُرنى لِتلينى (٣) وتولَّ الصلاة علىّ وإدخالى حُفْرَتى (٤) وأَستَودعُك الله وجميع المسلمين ، واقرأ السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليكم جميعاً السلام ورحمة الله » . قال فلما قرأ عبّاد الكتاب قال : ياهذا أين هذا الرجل ؟ قلت : بالأَبْطح . قال فمريضٌ هو ؟ قلت لا ، تركته الساعة صَحِيحاً قال : فقام وقام الناس معه حتى

---

(١) ط : ما ، تحريف .

(٢) يقال : أبغنى كذا : أى أعنى فى طلبه ، أو اطلبه لى وابحث عنه .

(٣) ولى الشيء وعليه : قام به وملك أمره . ط : ليلتى ، تحريف .

(٤) أى قبره .

دخل عليه فإذا هو مستقبلٌ القبلة ميّت مُسَجى ، عليه عباءة . فقال لى عباد : وهذا صاحبك ؟ قلت : نعم : تركته الساعة صحيحاً ؟ قال : فجلس يبكى عند رأسه ثم أخذ فى جِهازه وصلَّى عليه ودَفنهُ . قال : واحتشد الناس فى جنازته . فلما كان يوم النحر قلت : والله لأقرأن الكتاب كما أمرنى ففتحته فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ، وأنت يا أخى فنفعك الله بمعروفك يوم يحتاج الناس إلى صالح أعمالهم ، وجزاك عن صُحْبتنا خيراً فان صاحب المعروف تَجِدُه لجنبه يوم القيامة مُضْطجعاً وانّ حاجتى إليك إذا قضى الله نُسكك أن تَنْطاق إلى بيت المقدس فتدفع مِيراثى إلى وَارِثى والسلام عليك ورحمة الله » . قال : فقلت فى نفسى كلُّ أمرك رحمك الله عَجبٌ وهذا من أعجب أمرك . كيف آتى بيت المقدس ولم تُسمّ لى أحداً ولم تصِف لى موضعاً ، ولا أدرى إلى مَن أدفعه ؟ قال : وخلف قدحاً وجِرابَه ذلك وعَصاً كان يتوكأ عليها . قال : وكَفّنّاه فى ثوَبْى إحرامه وَلَفَفْنا العباءَ فوق ذلك . قال : فلما انقضى الحجّ قلت : والله لأَنْطَلِقنّ إلى بيت المقدس فعلّى أن أقع على وارث هذا الرجل . قال : فَانْطَلَقْت حتى أتيت [١] بيت المقدس ، فدخلت المسجد ، وثَمَّ حَلَقُ قومٍ فقراءَ [٢] مساكين . قال : فبينا أنا أدور لأَتصفّح [٣] الناسَ ، لا أدرى عَمّن أسأَل ، إذْ نادانِى رجل من بعض تلك الحلق باسْمى : يافلان . فالتفت

---

(١) قط : آتى .

(٢) ب : وثم حلق فقراء . قط : وهم حلق قوم فقراء . ق : وهم حلق حلق قوم فقراء . وقد صوبنا العبارة بابدال (ثم) من (هم) . وثم : بفتح الثاء وتشديد الميم : أى هناك .

(٣) ق : أتصفح . وأثبت ما فى ط .

فالتفت إليه فإذا شيخ كأنه صاحبى قال : هات ميراث فلان . قال : فدفعت إليه العصا والقدَح والجِراب ثم ولّيت راجعاً قال : فوالله ما خرجت من المسجد حتى قلت لنفسى : تَضْرِب من مكة إلى بيت المقدس وقد رأيتَ من الشّيخ الأول ما رأيت ، ورأيت من هذا الشيخ الثانى ما رأيت ، ولا تسأل هؤلاء القوم أىّ شىء قِصّتهم وتسألهم عن أمْرهم ومَن هُم ؟ قال : فرجعت ومِن رأيِى أن لا أُفارق هذا الشيخ الآخر حتى يموت أو أموت . قال : فجعلت أدور الحلق وأجهد على أن أعرفه أو أقع عليه فلم أقع عليه . قال : وجعلت أسأل عنه ، وأقمت أياماً ببيت المقدس أطلبه وأسأل عنه ، فلم أجد أحداً يدلّنى عليه . فرجعت منصرفاً إلى العراق .

٩٤٨ — عابد آخر :

محمد بن سهل بن عسكر البخارى قال : كنت أمشِى فى طريق مكة إذْ رأيت رجلًا مَغْربياً على بغل ، وبين يديه منادٍ ينادى : من أصاب هَمَياناً له ألف دينار[١] قال : وإذا إنسان أعْرج عليه أطمارٌ رثّة خُلْقانٌ [٢] يقول للمغربّى : أىّ شىء علامة الهميان ؟ قال : كذا وكذا . وفيه بضائع لِقوم وأنا أعطِى من مالى ألف دينار . فقال الفقير : من يقرأ الكتابة ؟ قال ابن عسكر : فقلت : أنا . فقال : اعدلوا بِنَا نَاحِية من الطريق . فعدَلنا فأخرج الهميان فجعل المغربى يقول : حَبّتان[٣] لفلانة ابنة فلان بخمسمائة دينار ، وحَبّة[٤] لفلانة بمائة دينار وجعل

---

(١) كذا فى النسخ . والصواب ربط جواب الشرط بالفاء . ويمكن اعتبار (من) استفهامية أو موصولة . والهميان : كيس تجعل فيه النفقة ويشد على الوسط .

(٢) بالية .

(٣) جبتان .

(٤) ط : وجبة .

يعدّد[١] فإذا هو كما قال . فحلّ المغربى هميانَه وقال : خذ ألف الدينار[٢] التى وعدتُ على وِجادَة الهميان . فقال الأعرج : لو كانت[٣] قِيمة الهميان الذى أعطيتك عندى بَعَرتين ما كنتَ تراه ، فكيف آخذ منك ألف دينار على ما هذا قيمته ؟ وقام ومضى ولم يأخذ منه[٤] شيئاً .

٩٤٩ — عابد آخر :

أبو الحسن اللؤلؤى ، وكان خيّرا فاضلاً قال : كنت فى البحر فانكسر المركب وغرق كلّ ما فيه ، وكان فى وِطائى[٥] لؤلؤ قيمته أربعة آلاف دينار . وقربَت أيام الحج وخفتُ الفَوات . فلما سلّم الله عز وجلّ روحى ونَجّانى مَشَيْت . فقال لى جماعة كانوا فى المركب : لو تَوقّفتَ عسى يَجِىءُ من يُخرج شيئاً فيُخرِجُ لك من رَحْلك شيئاً . فقلت : قد علم الله عز وجلّ مامر منّى . وكان فى وطائى شىءٌ قيمته أربعة آلاف [دينار] وما كنت بالذى أوثره على وقفة بعرفة . فقالوا : وما الذى ورّثك هذه المنزلة ؟ فقلت : أنا رجل مُولع بالحجّ ، أطلب الرِّبْح والثّواب حَجَجتُ فى بعض السنين وعطشتُ عطشاً شديداً فأجْلست[٦] عَدِيلى فى وَسَط المحمَل ، ونزلت أطلب الماء والناس مُعطِشون[٧] أيضاً . فلم أزل أسأل رجلًا رجلًا ومَجمعاً مَجمعاً : أمعكم ماءٌ ؟ والناس شَرعٌ واحد[٨] حتى صِرتُ فى سَاقَة القافلة[٩] بميل أو مِيلين[١٠]

---

(١) ط : يعد .
(٢) فى النسخ : ألف دينار . والصواب ما أثبتناه .
(٣) قط : كلفت .
(٤) منه : ليست فى ط .
(٥) الوطاء : الفراش ونحوه .
(٦) ط : وأجلست . والعديل : الذى يعادله أى يركب معه فى المحمل والمركب .
(٧) أعطش الرجل : عطشت مواشيه . ق : معطشين .
(٨) أى سواء فى ذلك .
(٩) أى فى مؤخرتها . ط : (حزت) بدل (صرت) .
(١٠) ط : بميلين .

فمررْت بمصنع مُصَهْرج [١] وإذا رجل فقير جالس فى أرض المَصنع وقد غَرَزَ عصاه فى أرض المصنع ، والماءُ ينبع من موضع العصا وهو يشرب فنزلتُ إليه وشَربت حتى روِيت وجئت إلى القافلة والناس قد نزلوا ، فأخرجت قِرْبةً ومضيتُ فملأْتُها ورجعت . فلما رآنى الناس والقِرْبةُ على كَتِفى مماوءة فكأنه نُودى فيهم أنَّ الماءَ وراءَكم فتبادروا إليه بالقِرَب . فلما رَوِىَ الناسُ عن آخرهم وسارت القافلة جئت لأنظر فإذا البرْكة ملأى تلتطم بأمواجها والناس يَرمون الدِّلاء ويَرْتَجِزُون عليه . فموسم يحضُره مثل هؤلاء : يقولون اللهم اغفر لمن حضَر الموقفِ ولجماعة المسلمين أُوثر عليه أربعة آلاف دينار ؟ لا والله ولا الدنيا بأسرها وتَرك اللؤلؤ وجميع ما فيه . قال الشيخ : فبلغنى أن قيمة ما كان غرِق له خمسون [٢] ألف دينار [٣] .

٩٥٠ ـــ عابد آخر :

لُقِىَ بين الثعابِّية والخُزيميّة [٤]

إبراهيم بن المهلب ، أبو الأشهب السائح ، قال : رأيت بين الثعلبية والخزيمّية غلامًا قائمًا يصلِّى عند بعض الأميال . قد انقطع عن الناس . فانتظرته حتى قطع صلاته ثم قات له : ما مَعك مُؤنس ؟ قال : بلى . قلت : وأين هو ؟ قال : أمامِى ، وخَلفِى ، ومَعِى ، وعن يمينى ، وعن شِمالى ، وفَوقى . فعلمتُ أن عنده معرفة . قلت : أما معك زادٌ ؟ قال : بلى . قلت : وأين هو ؟ قال : الإخلاص لله عزّ وجلّ ،

---

(١) المصنع : ما يجمع فيه ماء المطر كالحوض . والمصهرج : المطلى بالكلس .
(٢) ق : خمسين .
(٣) بعدها فى ط : والسلام .
(٤) الخزيمية : منزل من منازل الحاج بعد الثعلبية من الكوفة ، بينه وبين الثعلبية (٣٢) ميلا . وقيل إنه الحزيمية بالحاء المهملة (ياقوت) . ط : وبين الخزيمية .

والتوحيد والإقرار بنبيه صلى الله عليه وسلم وإيمانٌ صادق ، وتوكُّل واثقٌ . قلت : هل لك فى مُرافقتى ؟ قال : الرفيق يشغل عن الله عز وجل ولا أحبّ أن أرافق أحدا فأشتغلَ به عنه طرفة عين فيقطعَنى عن بعض ما أنا عليه . قلت : أما تَسْتوحش فى هذه البريّة وحدك ؟ قال : إن الأُنس بالله عز وجل قطَع عنى كل (١) وحشة حتى لو كنت بين السباع ما خفتُها ولا استوحشتُ منها . قلت : فمن أين تأكل ؟ فقال : الذى غذانى فى ظُلَم الأحشاء والأرحام صغيرًا قد تكفّل برزق كبيرًا . قلت : ففى أىّ وقتٍ تجيئك الأسباب ؟ قال : لى حدّ معلوم ووقت مفهوم إذا احتجتُ إلى الطعام أصبتُه فى أىّ موضعٍ كنت ، وقد علم ما يُصلحنى وهو غير غافل عنّى . قلت : ألك حاجة ؟ قال : نعم . قلت : وما هى ؟ قال : إن رأيتَنى فلا تكلّمنى ولا تُعلم أحدًا أنك تَعْرفنى . قلت : لك ذلك فهل حاجةٌ غيرها ؟ قال : نعم . قلت : وما هَى ؟ قال : إن استطعتَ أن لا تَنسانى فى دعائك عند الشّدائد إذا نزلَت بك فافعل . قلت : كيف يدعو مِثلى لمِثلك وأنت أفضل منّى خوفاً وتوكلا ؟ قال : لا تقل هذا إنّك قد صليت لله عز وجل وصُمت قبلى ولك حقّ الإسلام ومعرفة الإيمان . قلت : فإنّ لى أيضاً حاجة : قال : وما هى ؟ قلت ادعُ الله لى . فقال : حجَبَ الله طَرْفك عن كلّ معصية ، وألْهمَ قلبك الفكر فيما يُرضيه حتى لا يكون لك همٌّ إلاّ هوَ . قلت : يا حبيبى متى ألقاك ؟ وأين أطلبك ؟ فقال : أمّا فى الدنيا فلا تحدّث نفسك بلقائى فيها وأما الآخرة فإنها مَجمع المتّقين فإيّاك أن تخالف الله فيما أمرك وندَبك إليه ، وإن كنت تَبتْغى لقائى فاطلبنى

---

(١) ق ، ب : قطعنى عن كل . وأثبت ما فى قط .

مع الناظرين إلى الله تبارك وتعالى [١] فى زُمرتهم . قلت : وكيف عَلمت ذاك ؟ قال : بغضّ طَرفى له عن [٢] كلّ محرّم ، واجتنابى فيه كل منكر ومأْثم ، وقد سأَلته أن يجعل جنّتى النظَر إليه . ثم صاح وأقبل يسعى حتى غاب عن بصَرِى .

٩٥١ — عابد آخر :

صالح بن عبد الكريم قال : رأيت غلاماً أسود فى طريق مكة عند ميل [٣] يصلّى فقلت له : عبدٌ أَنت ؟ قال : نعم : قلت : فعليك ضريبة ؟ قال : نعم . قلت : أَفلا أُكلم مولاكَ أَن يضَع عنك ؟ قال : وما الدنيا كلها فأَجزع من ذلّها ؟ قال : فاشتريتُه وأَعتقته . فقعد يبكى وقال لى أعتقتَنى ؟ قلت نعم . قال أَعتقك الله يوم القيامة . وقعد يبكى ويقول : اشتد علىّ الأَمر . فناولتُه دنانير فأَبى أن يأْخذها . قال : فحججتُ بعد ذلك بأَربع سنين فسأَلت عنه فقالوا : غاب عنّا فمذ غاب قَحطْنا وصار إلى جُدّة .

٩٥٢ — عابد آخر :

جعفر الخلدِى قال : حججت سنةً من السنين فصحِبنى بعض الصوفية ، وكان ممن يُشار إليه بالعلم والمعرفة . فأَضَافَنَا الطريق إلى جَبلٍ ، وكنا جماعةً فاستسقَيْناهُ ماءً ولم يكن فى القِرَب ماءٌ ، فأَخذ ركْوة وأَوماً [٤] بها إلى الجبل فسمعت خَرِيرالماء بأُذُنِى [٥] حتى امتلأَت الرَّكْوة

(١) ط : عزوجل .
(٢) ط : من .
(٣) علم من حجر يبنى للمسافر فى طريق مكة ليهتدى به ، وبين كل ميل وآخر مقدار مدى البصر .
(٤) ط : وأومى .
(٥) ط : بآذانى .

فسقَى الجماعة . وكانت عينى إلى الموضع فلا أرى للماء أثرًا ولا شقًّا فى الجبل . قال أبى فسألت جعفرًا عن هذا فقال : كرامة الله عز وجل لأوليائه .

٩٥٣ — عابد آخر :

محمد بن المبارك الصورى[١] قال : خرجنا حُجّاجًا فإذا نحن بشابٍّ ليس معه زاد ولا راحلة . فقلت : حبيبى ، فى مثل هذا الطريق بلا زاد ولا راحلة؟ فقال لى : تُحسن تَقرأ؟ فقلت : نعم . فقرأت «بسم الله الرّحمن الرّحيم . كهيعص »[٢] فشهق شهقةً خرّ مغشيًا عليه . ثم أفاق فقال : ويحك تَدْرِى ماقرأت؟ كاف من كافٍ ، وهاء من هادٍ ، وعين من عليم ، وصاد من صادِق ، فإذا كان معى كافٍ وهادٍ وعليمٌ وصادِق ما أصنع بزادٍ وراحلة؟ ثم ولّى وهو يقول :

يا طالبَ العلم هَـاهُنا وَهُنَا ومَعْدِنُ العلم بين جَنْبَيْكَا
إن كنتَ ترجُو الجِنَانَ تسْكُنها فمثّل العَرْض نُصبَ[٣] عَيْنيكا
إن كنتَ ترجو الحِسان تَخْطُبها فأسْبِل الدمع فَوْقَ خَدَّيكا[٤]
وقُم إذا قـام كلُّ مُجتَهِدٍ وادعُه[٥] كيما يقول لبيَّكا

٩٥٤ — عابد آخر :

وبالإسناد قال عمر بن بحر : وسمعت أبا الفيض يقول : كنت فى تيهِ بنى إسرائيل أُريد الحج فرأيت غلامًا أمرد على المحجّة[٦] يؤمّ

(١) ب : الصوفى ، تحريف . وقد مر التعريف به فى أول الترجمة رقم (٨٨٠) من هذا الجزء .
(٢) الآية (١) من سورة مريم .
(٣) قط : بين ، وهى رواية أشير إليها فى هامش (ق) على أنها فى نسخة أخرى .
(٤) البيت ليس فى ب . وفى قط : (فأسل) بدل (فأسبل) .
(٥) ق : وادعوه .
(٦) وسط الطريق ، ويسمى الجادة أيضاً .

البيت العَتيق بلا زاد ولا راحلة . فقلت لرفيقى : إن كان مع هذا الغلام يقين وإلاَّ هلك . فلحقتُه فقلت : يا فتى. فقال :لبّيك. فقلت فى مثل هذا : الموضع ، فى هذا الوقت ، بلا زاد ولا راحلة؟ قال : فنظر إلىّ ثم قال : ياشيخ ارفع رأسك ، انظر هل ترى غيرَه؟ فقلت : ياحبيبى اذهب إلى حيث شئت .

٩٥٥ ــ عابد آخر :

قال ذو النون : حججت سنةً إلى بيت الله الحرام فضللتُ عن الطريق ولم يكن معى ماءٌ ولا زاد فأشرفتُ على الهلَكة ، فلاحت لى أشجار كثيرة ومِحْرَاب ، فطرحت نفسى فى ظل شجرة . فلما غربت الشمس إذا أنا بشاب متغيّر اللون نحيل يؤمّ المحراب ، فركَل برجْله رَبْوةً من الأَرض فظهرت عينٌ تبِضّ بماء عذب . فشرب وتوضأَ وقام فى محرابه فقمتُ إلى العين فَشَرِبت ماءً عذبًا وتوضَّأْت وقمت أُصلّى بصلاته ، حتّى بَرَقَ عمود الصبح . فلما رأى الصبح وَثَبَ قائمًا على قدميه ونادى بأعلى صوته : ذهب الليل بما فيه ، وأَقبل النهار بدَوَاهِيه ولم أَقض من خدمتك وطرًا . آه ، خسِرَ مَن أَتعَب[1] لغيرك بدَنه ، وأَلجأَ[2] إلى سواك هِمَمه . فلما أراد أن يمضى ناديته : بالذى منحك لذيذ الرغَب[3] وأَذهَب عنك مِلال التعب إلا خفضتَ لى جناح الرحمة فإنّى غريب أُريد البيت الحرام وقد ضللت . فقال : يا بطَّال وهل قطعَ بوفده دون البلوغ إليه ؟ ثم قال : اتبعنى فرأَيت الأَرض تُطوى

---

(١) ق : تعب . وأثبت ما فى ط .
(٢) رسمت فى ق : والجىء .
(٣) ط : الرغبة .

من تحت أرجلنا حتى رأيت المحجّة وسمعت ضجّة فقال : ها[١] قومُك .

ثم أنشأ يقول :

مَنْ عامَل الله بتقْوَاهُ   وكان فى الخلْوة يَرعاهُ
سَقَاه كأْسًا مِنْ صَفَا حُبّه   يَسْلُبه لَـــذّة دنياهُ
فأبعدَ الخلق وأقصاهُم   وانفردَ العبدُ بِمَوْلاهُ

ومن المصطفين الذين لقوا عند الاحرام

٩٥٦ ــ عابد (٢) :

عبد الله بن الجلّاء قال : كنت بذى الحُلَيفة[٣] وأنا أُريد الحج والناس يُحرمون ، فرأيت شابًا قد صَبّ عليه الماء يريد الإحرام وأنا أنظر إليه . فقال يارب أُريد أن أقول : لبيك اللهم لبيك ، وأخشى أنْ تُجيبنى لا لبيّك ولا سعدَيْك .

وبقَىَ يردّد هذا القول مرارًا كثيرًا وأنا أتسمع عليه . فلما أكثر قلت له : ليس لك بُدّ من الإحرام فقُل . فقال : ياشيخ أخشَى إن قلتُ لبيّك اللهم لبيك أجابنى بلا لبيّك ولا سعديك . فقلت له : أَحسِن ظنَّك وقل معى : لبيّك اللهم لبيّك . فقال : لبيّك اللهم . وطَوَّلها ، وخرجَت نفسه مع قوله اللهم ، فسقط ميتًا .

ذكر المصطفين من العباد الذين لقوا بعرفة

٩٥٧ ــ عابدان :

عن ثابت البنانى قال : إنّا لوقوفٌ بجبل عرفة فإذا شابان عليهما العَباءُ القطَوانىّ[٤] ، نادى أحدهما صاحبه : ياحبيب ، فأجابه الآخر :

---

(١) ها : حرف تنبيه .   (٢) العنوان زيادة من عندنا ، ليست فى النسخ .

(٣) ذو الحليفة (بالتصغير) قرية بينها وبين المدينة بضعة أميال . ومنها ميقات أهل المدينة .

(٤) نسبة إلى قطوان (بفتح القاف وسكون الطاء أو فتحها) : موضع بالكوفة ، واسم قرية من قرى سمرقند .

لبيّك أيها المحب . قال تَرى الذى تحابَبْنا فيه وتوادَدنا فيه معذبنا غدًا فى القيامة؟ قال : فسمعنا مناديًا ، سمعتْه الآذان ولم تَره الأَعين ، يقول : لا ، ليس بفاعل .

٩٥٨ — عابد آخر :

يحيي بن كامل القُرشي قال : أخبرنى سُفْيان الثَّورى قال : سمعت أَعرابيًا وهو متعلّق(١) بعرفة ، وهو يقول : إلّهى مَن أولى بالزّلل والتقصير منى ، وقد خلقتَنى ضعيفًا؟ ومن أَولى بالعفو عنى منك وعلمك فىّ سابقٌ ، وأمرك بى مُحيط؟ أَطعتك بإِذْنك والمنّة لك علىّ ، وعصيتك بعلمك والحجَّة لك ، فأَسأَلك بوجوب حُجّتك وانقطاع حُجّتى ، وبفقرى إليك وغِناك عنّى أن تغفرلى وترحمنى ، إلّهى لم أُحسن حتى أعطَيتَنى ، ولم أُسِيء حتى قضيت علىّ . اللهم إنّا أطعناك بنعمتك فى أَحب الأَشياء إليك ، شهادةِ أن لاإله إلا الله ولم نَعصك فى أَبغض الأَشياء إليك ، الشّرك بك ، فاغفرلى ما بينهما ، اللهم سِرّى إليك مكشوف ، وأنا إليك ملهوف ، إذا أَوحشتنى الغربة آنسنى ذِكرك ، وإذا صببتَ علىّ الهموم لجأْتُ إليك استجارةً بك ، علمًا بأَن أَزِمّة(٢) الأُمور بيدك وأَن مَصدرها عن(٣) قضائك .

٩٥٩ — عابد آخر :

أَحمد بن أَبى الحَوارِّى قال : دخلت على أَبى سليمان الدّارانى فقال لى : يا أحمد ، لى أَيام ما بكيت . فقلت له : حدّثنى محمود ابن خلف أنه رآى رجلاً عشيّة عرَفة على رأْس جبل ، فلما دنا

---

(١) ط : مستعلق .
(٢) ج زمام وهو المقود .
(٣) ط : من .

الانصراف سمعه يقول : الأمان الأمان قدْ دَنا الانصراف ، فليت شِعرى ما صنعتَ فى حاجة المساكين؟

قال : فبكَى حتى جَعَلَتْ الدموع تثِب من عينيه ولا تَسيل على خدّه.

٩٦٠ ــ عابد آخر :

أبو الأديان قال : ما رأيت خائفًا إلّا رجلاً واحدًا : كنت بالموقف فرأيت شابًا مطرقًا منذ وقف الناس إلى أن سقط القُرص[1] فقلت : ياهذا ابُسط يديك بالدّعاء . فقال لى : ثَمّ[2] وحشةٌ . فقلت له : فهذا يوم العفو عن الذنوب . قال : فبسط يده ، ففى بَسْطِ يده وقع ميتًا .

٩٦١ ــ عابدة لقيت بعرفة :

عبد الله بن داود الواسطى قال : بينا أنا واقف بعرفات إذ أنا بامرأة وهى تقول : مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلّ له ، ومن يُضلِل اللهُ فَماله من هاد[3] . فقلت : امرأة ضالّة . فنزلتُ عن بَعيرى وقلت لها : ياهذه ماقصّتك؟ فقالت «ولا تَقْفُ ماليس لكَ به عِلْمٌ إنَّ السَّمْعَ والبصَرَ والفؤادَ كلُّ أولئك كان عنه مَسئولا »[4] فقلت فى نفسى : حَروريّة لا ترى كلامَنا : فقلت لها : من أين أنت؟ فقرأتْ «سُبحان الّذى أسرى بعبدِهِ ليلاً من المسجد الحَرامِ إلى المسجدِ الأقصى »[5] فأركبتها بَعيرى وقفلت[6] بها أُريد رحال المَقدسيّين[7] . فلما توسّطتُ قلت لها : ياهذه لمن أصوّت ؟ فقرأت «ياداوُدُ إنّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فى الأَرْضِ »[8] ،

(١) أى غابت الشمس . (٢) ثم : هناك .

(٣) الجملة الثانية جزء من الآية (٣٣) من سورة الرعد . أو (٢٣) من سورة الزمر .

(٤) الإسراء — ٣٦ .

(٥) الإسراء — ١ — وقوله لا ترى كلامنا : أى ليست على مذهبنا .

(٦) ق ، ب : وقدت . والمثبت من قط .

(٧) الحجاج من بيت المقدس .

(٨) سورة ص : ٢٦ .

«يا زكريَّا إنَّا نُبَشِّرك بغلامٍ اسمُهُ يحيي(١)» . «يايحيي خُذِ الكتابَ بقوّةٍ»(٢) . فناديت : يازكريا ، يايحيي ، ياداود . فخرج إلىّ ثلاثة فتيان من بين الرجال فقالوا : أُمّنا وربٍّ الكعبة ضَلَّت منذ ثلاثٍ . وأنزَلوها وأكرَموني . فقلت لهم : مالَها لا تتكلم؟ قالوا : ماتكلَّمت ، منذ ثلاثين سنة مخافة أن تَزِلّ . قلت : هذه امرأة صالحة المقصِد إلَّا أنها لقلَّة علمها لم تدر أنّ هذا الفِعل مَنهِىٌّ عنه لأنَّها استعملت القرآن فيما لم يُوضَع له . قال ابن عَقيل : لايجوز أن يُجعل القرآن بدلاً من الكلام لأَنه استعمال له فى غير ماوُضع له ، كما لو أراد استعمال المصحف فى الوزن بِه أو تَوسُّدِه . قال : ويُكره الصَّمت إلى الليل لأن النبىّ صلى الله عليه وسلم نَهى عن صَمت يومٍ إلى الليل(٣) .

ذكر المصطفين من عباد لقوا فى الطواف

٩٦٢ — عابد :

قاسم بن عثمان الجُوعى يقول : رأيت فى الطَّواف رجلاً لا يزيد على قوله : إلَٰهى قضيتَ حوائج المحتاجين(٤) وحاجتى لم تُقض . فقلت له : مالك لا تَزيد على هذا الكلام؟ فقال : أُحدّثك . كنَّا سبعة أَنفس من بُلدان شتَّى ، ترافَقْنا وغَزَوْنا أَرض العدو . فاستُؤسِرنا(٥) كلّنا . فاعتَزل بنا بِطريق(٦) إلى موضع ليَضرب رِقَابنا . فنظرتُ إلى السماءِ فإذا سبعة أَبواب مفتوحة فى السماءِ ، عليها سبع جَوارٍ من الحُور العِين ،

---

(١) مريم — ٧ . (٢) مريم — ١٢ .

(٣) بعده فى ط : والسلام . والحديث الذى أشار إليه المؤلف حسن ، أخرجه أبو داود فى كتاب الوصايا وأوله : « لا يتم بعد احتلام ... » . قال النووى فى الأذكار ص ٣٦٢ : إسناده حسن .

(٤) ط : المنجحين . (٥) ط : واستوسرنا .

(٦) البطريق : القائد من قواد الروم .

على كل بابٍ جاريةٌ . فقُدِّم رجل منا فضُربت عنقه . فرأيت جاريةً فى يدها منديل قد هبطت إلى الأرض حتى ضُربت(١) أعناقُ الستة وبقيت أنا وبقىَ باب واحد فلما قُدِّمتُ لتُضرَب رقبتى اسْتوْهَبَنى بعضُ رجاله فوهبنى له . فسمعتها وهى تقول : أىّ شىء فاتَك يامحروم؟ وأغلقت الباب . فأنا يا أخى متحسّر على مافاتنى . قال قاسم الجوعى : أراهُ أفضلهم لأنه رآى مالم يَرَوْا(٢) وتُرِك يَعمل على الشوق .

٩٦٣ ـــ عابد آخر :

عمَّار بن عثمان قال : سمعت هَدّابًا يقول : رأيت رجلاً يطوف بالبيت وهو يبكِى ويقول فى بكائه :

تمنَّ على ذِى العرشِ ماشئتَ إنَّه   غنىٌّ كريم لا يُخيِّب سائِلا

قال : ثم شهق شهقةً حتى ظننت أن نفسه ستخرج . قال : فقلت له : ماشأْنك رحمك الله؟ قال أعظمُ الشأْنِ شأْنى ، إنىٍّ ندبت إلى أمر فقصّرت عنه . قال : ثم غُشِىَ عليه .

٩٦٤ ـــ عابد آخر :

عن محمد بن صالح قال : بينا أنا فى الطواف إذ نظرت إلى أعرابِى بلدوىّ متعلق بأستار الكعبة ، وقد شخص بصرُه نحو السماء ، وهو يقول : ياخيرمن وفَد الأَنامُ(٣) إليه ، ذهبَت أيامى ، وضعُفَت قوّتى ، وقد وردتُ إلى بيتك المعظَّم المكرّم بذنوب كثيرة لا تَسعها الأَرضُ ولا تَغْسِلها البحار ، مُسْتجيرًا بعفوك منها ، وحَطَطْتُ رحلى بفِنائك ، وأنفقت مالى فى رِضاك ، فماذا الذى يكون من جزائك يامولاى ؟

---

(١) ق : ضرب .
(٢) ق : لم يرون .
(٣) ب : العباد .

ثم أقبل على الناس بوجهه فقال : يامعشر الناس ادعوا لمن وكزَته الخطايا[١] وغمَرته البلايا . ارحموا أسيرَ ضُرٍّ وغريبَ فاقةٍ . سألتكم بالذى عمَّتكم الرغبة إليه ، إلا سألتم الله تعالى أن يهب لِى جُرمى ويغفر لى ذنوبى . ثم عاود فتعلَّق بأستار الكعبة وقال : إلٓهى وسيدى ، عظيم الذنب[٢] مكروبٌ ، وعن صالح الأعمال مردودٌ ، وقد أصبحت ذا فاقةٍ إلى رحمتك يامولاى[٣] . قال محمد بن صالح : ثم رأيته بعرفات وقد وضع يساره على أم رأسه يصرخ ويبكى ويشهق ويقول : إلٓهى وسيدى ومولاى أضحكتَ الأرض بالزَّهْر ، وأمطرت السماء بالرَّحمة ، والذى أعطيتَ الموَحِّدين إن نفسى لواثقةٌ لِى ولهم منك بالرضا ، وكيف لا يكون كذلك ، وأنت حبيب مَن تحبّب إليك ، وقرّة عينٍ من لاذَ بك وانقطع إليك؟ يامولاى حقًا حقًا أقول ، لقد أمرت بمكارم الأخلاق فاجعل وُفُودِى إليك عتقَ رقَبتى من النار .

٩٦٥ — عابد آخر :

ابراهيم الخوّاص قال : رأيت شابًا فى الطواف متَّزرًا بعباءة ، متَّشحًا بأُخرى كثير الطَّواف والصلاة . فوقع فى قلبى محَّبته ففُتح علىّ بأربعمائة درهم فجئت بها إليه وهو جالس خلف المقام فوَضَعْتها على طرف عبائه وقلت له :يا أخى اصرف هذه القُطَيعات فى بعض حوائجك . فقام وبدّدها فى الحصا وقال : يا ابراهيم اشتريتُ هذه الجلسة من الله

(١) يقال : وكزه : ضربه . بجمع الكف . ووكزه بالرمح : طعنه . ووكز أنفه : كسره . والمعنى فى العبارة على المجاز .

(٢) أى المرء الذى عظمت ذنوبه .

(٣) ط : يا مولى .

[تعالى] بسبعين ألف دينارٍ عينٍ[١] ، تريد أن تخدعنى عن الله عز وجل بهذا الوَسخ ؟ قال إبراهيم : فما رأيت أعزّ منه وهو ينظر ، وأذلّ منّى وأنا أجمعها من بين الحصى . ثم قام وذهب .

٩٦٦ ــ عابد آخر :

أبو عبد الله بن طاهر قال : رأيت فى الطواف شيخًا أعجميًا والناس يتضرّعون ويدعون وهو ساكت . فقلت له : ألا تدعو؟ فمدّ يده ورفع بها شيبته وقال : يا خُداهْ . شيخ[٢] ، ولم يَزد على ذلك .

ومن عقلاء المجانين الذين لقوا فى الطــواف

٩٦٧ ــ ولهان المجنون :

أبو عبد الله المغربى قال : كنت فى الطواف فرأيت ولهانَ المجنون وهو يقول : حبّك قتلنِى ، وشوقك أيقظنِى ، والاتّصال بك أسقمنِى ، فعدمتُ قلبًا يحب غيرك وثكلت خواطرَ أَنِسَتْ بسواك .

ذكر المصطفيات من عابدات رئين فى الطواف

٩٦٨ ــ عابدة :

مالِك بن دينار قال : بينا أنا أطوف بالبيت إذا أنا بجُوَيْرِيَةٍ متعبّدة ، فإذا هى تقول : يارِبّ كم شهوةٍ قد ذهبتْ لذّتها وبقيتْ تَبِعَتُها ، يارب ماكان لك عقوبة ولا أدب إلا النار . قال : فوالله مازال ذلك مُقامها حتى طلع الفجر . قال مالك : فوضعتُ يدِى على رأسى ثم صرخت وجعلت أقول : ثكلت مالكًا أُمّه وعدمته جُويرِيةٌ منذ الليلة قد بطّلته[٣] .

---

(١) العين : الذهب المضروب (خلاف الورق) .
(٢) خدا (بضم الخاء) : كلمة فارسية معناها : الرب ، الله تعالى . أى يا الله أنا شيخ .
(٣) بطل الشىء : عطله وذهب به ضياعاً .

٩٦٩ ـــ عابدة اخرى :

عن محمد بن يزيد بن حبيش قال : قال وهيب بن الورد : بينما امرأة فى الطواف ذات يوم وهى تقول : ياربٌ ذهبت اللذات وبقيت التّبعات ، يارب سبحانك ، وعزّتك إنك لأرحم الراحمين . يارب مالك عُقُوبة إلّا النار . فقالت صاحبة لها كانت معها : يا أخيّة دخلتِ بيتَ ربك اليوم؟ قالت : واللهِ ما أرى هاتين القدمين ـ وأشارت إلى قدميها ـ أهلاً للطواف حول بيتِ ربّى ، فكيف أراهما أهلاً أطأُ بهما بيت ربّى؟ وقد علمتُ حيث مَشَتَا وإلى أين مَشَتَا ؟

٩٧٠ ـــ عابدة اخرى :

عن الحسن قال : رأيت بدوية دخلت الطواف فقالت : ياحَسن الصُحبةِ(١) ، جئتك من بعيد ، أقبلت أسألك سِترك الذى لا تُخرّقه الرماح ولا تُزيله الرياح .

٩٧١ ـــ عابدة اخرى :

عن عبد العزيز بن أبى روّاد قال : دخل قومٌ حُجّاج ومعهم امرأة تقول : أين بيت ربّى ؟ فيقولون : الساعة تَرَيْنه . فلما رأوه قالوا : هذا بيت ربّك أما تَرينَه؟ فخرجت تشتدّ وتقول : بيتُ ربّى بيتُ ربّى . حتى وضعت جبهَتها على البيت . فوالله ما رُفعت إلا ميّتة .

٩٧٢ ـــ عابدة اخرى :

ابراهيم بن مسلم المخزومى قال : وقَفتْ امرأة متعبّدة فى جوف الليل فتعلّقت بأستار الكعبة : ثم بكت وقالت : ياكريمَ الصّحبة ، وياحَسَن المَعُونة ، أتيتك من شُقّة(٢) بعيدة متعرّضة لمعروفك الذى وَسِعَ خَلْقك ،

---

(١) تخاطب ربها .
(٢) الشقة : المسافة .

فأَنِلْنِى من معروفك معروفًا تُغنينى به عن معروف مَن سواك ياأهل التقوى ويا أهل المغفِرة . قال : ثُمَّ صرخت صرخةً سقطت اوجهها فحُمِلت مغشيًا عليها .

٩٧٣ ــ عابدة اخرى :

عن سعيد الأَزرق الباهلى أنه قال : دخلت الطواف ليلاً ، فبينا أنا أطوف وإذا بامرأة فى الحِجْر[١] ملتزمة للبيت قد علا نَشِيجها ، فَدَنَوْت منها وهى تقول : يامن لا تراه العيون ولاتُخالطه الأَوهام والظنون ، ولا تغيّره الحوادث ولا يَصِفه الواصفون : ياعالماً بمَثاقيل الجبال[٢] ومَكَاييل البحار وعَدد قَطْر الأَمْطار ، وَوَرَق الأَشجار ، وعَدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار ، لا تُوارِى منه سماءٌ سماءً ، ولا أَرضٌ أَرضًا ، ولاجبلٌ ما فى وَعره ، ولابحرٌ ما فى قَعره[٣] . أَسأَلك أَن تجعل خير عُمرى آخِره ، وخيرَ عملى خواتِمه[٤] ، وخير أَيَّامى يومَ أَلقاك[٥] ، وخير ساعاتى مفارقة الأَحيَاء[٦] من دار الفَناءِ إلى دار البقاءِ التى تُكرم فيها من أَحببتَ من أَوليائك ، وتُهين فيها من أبغضت من أعدائك . أَسأَلك إلَـهى عافيةً جامعة لخير الدنيا والآخرة مَنًّا مِنْكَ[٧] علىّ وتطوّلاً ياذا الجلال والإِكرام . ثم صرخَت وغُشِىَ عليها .

٩٧٤ ــ عابدة اخرى :

محمد بن زيد قال : سمعت ذا النون يقول ، خرجت حاجًا إلى بيت الله الحرام فبينا أَنا فى الطواف[٨] إذا أنا بشخص متعلق بأَستار

---

(١) الحجر (بكسر فسكون) : حجر الكعبة ، وهو اسم الحائط المستدير إلى جانب الكعبة الغربى . وقيل : هو ما حواه الحطيم المدار بالبيت جانب الشمال .

(٢) أى بأوزانها .

(٣) أى لا يوارى الجبل ما فى وعره عن الله ، ولا البحر ما فى قعره .

(٤) ط : خواتيمه . (٥) ب : لقائك . (٦) ط : الأحباء .

(٧) تفضلا . (٨) ب : أنا أطوف .

الكعبة يبكي ويقول فى بكائه : كتمتُ بلائى من غيرك ، وبُحتُ بسرّى إليك ، واشتغلت بك عمّن سواك ، عجبت لمن عرفك كيف يسلو عنك؟ ولمن ذاق حبَّك كيف يصبر عنك ؟ ثم أقبل على نفسه فقال : أمهلَك فما ارعويتَ . وستَر عليك فما استحييتَ . وسلَبكَ حلاوةَ المناجاةِ فما باليت. ثم قال : عَزيزِى مالى إذا قُمتُ بين يديك ألقيت علىَّ النعَاسَ ومنعتنى حلاوةَ الخِدمَةِ ؟ لِمَ قُرّةَ عينى لِمَهْ ؟ ثم أنشأ يقول :

رَوَّعْتَ قلبي بالفِراق فلم أجد شيئًا أمرَّ من الفِراق وأوْجَعَا
حَسْبُ الفراقِ بأَنْ يفرّق بيننا ولطالما قد كنتُ منه مُفزَّعَا

قال : فلم أتمالَك أن أتيت الكعبة مُستخفِيًا فلما أحسّ بى تجلَّلَ[1] بخِمارٍ كان عليه ثم قال : يا ذا النون غُضّ بصَرك فإنِّى حَرام[2] . فعلمت أنها امرأة فقلت : والله قد شغلنى قولك عن كثيرٍ مما كُنتُ فيه . فقالت : ولِمَ عافاك الله؟ أما علمت أن لله عِبادًا لا يشغَلهم سواه ولا يميلون إلى ذِكر غيره؟

٩٧٥ — عابدة أخرى :

عن ذى النون المصرى قال : كنت فى الطواف فسمعت صوتًا حزينًا وإذا بجارية متعلِّقة بأستار الكعبة وهى تقول :

أنت تَدْرِى ياحبيبى مَن حبيبى؟ أنت تَدرى
ونُحولُ الجِسْمِ والدَّمْعُ يَبوحَانِ بِسرِّى
ياعزيزى قد كتمتُ الحبّ حتى ضَاق صَدْرِى

(١) تغطى .
(٢) الحرام : مصدر، ضد الحلال ، يوصف به فيستوى فيه المفرد ، مذكراً ومؤنثاً ، والجمع ، فيقال : رجل حرام أى محرم ، وقوم حرام ...

قال ذو النون : فشجانى ماسمعت حتى انتحبتُ وبكيت . ثم قالت : إلّهى وسيدى ومولاى ، بحُبكَ لى إلا ماغفرتَ لى . قال : فتعاظَمنى ذلك وقلت : ياجارية أما يكفيك أن تقولى : بحبى لكَ ، حتى تقولى بحبّك لى ؟ فقالت : إليك عنّى ياذا النون . أما علمت أن لله عز وجل قومًا يحبهم قبل أن يحبّوه ؟ أما سمعت الله عز وجل يقول «فسوفَ يأتِى اللهُ بقومٍ يُحِبُّهُمْ ويُحِبُّونَهُ »[(١)] . فسبقت محبّته لهم قبلَ محبتهم له؟ فقلت : من أين علمتِ أنى ذوالنون ؟ فقالت : يا بَطَّال جَالت القلوب فى ميدان الأَسرار فعَرَفتك. ثم قالت : انظُر مِن خلفِك . فأَدرت وجهى ، فلا أدرِى السماءُ اقتلَعتْها أم الأَرض ابتلَعَتْها.

٩٧٦ ــ عابدة اخرى :

أبو عبد الملك قال : رأيت امرأة متعلقة بأَستار الكعبة وهى تقول : اللهم إنى أستَعْديك على نفسى .

٩٧٧ ــ عابدة اخرى :

أبو الأَشْهب السائح قال : بينا أنا فى الطواف إذا بجويرية قد تعلقت بأَستار الكَعْبَة وهى تقول : ياوحشتى بعْدَ الأنس ، وياذلّى بعد العزّ ، ويافَقرى بعد الغِنى . فقلت لها : مالَكِ ؟ أذَهب لك مال أَو أُصبت بمصيبة؟ قالت : لا ولكن كان لى قلب ففقدته . قلت هذه مصيبتك؟ قالت : وأىّ مصيبة أعظم من فقد القلوب وانقطاعها عن المحبوب؟ . فقلت لها : ان حُسن صوتك قد عطّل على مَن سمع الكلامَ الطْوافَ . فقالت : ياشيخ ، البيت بيتك أم[(٢)] بيته؟ قلت : بل بيتُه . قالت : فالحرَم حرَمُك أم حرَمُه ؟ فقلت : بل حرَمُه . قالت : فدَعْنا

---

(١) المائدة ٥٤ .

(٢) ط : أو .

نتدَلّل[١] عليه على قدر ما استَزارنا إليه . ثم قالت : بحبّك لى إلّا رَدَدْتَ علىّ قلبي . قال : فقلت من أين تَعْلَمِين أنه يُحبك؟ فقالت : جيّش من أجلى الجيوش وأنفق الأموال وأخْرجنى من دار الشِّرك وأدخلَنى فى التوحيد ، وعرّفنى نفسه بعد جَهلى إياه ، فهل هذا إلا لعناية . قلت : كيف حبك له؟ قالت أعظم شيء وأجله . قلت : وتَعْرِفين الحب؟ قالت : فإذا جهلتُ فأىّ شيءٍ أعرف ؟ إنه الحِلوُ المجتنَى ما اقتصر ، فإذا أفرط عاد خَبلاً قاتلاً ، أو فسادًا معطّلا . وهو شجرة غَرْسُها كريهٌ ومجناها لذيذ . ثم ولّت ، وأنشأَتْ تقول :

وَذِى قَلقٍ لا يعرف الصَّبرَ والعَزا — له مُقلةٌ عَبرَى أضرَّ بها البُكا

وجسمٌ نحيلٌ من شجى لاعِج الهوَى — فَمن ذا يُدَاوِى المسْتَهامَ من الضَّنا ؟

ولا سيّما والحبُّ صعبٌ مَرامهُ — إذا عطَفت منه العَواطفُ بالفَنا

٩٧٨ — عابدة اخرى :

الجُنَيد قال : حججت على الوَحدة[٢] فجاورتُ بمكة . فكنت إذا جنّ الليل دخلت الطواف . فإذا أنا بجارية تطوف وتقول :

أَبى الحبّ أن يخفَى وكم قَدْ كَتَمْتُه — فأَصْبح عندى قد أَناخ وطنَّبا[٣]

إذا اشْتَدّ شَوق هَامَ قلبي بذكره — وإنْ رُمتُ قربًا من حَبِيبى تَقرّبًا

ويَبْدو فأَفنَى ثم أَحيا به له — ويُسْعِدنى حتى أَلذَّ وأَطربَا

قال : فقلت لها : ياجارية أَما تتّقين الله تعالى؟ فى مثل هذا المكان تتكلمين بمثل هذا الكلام؟ فالتفتت إلىّ وقالت : ياجُنيد :

---

(١) ط : نتذلل ، تصحيف .
(٢) أى منفرداً بنفسه .
(٣) طنب بالمكان : أقام .

لولا التُّقَى لم تَرنى ... أهجرُ طيبَ الوَسنِ
إنَّ التُقَى شرَّدنى ... كما تَرى عن وَطنِى
أفِرّ من وَجدِى به ... فحبُّـــه هيَّمـــنى

ثم قالت : ياجنيد تطوف بالبيت أم برب البيت؟ فقلت : أطوف بالبيت . فرفعت رأسها إلى السماءِ وقالت : سبحانك ما أعظم مشيئتك فى خَلقك ، خَلْقٌ كالأَحجار يطوفون بالأَحجار . ثم أنشأَت تقول :

يَطُوفون بالأَحجار يَبْغُون قُربةً ... إليك وهم أقسى قلوبًا من الصخرِ
وتاهوا فلم يَدروا مِنَ التَّيه مَنْ هُمُ ... وحَلُّوا محلَّ القُرب فى باطن الفكر
فلو أخْلصوا فى الوُدّ غابت صِفاتهم ... وقامت صِفات الودّ للحق بالذِكْر

قال الجُنيد : فغُشِى علىّ من قولها . فلما أَفقتُ لم أَرَها .

ومن المصطفين الذين لقوا عند المقام

٩٧٩ ـــ عابد :

أيوب بن محمد اليمامى قال : حدثنى أبو عبد الرحمن العجلى أنه رآى رجلا قائمًا خلف المقام يصلِّى . فافتتح القرآن فلم يزل يقرأ حتى أتى على آخر القرآن ونُودى النداء الأَول فجلس فسلَّم ثم قام فركع ركعة ، قال : حسبتُها وِتْرَهُ . ثم قال وهو يرى أنه لا يسمعه أحد : عند وُرود المنهَل يغبِط الركْبُ الدُّلْجةَ[1] . قال : ثم تنحَّى من مكانه فاختلط بالناس .

ومن المصطفين الذين لقوا بين مكة والمدينة

٩٨٠ ـــ عابد :

الخلدى قال : حجّ عبد الله الأَقطع على فردِ قدمٍ . قال : فلما بلغتُ

(١) الدلجة : السير ليلا . وهو قريب من معنى المثل المشهور « عند الصباح يحمد القوم السرى » .

بين المسجِدَين وقع فى سرِّى أنه لم يحجّ مثلى فإذا أنا بمقعد يحبو فوقفت عليه أعجب منه . فقال لى : مالك تتعجَّب مِن قوىٍّ يحمل ضعيفًا .

ذكر المصطفين ممن لقى فى طريق الغزاة

٩٨١ — عابد :

عبد الله بن قيس ، أبو أُميَّة الغِفارى قال : كنا فى غَزاةٍ لنا فحضر عَدُوّهُم(١) ، فَصِيحَ فى الناس فهم يثوبون إلى مصافِّهم ، إذا رجل أمامى ، رأسُ فَرسى عند عَجُز فَرسِه ، وهو يُخاطب نفسه ويقُول : أىْ نفس ألم أشهد مشهدَ كذا وكذا ؟ فقلت لى : أهلك وعيالك ، فأَطعتُك ورجعتُ؟ ألم أشهد مشهد كذا وكذا فقلتِ أهلُكَ وعيالُكَ فأَطعتك ورجعت ؟ والله لأَعرضنَّكِ اليوم على الله ، أخذَكِ أو تَركك . فقلت : لأَرمقنَّه اليوم . فرمقته فحمل الناسُ على عدوّهم فكان فى أوائلهم . ثم إن العدوّ حمل على الناس فانكشفوا فكان فى حُماتهم ثم إن الناس حملوا فكان فى أوائلهم . ثم حمل العدوّ وانكشف الناس فكان فى حُماتهم . قال : فوالله مازال ذلك دأْبَه حَتَّى رأَيْته صريعًا . فعدَّدْتُ(٢) به وبدابته ستِّين ، أوأكثر من ستِّين ، طَعنةً .

٩٨٢ — عابد آخر :

عن شقيق قال : خرجنا فى غَزاةٍ لنا فى ليلة مَخُوفة . فإذا رجل نائم فأَيقظناه ، فقلنا : تنام فى مثل هذا المكان؟ فرفع رأْسه فقال : إنى لأَستَحْيِى من ذِى العرش أَن يعلم أَنِّى أخاف شيئًا دونه . ثم ضربَ برأْسه فنام .

---

(١) كذا فى النسخ ، بلا تسمية للعدو وما أضيف إليه .
(٢) عدد الشىء : أحصاه .

٩٨٣ — عابد آخر :

أبو غالب قال : صحِبَنا شيخ فى بعض المَغازِى ، فكان يُحيي الليل حيث كان على ظهر دابّته أو على الأرض وكان إذا نظر إلى الفجر قد لَمع ضوؤه نادى : يا إخوتاه عند بلوغ[1] الماء يفرح الوارِدون بتعجيل الرّواح ، هنالك تنقطع كلّ همّة .

٩٨٤ — عابد آخر اسمه سعيد :

عباس بن يوسف قال : قال ميسرةُ الخادم : غزونا فى بعض الغَزوات فَصَادفنا العدو ، فإذا بفتًى إلى جانبى مقنَّع فى الحديد ، فحمل على الميمنة حتى ثَناها ، وحمل على الميسرة حتى ثَناها ، وحمل على القلب حتى ثَناه . ثم أنشأ يقول :

أَحسنْ بمْولاك سعيدُ[2] ظنّا ⁂ هذا الذى كنتَ له تمنّى

تنحَّ يا حُورَ الجِنان عنَّا ⁂ مالك[3] قاتَلْنا ولا قُتلنا

لكن إلى سيّدنا اشتَقنا ⁂ قد عَلم السِرَّ وما أَعلَنَّا

قال : فحمل فقاتل فقَتل منهم عددًا ، ثم رجع إلى مصافه فتكَالَبَ عليه العدو فإذا به قد حَمل على الناس وأنشأ يقول :

قد كنت أَرجو ، ورجائِى لم يَخِبْ ⁂ أَن لا يضيعَ اليوم كَدِّى والتَّعَبْ

يا من مَلا[4] تلك القصورَ باللَّعَب ⁂ لولاك ماطابت ولا طاب الطَّرَبْ

فحمل فقتل منهم عددًا ثم رجع إلى مَصَافّه فتكالب عليه العدوّ فحمل الثالثةَ وأَنشأ يقول :

---

(١) ط : بلوغه ، تحريف .

(٢) سعيد : منادى حذفت أداته .

(٣) أى ما لأجلك .

(٤) أى ملأ ، خففت الهمزة فيه .

يا لُعْبةَ الخُلْدِ قِفِى ثم اسْمعى مالكِ قاتلنا فكُفِّى وارْبَعِى
ثم ارجعِى إلى الجِنان فأَسْرِعى لا تطمَعِى ، لا تطمَعِى ، لاتطمَعى

قال : فحمل فقاتل حتى قُتل .

ذكر المصطفين من عباد لقوا فى طريق سفر وطريق سياحة

٩٨٥ — عابد :

عن ابن جابر أن أبا عبد رَبّ كان أكثر أهل دمشق مالاً . فخرج إلى أذربيجان فى تجارة فأمسى إلى جانب مرعًى ونهرٍ فنزل به . قال أبو عبد ربّ : فسمعت صوتًا يُكثر حمد الله فى ناحية فاتَّبعته فرأيت رجلاً فى حَفير من الأرض ملفوفًا فى حصير فسلَّمت عليه وقلت : من أنت يا عبد الله ؟ قال : رجل من المسلمين . قلت : وما حالك هذه ؟ قال : حالُ نعمةٍ يجب علىّ حمدُ الله عز وجل فيها ، قال : قُلت : وكَيْف وإنما أنت فى حَصير ؟ قال : ومالى لا أحمد الله أن[1] خلقنى فأحسن خَلْقى ، وجعل مَولدى ومنشَئى[2] فى الإسلام ، وألبسنى العافيَة فى أركانى وستَر علىّ ما أكرهُ نشْره؟ فمن أعظم نعمةً ممن أمسى فى مثل ما أنا فيه ؟ قلت : رحمك الله إن رأيت أن تقوم معى إلى المنزل فانَّا نُزولٌ على النهر هاهنا . قال : ولِمَه ؟ قال : قلت : لتصيب من الطعام ، ونعطيك ما يُغْنيك عَنْ لِبْس الحصير . قال : فأَبَى . قالَ الوليد : فحسبت أنه قال : إن لى فى أكل العشب كفايةً .

قالَ أبو عبد ربّ : فأردته أن يتبعنى فأَبى وقال : مالى به من حاجة .

---

(١) ق : إذ . والمثبت من ط .

(٢) ق : ومنشاى .

فانصرفت وقد تقاصَرت إلىّ نفسى . فذكر أنه رجع من تجارته وتصدّق بماله .

٩٨٦ — عابد آخر :

ذو النون قال : رأيت رجلاً فى البرّيّة يمشى حافيًا وهو يقول : المحب مجروح الفؤاد لا راحة له . فسلمت عليه فقال : وعليك السلام يا ذا النون . فقلت : عرفتنى قبل هذا ؟ قال : لا . قلت ، فمن أين لك هذه الفِراسة ؟ فقال : ممن يملكها . ايست منّى . هو الذى نوّر قلبى بالفِراسة حتى عَرَّفنى إياك من غير معرفةٍ سبقت لى . ياذا النون قلبى عليل وجِسْمى مَشْغول ، وأنا سائح فى البريّة أسير فيها منذ عشرين سنة ما أَعرف بيتًا ، ولايُكِنُّنِى سقف يسترنى من الشمس إذا كظَّت[1] ، ويحفظنى من الرياح إذا هبّت ، فصِفْ لى بعض ما أنا فيه إن كنتَ وصَّافًا . فقلت : القلب إذا كانَ عليلاً جالت الأَحزان والأَسقام فيه ، لَيْس للْقلب مع ذالك دواء . فصرخ صرخة ثُمَّ قال : مالى وللشَّكوى[2] ؟ ثم قال : ما صحبت صاحبًا منذ صحِبته . أَصحبك اليوم . فقلت : قم بنا . فقُمنا جميعًا نسير بلا زاد . فلما أَوغلنا فى البريَّة وطوينا ثلاثًا قال لى : قد جُعتَ ؟ قلت : نَعم . قال : فأَقسِمْ عليه حتى يطعمك . قلت : لا ، والذى فَلق الحبَّة وبَرأَ النَّسْمة لا سأَلته شيئًا ، إن شاء أَطعم وإن شاء ترَك . فتبسم وقال : امض الآن . فلقد أُفيضَ علينا من أطايب الأَطعمة ولذيذِ الأَشربة حتى دخلنا مكة سالمين . ثم فارقنى وفارقته . فكان ذو النون كلَّما ذكره بكى وتأَسّف على صحبته.

---

(١) كظه الأمر : بهظه وكربه وجهده . ط : أكظت .

(٢) ط : والشكوى .

٩٨٧ ــ عابد آخر (١) :

ذو النون قال : بينا أنا سائر فى بعض الطرق فإذا فتًى حسن الوجه ، أثَرُ التهجُّدِ بين عينيه . فقلت : حبيبى من أين قدِمت؟ فقال : من عنده . فقلت : وإلى أين ؟ فقال : إلى عنده (٢) . قال : فعرضتُ عليه النَّفقة فنظر إلىّ مغضبًا ثم ولَّى وأنشأ يقول :

وكافرٍ بالله أمواله تزدادُ أضْعافًا على كُفرِه
ومؤمنٍ ليس له دِرهمٌ يَزداد إيمانًا على فَقْرِه
لاخيرَ فيمن لم يكن عاقلاً يمدّ رجليه على قَدْرِه

٩٨٨ ــ عابد آخر :

عن طاهر المقدسى قال : خرجت من عَسقلان أُريد غزّة فى طلب البُدَلاءِ(٣) ، فإذا أنا بفتًى عليه أطمارٌ رثّة مارًّا على ساحل البحر . قال : فكأنّى لم أعبا به . فالتفتَ إلىّ فقال :

لا تَنْبُ عنِّى بأن تَرى خَلَقِى(٤) فإنما الدرُّ داخلَ الصَّدَفِ
عِلمى جَديد وملبَسِى خَلَقٌ ومنتهى اللُّبْسِ مُنتَهى الصَّلَفِ

٩٨٩ ــ عابد آخر :

محمد بن الحسين الآجرّى قال : حدثنى بعض أصحابنا عن أبى الفضل الشُكلىّ قال : رأيت شابًا فى بعض الطريق ، وعليه خلَقٌ فكأنى لم أحفل به . فالتفتَ إلىّ ثم قال :

---

(١) هذا العنوان ساقط من ط .

(٢) كذا فى النسخ وهو غلط لأن (عند) لا تقع إلا ظرفاً أو مجرورة بمن وحدها ، ولا يجوز جرها بإلى .

(٣) ويسمون الأبدال أيضاً . وهم قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم ، فاذا مات واحد أبدل الله مكانه آخر .

(٤) ثوبى البالى .

لا تَنْبُ عنّى بأن تَرى خَلَقِى فإنما الدُّرُّ داخلَ الصَّدَفِ
عِلمى جديدٌ ومَلبَسى خَلَقٌ . ومُنتَهى اللُّبسِ مُنتَهى الصَّلَفِ

قال : فجعلت ألوذُ به وأنِستُ به .

٩٩٠ — عابد آخر :

بلغنا عن محمد بن رافع قال : أقبلتُ من بعض بلاد الشام فبينا أنا فى بعض الطريق رأيت فَتى عليه جبّة من صوف، وبيده رَكْوة . فقلت : أين تريد ؟ فقال : لا أدرى . قلت : فمن أين جئت ؟ قال : لا أدرى . فظننتُه مُوَسوِسًا فقلت : من خلَقك ؟ فاصفرّ حتى خلته صُبغ بالزعفران . ثم قال : خلَقنى من لا يعزُب عنه مثقال ذرةٍ فى الأرض ولا فى السماء ، فقلت : رحمك الله أنا مِن إخوانك وممن يأْنس إلى أمثالك فلا تنقبض منى . فقال : كيف لا ؟ إنى والله أود لو جاز لى ترك الجماعات حتى انفرِد فى شاهقٍ مُنيفٍ صعبِ المرتقى ، أو فى غارٍ مُوحش لعلِّى أجد قلبى ساعةً يسلو عن الدنيا وأهلها . فقلت : وما جنَتْ عليك الدنيا حتى استحقَّت هذا البغض منك ؟ فقال : جِناياتُها العَمَى عن جناياتها . فقلت : هل من دواءٍ أتَعالَج[1] به مِن هذا العمى الذى قد حَجب عنى ما يراد بِى ؟ قال : ما أراك تقدر على العلاج فاستعمِل من الدواء أيسَره . قلت : صف لى دواء لطيفًا . قال : فما داؤُك ؟ قلت : حبّ الدنيا . فتبسم وقال : أىّ قَرحةٍ أعظم من هذه؟ ولكن اشرب السُّموم الطريّة والمكارِه الصّعبة . قلت : ثم ماذا ؟ قال : مُرّ الصبر الذى لاجزع فيه والتعب الذى لاراحة فيه . قلت : ثم ماذا ؟ قال الوحشة التى لا أُنس فيها والفُرقة التى لا اجتماع معها . قلت : ثم ماذا ؟ قال السلوّ عما تريد والصبر عما تحبّ ، فإنْ أردتَ فاستعمل هذا وإلّا فتأخر واحذَر الفتن

(١) ط : يعالج ، تحريف .

كأنها قطع الليل المُظلم . قلت : فدُلَّني على عمل يقرّب إلى الله عزَّ وجلّ . فقال : يا أخى قد نظرت فى جميع العبادات فلم أر أنفع من الفِرار من الناس وتركِ مخالطتهم ، يا أخى رأيت القلوب عشرة أجزاء ، فتسعةٌ مع الناس وجُزءٌ مع الدنيا . فمن قوى على الانفراد حاز تسعة أجزاء من القلب . ثم غاب عنى فلم أره(١) .

ذكر المصطفيات من عابدات لقين فى طريق السياحة

٩٩١ — عابدة :

ذو النون المصرى قال بينا أنا سائر فى البادية إذ رأيت امرأة متعبّدة . فلما أن دنَت منّى سلَّمت علىّ فرددتُ عليها السلام . فقالت من أين أقبلت؟ فقلت : من عند حكيمٍ لا يوجد مثله. فصاحت وقالت : ويحك كيف فارقتَه وهو أنيس الغرباء ؟ فأوجع قلبى كلامُها فبكيت . فقالت لى : ممَّ بكاؤُك؟ قلت : وقع الدواء على الداء ، فأسرَع فى نجاحه . قالت : فإنْ كنت صادقًا فلِمَ بكيت؟ قلت : والصادق لا يبكى؟ قالت لا ، لأن البكاء راحة القلب وهذا نقصٌ عند ذوى العقول يابطَّال ، قلت : علّمينى شيئًا ينفعنى الله به . قالت : ويحك ما أفادك الحكيم من الفوائد ما تستغنى به عن طلب الزوائد ؟ فقلت : إن رأيت أن تعلّمينى شيئًا فعلتِ ، فقالت : اخدم مولاك شوقًا إلى لقائه . فإنَّ له يومًا يتجلَّى فيه لأوليائه وإنَّه تعالى سقاهم فى الدنيا من محبته كأْساً لايظمَئُون بعدها أبدًا . ثم أقبلت تبكى وتقول : سيّدى إلى كم تدَعنى فى دارٍ لا أجد فيها مَن يساعدنى على بلائِى ؟ ثم مضت وهى تقول :

---

(١) بعده فى ط : والسلام .

إذا كان داء العبد حُبُّ مَليكه   فمن دونه يرجو طَبيبًا مُداويًا ؟

قلت : وقد رُويت لنا هذه الحكاية بألفاظ أخر :

أنبأ عبد الرحمن بن محمد القزاز قال : انبأ أحمد بن على بن ثابت قال : انبأ القاضى أبو القاسم عبد الواحد بن محمد البجلى قال : انبأ جعفر بن محمد الخلدى قال : حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق قال : سمعت ذا النون المصرى قال : بينا أنا فى بعض مسيرى لقيتنى امرأة فقالت لى : من أين أقبلت ؟ قلت : رجل غريب . فقالت لى : ويحك وهل توجد مع الله أحزان الغربة وهو مؤنس الغرباء ومعين الضعفاء ؟ فبكيت فقالت لى : مايُبكيك؟ قلت : وقع الدّواءُ على داءٍ قَدْ قرِحَ (١) فأسرع فى نَجاحه . قالت : إن كنت صادقًا فلِمَ بكيت؟ قلت : والصادق لا يبكى؟ قالت : لا ، قلت : ولِمَ قالت : إن البكاءَ(٢) راحةِ القلب وملجأً يلجأ إليه ، وما كتم القلبُ شيئًا أحقّ من الشهيق والزفير ، فإذا أُسبلت الدمعة استراح القلب ، وهذا ضعفٌ عند الأولياء يابطّال ، فبقيت متعجّبًا من كلامها . فقالت لى : مالك؟ قلت : تعجبًا من هذا الكلام . قالت : وقد أُنسيت القَرحة التى سألتَ عنها ؟ قلت : لا ، علّمينى شيئًا ينفعنى الله به . قالت : وما أفاد الحكيم فى مقامك هذا من الفوائد ماتَستغنى به عن طلب الزوائد؟ قلت لا ، ما أنا بمستغن عن طلب الزوائد . قالت : صدقت ، أحبب ربّك واشتَقْ إليه فإنّ له يومًا يتجلّى فيه على كرسىّ كرامته لأوليائه وأحبّائه فيذيقهم من محبته كأْسًا لايظمَئُون بعدها أبدًا . قال : ثم أخذت فى البكاء

---

(١) ط : على الداء وقد قرح .

(٢) قط : إنه .

والزفير والشهيق وهى تقول : سيّدى إلى كم تخلّفنى فى دارٍ لا أجد فيها أحدًا يُسعِدنى[1] على البكاء أيام حياتى ؟ ثم تركتنى ومضت .

٩٩٢ — عابدة اخرى :

ذو النون قال رأيت امرأة بنحو أرض البَجَّة[2] . قال : فناديتُها . فقالت : وما للرجال أن يكلِّموا النساء ؟ لولا ضعف عقلك لرميتك بشىء . فقلت لها : بالله كيف تعرفين الزيادة ؟ قالت : بتفقّد الأحوال انصرِف . قال : فما ناطقْتُها بعد ذلك .

٩٩٣ — عابدة اخرى :

ذو النون بن ابراهيم قال كنت فى تيهِ بنى إسرائيل ومعى صاحب لى ، فرأيت امرأةً عليها مِدرَعة من شَعر وخِمار من صوف ، وفى كفّها عكاز من حديد فقلت : السلام عليك ورحمة الله . فقالت : وعليك السلام ، ما للرجال وخطابَ النساء عافاك الله ؟ فقلت : أخوك ذو النّون المصرى . فقالت : مرحبًا حياك الله بالسلام . قلت : ما تَصْنعين هاهنا ؟ قالت : كلما أتيت إلى بلدة يُعصَى فيها الحبيب ضاق علىّ ذلك البلد ، فأنا أطلب بُقعة طاهرة أخِرّ عليها ساجدةً أناجِيه بقلبٍ ذابَ من شدّة الشوق إلى لقائه . فقلت : ما سمعت أحدًا يذكر الحبيب أحسن من ذكركِ ، فأىّ شىء المحبة؟ قالت : سبحان الله أنت الحكيم الواعظ. وتسألنى؟ أول المحبة يبعث على الكدّ الدائم ، حتى إذا وصلت أرواحهم إلى أعلى الصفا[3] جرّعهم من محبّته لذيذ الكؤوس . ثم صرخت وخرّت مغشيًا عليها فأفاقت هى تقول[4] :

---

(١) يعيننى . (٢) البجة (بفتح الباء وتشديد الجيم) : مدينة بين فارس وأصبهان .

(٣) الصفا : الحجر الصلد الضخم .

(٤) مرت الأبيات فى الترجمة رقم (٩٠٨) من هذا الجزء .

أَحبك حبَّيْن حُبَّ الرضا وحبٌّ لأَنك أَهلٌ لِذاكا
فأَمَّا الذى هو حبّ الرضا فذِكرٌ شُغِلتُ به عن سواكا
وأما الذى أَنت أَهلٌ له فكشْفُك للحُجْب حتى أَراكا
فما الحمدُ فى ذا ولا ذاك لِى ولكنْ لك الحمدُ فى ذا وذاكا

٩٩٤ ــ عابدة اخرى :

ذو النون المصرى قال بينا أَنا أَسير فى جبال أَنطاكِيَّة فإِذا أَنا بجارية كأَنها مجنونة وعليها جبّة من صوف . فسلّمت عليها فردّت علىّ السلام ، ثم قالت : أَلستَ ذا النون المصرى؟ قلت : عافاكِ الله كيف عرفتِنى[(١)] فقالت : عرفتك بمعرفة حبّ الحبيب . ثم قالت : أَسأَلك عن مسأَلة ، قلت[(٢)] : سَلِى ، فقالت : أَىّ شىءٍ السّخاءُ ؟ قلت : البذل والعطاء . قالت : هذا سخاءٌ فى الدنيا فما السخاء فى الدِّين؟ قلت : المسارعة إلى طاعة الله تعالى[(٣)] . قالت : فإِذا سارعتَ إلى طاعة الله فهو أَن يطَّلع على قلبك وأَنتلا تريد منه شيئًا . ويْحَك يا ذا النون إِنى أُريد أَن أَطلب منه شهوةً منذ عشرين سنة ، فأَستَحْيِى[(٤)] منه مخافةَ أَن أَكون كأَجير السّوء ، إذا عمِل طلبَ الأَجر ، ولكن اعمل تعْظيمًا لهيبته وعزّ جلاله[(٥)] ومرّت وتركتنى .

٩٩٥ ــ عابدة اخرى :

ذو النون المصرى قال بينما أنا أَسير فى تيهِ بنى إسرائيل إذا أَنا بجارية سوداء قد استلَبها الولَه من حبّ الرحمن ، شاخصة

---

(١) فى النسخ : عرفتينى ، باثبات الياء قبل النون . والصواب ما أثبت .
(٢) ط : فقلت .
(٣) ق : عز وجل .
(٤) ط : وأنا أستحيى .
(٥) ط : وعزاً لجلاله .

ببصرها نحو السماء . فقلت : السلام عليك يا أُختاه . فقالت : وعليك السلام ياذا النون . فقلت لها : من أَين عرفتنِى[١] ياجارية ؟ فقالت : يا بطَّال إن الله عزَّ وجل خلق الأَرواح قبل الأَجساد بأَلفى عام ثم أَدارها حول العرش ، فما تَعارف منها ائتلَف وما تناكَر منها اختلف ، فعُرِّفَت رُوحى روحَك فى ذلك الجَولان . قلت[٢] إنِّى لأَراك حكيمة ، علِّمينى شيئًا مما علَّمك الله عز وجل . فقالت : يا أَبا الفيض ضع على جوارحك ميزان القِسط حتى يذوب كلّ ما كان لغير الله ، ويبقى القلب مصفًّى ليس فيه غير الربّ عزَّ وجلّ ، فبعد ذلك يُقيمُك على الباب ويُوَلِّيك وِلاية جديدة ويأْمر الخُزَّان لك بالطاعة . فقلت : يا أُختاه زيدينى . فقالت : يا أَبا الفيض خذ من نفسك [لنفسك] وأَطع الله عز وجل إذا خلوت يُجِيبُك إذا دعَوت[٣] .

ذكر المصطفين من عباد لم يعرفوا باسم ولا مكان

٩٩٦ ـــ عابد[٤] :

عن شقيق قال : كنت فى زرعٍ لى إذ أَقبلت سحابة تَرهْيَأُ[٥] قال : فسمعت فيها صوتًا : أَمطِرى زرعَ فلان قال : فأَتيت الرجل فسأَلته : ما تَصنع بزرعك؟ قال : أَبذر ثُلثه ، وآكل ثُلثه ، وأَتصدّق بثلثه .

٩٩٧ ـــ عابد آخر :

مُضَر القارِى قال ، كان رجل من العبّاد قلَّما ينام من الليل قال : فغلبته عينُه ذات ليلة فنام عن جُزئِه[٦] ، فرآى فيما يرى النائم كأَن

---

(١) فى النسخ : عرفتينى .
(٢) ط : فقلت .
(٣) ط : بجبك وإذا دعوت .
(٤) العنوان زيادة من عندنا ، ليست فى النسخ .
(٥) أى تتهيأ للمطر .
(٦) ط : حزبه .

جارية وقفت[١] عليه ، كأن وجهها القمر المستتِم[٢] قال ومعها رَقٌّ[٣] فيه كتاب . فقالت : أتقرأ أيها الشيخ؟ قلت[٤] : نعم.قالت : فاقرأ هذا الكتاب . قال فأخذته من يدها ففتحته فإذا فيه مكتوب :

أَلهتك لَذَّة نومة عن خَيْر عَيْش[٥] مع الخيرات فى غُرف الجِنان

تعيش مخلَّدًا لاموْت فيها[٦] وتنعم فى الجِنان مع الحِسان

تيقَّظ من منامك إنَّ خيرًا من النوم التهجُّدُ بالقُرَان[٧]

قال : فوالله ماذكرتها قط. إلا ذهب عنِّى النوم .

٩٩٨ ــ عابد آخر :

عن البخترى بن حارثة قال : دخلت على عابدٍ مرَّةً فإذا[٨] بين يديه نارٌ قد أجَّجها وهو يعاتب نفسه . فلم يزل يعاتبها حتى مات.

٩٩٩ ــ عابد آخر :

عن رياح القيسى قال : كان عندنا رجل يصلِّى كل يومٍ وليلة ألف ركعة حتى أُقعِدَ من رجليه . وكان يصلِّى جالسًا ألف ركعة فإذا صلى العصر احتَبى[٩] واستقبل القبلة ويقول : عَجِبْت للخليقة كيف أنِسَت بسواك ، بل عجبت للخليقة كيف اسْتَنَارَتْ قلوبُهم بذِكر سواك .

---

(١) ط : وقعت . (٢) قط : المستنير .

(٣) بفتح الراء وكسرها : الجلد الرقيق الذى يكتب فيه .

(٤) ط : قال .

(٥) الشعر من الوافر ، وهذا المصراع مختل الوزن ، إلا أن يكون فيه خرم وهو زيادة بعض الأحرف فى أول البيت على وزنه المألوف . ولكنهم اشترطوا أن يصح إسقاط الزائد بحيث يبقى معنى البيت سليما . وهذا المصراع يبدأ فى وزن من الكاف فى (ألهتك) مما يخل بالشرط المذكور . ق : نوم ، وذكر فى الهامش أن فى نسخة : نومة .

(٦) ط : فيه . (٧) أى القرآن .

(٨) ط : وإذا . (٩) جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها .

١٠٠٠ — عابد آخر :

عن ميمون بن سِياه قال : كنت أناوخالد الرّبعى ونفر من أصحابنا نذكرُ الله ، فوقف علينا رجل أسود فقال : هل ذكرتم الموت فيما كنتم فيه؟ قلنا : إنَّا لنذكره كثيرًا وماذكرناه يومَنا هذا . قال : فبكى وقال : لقد أغفلتم مالا يُغفلكم ، ونسيتم ما تُحصى عليكم الأنْفَاس لقدومه عليكم . قال : ثم مال ليسقط. وسانده رجل من القوم فخرجَت نفسه وإنَّا لننظر إليه . قال : فنظرنا فلم نجد أَحدًا يعرفه . قال : فغسلناه وحنّطناه وكفّنّاه ودفنَّاه .

١٠٠١ — عابد آخر :

أَسلم بن عبد الملك ، وكان شيئًا عجيبًا ، قال : صَحب رَجُلٌ رَجُلاً شهرين فلم يره نائمًا بليل ولا نهار . فقال له : مالِى لا أراك تنام ؟ قال : إنَّ عجائب القرآن أَطَرْنَ نومِى ، ما أَخرجُ من أعجوبةٍ إلَّا وقعت فى غيرها .

١٠٠٢ — عابد آخر :

عبد الله بن داود قال : حَدَّثنى رجل منذ خمسين سنة أَو نحو خمسين سنة قال : كان مملوك لامرأة فكان[1] يصلِّى الليلَ كلَّه . فقالت له : ليس تَدَعُنا ننام الليل؟ فقال لها الكِ النهارُ ولِى الليلُ ، إذا ذكرتُ النار طار نومى ، وإذا ذكرتُ الجنَّة طال حزنى .

١٠٠٣ — عابد آخر :

شعيب بن حرب قال صحبنى رجلان فى سفينة فأَخذ أحدهما حبَّة من حنطة فألقاها فى فِيه ، فقال له صاحبه : مَهْ أَىّ شيءٍ صَنَعْت؟ قال : سهوت . قال : لأَن تأكلنى السّباع أحبّ إلىّ من أن أَصْحَب

(١) ط : كان.

رجلاً يسهو عن الله عز وجل . قال : ثم قال : يا ملّاح قَرِّب . قال : فخرج . قال شعيب : فسمعنا زئير الأَسد من الغَيضة فما ندرى ماحال الرجل . قال شعيب : فالتفت إلىّ صاحبُه فقال : إن هذا صاحبي منذ أَربعين سنة أَو نيّف وأَربعين سنة ما رأى علىّ[1] زلّةً قبلها .

١٠٠٤ — عابد آخر :

عن أَيوب الحمّال[2] قال : كان فتًى ينتحل التوكّل ، وكان عزيزًا عند الأَخذ من الناس ، وكان إذا احتاج إلى قُوتِه وجده موضوعًا . فقيل له : احذر لا يكون الشيطان يخدعك . فقال : أَنا إلى الله تعالى[3] ناظر ومنه آخُذ مارزقنى ، فإن كان عَدوّى قد سُخِّر لى فلا فرّج الله عنه ، وأَىّ شيءٍ أَحسن منّى؟ يخدمنى عدوّى وأَنا أَسكن إلى الله عزّ وجل لا إليه .

١٠٠٥ — عابد آخر :

قال ممشاد الدِّينَوَرِىّ : رأَيت فى بعض أَسفارِى شيخًا تَوَسّمت فيه الخير . فقلت له : ياسيدى كلمة تزودنى بها . قال : هِمّتُك فاحْفظها فإنّ الهمّة مقدّمة الأَشياء ، فمن صلَحت له همّته وصدق فيها صلح له ماوراءها من الأَعمال والأَحوال .

١٠٠٦ — عابد آخر :

حيدرة بن عُبيد قال : دخلنا على رجل من العبّاد نَعوده فقلنا له : كيف تجدك؟ فقال : ذنوب كثيرة ونفس ضَعِيفة وحسنات قليلة وسَفْرة طويلة وغاية مَهُولة . قال : فقلنا : مامعك من الزّاد لِما ذكرت ؟ قال : معى الأَمل فى السيّد الكريم . ثم قال : اللهم

---

(١) ط : ما رآنى على .

(٢) ط : الجمال ، تصحيف .

(٣) ق : عز وجل .

لا تقطع بِمُؤَمِّلك فى تلك الغَمَرات ، وارحمه فى تلك الحَيْرة والحسرات إذا انْخَلَعَتْ القلوب يوم النَّداماتِ . وجعل يتشهَّد حتى مات .

١٠٠٧ — عابد آخر :

عن أبي عبد الله الدّينَورىّ أنه كان يومًا جالساً فدخل عليه فقير عليه آثارُ الضُّرّ ، قال : فطالبَتْنى نفسى أن أجيئه بشىءٍ ، فَهَمَمْت أن أرهَن نَعلِي فمنعَتْنى نفسى وقالت : كيف تتمّ لك طهارةٌ مع الحَفا ؟ فقلت : أرهَنُ رَكْوَتى . فمنعتنى أيضًا وقالت : بأى شىءٍ تتوضأ . فهممت أن أرهَن منديلى فمنعتْنى وقالت : تَبقى مكشوف الرأس . فقلت وما فى ذالك؟ وجعلتُ[1] أراجعها فى ذلك ؟ فقام الفقير فشدّ وسطَه وأخذ عصاه بيده ثم التفتَ إلىّ وقال : يا خَسيس احفظ. مِنديلك فإنِّى خارج . فاعتقدت[2] مع الله عز وجل أنِّى لا آكل الخبز حتى ألقاه . فقيل : إنه أقام ثلاثين سنة لم يأْكل الخبز .

ذكر المصطفيات من العابدات اللواتى لم يعرفن باسم ولا مكان

١٠٠٨ — عابدة :

عن الوليد بن مسلم قال : كانت امرأة من التابعين تقول : اللهم أقبِل بما أدبَر من قلبى ، وافتح ما أُقفِل منه حتى تجعله هَشًّا مرتاحًا لذكرك .

١٠٠٩ — عابدة اخرى :

وبالإسناد : حدثنا أبو بكر القرشى قال : حدثنا الحارث بن محمد التميمى قال : حدثنا على بن محمد القرشي ، عن جويرية

---

(١) ق : فجعلت . والمثبت من ط .

(٢) يريد : عاهدته . يقال : اعتقد الرجل الأمر : عقد عليه قلبه وضميره وتمسك به .

ابن[١] أسماء أن إخوة ثلاثة من بنى قطيعة شهدوا يوم تُستَر[٢] فاستُشهِدوا . فخرجت أمهم يومًا إلى السوق لبعض شأنها فتلقَّاها رجل قد حضر أمْرَ تُستَر فعرَفَته فسألته عن بَنيها فقال : استُشهدوا . فقالت : أمُقْبِلين أم مُدْبرين؟ فقال : مُقْبِلين . فقالت : الحمد لله نالوا الفوز وحاطُوا الذمارِ ، بنفسى هُم وأبى وأمِّى .

١٠١٠ ـــ عابدة أخرى :

عن القاسم بن مَعْن أنه أتته امرأة فقالت : أنا امرأة فلان ما أتيك حتى خِفت أن يَضيق علىَّ أن لا آتيك . فقال القاسم لبعض أصحابه : بقى من ذلك المال شىء ؟ قال : مائتا درهم . قال : ادفعه إليها . فأخذته وانصرفَت . وقال له . إذا جاءنى شىء فأذْكرْنيها . قال : فجاءه مال ففرّقه فذكَرها وقد بَقى منه سبعمائة درهم . فقال : اذهب به إليها وسل عنها أهل المسجد الذى خلْف منزلها والمسجدِ الذى دُونه . ففعل فأُخبر بعفافٍ عنها وعن بناتٍ لها . قال : فأتيتها فقلت : رسولُ القاسِم بن مَعْن . فقالت مرحبًا بالقاسم وبرسوله . حاجتَك[٣] قلت : هذه السبعمائة درهم أرسلَ بها إليكِ القاسم . فقالت : أقرئه[٤] السلام وقل له : قد أخذنا تلك المائتين فنحن نغزِل منها ونبيع وقد عِشْنا بها واستغنينا فلا حاجة لنا فى هذه : فأتيتُ

---

(١) ط : بنت ، تحريف .

(٢) تستر : (بضم التاء الأولى وفتح الثانية وسكون السين) : أعظم مدينة بخوزستان فتحها أبوموسى الأشعرى فى عهد عمر بن الخطاب الذى ضمها إلى البصرة . وهى اليوم تابعة لإيران (عزبستان) .

(٣) أى اذكر حاجتك .

(٤) كذا فى ط . وفى ق : أقره . قال صاحب أساس البلاغة : « اقرأ سلامى على فلان » ولا يقال : أقرئه منى السلام » .

القاسم فأخبرته فقال : ويحكَ ألا سيّبتها[١] فى باب الدار ؟ وقال بيده[٢] هكذا . ثم حوّل وجهه إلى القِبلة وقال : اللهم إن بلوتَنى بخلَف[٣] فاجعله هكذا .

١٠١١ — عابدة اخرى :

أبوجعفر السائح قال : بلغَنا عن امرأة متعبّدة كانت تصلّى الضحى مائة ركعة كل يوم ، وكانت تقرأ «قل هو الله أحد»[٤] بالنهار عشرة آلاف[٥] مرة . وكانت تصلّى بالليل لا تَستريح . وكانت تقول لزوجها : قُم ويحك إلى متى تنام؟ قُم ياغافل قُم يابطّال ، إلى متى أنت فى غفلتك؟ أَقسمت عليك أن لا تكسب معِيشتك إلا من حلالٍ ، أَقسمت عليك أن لا تدخل النار من أَجلى ، برّ أُمَّك ، صِلْ رَحِمَك ، لا تقطعهم فيقطعَ الله بك .

١٠١٢ — عابدة اخرى :

الحسين بن جعفر قال : سمعت أبى قال : صلَّيت العيد فى الجبَّان ثم تفردّت ، فإذا أنا بعجوزٍ رافعة يديها وهى تقول ، انصرفَ الناس ولم أُشعِر قلبى اليأْسَ ياصاحب الصدقة ، ها أناذِه منصرفة فليت شِعرى ما زوّدتَنى ، ربّ ارحم ضعفى وكِبَر سنِّى ، خرجت أَرجوك فلا تخيّب ظنى بك . وهى تبكى فما انتفعتُ بنفسى يَومِى كلَّه .

١٠١٣ — عابدة اخرى :

أبوعياش القطان[٥] بلغنا أنه كان مَلِكٌ كثير المال وكانت له ابنة لم يكن له ولدٌ غيرها ، وكان يُحبها حبًا شديدًا . وكان يُلهيها

(١) تركتها .

(٢) أشار بها وحركها .

(٣) أولاد وذرية .

(٤) أى سورة الإخلاص .

(٥) قط : عشرة ألف . ب : ألف .

بصُنُوف اللهو . فمكث كذلك زمانًا . وكان إلى جانب الملك عابدٌ .
فبينا هو ذات ليلة يقرأ إذ رفع صوته وهو يقول «يا أَيُّها الَّذينَ
آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُم وأَهْليكُم نَارًا وقودُها النَّاسُ والحِجارة[1] » فسمعت
الجارية قراءته فقالت لجواريها : كُفّوا . فلم يكُفّوا وجعل العابد يردّد الآية
والجارية تقول لهم : كُفّوا . فلم يكفّوا . فوضعت يدها فى جيبها
فشقت ثيابها فانطلقوا إلى أبيها فأخبروه بالقصّة . فأقبل إليها فقال :
ياحبيبتى ما حالُكِ منذ الليلة؟ ما يبكيك؟ وضمّها إليه . فقالت :
أسأَلك بالله يا أَبهْ ، لله عز وجل دارٌ فيها نارٌ وقودها الناس والحجارة؟
قال : نعم . قالت : وما يمنعك يا أَبَهْ أن تخبرنى؟ والله لا أكلت طيّبًا
ولانمت على ليّن حتى أعلم أين منزلى فى الجنة أو النار ؟

١٠١٤ ــ عابدة اخرى :

سعيدٌ أَبو عثمان ، ثقة من أهل العلم ، قال : نظر رجل إلى امرأة
فقال : ما رأَيتُ مثل هذا الحسن . وهذه النضارة ، وما ذاك إلَّا من
قلَّة الحزن . فقالت : يا عبد الله ، والله إنِّ ليذبحنِى الحزن ما يشركنى
فيه أحد . قال : وكيف؟ قالت : ذبح زوجى شاةً مضحّيًا ، ولِى
صبيّان يلعبان . فقال أكبرهما للأصغر : أُريك كيف صنَع أَبى بالشاة؟
فعلَّقه فذبحه فما شعرنا به إلَّا متشحّطًا[2] . فلما استَعْلَت الضجّة
هرب الغلام ناحيةَ الجبل فرهقَه[3] ذئب فأكله ، ونحن لا نعلم ،
واتَّبعه أبوه يطلبه فمات عطَشًا . فأَفردنِى الدّهر . قال : فكيف صبركِ؟
قالت؟ لو رأَيتُ فى الجزع مُدْركًا[4] ما اخترت عليه .

---

(١) التحريم ٦ .
(٢) مضرجاً بدمه .
(٣) أى لحقه .
(٤) ط : دركاً .

١٠١٥ — عابدة اخرى :

أبو بكر بن عبيد قال : حدثنى عُبيد الله[١] بن محمد أنه سمع امرأة من المتعبّدات تقول ، وبكَتْ : واللهِ لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت الموت يُباع لاشتريتُه شوقًا إلى الله وحُبًّا للقائه . قال : قلت لها : أفَعَلَى ثقةٍ أَنتِ من عَملِك ؟ قالت : لا والله ، ولكن لحبِّى إيَّاه وحُسنِ ظنِّى به ، أَفَتراه يعذِّبنى وأَنا أُحبُّه ؟

١٠١٦ — عابدة اخرى :

عن الحسن بن جعفرٍ أنه سمع أباه يقول : مررت بدارٍ فإذا أنا بعجوز مَكْفوفةٍ تبكى وتقول : يا حليم تقرّب الناسُ إليك بالأَعمال يَدْعونك بها ، فكيف أَدعوك بالذّنوب ولا عملَ أَرضاه؟ ياربّ هَب لِى من حِلمك ما تكفينى به وتُنجينى من عذابك . قال : فوقفت عليها فوَعَظْتها وقلت : هل لك وَلد ؟ قالت : لا . قلت : مَن معكِ فى دارِك؟ قالت : سبحان الله . مَعِى مَن أُناجيه ، فهل علىّ وحشة معه وهو أنيسى؟ قال : فأَبكتنى . فقلت لها : ما مَعاشُكِ؟ قالت : دع عنك مالا تحتاج إليه بلغت السن فما أَحوَجنِى إليك ولاإلى غيرك ، أَما تقرأُ القرآن : « والَّذِى هُو يُطْعِمُنِى ويَسقِينِ وإذا مَرِضْتُ فهوَ يَشْفِينِ »[٢] فقلت : إيذَنى لِى فى زيارتكِ . فقالت : أَعْزِمُ عَلَيك إن فَعَلتَ أَوذكرت لى اسمًا . ثم أَجافت الباب[٣] .

١٠١٧ — عابدة اخرى :

عن العباس بن سهم أن امرأة من الصالحات أتاها نَعْىُ زوجها وهى تعجن ، فرفعت يدَها من العجين وقالت : هذا طعامٌ قد صار لنا فيه شُركاءُ .

---

(١) ط : عبد الله .
(٢) الشعراء : ٧٩ — ٨٠ .
(٣) ردته وأغلقته .

١٠١٨ ــ عابدة اخرى :

وبالإسناد عن ابن رَوْح عن بعض أهل العلم أن امرأة أتاها نَعْيُ زوجها والسّراج يَقِدُ (١) فأَطفأَت السراج وقالت : هذا زيتٌ قد صار لنا فيه شريك .

١٠١٩ ــ عابدة اخرى :

عبد الملك بن شَبيب ، عن رجل من ولد عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال : دخلتُ على امرأة وأنا أقرأُ سورة هود . فقالت لى : ياعبد الرحمن هكذا تَقرأُ سورة هود؟ [والله] إنِّى فيها منذ ستة أشهر ومافرغتُ من قراءتها .

١٠٢٠ ــ عابدة اخرى :

أبوالوليد القاضى قال : سمعت امرأة تقول : فقدتُك من قلب أصبحتَ قاسيًا ولعظمة الله ناسيًا كيف تقرُّ عَينِى وقد أخبرنى أن قاسى القلب منِّى بُعيد ؟

١٠٢١ ــ عابدة اخرى :

سَرِىّ السّقطى قال بلغنى أن امرأة كانت إذا قامت من الليل قالت : اللهم إنَّ إبليس عبدٌ من عبيدك ، ناصيتُه بيدك ، يَرانى من حيث لا أراه ، وأنت تراه من حيث لا يراك . اللهم إنك تقدِر على أمره كله ، وهو لا يقدر من أمرك على شيء ، اللهم إن أرادنى بشرٍّ فأَرِدْه ، وإن كادَنى فكِدْه ، أَدرأُ بك فى نحره ، وأعوذ بك من شره . ثم بكت حتى ذهبت إحدى عينيها . فقيل لها : اتّقى الله لا تَذهب الأُخرى .

---

(١) وقد السراج يقد : اشتعل . ق : تقد .

(٢) ط : مدة .

(٣) قط : ولعلم .

فقالت : إن كانت عينى من عيون أهل الجنة فسيبدلنى بها ماهو أحسن منها ، وإن كانت من عيون أهل النار فأبعدهما الله [تعالى] .

١٠٢٢ — عابدة اخرى :

عن بكر بن عبد الله المُزَنى قال : كانت امرأة متعبّدة . فكانت إذا أمْسَت قالت : يانفس ، الليلةُ ليلتُك لا ليلةَ لك غيرها ، فاجتهدِى . فإذا أصبحَت قالت : يانفس اليومُ يومُك لا يومَ لك غيره فاجتهدِى.

ذكر المصطفيات من بنيات صغار تكلمن بكلام العابدات الكبار

١٠٢٣ — صبية :

زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن جدّه أسلم ، قال : بينا أنا مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يَعُسّ المدينةَ إذْ عَيِىَ[١] فاتّكأ إلى جانب جدار فى جوف الليل ، فإذا امرأةٍ تقول لابنتها : يا أبنتاه قُومى إلى ذلك اللّبن فامذُقيه[٢] بالماء . فقالت لها : يا أُماه أومَا علمتِ ماكان من عَزْمة أمير المؤمنين اليوم؟ قالت : وما كان من عَزمته يابنيّة؟ قالت : إنّه أمر مناديه فنادَى أن لا يُشابَ اللّبن[٣] بالماء . فقالت لها : يا بنيّة قُومى إلى ذلك اللّبن فامذُقيه بالماء فإنّك بموضع لايراكِ عُمر ولا مُنادِى عمر . فقالت الصبية لأُمها : يا أُمّتاه والله ما كنتُ لأُطيعه فى الملأ وأَعْصيه فى الخَلاء[٤] .

١٠٢٤ — صبية اخرى :

عفّان بن مسلم قال : قال لى حمّاد بن سلَمة : ألحّ علينا المطر سنةً من السنين وفى جِوارِى امرأة من المتعبّدات لها بنات أيتام . فوَكَفَ السّقف عليهم . فسمعتها تقول : يا رفيقُ ارفُق بِى . فسكن المطر .

---

(١) تعب .

(٢) اخلطيه وامزجيه .

(٣) لا يخلط .

(٤) ما كانت لتطيعه فى العلن وتعصيه فى السر والخلوة .

فأخذتُ صُرّةً فيها دنانير وقَرَعْتُ بابها . فقالت : اللهم اجعله حمّاد بن سلمة . قلت : أنا حمّاد بن سَلَمة . وأخرجتُ الدنانير وقلت لها : انتفعِي بهذه . فإذا صبيّة عليها مِدْرَعة من صوف تَستبين خروقُها قد خَرَجتْ عليَّ وَقالت : ألا تسكت يا حمّاد؟ تعترض بيننا وبين ربنا ؟ ثم قالت : يا أُماه قد علمنا أنَّا لما شَكَوْنا مولانا أنه سيبعث إلينا بالدنيا ليطردنا عن بابه . ثم أَلْصَقَتْ خَدَّها على التراب وقالت : أما أنا وعزّتِك لا زايلت بابك وإن طردتَنى . ثم قالت : يا حمّاد رُدَّ دنانيرك عافاك الله إلى الموضع الذى أخرجتَها منه فإنّا رَفَعْنا حَوَائِجَنَا إلى مَن يقبل الْوَدَائع ولايَبْخَسُ العاملين .

١٠٢٥ — صبية اخرى :

بشر بن الحارث يقول : أتيت باب المعافَى بن عمران فدقَقتُ الباب فقيل : من ذا ؟ فقلت : بِشر الحافى . فقالت لى بُنيَّة له من داخل : لواشتريت نعلاً بِدَانِقِيْن ذهب عنك هذا الاسم .

١٠٢٦ — صبية اخرى :

عبد الله بن محمد بن وهب قال : كان ليحيي بن معاذ ابنة صغيرة السنّ جدًّا . فطلبتْ من أبيها شيئًا . فقال لها : يابنتى اطلبى ذاك من الله . فقالت : يا أَبَهْ أَوَما أَستَحْيِى من الله أن أتقدّم إليه فى شىء يؤكل ؟

١٠٢٧ — صبية اخرى :

أبو العباس بن مسروق قال : كنت باليمن فرأيت صيادًا يصطاد السمك على بعض السواحل ، وإلى جنبه ابنة له . فكلّما[١]

---

(١) ق : كلما . وأثبتنا ما فى ط .

اصطاد سمكة فتركها فى دَوْخلَّة(١) معه ردّت الصبيّة السمكة إلى الماءِ . فالتفت الرجل فلم يرشيئًا . فقال لابنته : أىَّ شيءٍ عملتِ بالسمك؟ فقالت : يا أبى أليس سمعتُك تروى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال «لاتقع سمكةٌ فى شبكةٍ إلّا إذا غفَلت عن ذِكر الله عز وجل»(٢) فلم أُحب أن نأْكل شيئًا غفل عن ذِكر الله تعالى . فبكى الرجل ورمَى بالصِّنارة(٣) .

١٠٢٨ ــ صبية اخرى :

بلغنا أن أَمير بلدةِ حاتم الأَصم اجتاز على باب حاتم فاستسقى ماءً فلما شرب رمى إليهم شيئًا من المال . فوافقه أَصحابه . ففرح أَهل الدارِ سِوَى بُنيَّةٍ صغيرة فإِنّها بكت . فقيل لها : ما يُبكيكِ؟ فقالت : مخلوق نظر إلينا فاستغنَينا فكيف لونظر إلينا الخالق سبحانه [وتعالى] ؟

١٠٢٩ ــ بنيات جماعة (٤) :

خزيمة أَبومحمد قال : قال بناتُ رجلٍ لأَبيهنّ : يا أَبَهْ لا تُطعِمنا إلا الحلال فإنَّ الصبر على الجوع أَيسر من الصبر على النار . فبلغ ذلك سفيانَ الثوريّ فقال : ما لَهنّ رحمهنّ الله ؟

١٠٣٠ ــ ذكر المصطفين من عباد الجن :

سهل بن عبد الله قال : كنت ناحيةَ ديارِ عادٍ إذْ رأَيت مدينة من حَجر مَنْقورٍ ، فى وسطها(٥) قصر من حجارة ، منقورة سُقوفه

---

(١) الدوخلة (بفتح الدال وفتح الخاء وتشديد اللام ويجوز تخفيفها) وعاء من خوص كالزنبيل يوضع فيه التمر والزاد ونحوهما .

(٢) الحديث لم أجده . وذكره الدميرى فى حياة الحيوان وعزاه إلى صفة الصفوة عن أبى العباس عن ابن مسروق .

(٣) ط : بالصيادة .

(٤) كلتا الكلمتين منونة . والثانية صفة للأولى .

(٥) ط : فى وسطه .

وأبوابه تَأْويه الجنّ . فدخلت معتبرًا فإذا شيخ عظيم الخلق يصلّي نحو الكعبة وعليه جُبّة صوف فيها طَرَاوة . فلم أتعجب من عِظَمِ خَلْقه كتعجّبي من طَراوة جبّته . فسلّمت عليه، فردّ عليّ السلام وقال : ياسهل إن الأبدان لا تُخلِق الثّياب وإنما تُخلِقها روائح الذنوب ومَطَاعم السُّحْت. وإنّ هذه الجبّة عليّ منذ سبعمائة سنة بها لقيت عيسى بن مريم ومُحمدًا صلى الله عليه وسلم فآمنت به . فقلت له : من أنت؟ قال : أنا الذى نزلت فىّ «قُلْ أُوحِيَ إلَيَّ أَنَّه استَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ»[1] .

سلَمة بن شَبيب قال : عزمت على النُّقلة إلى مكة فبعتُ دارِى. فلما فرّغتها وسلّمتها وقفت على بابها فقلت : يا أهل الدار جاوَرناكم فأحسنتم جِوارنا جزاكم الله خيرًا ، وقد بِعنا الدار ونحن على النُّقلة إلى مكة فعليكم السلام ورحمة الله . قال : فأجابنى من الدار مجيب فقال : وأنتم جزاكم الله خيرًا ما رأينا منكم إلّا خيرًا ونحن على النُّقلة أيضًا ، فإن الذى اشترى الدار رافضيٌّ يشتم أبا بكر وعُمر رضى الله عنهما .

سَرِىّ بن اسماعيل يذكر عن يزيد الرّقاشى أنّ صَفْوان بن مُحرز المازنى كان إذا قام إلى تَهَجُّده من الليل قام معه سكّان داره من الجنّ ، فصلّوا بصلاته واستمعوا لقراءته . قال السَّرِّى فقلت ليزيد : وأنَّى عَلِمَ ؟ قال : كان إذا قام سَمع لهم ضجة فاستَوحش لذلك فنُودِيَ : لا تُرَعْ أبا عبد الله فإنما نحن إخوانك نقوم للتهجّد كما تقوم فنصلّي بصلاتك . قال فكأنه أَنِسَ بعد ذلك إلى حركتهم .

---

(١) سورة الجن : ١ .

يحيى بن عبد الرحمن العصرى قال : حدثتنى امرأة خُلَيد عن خُليد قال : كنت قائمًا أصلّى فقرأت هذه الآية «كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ المَوْتِ»(١) فردّدتها مرارًا . فنادانى مُنادٍ من ناحية البيت : كم تُردّد هذه الآية؟ فلقد قتلتَ بها أربعة نفرٍ من الجن لم يرفعوا رءوسهم إلى السماء حتى ماتوا من تَردادِك هذ الآية . قالت : فوَلِه خُلَيد بعد ذلك ولهًا شديدًا(٢) . وأنكرناه حتى كأنه ليس الذى كان .

مَهدِى بن ميمون قال : كان واصل مولى أبى عُيينة جارًا لى ، وكان يسكن فى غرفة ، فكنت أسمع قراءته من الليل ، وكان لاينام من الليل إلَّا يسيرًا . قال : فغاب غيبةً إلى مكة وكنت أسمع القراءة من غرفته على نحوٍ من صوته كأنى لا أنكر من الصوت شيئًا . قال : وباب الغرفة مُغلق . فلم يلبث أن قدِم من سفَره فذكرت له ذلك . فقال : وما أنكرتَ من ذلك؟ هؤلاء سكان الدار يصلُّون بِصَلاتنا ويستمعون لقراءتنا . قال : قلت : أفتَرَاهم؟ قال لا . ولكنّى أحِسّ بهم وأسمع تَأْمِينَهم عند الدّعاء ، وربما غلب علىّ النوم فيُوقِظونى .

قال القُرَشى : وحدثنى خلَف قال : كان فتًى من أهل الكوفة متعبِّدًا يقال له عَرْفجة ، وكان يحيى الليل صلاة . قال : فاستزاره بعض إخوانه ذات ليلة فاستأذن أُمّه فى زِيارته فَأَذِنَتْ له : قالت العجوز : فلما كان الليل إذا أنا فى منامى برجالٍ قد وقَفوا علىّ فقالوا : يا أُمّ(٣) عرفجة ! لِمَ أذنت لإمامنا الليلة ؟ .

---

(١) آل عمران (١٨٥) أو الأنبياء (٣٥) أو العنكبوت (٥٧) .
(٢) حزن كثيراً حتى كاد يذهب عقله .
(٣) ب : ما أمر .

أبوعمران التّمار قال : غدوت يومًا قبل الفجر إلى مسجد الحسن الحفرى فإذا باب المسجد مغلق ، وإذا الحسن جالس يدعو ، وإذا ضَجَّة فى المسجد وجماعة يؤمّنون على دعائه . فجلست على باب المسجد حتى فرغ من دعائه ثم قام فأذَّن وفتح باب المسجد فدخلت فلم أجِدْ فى المسجد أحدًا[١] . فلما أصبح وتفرّق مَنْ عِنْدَه قلت له يا أبا سعيد إنى والله رأيت عجبًا . قال : وما رأيت ؟ فأخبرتُه بالذى رأيت وسمعتُ . فقال : أولئك جِنٌّ من أهل نُصيبين يجيئون يشهدون معِى خَتْمَ القرآن كلّ ليلةِ جُمعةٍ ثم ينصرفون .

محمد بن عبد العزيز بن سلمان العابد قال : كان أبى إذا قام مِنَ الليْل يتهجّد سمعت فى الدار جلبةً شديدة واستسقاء للماء كثيرًا . قال : فنرى أن الجن كانوا يتيقّظون لتهجّده فيصلّون معه .

سَرِىّ السَّقطى قال : بدوت[٢] يومًا من الأيام وأنا حدَثٌ فطاب وقتى وجنَّ علىَّ الليل وأنابفناءِ جَبَلٍ لا أنيس به فنادانى منادٍ من جوف الجبل : لا تَدور القلوبُ فى الغيوبِ حتى تَذوب النُّفوس مِنْ مخافة فَوْتِ المحْبوب . قالَ : فتعجَّبْتُ وقُلْتُ جِنِّىّ ينادينى أم إنسى ؟ قال : بل جِنىّ مؤمن بالله عز وجل ومعى إخوانى. قال : قُلْت فَهَلْ عِنْدَهُم ماعندك؟ قال : نَعَم وزيادة . قالَ : فنادانى الثانى منهم لا تذهبُ من البدَن الفترةُ إلّا بدوام الغُربة . قال : فقلت فى نفسى : ما أبلغ كلامهم . فنادانى الثالث منهم : مَن أَنِس به فى الظلام لا يبقى له اهتمام . قال : فصَعِقْت : فما أفقت إلّا برائحة الطِّيب فإذا أترُجّة[٣] على صدرى

---

(١) قط : فلم أر فى المسجد أحداً . ب : فلم أر أحداً .

(٢) خرجت إلى البادية .

(٣) ق : وإذا نرجسة . وأثبت ما فى ط .

فشممتها فأفقت فقلت : وصية يرحمكم الله جميعًا[١] ؟ فقالوا جميعًا أَبى الله أن تحيا[٢] به إلّا قلوب المتّقين ، فمن طمعَ فى غير ذلك فقد طمعَ فى غير مَطمَع ، ومن تّبع طبيبًا مريضًا دامت علّته . وودّعونى ومَضَوْا وقد أتى علىّ حينٌ ولاأزالُ أرى برَكة كلامهم موجودةً فى خاطرى .

وبلغنى عن أَبى الفتح محمد بن محمد الخزيمى قال : قال أَبوعلى الدقّاق : كنت بنَيسابور مقيمًا للوعظ (فظهر بى رمَدٌ فاشتقتُ إلى أَوْلادى فرأَيْتُ[٣]) لَيْلَةً مِنْ الليالى فى المنام كأَن شخصًا دخل علىّ فقال : أَيها الشيخ مايُمكنك الرجوعُ بهذه السرعة فإن جماعةً من شباب الجن يَحضرون مَجْلِسك ويستمعون منك ، وهم بعدُ فى بَدْوِ الإرادة (فما لم ينتهو إلى إرادتهم[٤]) لايمكنك أن تفارقهم فلعل الله عز وجل أن يُحييهم فأَصبحت وكأَنه مابعينى رَمَدٌ .

١٠٣١ ــــ ومن متعبدات الجن :

صالح بن عبد الكريم قال : كنت أحبّ أن ألقى شيئًا[٥] من الجن فأُكلمه . فرأَيت امرأة فتعلّقت بها فقلت : عِظينى . فقالت : اكتب : تَقول غزالة : اشتغل بأَوْلى الأُمورِ بك ولا تغفل عن ساعةٍ إن فاتتك لم تُدرِكها[٦] .

---

(١) جميعاً : ليست فى ط .
(٢) ق : يحيى (بضم أوله) . وأثبت ما فى ط .
(٣) ما بين قوسين ليس فى ب .
(٤) ما بين القوسين ليس فى ب .
(٥) ط : شيخاً .
(٦) بعدها فى ط : والله أعلم .

آخر كتاب صفة الصفوة ، والحمد لله وحده ، وصلواته على خير خاتمه محمد وآله وصحبه . كتبه لنفسه ، ثم لمن شاء الله بعده ، فقير رحمة ربه إبراهيم بن يحيى بن حسن بن طرخان بن تميم العسقلانِي الخبيلى ، عفا الله عنهم بكرمه ، فى مدةٍ آخرها يوم الخميس بين الصلاتين بالقاهرة المحروسة بالورّاقين ، الثانِي والعشرين من جمادى الآخرة من سنة سبع وسبعين وستمائة ، أحسن الله خاتمتها .

والحمد لله وحده ، وسلام على عباده الذين اصطفى (١) .

تم

(١) هذه خاتمة النسخة الخطية المحفوظة فى المكتبة الوقفية بحلب والتى جعلنا رمزها (ق). أما نسخة (قط) فقد جاء فى خاتمتها ما يلى : «تم الكتاب بحمد الله ومنه على يد الفقير إلى الله : إبراهيم بن الحسن البواب فى العشر الأول من شهر رمضان المبارك من سنة سبع عشرة وسبعمائة ، والحمد لله أولا وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، وصلاته على نبيه محمد وآله الطاهرين ، وصحبه المنتخبين ، وسلامه وتحياته . رب اختم بالخير برحمتك يا أرحم الراحمين . آمين » .

كما جاء فى آخر نسخة (ب) الخاتمة التالية :

«آخر كتاب صفة الصفوة . الحمد لله وحده ، وصلواته على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم تسليما . كان الفراغ من نسخه فى العشرين من جمادى الأولى سنة (.. هكذا وردت بالأصل المخطوط من نسخة ب) وستمائة .كتبه الفقيه عفيف الدين أبى العباس أحمد بن على بن عبد العزيز. المخزومى ،الفقير إلى رحمة الله عبد المحسن بن عبد العزيز المخزومى، قضى الله حوائجهم أجمعين »

المحتوى



فهارس الكتاب العامّة



فهرس اوائل الأحاديث (*)

حرف الالف

(*) ملاحظة : اعتمدنا وضع رقم الجزء اولا ثم رقم الصفحة مثل : آتي باب الجنة فاستفتح ـ الجزء ـ الصفحة .

حرف البـاء

حرف التـاء

حرف الجيم

حرف الحـاء

حرف الخـاء

حرف الدال

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

فهرس الاعلام المترجم لهم (*)

حرف الالف

(*) ملاحظة : اعتمدنا وضع رقم الجزء اولا ثم رقم الصفحة وبين هلالين رقم الموضوع ، مثل آدم بن اياس ـ الجزء ـ الصفحة ـ (رقم الموضوع)

حرف البـاء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء